يتيمة الدهر

في محاسن أهل العصر

تأليف

أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري

المتوفى ٤٢٩ هجرية

شرح وتحقيق

الدكتور مفيد محمد قميحة

الجزء الأول

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

يطلب من: دار الكتب العلمية - ص ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
نيو ملكارت سنتر - الرملة البيضاء - قرب محلات سبينيز
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٠٨٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

« مُقَدّمَة المحَقّق »

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين ، نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ، فقد شهد القرن الرابع للهجرة ازدهاراً أدبياً واسعاً تجلى بظهور عدد كبير من الكتب المتخصّصة في شتى مجالات المعرفة الانسانية ، فرغم مظاهر الوهن المتعدّدة التي أثقلت جسم الدولة العباسية وجعلته ينوء تحت جموح الأطماع والأهواء والقلاقل ، فإنّ الأدب العربي شهد جموحاً من نوع آخر ، جموحاً نحو الابداع والكمال ، ساهم في نهضته المباركة عددٌ كبيرٌ من الأدباء الذين أغنوا الفكر العربي والاسلامي بكتاباتٍ قيمة وابتكارات رائعة ، كان لهما الأثر المرجوّ في تعميق الفكر وخدمة الثقافة والأدب ، وأبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري ، واحدٌ من أولئك الذين ساهموا في هذه النهضة المباركة ، بحيث قدّم للعربية عدداً كبيراً من المؤلّفات والمصنّفات التي تنوّعت لتشمل اغراضاً متنوعة في الآداب واللغة والفكر .

ولد أبو منصور في نيسابور عام ٣٥٠ للهجرة وإليها نمي ، وكان في أوّل حياته فرّاءً ، يخيط جلود الثعالب فنسب إلى صناعته ، ومن ثمّ انتقل من حوك الفراء إلى حوك الكلِم ، فاشتغل باللغة والأدب والتاريخ فنبغ واشتهر ، ولم تتحدّث كتب التراجم عن تفاصيل حياته ومراحلها وأدوارها ، إلاّ أنهّا أسهبت في ذكر فضله وعلمه ، فقد ذكره فريق من كبار المؤلفين ، وأشاروا إلى مكانته ومؤلفاته التي بلغت

حدّاً لا بأس له من الكثرة والغنى والتنوع ، فقال ابن الأنباري في نزهة الألبّاء عنه : « كان أديباً فاضلاً فصيحاً بليغاً ، صنّف كتباً كثيرة ، وأخذ عن أبي بكر الخوارزمي » .

وقال ابن بسّام صاحب كتاب الذخيرة في حقه : « كان في وقته راعي تلعات العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم ، ورأس المؤلّفين في زمانه ، وإمام المصنّفين بحكم قرانه ، وسار ذكره سير المثل ، وضربت إليه آباط الإبل ، وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب ، طلوع النجم في الغياهب ، تآليفه أشهر مواضع وأبهر مطالع ، وأكثر راوٍ لها وجامع ، من أن يستوفيها حدٌّ أو وصف ، أو يوفي حقوقها نظمٌ أو رصف » .

وقال عنه الباخرزي صاحب دمية القصر : « هو جاحظ نيسابور ، وزبدة الأحقاب والدهور ، لم ترَ العيون مثله ، ولا أنكرت الأعيان فضله ، وكيف تنكر وهو المزن يحمد بكلّ لسان ، أو كيف يستر وهو الشمس لا تخفى بكلّ مكان » .

أما كتابه « يتيمة الدهر » الذي قمنا بشرحه وضبط نصوصه قدر الامكان فإنه أكثر مؤلفاته شهرة وتداولاً ، كونه يقدّم فيه ترجمةً وافية لكثير من الشعراء المعاصرين له أو السابقين لزمنه بقليل ، وهذه الترجمة تختلف عمّا عرفناه في كتب الطبقات ، لأنه يجمع فيها كلّ جماعة من الشعراء حسب بلدهم أو إقليمهم أو البلاط الذي سلكهم في عداده ، ومثال ذلك ما فعله بشعراء الشام ، وشعراء مصر من حيث الأقاليم ، وبشعراء دولة بني حمدان وبلاط سيف الدولة في حلب ، وبني بويه في بغداد وأصبهان . .

وقد بدأت فكرة الكتاب لديه في سنٍّ مبكّرة إذ بدأه سنة ٣٨٤ هجرية ، ثم رجع إليه بعد فترة من الزمن بعد أن اكتمل عوده وقوي مراسه ، ليتّم في كهولته ما

استهلّه في شبابه ، وقد قسّم الرجل كتابه إلى أقسامٍ أربعة وأردفه بعد مدّة بقسمٍ خامس ، لم يكن أهل الأدب واللغة قد اطلعوا عليه وقد نشر هذا القسم في طهران ، وفيه تتمات لما جاء في الأقسام السابقة له ، بحيث تضمّن أبواباً ثلاثة حملت العناوين التالية : « تتمّة القسم الأول في محاسن أهل الشام والجزيرة ، وتتمة القسم الثاني في محاسن أشعار أهل العراق ، وتتمة القسم الثالث في محاسن أهل الرّي وهمدان وأصفهان وساير بلاد الجبل » وقد قدّم الثعالبي في هذه الأقسام تراجم لشعراء عدّة يظهر أنهّم كانوا أقلّ شهرةً من الذين ترجم لهم في الأقسام الأربعة السابقة فألحقهم بهذا القسم بعد أن تمكّن من الوقوف على نماذج من أشعارهم .

أمّا غاية الكتاب فهي خدمة اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم ، عن طريق الشعر الذي يرى فيه فضلاً وعلماً وتقدُّم مكانة ، يقول في مقدمته « ولّما كان الشعر محمدة الأدب وعلم العرب الذي اختصوا به دون سائر الأمم ، وبلسانهم جاء كتاب الله المنزل على النبّي فيهم المرسل ، صلوات الله وسلامه عليه ، كانت أشعار الاسلاميين أرقّ من أشعار الجاهليين وأشعار المخضرمين ، ثم كانت أشعار العصريين أجمع لنوادر المحاسن ، وأنظم للطائف البدائع من أشعار سائر المذكورين ، ولانتهائها إلى أبعد غايات الحسن ، وبلوغها أقصى درجات الجودة والظرف ، تكاد تخرج من باب الاعجاب إلى الاعجاز ، ومن حدّ الشعر إلى السحر فكأن الزمان ادّخر لنا من نتائج البراعة وأوفرها نصيباً من كمال الصنعة ورونق الطلاوة » وهكذا فإن الثعالبي يتقدّم لتصنيف عمله وإتمامه مدفوعاً برغبةٍ داخلية قويّة قوامها الحبّ للعربية والإدراك العميق لأبعاد الكلمة وأثرها البعيد الغور في النفس الانسانية التي قدِّر لها نصيبٌ من الحسٍّ والرّفاهية والذوق . .

والثعالبي في اليتيمة لم يقتصر على الترجمة المحضة والاستشهاد بالنصوص الشعرية ، بل نراه يورد آراءً نقدية قيّمة وتعليلاتٍ أدبية ممتعة تنمُّ عن ذوقٍ أدبيّ رفيع ، كما يعمد في كثير من الأحيان إلى المقارنة والموازنة بين من يترجم له وبين غيره

من الشعراء في الفنّ الشعري الذي برع فيه ويكشف بلياقة وكياسة عن مدى تأثّر الشاعر بغيره من السابقين والمعاصرين ويتعقّب بحسٍّ أدبيٍّ وذوقٍ مرهفٍ صوره ومعانيه، فيشهد له بما قدّم من توليداتٍ مبتكرة وجديدة، ويرشد إلى ما كان فيه تابعاً ومقلّداً ، كما نراه أحياناً يصوّب المعنى ويشير إلى الاستعمال السليم ، مثال ذلك تعليقه على بيتٍ شعري لأبي القاسم عبد الصمد بن بابك يقول :

نشوة نفاس الأمير الذي أدرك ما شاء برغم الزمان

فيرى الثعالبي أنه « لم يحسن في تشبيه طيب رائحة الشراب ، بنفس الممدوح وهو ملك عظيم ، لأنّه إنّما يشبّه بنفس المعشوق » وكان ينبغي أن يقول :

نسيم أفعال الأمير الذي أدرك ما شاء برغم الزمان

كما نراه يشير إلى سقطات أبي بكر محمد بن محمّد الخوارزمي فيقول : « وممّا زلّ فيه أقبح زلّة قوله من قصيدة في الصاحب وقد اعتلّ:

نعوا إليّ نفس المجد ساعة أخبروا بما يشتكي من سقمه ويمارس

فإن في لفظة النعي ما فيها من الطيرة ؛ إذ هي ممّا يقع في المرثيّة لا في العيادة » .

ويقول أيضاً عنه ومن سقطاته المنكرة قوله للصاحب :

ومهيبٍ كأنّما أذنب النا س إليه فهم مغشون ذلا
وظريفٍ كأنّ في كلّ فعلٍ من أفاعيله عرائس تجلى

فإنّ الكبراء والمحتشمين لا يوصفون بالظرف إذ هو من أوصاف الأحداث والقيان والشبان ، ولم يرض بالفرطة في هذه اللفظة حتى شبّه أفاعيله بعرائس تجلى ، فلو مدح مخنّثاً لما زاد » .

وفي حديثه عن أكثر الشعراء فإننا نراه يتتبع سرقاتهم ويشير إلى المعاني التي اقتبسوها من غيرهم ، ويقطع في مواضع كثيرة سرد القصيدة ليذكر سرقة بيتٍ منها ، كحديثه عن أبي سعيد الرستمي حين يقول :

بدورٌ زهتهن الملاحة أن يُرى لهنّ نقابٌ فالوجوه سوافر

فيقطع الثعالبي القصيدة ليذكر أنّه سرقه من قول القائل :

ولّما تنازعنا الحديث وأسفرت وجوهٌ زهاها الحسن أن تتقنّعا

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحدّ ، بل نراه يورد في كتابه فصولاً خاصة يتتبّع فيها سرقات الشعراء ، كما فعل في حديثه عن السريّ الرّفاء حيث عقد له فصلاً مسهباً أشار فيه إلى سرقاته الكثيرة ، وذكر النصوص التي تأثّر بها وضمّنها قصائده ، كما أنه لم ينس أن يشير إلى نوع السرقة ، وهل استطاع الشاعر أن يتفوق على سابقه أم أنّه قصر في بلوغ شأوه ، يقول معلّقاً على بيتٍ لأبي الحسن عليّ بن هارون بن المنجم « ولقد أحسن السرقة وجوّد اللفظ وزاد في المعنى » .

أمّا حديثه عن المتنبيّ فقد طال نظراً لإعجابه الشديد بالرجل ، إلا أنّ هذا الاعجاب لم يمنعه من ذكر هفواته التي اعترف بها المنصفون من النقاد ، يقول الثعالبي بهذا الصدد « ومنها إتباع الفقرة الغرّاء بالكلمة العوراء والافصاح بذلك في شعره عن كثرة التفاوت وقلّة التناسب، وتنافر الأطراف وتخالُف الأبيات ، وما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة ويعود لهذه العادة السيئة ، ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط، فبيناه يصوغ أفخر حلي وينظم أحسن عقد وينسج أنفس وشي و يختال في حديقة ورد ، إذا به قد رمى بالبيت والبيتين في إبعاد الاستعارة أو تعويض اللفظ أو تعقيد المعنى إلى المبالغة في التكلّف والزيادة في التعمّق والخروج إلى الافراط والإحالة والسفسفة والركاكة والتبّرد والتوحش باستعمال الكلمات الشاذة ، فمحا

تلك المحاسن وكدّر صفاءها وأعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها واستهدف لسهام العائبين وتحكك بألسنة الطاعنين »وهكذا فإن الثعالبي لم يقتصر في اليتيمة على الترجمة الخالصة وتسجيل النصوص ، بل كان له رأي خاص يمثّل ذوقه الأدبي وحسّه الشعريّ ، وهذا الرأي مبنيٌّ على خبرة واسعة واطلاع عميق استطاع بهما أن يصل إلى تعليلات موفقة لم تجانب الصواب ، بل حالفته وعمّقته وأرشدت إليه في كثير من الأحيان ، إلاّ أنّه في تعليلاته ونقداته لم يخرج عمّا تعارف عليه الذوق النقدي العربي القديم، الذي كان ينظر إلى القصيدة بيتاً بيتاً وبناءً مفككاً يُفصل فيه البيت عن سابقه وتاليه ، ويركزّ على استعمالات الألفاظ واختيار المعاني ، ولا يشير إلى البناء الكليّ للقصيدة ذلك البناء الذي يتحد فيه اللفظ والمعنى ليؤدّيان الصورة الفنّية الممتعة ، فقد ظلّ الشعر في نظره لفظاً ومعنىً لا عملاً فنّياً متكاملاً تجمعه وحدة عضوية متماسكة .

بعد هذا العرض يمكننا أن نقول : إن اليتيمة كتابٌ هام لا غنىً عنه لكلّ من يتعاني الأدب ويسلك دروبه لأنّه يعرفنا بالنقلة التي وصل إليها الشعر في عصره ، سواء من حيث النوعية أو الكميّة فضلاً عن تقديمه ترجمة وافية لكثير من شعراء العربية الذين لولا الجهد المشكور الذي بذله أبو منصور ، لظلّ أكثرهم في عالم المجهول والنسيان . . .

والله من وراء القصد
وهو وليُّ التوفيق

د. مفيد محمد قميحة

فهرس بأهم الآثار التي خلّفها الثعالبي

خلَّف الثعالبي كتباً قيمه أربت على الثمانين كتابا ، وقد وضع لها الأستاذ عبدالفتاح محمد فهرساً بأسمائها والأماكن الموجودة فيها ، وتنوّعت هذه الكتب بين اللغة والسيرة والأخبار والبلاغة والأدب شعراً ونثراً واخترنا منها ما يلي :

(١) أحاسن كلام النبي والصحابة والتابعين ، وملوك الجاهلية وملوك الاسلام .

(٢) أحسن ما سمعت ، وهو مختصر على عشرة أبواب ، أوله : أمّا بعد حمد الله على آلائه الخ . . ويعرف باللآلي والدّرر .

(٣) أربع مسائل منتخبة من مؤلّفات العلامة أبي منصور الثعالبي :

(أ) منتخبات كتاب التمثيل والمحاضرة .

(ب) المبهج .

(خ) سحر البلاغة وسرّ البراعة .

(د) النهاية في الكناية .

(٤) الاعجاز والايجاز ، أو الامجار والاعجاز .

(٥) كتاب الأمثال المسمّى بالفرائد والقلائد ، ويسمى أيضاً العقد النفيس في نزهة الجليس .

(٦) برد الأكباد في الأعداد .

(٧) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب .

(٨) خاص الخـاص ، وفيه مواضيع شعـرية ونثـرية ، أودع فيه من عيون الغـرر ونصوص الكتب ما يكاد يخرج من حدّ الاعجاب إلى حدّ الاعجاز .
(٩) رسالة فيما جرى بين المتنبي وسيف الدولة .
(١٠) سرّ الأدب في مجاري لغة العرب .
(١١) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم .
(١٢) فقه اللغة وسرّ العربية .
(١٣) الكناية والتعريض .
(١٤) لطائف المعارف .
(١٥) المؤنس الوحيد في المحاضرات ، طبع منه مختصرات .
(١٦) اللطائف والظرائف ، في مدح الأشياء وأضدادها ، ومعه اليواقيت والمواقيت في مدح الشيء وذمّـه .
(١٧) مرآة المروءات .
(١٨) مكارم الأخلاق .
(١٩) من غاب عنه المطرب .
(٢٠) و المنتحل ـ وهو منتخبات من فحول الشعراء العرب .
(٢١) المقصور والممدود .
(٢٢) نثر النظم وحلّ العقد .
(٢٣) يتيمة الدهر .
(٢٤) الغلمـان .
(٢٥) الشكوى والعتاب .
(٢٦) تحفة الوزراء .
(٢٧) لباب الأدب .
(٢٨) طبقات الملوك .
(٢٩) نسيم السحر .
وغير ذلك كثير . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الصفوة المختار من خلقه أجمعين ، وعلى آله وصحبه .

وبعد ، فهذا كتاب « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » الذي يقول فيه أبو الفتوح نصر الله بن قلافس الشاعر الإسكندري المشهور :

أبيات أشعار اليتيمة أبكار أفكار قديمة
ماتوا وعاشت بعدهم فلذاك سميت اليتيمة

وهو الكتاب الذي لولاه لكانت قد « بقيت محاسن أهل عصر مؤلفه ـ وهي التي معها رواء الحداثة ، ولذة الجدة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على كثرة النقد ـ غير محصورة بكتاب يضم نشرها ، وينظم شذرها ، ويشد أزرها ، ولا مجموعة في مصنف يقيد شواردها ، ويخلد أوابدها » مع أنه « قد سبق مؤلفو الكتب إلى ترتيب المتقدمين من الشعراء ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، وتدوين كلماتهم ، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم ، فكم من كتاب فاخر عملوه ، وعقد باهر نظموه ، لا يشينه إلا نبو العين من إخلاق جدته ، وبلى بردته ، ومج السمع لمردداته ، وملالة القلب من مكرراته »[1] وهو كتاب قد جمع الكثير من غرر

(١) من مقدمة الثعالبي في كتاب اليتيمة (ص ٢٦ ج ١).

شعراء القرن الرابع وصدر القرن الخامس : ملوكهم وأمرائهم ووزرائهم وقضاتهم ، ذوي الجد منهم وذوي المجون ، في رقعة البلاد التي كانت يد العرب مبسوطة عليها يومذاك ، من بلاد الشام والعراق وجرجان ومصر والمغرب والأندلس وغيرها ، وهذه الحقبة من الزمن ـ على ما كان فيها من التفرق والاضطراب السياسي ـ أنضر حقب الزمان في الآداب والعلوم والفنون .

وقد بقي الكتاب ـ على رغم أنه طبع مرتين قبل اليوم ـ سراً محجوباً لرداءة عرضه وفشو الأغاليط فيه وقلة العناية برواته ، فأردت أن أخدم العربية التي أشربت حبها من عهد الصغر بإخراجه في صورة ترضى عنها النفس وينشرح لها الصدر ، فتوفرت على مراجعته على أصوله المخطوطة ، وعلى ما تيسر لي من دواوين الشعراء ومجاميع الشعر ، حتى استقام لي نص صحيح أو قريب من الصحة ، ثم قدمته للنشر في هذه الضائقة التي غلت فيها أسعار الورق ، وشح وجود الجيد منه ، وتهافت الناس فيها على نشر دوريات قليلة الغناء ، فازدحمت بها دور الطباعة ، وأعوز الأدباء أن يجدوا لنتائج قرائحهم مكاناً في هذا الميدان .

وهذه المطبوعة من هذا الكتاب ـ فيما نعتقد ـ خير ما يقرأ المتأدبون من نسخ الكتاب ، أصلحنا فيها الكثير مما فشا في سابقيتها من الأغاليط ، وكانت طريقتنا أن نستبقي النص كما هو في أصول الكتاب ما وجدنا له محملاً من الصحة ، فإن لم نجد له ذلك ووجدناه في ديوان من دواوين الشعر على وجه آخر صحيح غيرناه إليه ، وبينا ذلك في أسفل صفحات الكتاب أحياناً ، فإن لم نعثر على النص في كتاب آخر وظهر لنا فيه وجه صحيح غيرناه إليه والتزمنا في هذه الحال أن نبين عملنا في أسفل صحف الكتاب ، وإن لم نعثر على النص في كتاب آخر ولم يستقم لنا فيه وجه صحيح ، أشرنا إلى أنه لم يبن لنا فيه وجه يوثق به ، والله وحده الذي يعلم كم قاسينا في هذه السبيل من جهد ، وعنده وحده جزاء ذلك كله ، إنه لا يجزي على الخير سواه ، ولا يعرف خفيات الأمور غيره .

وفي الكتاب مجون كثير ، كما تجده في المختار من شعر أبي الرقعمق وأبي القاسم الواساني وابن لنكك وأبي الحسن السلامي وابـن سكرة الهاشمـي وابـن الحجاج وغيرهم ، وقد ترددنا كثيراً في أن نجاري بعض أدباء هذا العصر فنحذف هذا المجون ولو من بعض نسخ الكتاب ، ولكنا « لم نشأ أن نحذف شيئاً مما في هذا الكتاب من المجون ـ كما يفعل بعض الناشرين ، تحرجاً منهم وتأثماً زعموا ، وحرصاً على مكارم الأخلاق ظنوا ـ لأنا لا نؤلف كتاباً نختار فيه ما نشاء ونـدع ما نشاء ، وإنما نحقق نصاً قيده صاحبه في زمن كان الناس فيه أشد تحرجاً من هذا الزمن الذي نعيش فيه ، ولأنا لا نرى من حقنا أن نتصرف في كتب الناس ثم نبقيها منسوبة إليهم فيجيئوا يوم المعدلة يتعلقون بمن ظلمهم يجادلونه عن أنفسهـم ، والله يعلم أننا لا نقل عن هؤلاء المتأدبين الذين يفسدون كتب الناس ، تحرجاً من المجون ولا حرصاً على مكارم الأخلاق » ولأن الغرض من نشر هذا الكتاب ، واحتمال الجهد الجاهد في تحقيقـه ، والصبـر علـى الـكثير ممـا يغـري بعضـه بالانصـراف ، إنمـا هو أن ندل قراء الأدب العربـي علـى الحياة الأدبية والحياة الاجتماعية والسياسية في هذه الحقبة التي كان هؤلاء الشعراء يعيشون فيها ، وأن نضع بين أيديهم النصوص التي تدلهم على ما يتوجهون إليه من مناحي البحث ، فلو أننا سمحنا لأنفسنا بحذف شيء مما اشتمل عليه الكتاب لكنا قد أضعنا هذه الغاية ، ولكنا كمن يجهز جندياً للقتال فيضع في يده سيفاً من الخشب ، ويقعده على صهوة جواد من قصب .

هذا ، ومؤلف الكتاب نفسه يشعر بما عسى أن يقوله عنه بعض النـاس ، ويصر ـ مع ذلك ـ على أن يذكر المجون ، ويعتذر عنه ، فأي معذرة لمن يقدم على نشر كتابه وقد حذف منه هذا النوع من الكلام ، اسمع إليه يقول في مطلع حديثه عن أبي عبد الله الحسن بن أحمد بن الحجاج « هو وإن كان في أكثر شعره لا يستتر

من العقل بسجف ، ولا يبني جل قوله إلا على سخف ، فإنه من سحرة الشعر ، وعجائب العصر ، وقد اتفق من رأيته وسمعت به من أهل البصيرة في الأدب وحسن المعرفة بالشعر ، على أنه فرد زمانه في فنه الذي شهر به ، وأنه لم يسبق إلى طريقته ، ولم يلحق شأوه في نمطه ، ولم ير كاقتداره على ما يورده من المعاني التي تقع في طرزه مع سلاسة الألفاظ وعذوبتها ، وانتظامها في سلك الملاحة والبلاغة ، وإن كانت مفصحة عن السخافة ، مشوبة بشعر الخلديين والمكدين أهل الشطارة . ولولا أن جد الأدب جد وهزله هزل - كما قال إبراهيم بن المهدي - لصنت كتابي هذا عن كثير من كلام من يمد يد المجون فيعرك بها أذن الحرم ، ويفتح جراب السخف فيصفع بها قفا العقل ، ولكنه على علاته تتفكه الفضلاء بثمار شعره ، وتستملح الكبراء ببنات طبعه ، وتستخف الأدباء أرواح نظمه ويحتمل المحتشمون فرط رفثه وقذعه ، ومنهم من يغلو في الميل إلى ما يضحك ويمتع من نوادره ، ولقد مدح الملوك والأمراء والوزراء والرؤساء ، فلم يخل قصيدة فيهم من سفاتج هزله ، ونتائج فحشه ، وهو عندهم مقبول الجملة غالي مهر الكلام ، موفور الحظ من الإكرام والإنعام ، مجاب إلى مقترحه من الصلات الجسام » ولسنا نريد إلا أن تقرأ هذه العبارة ثم تقرأها ، ثم احكم وكن من المنصفين .

* * *

وهذا الكتاب قد وضعه مؤلفه على أربعة أقسام يشتمل كل قسم منها على أبواب وفصول :

القسم الأول : في محاسن أشعار آل حمدان وشعرائهم وغيرهم من أهل الشام وما يجاورها ومصر والموصل والمغرب ، ولمع من أخبارهم .

القسم الثاني : في محاسن أشعار أهل العراق ، وإنشاء الدولة الديلمية من

طبقات الأفاضل ، وما يتعلق بها من أخبارهم ، ونوادرهم ، وفصوص من فصول المترسلين منهم .

القسم الثالث : في محاسن أشعار أهل الجبل وفارس وجرجان وطبرستان وأصفهان ، من وزراء الدولة الديلمية وكتابها وقضاتها وشعرائها ، وما ينضاف إليها من أخبارهم وغرر ألفاظهم .

القسم الرابع : في محاسن أهل خراسان وما وراء النهر من إنشاء الدولة السامانية والغزنية ، والطارئين على الحضرة ببخارى من الآفاق ، والمتصرفين على اعمالها ، وما يستطرف من أخبارهم ، وخاصة أهل نيسابور ، والغرباء الطارئين عليها والمقيمين بها .

وقد وفّى المؤلف فيه بما وعد ، فجمع فيه « من بدائع أعيان الفضل ، ونجوم الأرض من أهل العصر ومن تقدمهم قليلاً وسبقهم يسيراً ، ما لم تأخذ الكتب العتيقة غرره ، ولم تفتض عذره ، ولم ينتقص قدم العهد وتطاول المدة زبره » وضمنه « من نسج طباع هؤلاء وسبك أفهامهم ، وصوغ أذهانهم ، ما يشتمل على الحلل الفاخرة الفائقة ، والحلى الرائقة الشائقة ، ويتضمن من طرفهم وملحهم لطائف أمتع من بواكير الرياحين والثمار ، وأطيب من فوح نسيم الأسحار ، بروائح الأنوار والأزهار »[1] والتزم ألا يورد في هذا الكتاب إلا « لب اللب ، وحبة القلب ، وناظر العين ، ونكتة الكلمة ، وواسطة العقد ، ونقش الفص ، مع كلام في الإشارة إلى النظائر والأحاسن والسرقات »[2] .

وإن يكن في هذا الكتاب نقص يصح أن يعتد به بعض الناس على صاحبه ،

---

(١) انظر (ص ٢٨ ج ١).
(٢) من مقدمة المؤلف (ص ٢٩ ج ١) .

فهو أنه لم يعن بجمع أخبار من تعرض للاختيار له من الشعراء مما يتضمن نشأتهم ومواليدهم ووفياتهم وتصرف الدهر بهم ، بل إنه لم يتعرض في بعضهم إلا لاختيار عدة أبيات وقعت له أو سمعها من بعض رواتها من الأدباء ، فالكتاب ـ في نظر هؤلاء ـ ناقص وفي مسيس الحاجة إلى إتمام هذا النقص ، ولعلهم يستوجبون على من يتعرض لتحقيقه أن يسد هذه الثلمة ، ونحن نقرر أن هذا الكتاب لم يوضع في تأريخ الأدب والشعر ، ولا كان الغرض منه تأريخ حياة الأدباء والشعراء ، ولكنه وضع في صميم الأدب ولبابه ، فهو يعني بالقول أكثر مما يعني بحال قائله ، وكثير من الشعراء الذين جرى لهم ذكر في الكتاب واختار لهم صاحبه لم يكن يعرف عنهم شيئاً ، بل لعله لم يسمع بهم ولا درى من شأنهم غير ما يرويه لهم من الشعر القليل ، ومحقق الكتاب لم يقصد من تحقيقه إلا تمكين القارىء من دراسة الأدب واستنباط ما يريد من نصوصه ، غير حافل بما جرى على أهل هذا الأدب من تصاريف الدهر ، فوق أنه لا يريد أن يتحمل عبئاً قد يشق عليه احتماله ، وقد لا يجد لبعض من تعرض لهم المؤلف ذكراً في غير هذا الكتاب ، فهو يرى أن يكتفي بتحقيق النص تحقيقاً يطمئن اليه ، ويستطيع به أن يضمن لقارئه الطمأنينة ، وهذا وحده مما لا يستهين به إلا من لا يريد أن يكون من المنصفين .

* * *

على أن في هذا الكتاب عيباً لا نريد أن نغضي لصاحبه عنه ، وهو ـ فيما نعتقد ـ شر من ذلك العيب الذي قدمنا ذكره ، وليس لنا أن نغفر هذا العيب وإن كانت للثعالبي عنه معاذر أكثر من عدد الحصى ، لأن ذلك العيب يغطي على كل محمدة ، بل إنه ليشكك في كل محمدة ، وهذا العيب هو العصبية ، وتظهر هذه العصبية في ناحيتين من كتابه : أما إحدى هاتين الناحيتين ففي حديثه عن شعراء الشام حيث يعقد باباً موضوعه « فضل شعراء الشام على شعراء سائر البلدان ، وذكر السبب في ذلك » ويستهله بقوله « لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من

شعراء عرب العراق وما يجاورها ، في الجاهلية والإسلام ، والكلام يطول في ذكر المتقدمين منهم » ثم يعد جماعة من طبقة العتابي ومنصور النمري ، وجماعة من طبقة الرقي وكشاجم والصنوبري ، ثم يقول « فأما العصريون ففيما أسوقه من غرر أشعارهم أعدل الشهادات على تقدم أقدامهم » ويستدل لذلك بقربهم من خطط العرب ، وبعدهم عن الأعاجم ، وقلة اختلاطهم بغير العرب ممن تفسد الخلطة بهم الألسنة ، وغير ذلك مما تقرأه في هذا الفصل .

فالثعالبي لم يكتف بتقديم شعراء الشام على كل من ذكرهم في كتابه ، ولم يكتف بتقديمهم على كل من ذكرهم في القسم الأول منه ، لأن التقديم الذكري لا يدل إلا على العناية ، بل يفضلهم على شعراء سائر البلدان ، ويجعل ذلك مطلع كتابه ، ثم حين يريد أن يبين السبب في ذلك يجعل المفضول هم شعراء العراق وما يجاورها ، فينسى « سائر البلدان » التي عقد الفصل عليها ، ويذكر أن قرب العراق من بلاد فارس واختلاط أهل العراق بالفرس سبب ضعف الشعراء من عرب العراق عن الشعراء من عرب اهل الشام ، ونسي قرب الشام من بلاد الروم ، واختلاط عرب الشام بالروم ، وأن هذا القرب وهذا الاختلاط قد يكونان سبباً في فساد ألسنة العرب من أهل الشام .

وأما الناحية الثانية ففي حديثه عن الشعراء من الملوك والرؤساء ، فهو يفرد لملوك كل ناحية باباً ، وهو يثنى عليهم أوفر الثناء ، وهو يستبيح أن يروي الضعيف من شعرهم في حين أنه شرط ألا يروي إلا لب اللباب ، وهو أظهر في هذه الناحية حين يتحدث عن أبي الحسن سيف الدولة على ابن عبد الله بن حمدان .

اسمع إليه يقول في مقدمة الكتاب « فإن وقع في خلال ما أكتبه البيت والبيتان مما ليس من أبيات القصائد ، ووسائط القلائد ، فلأن الكلام معقود به والمعنى لا يتم دونه ، ولأن ما يتقدمه أو يليه مفتقر إليه ، أو لأنه شعر ملك أو أمير أو وزير أو رئيس خطير ، أو إمام من أهل الأدب والعلم كبير ، وإنما ينفق مثل ذلك

بالانتساب إلى قائله ، لا بكثرة طائله »[1] ولست أريد أن أعرض عليك ما قاله في سيف الدولة الحمداني ، ولا ما قاله في عضد الدولة البويهي ، ولا ما قاله في غيرهما من الملوك والأمراء والرؤساء والوزراء ، ولكنني أكتفي بأن أشير إلى أنه جعل لرواية ما لا يتفق مع شرط الكتاب سببين أحدهما أن يكون الجيد محتاجاً إلى غير الجيد ، وثانيهما أن يكون قائل غير الجيد رئيساً أو وزيراً .

* * *

والكتاب ـ بعد هذا ـ أوفى المراجع الأدبية لمن يريد أن يدرس الشعر العربي ، ولمن يريد أن يدرس الحالة الاجتماعية والسياسية من طريق النتاج الأدبي ، في القرن الرابع وصدر من القرن الخامس الهجري ، وقد خشي الثعالبي أن يكون للشعراء السابقين على عصره أثبات جمعها علماء الأدب من عيون الشعر وفنونه ، ولا يكون لشعراء عصره من يتصدى لمثل ذلك ، فندب نفسه للاضطلاع بهذا العبء .

رأى كتاب البارع في أخبار الشعراء الذي صنفه هارون بن المنجم ، ورأى طبقات الشعراء الذي صنفه الشاعر البارع أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز ، فأحب أن يكون لشعراء عصره كتاب مثل هذين الكتابين وغيرهما ، فصنف « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » والذي يؤخذ من مقدمته أنه صنفه مرتين ، أما المرة الأولى فقد تصدى لعمله[2] « في سنة أربع وثمانين وثلثمائة والعمر في إقباله ، والشباب بمائه ، فافتتحه باسم بعض الوزراء مجرياً إياه مجرى ما يتقرب به أهل الأدب ، إلى ذوي الأخطار والرتب ، ومقيماً ثمار الورق مقام نثار الورق ، وكتبه في مدة تقصر عن إعطاء الكتاب حقه ، ولا تتسع لتوفية شرطه ، فارتفع كعجالة الراكب وقبسة العجلان » وأما المرة الثانية فحين رأى نفسه يحاضر « بأخوات كثيرة لما فيه

---

(١) أنظر (ص ٧ ج ١) .

(٢) أنظر (ص ٤ ج ١) .

وقعت باخرة إليه ، وزيادات جمة عليه حصلت من أفواه الرواة لديه ، فقال : إن كان لهذا الكتاب محل من نفوس الأدباء ، وموقع من قلوب الفضلاء ، كالعادة فيما لم يقرع من قبل آذانهم ، ولم يصافح أذهانهم ، فلم لا أبلغ به الذي يستحق به حسن الإحماد ويستوجب من الاعتداد أوفر الأعداد ، ولم لا أبسط فيه عنان الكلام ، وأرمي في الإشباع والإتمام هدف المرام ، فجعل يبنيه وينقضه ، ويزيده وينقصه ، ويمحوه ويثبته ، وينتسخه ثم ينسخه ، وربما افتتحه ولا يختتمه ، وينتصفه فلا يستتمه ، والأيام تحتجز ، وتعد ولا تنجز ، إلى أن أدرك عصر السن والحنكة ، وشارف أوان الثبات والمسكة ، فاختلس لمعة من ظلمة الدهر ، وانتهز رقدة من عين الزمان ، واغتنم نبوة من أنياب النوائب ، وخفة من زحمة الشوائب ، واستمر في تقرير هذه النسخة الأخيرة ، وتحريرها من بين النسخ الكثيرة ، بعد أن غير ترتيبها ، وجدد تبويبها ، وأعاد ترصيفها ، وأحكم تأليفها ، وصار مثله فيها كمثل من يتأنق في بناء داره التي هي عشه ، وفيها عيشه »[1] وكان من آثار هذه العناية وهذا الجهد أن رأى كتابه « يسحر العقول ، ويملك القلوب ، ويعجب الملوك كما يعجب الرعية ، ويحسن أثره على الشعراء كما يطيب ثمره للكتاب ، ويسير في الآفاق مسير الأمثال ، ويسري في البلاد مسرى الخيال ، ولقي أعيان الفضل وأفراد الدهر أطلب له من طير الماء للماء ، وأحرص عليه من المرضى على الشفاء »[2] ومع هذا كله لم يكن الكتاب قد أشبع نهمته ، ولا سدّ الفراغ الذي قدر أن يسده ، وهذا شأن أهل العلم في كل عصر : ما يزال أحدهم يجد ويدأب حتى يظن أنه استولى على الغاية وأوفى على الأمد ، ثم يظهر له ما يرى معه أنه لا يزال في أول الطريق ، وهذا هو الذي وقع لأبي منصور فقد « وقع له على الأيام ما ينخرط في سلك اليتيمة ، ويصلح للالحاق به ، ولا يسوغ تأخيره عن أخواته ، سيما وقد خلا منه مكان قوم من السادة والكبراء لا مترك لثمار خواطرهم ووسائط قلائدهم »

---

(١) أنظر (ص ٥ و٦ ج ١) .

(٢) من مطلع مقدمته لكتابه تتمة اليتيمة (ص ١ ج ١ طبع طهران) .

وحينئذ يتردد في أن يعود إلى النسخة الثانية من اليتيمة فيبني فيها وينقض ، ويصنع فيها ما صنعه في نسختها الأولى ، يتردد في ذلك لأن الكتاب قد سار في الآفاق وطار ذكره في الأقطار وانتسخه الأدباء والرؤساء . فما يلبث أن « يعن له حذو كتاب لطيف على تمثيله وترتيبه ، يودعه ما شذ عنه من طرزه وجنسه ، ويجريه مجرى الفرخ له والعلاوة عليه ».

* * *

ويذكر صاحب كشف الظنون من ذيول اليتيمة عدة مؤلفات :

(١) دمية القصر ، وعصرة أهل العصر ، تصنيف أبي الحسن علي بن الحسن الباخرزي المتوفى في عام ٤٦٧ سبعة وستين وأربعمائة ، وقد طبع في حلب .

(٢) خريدة القصر ، وجريدة أهل العصر ، تأليف عماد الدين الإصفهاني المتوفى في عام ٥٩٧ سبعة وتسعين وخمسمائة من الهجرة ، ويذكر حاجي خليفة أنه في عشر مجلدات ، وأنه يجمع من عام ٥٠٠ خمسمائة إلى عام ٥٩٢ اثنين وتسعين وخمسمائة .

(٣) زينة الدهر ، تصنيف أبي المعالي سعد بن علي الوراق المتوفى في عام ٥٦٨ ، وهو تذييل لدمية الباخرزي يقع في مجلد واحد .

ويذكر صاحب كشف الظنون أيضاً أن لأبي الحسن علي بن زيد البيهقي كتاباً على « يتيمة الدهر » اسمه « وشاح الدمية » كما يذكر أن لتقي الدين بن عبد القادر المصري المتوفى في عام ١٠٠٥ من الهجرة مختصراً لليتيمة في مقدار نصفها .

* * *

وقد كان ظهور كتاب « يتيمة الدهر » حافزاً لأبي الحسن علي بن بسام

الشنتريني المتوفى في عام ٥٤٢ من الهجرة ، على تصنيف كتابه « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » وقد قلد ابن بسام أبا منصور في كل شيء ، فكما أن أبا منصور يجعل كتابه « في محاسن أهل العصر » يجعل ابن بسام كتابه « في محاسن أهل الجزيرة » وكما أن كتاب الثعالبي مقسم إلى أربعة أقسام يبني ابن بسام كتابه على أربعة أقسام ، وكما جعل الثعالبي فصولاً من كل قسم من أقسام كتابه للملوك والأمراء والوزراء والرؤساء ومن في حكمهم جعل ابن بسام الأمر في كتابه على هذا الوجه .

ويقول الدكتور طه حسين بك في مقدمة الجزء الأول من الذخيرة « وهو (يريد ابن بسام) قد سار سيرة الثعالبي في العناية بالملوك والأمراء والرؤساء وما يكون من تأثيرهم في الأدب ، وما يكون من إنتاجهم الأدبي الخاص ، ولكن العناية بهذه الناحية من الحياة الأدبية كانت أشد وأقوم وأجدى من عناية الثعالبي ، فهو لا يكتفي بهذا الإطراء الذي لا غناء فيه والذي تمتلىء به اليتيمة ، وهو لا يكتفي برواية مقتطفات من الآثار الأدبية للملوك والوزراء والأمراء كما فعل الثعالبي ، ولكنه يعرض تأريخهم عرضاً دقيقاً مفصلاً ، يرد آثارهم الأدبية إلى مصادرها ، بل يرد الآثار الأدبية التي أنشئت في بيئتهم إلى مصادرها » . وبعض هذا الكلام مما يؤيد ما ذكرناه عن عصبية الثعالبي ، وبعضه الآخر مما قد أبنا عنه وعذرنا الثعالبي فيه ، على أن أبا منصور قدوة وابن بسام مؤتم ، ومن شأن المقتدي أن يتجنب وجوه النقص التي طرأت على من سبقه .

ومما يتصل بالكلام على فروع « يتيمة الدهر » ذلك الكتاب البديع الذي ألفه الثعالبي نفسه ، بعد أن كثر تردده على اليتيمة ، وبعد أن ملأ عينيه من النظر إليها وأشبع نفسه من التفكير فيها ، ذلك هو كتابه « سحر البلاغة وسر البراعة » فإنه كتاب جمع فيه عبارات في مواضيع كثيرة من نوع ما يسميه أساتذة الإنشاء العربي في هذا العصر بالجمل المختارة ، وقد أخرج بعض هذه الجمل « من غرر نجوم الأرض ، ونكت أعيان الفضل من بلغاء العصر في النثر » وحل بعضها الآخر « من

نظم أمراء الشعر الذين أورد ملح أشعارهم في الكتاب المترجم بيتيمة الدهر ، فلفق جميع ذلك ونسقه ، وسرده وساقه ، وأنفق عليه جميع ما رزقه ، وعمله بجهد الخاطر ، وكد الناظر وعرق الجبين ، وتعب اليمين . . »[1] .

* * *

وبعد ، فأحسب أنني أسديت إلى قراء العربية يداً لا يجحدها أحد منهم بتحقيق نصوص هذا الكتاب ، وتقويم ما اعوج منها بفعل الناسخين والناشرين ، وبشرح ما دعت الحاجة إلى شرحه من المفردات ، وبالإشارة أحياناً إلى المواطن التي يجد فيها القارىء ما لم يتعرض له الثعالبي من أحوال الشعراء وترجماتهم .

وكم كنت أود أن أضبط ما يحتاج إلى الضبط منه ، بل لقد ضبطت ذلك في أصول الكتاب التي قدمتها للنشر ، ولكن الضرورة اقتضت أن يخرج الكتاب غير مضبوط بالشكل ، لأن دار الطباعة التي اختارها الناشر ـ مع الأسف المحض ـ لم يكن فيها من الحروف القابلة للضبط ولا من الحركات ما يكفي للقيام بهذا العمل ، وكان لا بد من انتظار عام كامل أو قريب منه حتى تتمكن من البدء في العمل على الوجه الذي أحب ، وآثر الناشر أن يظهر على الوجه الذي تراه على أن يطول به أمد الانتظار .

هذا ، وأنت غير محتاج الى الضبط بالشكل ، لأن الشعر الذي تضمنه هذا الكتاب ليس من الشعر العويص الذي يكثر فيه الغريب ، ولأنني ضبطت لك بالعبارة في أسفل الصحائف ما ظننت أنك محتاج إلى ضبطه .

والأمور كلها بيد الله يصرفها كيف يشاء .

كتبه المعتز بالله تعالى

أبو رجاء

محمد محيي الدين عبد الحميد

---

(١) من مطلع كتاب « سحر البلاغة وسر البراعة للثعالبي » .

يتيمـــة الدهـــر

في محاسن أهل العصر

لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي

المتوفى في عام ٤٢٩ من الهجرة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خير ما بدئ به الكلام وختم ، وصلى الله على النبي المصطفى وآله وسلم[١] .

أما بعد ، فإن محاسن أصناف الأدب كثيرة ، ونكتها قليلة ، وأنوار الأقاويل موجودة ، وثمارها عزيزة[٢] وأجسام النثر والنظم جمة ، وأرواحهما نزرة[٣] ، وقشورهما معرضة ، ولبوبهما معوزة[٤] . ولما كان الشعر عمدة الأدب[٥] ، وعلم العرب الذي اختصت به [عن] سائر الأمم ، وبلسانهم جاء كتاب الله المنزل ، على النبي منهم المرسل ، صلوات الله عليه وآله وسلم[٦] ، كانت أشعار

---

(١) في جـ « وصلى الله على خير نبي أرسل » .

(٢) الأنوار : جمع نور ـ بفتح النون وسكون الواو ـ وهو الزهر ، أو الأبيض منه خاصة . وعزيزة : نادرة قليلة الوجود ، وفي جـ « غزيرة » ولا يوافق ما قبله ولا ما بعده .

(٣) جمة : كثيرة . ونزرة : قليلة .

(٤) تقول : عرضت الشيء فأعرض لي ، إذا أردت معنى أظهرته فظهر لي وبرز ، وهو من نوادر اللغة ، ونظيره كبيته فأكب . وأنت عارض والشيء معرض ، أي ظاهر بارز . واللبوب : جمع لب ـ بضم اللام ـ وهو من النخل والجوز واللوز ونحوها : ما في جوفها ، وقد غلب على ما يؤكل داخله ويرمى خارجه .

(٥) في جـ « محمدة الأدب » .

(٦) في جـ « صلوات الله وسلامه عليه » .

الإسلاميين أرق من أشعار الجاهليين ، وأشعار المحدثين [ألطف من أشعار المتقدمين ، وأشعار المولدين أبدع من أشعار المحدثين] ، وكانت أشعار العصريين أجمع لنوادر المحاسن ، وأنظم للطائف البدائع من أشعار سائر المذكورين ؛ لانتهائها إلى أبعد غايات الحسن ، وبلوغها أقصى نهايات الجودة والظرف ، تكاد تخرج من باب الإعجاب إلى الإعجاز ، ومن حد الشعر إلى السحر ، فكأن الزمان ادخر لنا من نتائج خواطرهم ، وثمرات قرائحهم ، وأبكار أفكارهم أتم الألفاظ والمعاني استيفاء لأقسام البراعة ، وأوفرها نصيباً من كمال الصنعة، ورونق الطلاوة .

وكذاك قد ساد النبي محمد كل الأنام وكان آخر مرسل[1]

وقد سبق مؤلفو الكتب إلى ترتيب المتقدمين من الشعراء ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، وتدوين كلماتهم ، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم ، فكم من كتاب فاخر عملوه ، وعقد باهر نظموه ، لا يشينه الآن إلا نبو العين من إخلاق جدته ، وبلى بردته ، ومج السمع لمردداته ، وملالة القلب من مكرراته . وبقيت محاسن أهل العصر التي معها رواء الحداثة ، ولذة الجدة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على كثرة النقد ، غير محصورة بكتاب يضم نشرها ، وينظم شذرها[2] ، ويشد أزرها ، ولا مجموعة في مصنف يقيد شواردها ، ويخلد فوائدها ، وقد كنت تصديت لعمل ذلك في سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، والعمر في إقباله ، والشباب بمائه ، فافتتحته باسم بعض الوزراء مجرياً إياه مجرى ما يتقرب به أهل الأدب إلى ذوي الأخطار[3] والرتب ، ومقيماً ثمار الورق ، مقام نثار الورق ، وكتبته في مدة تقصر عن إعطاء الكتاب حقه ، ولا تتسع لتوفية شرطه ،

---

(١) في م « ولذاك قد ساد » .

(٢) ينظم : يجمع . والشذر ـ بفتح الشين وسكون الذال ـ المتفرق المتبدد .

(٣) الأخطار : جمع خطر ـ بفتحتين ـ وأراد به القدر العالي والمنزلة الرفيعة .

فارتفع كعجالة الراكب ، وقبسة العجلان ، وقضيت به حاجة في نفسي . وأنا لا أحسب المستعيرين يتعاورونه ، والمنتسخين يتداولونه ، حتى يصير من أنفس ما تشح عليه أنفس أدباء الإخوان ، وتسير به الركبان إلى أقاصي البلدان ، فتواترت الأخبار ، وشهدت الآثار ، بحرص أهل الفضل على غدره[1] وعدهم إياه من فرص العمر وغرره[2] واهتزازهم لزهره ، واقتفارهم لفقره[3] ، وحين أعرته على الأيام بصري ، وأعدت فيه نظري ، تبينت مصداق ما قرأته في بعض الكتب : أن أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتاباً فيبيت عنده ليلة إلا أحب في غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه ، هذا في ليلة واحدة فكيف في سنين عدة ؟

ورأيتني أحاضر بأخوات كثيرة لما فيه وقعت بأخرة إلي[4] ، وزيادات جمة [عليه] حصلت من أفواه الرواة لدي . فقلت : إن كان لهذا الكتاب محل من نفوس الأدباء ، وموقع من قلوب الفضلاء ، كالعادة فيما لم يقرع من قبل آذانهم ، ولم يصافح أذهانهم ، فلم لا أبلغ به المبلغ الذي يستحق حسن الإحماد ، ويستوجب من الاعتداد أوفر الأعداد ؟ ولم لا أبسط فيه عنان الكلام ، وأرمي في الإشباع[5] والاتمام هدف المرام ؟ فجعلت أبنيه وأنقضه ، وأزيده وأنقصه ، وأمحوه وأثبته ، وأنتسخه ثم أنسخه ، وربما أفتتحه ولا أختتمه ، وأنتصفه فلا أستتمه ، والأيام تحجز ، وتعد ولا تنجز ، إلى أن أدركت عصر السن والحنكة[6] ، وشارفت

---

(١) الغدر ـ بضمتين ـ جمع غدير ، وهو ما يتركه السيل من الماء .

(٢) الغرر ـ بضم ففتح ـ جمع غرة .

(٣) اقتفارهم : تتبعهم . تقول : اقتفر فلان الأثر ، وتقفره ، إذا تبعه . والفقر : جمع فقرة ـ بالكسر ، وبالفتح ـ وأصلها ما انتظم من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب ، وتستعار للجملة من الكلام البليغ .

(٤) في م « ورأيتني أحاضر بأجواب كثيرة مما ينسب فيه وقعت بآخرة الى » .

(٥) في جـ « وأرمي في الاتساع والاتمام » والمعنى واحد .

(٦) الحنكة ـ بضم الحاء وسكون النون ـ التجربة والخبرة . وتقول : حنكت السن الرجل ـ مخففاً من بابي نصر وضرب ، وبتشديد النون ـ إذا أحكمته التجربة وصيره الاختبار حكيماً .

أوان الثبات والمسكة [1] ، فاختلست لمعة من ظلمة الدهر ، وانتهزت رقدة من عين الزمان ، واغتنمت نبوة من أنياب النوائب ، وخفة من زحمة الشوائب ، واستمررت في تقرير هذه النسخة الأخيرة ، وتحريرها من بين النسخ الكثيرة ، بعد أن غيرت ترتيبها ، وجددت تبويبها ، وأعدت ترصيفها ، وأحكمت تأليفها . وصار مثلي فيها كمثل من يتأنق في بناء داره التي هي عشه ، وفيها عيشه ، فلا يزال ينقض أركانها ، ويعيد بنيانها ، ويستجدها على أنحاء عدة ، وهيئات مختلفة ، ويستضيف إليها مجالس كالطواوس [2] ، ويستحدث فيها كنائس كالعرائس [3] ثم يقورها آخر الأمر فوراء توسع العين قرة ، والنفس مسرة . ويدعها حسناء تخجل منها الدور ، وتتقاصر عنها القصور . فإن مات فيها مغفوراً له انتقل من جنة إلى أخرى ، وورد من جنة الدنيا على جنة المأوى .

فهذه النسخة الآن تجمع من بدائع أعيان الفضل ، ونجوم الأرض من أهل العصر ، ومن تقدمهم قليلاً وسبقهم يسيراً ، ما لم تأخذ الكتب العتيقة غرره ، ولم تفتض عذره [4] ، ولم ينتقص قدم العهد وتطاول المدة زبره [5] وتشتمل من نسج طباعهم ، وسبك أفهامهم ، وصوغ أذهانهم ، على الحلل الفاخرة الفائقة ، والحلى الرائقة الشائقة . وتتضمن من طرفهم [6] وملحهم لطائف أمتع من بواكير الرياحين والثمار ، وأطيب من فوح نسيم الأسحار ، بروائح الأنوار والأزهار ، ما

---

(١) المسكة ـ بضم الميم ـ الرأي ، والعقل الوافر يرجع إليه .

(٢) الطواوس : جمع طاووس ، وهو طائر هندي معروف يضرب به المثل في الحسن والخالة ، والطاووس أيضاً : الرجل الجميل ، والأرض المخضرة فيها كل ضرب من النبات .

(٣) الكنائس : جمع كناس ـ بكسر الكاف ـ وهو هنا بيت الظبي الذي يستتر فيه وسط الشجر ، على التشبيه .

(٤) العذر ـ بضم ففتح ـ جمع عذرة ـ بالضم ـ وهي البكارة .

(٥) تقول : زبرت الكتاب أزبره زبراً ـ من بابي ضرب ونصر ـ إذا كتبته .

(٦) الطرف ـ بضم الطاء وفتح الراء ـ جمع طرفة وهي الشيء الطريف . ووقع في جـ ، م « ظرفهم » .

لم تتضمنه النسخة السائرة الأولى .

والشرط في هذه الأخرى إيراد لب اللب ، وحبة القلب ، وناظر العين ، ونكتة الكلمة ، وواسطة العقد ، ونقش الفص ، مع كلام في الإشارة إلى النظائر والأحاسن والسرقات ، وأخذ في طريق الاختصار ، ونبذ من أخبار المذكورين ، وغرر من فصوص [فصول] المترسلين ، يميل إلى جانب الاقتصار. فإن وقع في خلال ما أكتبه البيت والبيتان ـ مما ليس من أبيات القصائد ، ووسائط القلائد ـ فلأن الكلام معقود به ، والمعنى لا يتم دونه[1] ولأن ما يتقدمه[2] أو يليه مفتقر إليه ، أو لأنه شعر ملك أو أمير أو وزير أو رئيس خطير ، أو إمام من أهل الأدب والعلم كبير . وإنما ينفق[3] مثل ذلك بالانتساب إلى قائله ، لا بكثرة طائله .

وخير الشعر أكرمه رجالاً وشرّ الشعر ما قال العبيدُ

وإن أخرت متقدماً فعذري فيه أن العرب قد تبدأ بذكر الشيء والمقدم غيره ، كما قال الله تعالى : ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾[4] وقال تعالى : ﴿يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾[5] وكما قال حسان ابن ثابت : وذكر بني هاشم [من الطويل] :

بها ليلُ منهم جعفرٌ وابن أمّه عليٌّ ، ومنهم أحمدُ المتخيَّر

وكما قال الصلتان العبدي [من المتقارب] :

فملّتنا أنّنا مسلمون على دين صدّيقنا والنبيّ

---

(١) في جـ « لا يتم بدونه » .
(٢) في جـ « أو أن ما يتقدمه ـ الخ » .
(٣) في جـ ، م « يتفق » محرفاً عما أثبتناه ، وينفق ـ بالنون ـ مضارع نفقت السلعة تنفق ـ من باب نصر ـ نفاقاً ، إذا راجت ورغب فيها .
(٤) من الآية ٢ من سورة التغابن ، وفيها تقديم الكافر في الذكر على المؤمن .
(٥) من الآية ٤٣ من سورة آل عمران ، وفيها تقديم السجود في الذكر على الركوع .

وإن قدمت متأخراً فسبيله على ما قال إبراهيم الموصلي لمسرور ، وقد تقدمه في المسير : إن تقدمتك كنت مطرقاً لك [1]، وإن تأخرت فلحق الخدمة .

وقال أبو محمد المزني للملك نوح في مثل تلك الحال : إن تقدمت فحاجب ، وإن تأخرت فذاك واجب .

ثم إن هذا الكتاب المقرر ينقسم إلى أربعة أقسام : يشتمل كل قسم منها على أبواب وفصول :

القسم الأول : في محاسن أشعار آل حمدان ، وشعرائهم ، وغيرهم من أهل الشام وما يجاورها ومصر والموصل [والمغرب] ولمع من أخبارهم .

القسم الثاني : في محاسن أشعار أهل العراق ، وإنشاء الدولة الديلمية من طبقات الأفاضل ، وما يتعلق بها من أخبارهم ونوادرهم ، وفصوص من فصول المترسلين منهم .

القسم الثالث : في محاسن أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان [وأصفهان] من وزراء الدولة الديلمية وكتابها وقضاتها وشعرائها وسائر فضلائها ، وما ينضاف إليها من أخبارهم وغرر ألفاظهم .

القسم الرابع : في محاسن [أشعار] أهل خراسان وما وراء النهر من إنشاء الدولة السامانية والغزنية ، والطارئين على الحضرة ببخارى من الآفاق ، والمتصرفين على أعمالهم ، وما يستطرف من أخبارهم ، وخاصة أهل نيسابور

---

(١) طرقت لك ـ بتشديد الراء ـ فأنا مطرق لك : أي جعلت لك طريقاً . وأصله قولهم : طرق فلان لابله .

والغرباء الطارئين عليها والمقيمين بها .

وفيما لم يقع إليّ من جنس هذا الكتاب كثرة ، ولعله يزيد على ما حصل لدي ، ومن يقدر على حصر الأنفاس وضبط بنات الأفكار ؟ وفي الزوايا خبايا ، ولا نهاية للخواطر ، ولا منقطع لمواد المحاسن ، وما على المؤلف إلا جهده ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

القسم الأول

في محاسن أشعار آل حمدان، وشعرائهم ، وغيرهم من أهل الشام ، وما يجاورها من مصر والموصل ، ولمع من أخبارهم ، وفيه عشرة أبواب .

الباب الأول ، [من القسم الأول]

في فضل شعراء الشام على شعراء سائر البلدان
وذكر السبب في ذلك

لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها ، في الجاهلية والإسلام ، والكلام يطول في ذكر المتقدمين منهم ، فأما المحدثون فخذ إليك منهم العتابي . ومنصوراً النمري ، والأشجع السلمي[1] ومحمد بن زرعة الدمشقي، وربيعة الرقي . على أن في الطائيين[2] اللذين انتهت إليهما الرئاسة في هذه الصناعة كفاية ، وها هما .

ومن مولدي أهل الشام المعوج الرقي ، والمريمي ، والعباسي المصيصي ، وأبو الفتح كشاجم ، والصنوبري ، وأبو المعتصم الأنطاكي ، وهؤلاء رياض الشعر، وحدائق الظرف .

فأما العصريون ففيما أسوقه من غرر أشعارهم أعدل الشهادات على تقدم أقدامهم .

والسبب في تبريز القوم قديماً وحديثاً على من سواهم في الشعر : قربهم من خطط العرب ولا سيما أهل الحجاز ، وبعدهم عن بلاد العجم ، وسلامة ألسنتهم

---

(١) اتفقت الأصول على ذكر هذا العلم مقترناً « بأل » ودخول « أل » عليه للمح أصله كدخولها في الفضل والعباس والحارث .

(٢) أراد بالطائيين : أبا تمام حبيب بن أوس وأبا عبادة الوليد بن عبيد الله البحتري .

من الفساد العارض لألسنة أهل العراق لمجاورة الفرس والنبط ، ومداخلتهم إياهم ، ولما جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة ، ورزقوا ملوكاً وأمراء من آل حمدان وبني ورقاء هم بقية العرب ، والمشغوفون بالأدب ، والمشهورون بالمجد والكرم ، والجمع بين أدوات السيف والقلم ، وما منهم إلا أديب جواد ، يحب الشعر وينتقده ، ويثيب على الجيد منه فيجزل ويفضل ـ انبعثت[1] قرائحهم في الإجادة ، فقادوا محاسن الكلام بألين زمام ، وأحسنوا وأبدعوا ما شاءوا .

وأخبرني جماعة من أصحاب الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد أنه كان يعجب بطريقتهم المثلى ، التي هي طريقة البحتري في الجزالة والعذوبة . والفصاحة والسلاسة ، ويحرص على تحصيل الجديد من أشعارهم، ويستملي الطارئين عليه من تلك البلاد ما يحفظونه من تلك البدائع واللطائف ، حتى كسر دفتراً ضخم الحجم عليها[2] ، وكان لا يفارق مجلسه ، ولا يملأ أحد منه عينه غيره ، وصار ما جمعه فيه على طرف لسانه ، وفي سن قلمه ، فطوراً يحاضر به في مخاطباته ومحاوراته ، وتارة يحله أو يورده كما هو في رسائله ، فمن ذلك قول القائل [من الطويل] :

سلامٌ على تلك المعاهد إنّها شريعة وِرْدي أو مهبّ شمالي[3]
ليالِيَ لم نحذرْ حزون قطيعةٍ ولم نمش إلا في سهول وصال[4]
فقد صرت أرضى من سواكن أرضها بخلّب برقٍ أو بطيف خيال[5]

---

(١) « انبعثت » هذا جواب لما في قوله « ولما جمع شعراء أهل الشام الخ » .
(٢) تقول: كسرت الكتاب على عدّة أبواب بتشديد السين ـ إذا كنت قد جعلته عدّة أبواب .
(٣) شريعة وردي : أي مكان ورودي الماء لنهله ، ومهبّ شمالي : أي الريح الشمالية الباردة .
(٤) الحزون: الأرض الصعبة المسالك .
(٥) خلّب برق : أي البرق اللامع الغير مصحوب بالمطر .

وقول الآخر [من الوافر] :

إذا دنـت المنـازل زاد شوقي ... ولا سيَمـا إذا بدت الخيامُ[1]
فلمـح العين دون الحـيّ شهرٌ ... ورجـع الطـرف دون السير عامُ

وقول الآخر [من الخفيف] :

فسقـى الله بلـدةً أنـت فيها ... كدموعـي عنـد اعتـراض الفراقِ
وأرانيك فالصبّـا قد ترقّـتْ ... يا بروحـي إلـى أعالـي التّراقي[2]

وقول الآخر [من الطويل] :

ووالله لا فارقـت عقـدة ودّه ... ولا حلت ما عمِّرت عن حفظ عهدهِ[3]
ولا بدّ أنّ الدّهـر كاشف أهله ... ويظهـر للمـولـى موالاة عبـدِهِ

وكان أبو بكر الخوارزمي في ريعان عمره ، وعنفوان أمـره ، قد دوخ بلاد الشام ، وحصل من حضرة سيف الدولة بحلب في مجمع الرواة والشعراء ، ومطرح الغرباء الفضلاء ، فأقام ما أقام بها مع أبي عبد الله بن خالويه ، وأبي الحسن الشمشاطي ، وغيرهما من أئمة الأدباء، وأبي الطيب المتنبي ، وأبي العباس النامي ، وغيرهما من فحول الشعراء[4] ، بين علم يدرسه ، وأدب يقتبسه ، ومحاسن ألفاظ يستفيدها ، وشوارد أشعار يصيدها ، وانقلب عنها وهو أحد أفراد الدهر ، وأمراء النظم والنثر ، وكان يقول: ما فتق قلبي ، وشحذ فهمي ، وصقل ذهني ، وأرهف حد لساني ، وبلغ هذا المبلغ بي ، إلا تلك الطوائف

---

(١) لاسيما : هي هنا بتخفيف الياء مفتوحة مثلها في قول الشاعر وهو من شواهد النحاة
فِيهْ بالعقـود والإيمـان لا سيمـا عقد وفـاءٍ بـه مـن أعظم القرب
(٢) التراقي : جمع ترقوة وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .
(٣) لا حلت : لا تغيَّرت وتراجعت .
(٤) لفحول : جمع فحل ، وأصله الذكر من كلّ حيوان ويطلق على الراوي وعلى الشاعر الذي يغلب على كلّ شاعر يعارضه أو يفضل عليه .

الشامية ، واللطائف الحلبية التي علقت بحفظي ، وامتزجت بأجزاء نفسي ، وغصن الشباب رطيب ، ورداء الحداثة قشيب ، وما كان أكثر ما ينشدني ويكتبني مما يضن به على غيري من تلك الغرر التي تجري مجرى السحر والملح التي يقطر منها ماء الظرف، وأنا أكتبها في أماكنها من أبواب هذا القسم الأول ، بمشيئة الله تعالى .

وممن خرجته تلك البلاد ، وأخرجته ، وكلامه مقبول محبوب ، آخذ بمجامع القلوب : القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني ، فإنه جنى ثمارها، واستصحب أنوارها ، حتى ارتقى إلى المحل العلي ، وتطبع بطبع البحتري .

* * *

الباب الثاني

١ ـ في ذكر سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان[١]

وسياق قطعة من أخباره، وملح من أشعاره

كان بنو حمدان ملوكاً وأمراء أوجههم للصباحة ، وألسنتهم للفصاحة ، وأيديهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحة ، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم ، وواسطة قلادتهم[٢] وكان ـ رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مأواه ! ـ غرة الزمان ، وعماد الإسلام، ومن به سداد الثغور[٣]، وسداد الأمور ، وكانت وقائعه في عصاة العرب تكف[٤] بأسها [وتنزع لباسها] وتفلّ أنيابها ، وتذل صعابها ، وتكفي الرعية سوء آدابها . وغزواته تدرك من طاغية الروم الثار ، وتحسم شرهم المثار ، وتحسن في الإسلام الآثار . وحضرته مقصد الوفود ، ومطلع الجود، وقبلة الآمال ، ومحط الرحال ، وموسم الأدباء ، وحلبة الشعراء ، ويقال : إنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك ـ بعد الخلفاء ـ ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ، ونجوم الدهر ، وإنما السلطان سوق يجلب إليها ، ما ينفق لديها . وكان أديباً شاعراً محباً لجيد الشعر ، شديد الاهتزاز لما يمدح به ،

---

(١) أنظر ترجمة سيف الدولة في ابن خلكان (٢/ ٦٦ النيل) .

(٢) القلادة : العقد ، وما تضعه الفتاة في جيدها من حليٍّ وغيرها .

(٣) سداد الثغور : حمايتها وقوّتها .

(٤) تكفّ : تمنع وتدفع وتصرف .

فلو أدرك ابن الرومي زمانه لما احتاج إلى أن يقول [من الكامل] :

ذهب الذين تهزّهم مدّاحهمْ هزّ الكماة عوالي المُرّانِ[1]
كانوا إذا امتدحوا رأوا ما فيهم ملأَرْيحَيّة منهمُ بمكان[2]

وكان كل من أبي محمد عبد الله بن محمد الفياض الكاتب ، وأبي الحسن علي بن محمد الشمشاطي ، قد اختار من مدائح الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف بيت ، كقول أبي الطيب المتنبي [من الطويل] :

خليليَّ إني لا أرى غير شاعرٍ فلم منهم الدعوى ومنّي القصائدُ[3]
فلا تعجبا إنّ السيوف كثيرةٌ ولكنّ سيف الدولة اليوم واحدُ
له من كريم الطبع في الحرب منتضٍ ومن عادة الإحسان والصفح عامدُ[4]
ولما رأيت الناس دون محلّه تيقّنت أنّ الدهر للناس ناقدُ[5]

ومن القصيدة المرقومة :

فلم يبق إلاّ من حماها من الظّبا لمى شفتيها والثديُّ النواهدُ[6]
تبكي عليهنّ الباطريق في الدّجى وهنّ لدينا ملقياتٌ كواسد
بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قومٍ عند قوم فوائدُ

---

(١) العوالي : جمع عالية ، وهي أعلى القناة أو رأسها الذي يلي السنان ، والمران : بضمّ الميم وتشديد الراء ، شجرٌ باسق أوراقه كأوراق التوت ومنه تتخذ الرماح .

(٢) ملأ ريحيّة : أراد من الأريحيّة ، والعرب تحذف نون من الجارة إذا اضطرت إلى ذلك في الشعر وقد ورد ذلك في أبيات كثيرة منها :

نحن قومٌ ملجنٌ في زيّ ناسٍ فوق طيرٍ لها شخوص الجبال

(٣) هذه الأبيات والتي بعدها في الديوان (١/ ٢٧١/ ٢٧٥) .

(٤) منتضٍ : انتضى السيف ، شهره واستلّه من الغمد ، وغمد السيف : حيث يوضع ، قرابه ، وجفنه .

(٥) ناقد : خبير ، يعرف من يختار للسّيادة وكبار المهام .

(٦) اللّمى : سمرة محبوبة في الشفة .

ومن شرف الإقدام أنك فيهمُ   على القتل مرموقٌ كأنك شاكد[1]
وأنّ دماً أجريته بك فاخرٌ   وأنّ فؤاداً رعته لك حامد
وكلٌّ يرى طرق الشجاعة والنّدى   ولكنّ طبع النفس للنفس قائد
نهبت من الأعمار ما لو حويته   لهنّئتِ الدّنيا بأنّك خالد
فأنت حسامُ الملك والله ضاربٌ   وأنت لواء الدين والله عاقد
أحبُّك يا شمس الزمان وبدره   وإن لا مني فيك السُّهى والفراقد[2]
وذاك لأن الفضل عندك باهرٌ   وليس لأن العيش عندك بارد

وكقول السري بن أحمد الموصلي [من الوافر] :

أعزمتك الشهاب أم النّهارُ   أراحتُك السّحاب أم البحار[3]
خلقت منيّةً ومنىً فأضحت   تمور بك البسيطة أو تمار[4]
تحلّي الدين أو تحمي حماه   فأنت عليه سورٌ أو سوار
سيوفك من شكاة الثغر برءٌ   ولكن للعدى فيها بوار[5]
وكفّاك الغمام الجون يسري   وفي أحشائه ماءٌ ونارُ[6]
يمينٌ من سجيتها المنايا   ويسري من عطيتها اليسار[7]
حضرنا والملوك له قيامٌ   تغضٌّ نواظراً فيها انكسار
وزرنا منه ليث الغاب طلقاً   ولم نر قبله ليثاً يُزار
فكان لجوهر المجد انتظامٌ   وكان لجوهرِ المدح انتثار[8]

---

(١) مرموق : محبوب ، والمقة : الحب ، والشاكد : المعطي .
(٢) السُّهى والفراقد : النجوم والأقمار .
(٣) الراح : الكفّ الذي يكون به العطاء « راحة اليد » .
(٤) تمور : تموج وتضطرب .
(٥) البوار : الهلاك .
(٦) الجون : من الأضداد يطلق على الأسود والأبيض .
(٧) سجيتها : طبعها ، والمنايا : الحتوف ، واليسار : من اليسر .
(٨) انتظامٌ : من نظم الجواهر أي سلكها في عقدٍ واحد .

فعشت مخيّراً لك في الأماني وكان على العدوّ لك الخيار
فضيفك للحيا المنهلّ ضيفٌ وجارك للربيع الطلق جار[1]

وكقول أبي فراس الحارث بن سعيد [من البسيط] :

أشدّةٌ ما أراه فيك أم كرم تجود بالنفس والأرواح تصطلمُ[2]
يا باذل النفس والأموال مبتسماً أما يهولك لا موتٌ ولا عدم ؟
لقد ظننتك بين الجحفلين ترى أن السّلامة من وقع القنا تصم[3]
نشدتك الله لا تسمح بنفس علاً حياة صاحبها تحيا بها أمم
إذا لقيت رقاق البيض منفرداً تحت العجاج فلم تستكثر الخدم
تفدي بنفسك أقواماً صنعتهمو وكان حقّهم أن يفتدوك همُ
من ذا يقاتل من تلقى القتال به وليس يفضل عنك الخيل والبهم[4]
تضنّ بالطعن عنّا ضنّ ذي بخلٍ ومنك في كلّ حالٍ يعرف الكرم
لا تبخلنّ على قومٍ إذا قتلوا أثنى عليك بنو الهيجاء دونهم
ألبست ما لبسوا أركبت ما ركبوا عرّفت ما عرفوا علّمت ما علموا
هم الفوارس في أيديهم أسلٌ فإن رأوك فأسدٌ والقنا أجم[5]

وكقول أبي العباس بن محمد النامي [من الوافر] :

خلقْتَ كما أرادتك المعالي فأنت لمن رجاك كما يريدُ

---

(١) الحيا المنهلّ : المطر المتصبّبْ .

(٢) تصطلم : تزهق ، وتقطع من أصولها .

(٣) الجحفل : الجيش الجرّار ، والقنا : جمع قناة وهي من أدوات الحرب ، وتصم : مضارع وصم : أي غيّر .

(٤) يفضل عنك : يبقى بعد ما قتلت ، والبهم جمع بهمة وهو الفارس المتغطي بسلاحه وأدواته ، يريد : إذا كنت أنت تقتل جيش الأعداء وحدك فوارسه وأفراسه فجيشك الذي أخرجته معك لتلقى به العدوّ لن يجد واحداً من فرسانه كيما يقتله .

(٥) الأسل : الرماح ، والأجم جمع أجمة ، وهي الغابة تكون مأوى السباع .

عجيبٌ أنّ سيفك ليس يروى   وسيفك في الوريد له ورود[1]
وأعجب منه رمحك حين يسقى   فيصحو وهو نشوانٌ يميد[2]

وكقول أبي الفرج الببغاء [من الطويل] :

نداك إذا ضنّ الغمام غمام   وعزمك إن فلّ الحسام حسام[3]
فهذا ينيل الرزق وهو ممنّعٌ   وذاك يردُّ الجيش وهو لهام[4]
ومن طلب الأعداء بالمال والظّبا   وبالسعد لم يبعد عليه مرام

وكقول أبي الفرج الوأواء [من المنسرح] :

من قاس جدواك بالسّحاب فما   أنصف بالحكم بين شكلين[5]
أنت إذا جدت ضاحكٌ أبداً   وهو إذا جاد دامع العين

وكقول أبي نصر بن نباتة وهو من شعراء العراق [من البسيط] :

حاشاك أن تدّعيك العرب واحدها   يا من ثرى قدميه طينة العرب
فإن يكنْ لك وجهٌ مثل أوجههمْ   عند العيان فليس الصّفر كالذهب[6]
وإنْ يكن لك نطقٌ مثل نطقهم   فليس مثل كلام الله في الكتبِ

وكانت غمائم جوده تفيض ، ومآثر كرمه تستفيض ، فتؤرخ بها أيام المجد ، وتخلد في صحائف حسن الذكر .

* * *

---

(١) ليس يروى : أيّ يظلّ ظمآناً على كثرة ما يشرب من دم الأعداء .
(٢) يميد : يتحرك ويضطرب يميناً وشمالاً .
(٣) ضنّ : بخل ، وفلّ الحسام : تكسَّر حدّه .
(٤) لهام : كثير ضخم .
(٥) جدواك : عطاياك .
(٦) الصفْر : بضمّ وسكون الفاء : النحاس لأن لونه أصفر .

فصل في انفجار ينابيع جوده على الشعراء

حدثني أبو الحسن علي بن محمد العلوي الحسيني الهمداني الوصي ، قال : كنت واقفاً في السّماطين[1] بين يدي سيف الدولة بحلب، والشعراء ينشدونه ، فتقدم إليه أعرابي رث الهيئة ، فاستأذن الحجاب في الإنشاد ، فأذنوا له ، فأنشد [من المنسرح] :

أنت عليٌّ وهذه حلبٌ   قد نفذ الزاد وانتهى الطلبُ
بهذه تفخر البلادوبالأمير تزهى على الورى العربُ
وعبدك الدّهر قد أضرّ بنا   إليك من جور عبدك الهرب

فقال سيف الدولة ، «أحسنت، ولله أنت !». وأمر له بمائتي دينار.

وحكى ابن لبيب غلام أبي الفرج الببغاء أن سيف الدولة كان قد أمر بضرب دنانير للصلات في كل دينار منها عشرة مثاقيل ، وعليه اسمه وصورته ، فأمر يوماً لأبي الفرج منها بعشرة دنانير ، فقال ارتجالا [من المنسرح] :

نحن بجود الأمير في حرم   نرتع بين السعود والنّعمِ
أبدع من هذه الدنانير لم   يجر قديماً في خاطر الكرم
فقد غدت باسمه وصورته   في دهرنا عوذةً من العدم[2]

فزاده عشرة أخرى .

وكان أبو فراس يوماً بين يديه في نفر من ندمائه ، فقال لهم سيف الدولة :

---

(١) السماطين : الصفّين .
(٢) العُوذة : ما يعلّق على الصبي من التمائم ليقيه العين .

أيكم يجيز قولي ، وليس له إلا سيدي (يعني أبا فراس) [من الخفيف] :

لك جسمي تعلُّه فدمي لم تُحِلُّهْ[1]
لك من قلبي المكا ن فلم لا تَحلُّهْ

فارتجل أبو فراس ، وقال :

أنا إن كنت مالكاً فليَ الأمر كلُّهْ

فاستحسنه وأعطاه ضيعةً بمنبج تغل ألفي دينار .

واستنشد سيف الدولة يوماً أبا الطيب المتنبي قصيدته التي أولها [من الطويل] :

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ وتأتي على قدر الكرام المكارم

وكان معجباً بها كثير الاستعادة لها ، فاندفع أبو الطيب المتنبي ينشدها ، فلما بلغ قوله فيها :

وقفت وما في الموت شكٌّ لواقفٍ كأنك في جفن الردى وهو نائمُ
تمرُّ بك الأبطال كلمى هزيمةً ووجْهك وضّاحٌ وثغرك باسمُ

قال : قد انتقدنا عليك هذين البيتين ، كما انتقد على امرىء القيس بيتاه [من الطويل] :

كأنّيَ لم أركبْ جواداً للذّةٍ ولم أتبطّنْ كاعباً ذات خلخالِ[2]
ولم أسبأ الزقَّ الرويّ ولم أقلْ لخيليَ كرّي كرّةً بعد إجفالِ[3]

---

(١) تعلُّه : تمرضه ، وتحلُّه : أي تستحلُّ سفكه .
(٢) أتبطن : أعلو ، والكاعب : الفتاة الناهد .
(٣) أسبأ : أشتري ، الزق : دنّ الخمر ، الروي : المملوء والإجفال : الإنهزام في سرعة .

وبيتاك لا يلتئم شطراهما، كما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين ، وكان ينبغي لامرىء القيس أن يقول :

كأنّيَ لم أركب جواداً ولم أقلْ لخيليَ كرّي كرّةً بعد إجفال
ولم أسبأ الزق الرويّ للذّةٍ ولم أتبطّنْ كاعباً ذات خلخال

ولك أن تقول :

وقفت وما في الموت شكٌ لواقفٍ ووجهك وضاحٌ وثغرك باسم
تمرُّ بك الأبطال كلمى هزيمةً كأنّك في جفن الردى وهو نائم

فقال : أيد الله مولانا ! إن صح أن الذي استدرك على امرىء القيس هذا كان أعلم بالشعر منه ، فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعلم ان الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك ، لأن البزاز يعرف جملته ، والحائك يعرف جميلته وتفاريقه ، لأنه هو الذي أخرجه من الغزلية الى الثوبية ، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ! وقرن السماحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردى ـ وهو الموت ـ ليجانسه ، ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً ، وعينه من أن تكون باكية ، قلت * ووجهك وضاح وثغرك باسم * لأجمع بين الأضداد في المعنى ، وإن لم يتسع اللفظ لجميعها . فأعجب سيف الدولة بقوله ، ووصله بخمسين ديناراً من دنانير الصلات ، وفيها خمسمائة دينار .

وكان أبو بكر وأبو عثمان الخالديان من خواص شعراء سيف الدولة ، فبعث إليهما مرة وصيفة ووصيفا ، ومع كل واحد منهما بدرة[1] وتخت من ثياب مصر ، فقال أحدهما من قصيدة طويلة ، وهي [من الكامل] :

لم يغدُ شكرك في الخلائق مطلقاً إلاّ ومالك في النّوال حبيسُ

---

(١) البدرة : صرّة أو كيس توضع فيه الدراهم .

خولّتنا شمساً وبدراً أشرقت بهما لدينا الظُّلمة الحنديسُ[1]

رشأٌ أتانا وهو حسناً يوسفٌ وغزالةٌ هي بهجةً بلقيس

هذا ، ولم تقنع بذاك وهذه حتّى بعثت المال وهو نفيسُ

أتت الوصيفة وهي تحمل بدرةً وأتى على ظهر الوصيف الكيس[2]

وبررتنا مما أجادت حوكه مصرٌ ، وزادت حسنه تنيس[3]

فغدا لنا من جودك المأكول والـ ـمشروب والمنكوح والملبوس

فقال له سيف الدولة : أحسنت إلا في لفظه « المنكوح » ، فليست مما يخاطب بها الملوك ، وهذا من عجيب نقده .

حكى أبو إسحق إبراهيم بن هلال الصابي ، قال : طلب مني رسول سيف الدولة ـ وكان [قد] قدم إلى الحضرة ـ شيئاً من شعري ، وذكر أن صاحبه رسم له ذلك ، فدافعته أياماً ، ثم ألح علي وقت الخروج فأعطيته هذه الثلاثة الأبيات ، وهي [من الكامل] :

إنْ كنتُ خنتك في الأمانة ساعةً فذممت سيف الدولة المحمودا

وزعمت أنّ له شريكاً في العلا وجحدته في فضله التوحيدا

قسماً لو انّي حالفٌ بغموسها لغريم دينٍ ما أراد مزيدا[4]

[وقال] فلما عاد الرسول إلى الحضرة ، ودخلت عليه مسلماً ، أخرج لي كيساً بختم سيف الدولة مكتوباً عليه اسمي ، وفيه ثلاثمائة دينار .

* * *

(١) الحنديس : من الحنديس، وهو الليل الشديد الظلمة .
(٢) الوصيفة : الجارية ، والوصيف : الخادم .
(٣) بررتنا : من البرّ وهو المعروف والعطاء . والحوك : النسج ، تنيس : مدينة بمصر اشتهرت بالنسج .
(٤) الغموس : يقال الغموس النجم أي غاب وغمست الطعنة : أي اخترقت المطعون .

نبذ من ذكر وقائعه وغزواته

حدث أبو عبد الله الحسين بن خالويه ، قال : لما كانت الشام بيد الإخشيد محمد محمد بن طغج سار إليها سيف الدولة فافتتحها ، وهزم عساكره عن صفين ، فقال له المتنبي [من الكامل] :

يا سيف دولة ذي الجلال ومن له	خير الخلائف والأنام سميُّ
أو ما ترى صفين كيف أتيتها	فانجاب عنها العسكر الغربيُّ[1]
فكأنّه جيش ابن حربٍ رعته	حتى كأنّك يا عليُّ عليُّ[2]

وقال أبو فراس من قصيدة طويلة [من الطويل] :

أتى الشام لما استذأب البَهْم واغتدت	بها أذؤب البيداء وهي قساور[3]
فثقّف منآدٌ ، وأُصلح فاسدٌ	وذلّل جبارٌ ، وأُذعر ذاعر[4]

وكان ظهر رجل في الغرب يعرف بالمبرقع يدعو الناس إلى نفسه ، والتفت عليه القبائل ، وافتتح مدائن من أطراف الشام ، وأسر أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان ، وهو خليفة سيف الدولة على حمص ، وألزمه شراء نفسه بعدد من الخيل وجملة من المال ، فأسرع سيف الدولة من حلب يغذ[5] السير حتى لحقه في اليوم الثالث بنواحي دمشق ، فأوقع به ، وقتله ، ووضع السيف في أصحابه ، فلم ينج إلا من سبق فرسه ، وعاد سيف الدولة إلى حلب ومعه أبو وائل، وبين يديه رأس

---

(١) انجاب : انهزم وتراجع وانكشف .

(٢) ابن حرب : معاوية بن أبي سفيان ، وعلي الأول : سيف الدولة وعليّ الثاني : الإمام عليّ بن أبي طالب .

(٣) البهم : بفتح الباء وسكون الهاء : صغار أولاد الضأن ، والقساور : جمع قسورة ، وهو الأسد .

(٤) ثقّف : قوّم وعدّل ، والمنآد : المنحني المنعطف ، وذلّل : أخضع ، وأُذعر : أُخيف وأفزع .

(٥) يغذّ : يسرع .

الخارجي على رمح ، فقال أبو فراس يذكر ذلك [من الطويل] :

وأنقـذ من مسّ الحـديد وثقله أبـا وائـلٍ ، والدهـر أجـدع صاغرُ[1]
وآب ورأس القرمطـيّ أمامه له جسـدٌ من أكعـب الرمـح ضامرُ[2]

وهذا من أحسن ما قيل في الرأس المصلوب على الرمح .

[ولبعضهم في مثل ذلك] [من البسيط] :

وعـاد لكنّـه رأسٌ بلا جسدٍ يسـري ، ولكن علـى ساقٍ بلا قدم

وقال أبو الطيب في خلاص أبي وائل [من المتقارب] :

ولـو كنـت في أسـر غير الهوى ضمنـت ضمـان أبـي وائلٍ[3]
فـدى نفسـه بضمـان النّضار وأعطـى صدور القنـا الذابلِ[4]
ومنّاهـم الخيـل مجنوبـةً فجئـن بكلٍّ فتـىً باسلِ[5]
كأنّ خلاص أبـي وائـلٍ معـاودة القمـر الآفـل
دعـا فسمعـت وكم ساكت علـى البعـد عنـدك كالقائل
فلبّيتـه بك في جحفـلٍ له ضامـنٌ وبـه كافـل
وعـدت إلـى حلـبٍ ظافراً كعـود الحلـيِّ إلـى العاطـل[6]

وكان سيف الدولة اصطنع بني كلاب ، وأدناهم ، وآمن سربهم[7] ، فقهروا

(١) أجدع : أي ذليل .
(٢) آب : رجع ، وضامر : هزيل .
(٣) أسر : قيود .
(٤) النضار : الذهب الخالص ، القنا : يريد الرمح ، والذابل : الدقيق .
(٥) المجنوبة : السلسة القياد .
(٦) العاطل : يقال جيد عاطل ، أي خالٍ من الحليّ .
(٧) يقال « فلان آمن في سربه » بكسر السين وسكون الراء ـ أي آمن في حرمه وعياله ، وهو مستعار من سرب الظباء والبقر الوحشي والقطا ، أي جماعتها .

العرب وعلت كلمتهم ، إلى أن بدرت منهم جفوة أحفظته[1] فأسرى إليهم ، وأوقع بهم ، وملك حرمهم وأموالهم ، ثم صفح عنهم وكرم ، وجمع الحرم ، ووكل بهن الخدم وأفضل عليهن، وأحسن إليهن ، فقال أبو الطيب من قصيدة [من الوافر] :

فعـدن كمـا أخـذن مكرّمات ... عليهـن القـلائـد والمـلابُ[2]
يثبنـك بالـذي أوليت شكراً ... وأين من الـذي تولـي الثوابُ ؟
وليس مصيرهـنّ إليك شيناً ... ولا في صونهـنّ لديكَ عابُ[3]
ولا في فقدهـنّ بنـي كلابٍ ... إذا أبصـرن غرّتـك اغتراب
وكيف يتـمّ بأسـك في أناسٍ ... تصيبهـم فيؤلمـك المصـاب
ترفّـقْ أيهـا المـولى عليهمْ ... فإنّ الرفـق بالجانـي عتاب

هذا كلام ما لحسنه غاية .

وعين المخـطئين همُ ، وليسوا ... بأوّل معشـرٍ خطئـوا فتابوا
وأنـت حياتهـم غضبـت عليهم ... وهجـر حياتهـم لهـمُ عقاب
ومـا جهلـت أياديك البوادي ... ولـكن ربّمـا خفـي الصّواب
وكم ذنـبٍ مولّـده دلالٌ ... وكـم بعـد مولّـده اقتراب
وجـرمٍ جرّه سفهـاء قومٍ ... وحـلّ بغير جارمـه العذاب[4]

كأنما اقتبسه من قول الله سبحانه : ﴿أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾[5] [ونحو من هذا قول زياد في خطبته البتراء « والله لآخذن المحسن بالمسيء »]

ولـو غير الأمير غزا كلاباً ... ثنـاه عن شموسهـمُ ضبابُ

---

(١) أحفظته : أغضبته وأحنقته .

(٢) الملاب : بفتح الميم ، كلّ عطر مائع ، وهو فارسي الأصل .

(٣) الشين : العيب والنقص .

(٤) الجرم : الذنب ، وجارمه : مقترفه .

(٥) من الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .

وما أحسن ما كُنِّي عن الحرم بالشموس ، وعن المحاماة دونهم بالضباب .

ولكن ربّهمْ أسرى إليهمْ فما نَفَعَ الوقوف ولا الذّهابُ
كذا فليسرِ من طلب المعالي ومثل سراك فليكن الطّلابُ

وكتب إليه أبو فراس في تلك الحال يداعبه [من المتقارب] :

وما أنس لا أنس يوم المغار محجّبةً لفظتها الحجبْ
دعاك ذووها بسوء الفعال لما لا تشاء وما لا تحبْ
فوافتك تعثر في مرطها وقد رأت الموت من عن كثبْ[1]
وقد خلط الخوف لمّا طلعـ ـت دلّ الجمال بذلّ الرعب
تسرع في الخطو لا خفّةً وتهتزّ في المشي لا من طرب
فلما بدت لك دون البيوت بدا لك منهن جيشٌ لجب[2]
وما زلت، مذ كنت ، تأتي الجميل وتحمي الحريم وترعى الحسب
وتغضب حتى إذا ما ملكت أطعت الرضا وعصيت الغضب
فكنت حماهنّ إذ لا حمى وكنت أباهنّ إذ ليس أب
فولّين عنك يفدينها ويرفعن من ذيلها ما انسحب
ينادين بين خلال البيو ت لا يقطع الله نسل العرب
أمرت وأنت المطاع الكريم ببذل الأمان وردّ النّهب[3]
وقد رحن من مهجات القلوب بأوفر غنمٍ وأغلى نشب[4]
فإن هنّ يا بن الكرام السراة رددن القلوب رددنا السلب[5]

(١) المرط : الثوب الطويل الذيل ، وكثب : هنا بمعنى القريب ، وقد استعمل « عن » هنا إسماً بمعنى الجهة فلذلك أدخل عليها « من » .
(٢) جيش لجب : أي ذو جلبة وصياح ، وذلك لكثرة عدده .
(٣) النّهب : السّلب .
(٤) النشب : المال وغيره من إبلٍ وخيل الخ . . .
(٥) السراة : السادة الكرام .

وقال أيضاً يمدحه ويذكر نسوة بني كلاب [من البسيط] :

قد ضجَّ جيشك من طول القتال به وقد شكتك إلينا الخيل والإبلُ
وقد درى الروم مذ جاورت أرضهمُ أنْ ليس يعصمهم سهلٌ ولا جبل[1]
في كلِّ يوم تزور الثغر لا ضجرٌ يثنيك عنه، ولا شغلٌ ، ولا ملل
فالنفس جاهدةٌ ، والعين ساهرةٌ ، والجيش منهمكٌ ، والمال مبتذل
توهّمتك كلابٌ غير قاصدها وقد تكنّفك الأعداء والشّغل
حتى رأوك أمام الجيش تقدمه وقد طلعت عليهم دون ما أملوا
فاستقبلوك بفرسانٍ أسنّتها سود البراقع والأكوار والكلل[2]
فكنت أكرم مسئولٍ وأفضله إذا وهبن فلا منٌّ ولا بخل

ويقال : إن سيف الدولة غزا الروم أربعين غزوة له وعليه ، فمنها أنه أغار على زبطرة وعرقة وملطية ونواحيها فقتل وأحرق وسبى ، وانثنى قافلاً إلى درب موزار فوجد عليه قسطنطين بن فردس الدمستق فأوقع به وقتل صناديد رجاله ، وعقب إلى للدانه وقد تراجع من هرب منها فأعظم القتل وأكثر الغنائم ، و[قد] عبر الفرات إلى بلد الروم ، ولم يفعله أحد قبله ، حتى أغار على بطن هنزيط ، فلما رأى فردس بعد مغزاه وخلو بلاد الشام منه غزا نواحي انطاكية ، فأسرى سيف الدولة يطوي المراحل : لا ينتظر متأخراً ، ولا يلوي على متقدم ، حتى عارضه بمرعش ، فأوقع به وهزمه ، وقتل رؤوس البطارقة ، وأسر قسطنطين بن الدمستق ، وأصابت الدمستق ضربة في وجهه ، وأكثر الشعراء في هذه الوقعة ، فقال أبو الطيب [من الطويل] :

لكلّ امرىءٍ من دهره ما تعوّدا وعادات سيف الدولة الطّعن في العدا

---

(١) يعصمهم : يمنعهم ويحميهم .
(٢) البراقع : أقنعة تستر بها النساء وجوهها . والأكوار : جمع كور وهو الرحل ، والكلل : الحالة .

وأن يكذب الإرجاف عنه بضدّه ... ويمسي بما تنوي أعاديه أسعدا[1]
وربّ مريدٍ ضرّه ضرُّ نفسه ... وهادٍ إليه الجيش أهدى وما هدى

ومنها :

سريت إلى جيحان من أرض آمدٍ ... ثلاثاً ، لقد أدناك ركضٌ وأبعدا
فولّى وأعطاك ابنه وجيوشه ... جميعاً ولم يعط الجميع لتحمدا
وما طلبتْ زرق الأسنة غيره ... ولكنّ قسطنطينَ كان له الفدا

وقال أبو فراس [من الطويل] :

وآب بقسطنطين وهو مكبّلٌ ... تحفُّ بطاريقٌ به وزرازرُ[2]
وولّى على الرسم الدمستق هارباً ... وفي وجهه عذرٌ من السّيف عاذر
فَدى نفسَهُ بابنٍ عليه كنفسه ... وللشدّة الصماء تقنى الذخائر[3]
وقد يقطع العضو النفيس لغيره ... وتدفع بالأمر الكبير الكبائر

وسار سيف الدولة لبناء الحدث ـ وهي قلعة عظيمة الشأن ـ فاشتد ذلك على ملك الروم ، فجمع عظماء أهل مملكته ، وجهزهم بالصليب الأعظم وعليهم فردس الدمستق ، ثائراً بابنه قسطنطين في عدد لا يحصى ، حتى أحاطوا بعسكر سيف الدولة ، والتهبت الحرب ، واشتد الخطب ، وساءت ظنون المسلمين ، ثم أنزل الله نصره ، فحمل سيف الدولة يخرق الصفوف طلباً للدمستق ، فولى هارباً ، وأسر صهره وابن بنته ، وقتل خلق كثير من الروم ، وأكثر الشعراء في هذه

---

(١) الإرجاف : الخوض في الأخبار السيئة والفتن .
(٢) الزرازر : جمع الزرزار ، وهو في الأصل الذكي الخفيف .
(٣) تقنى : تدّخر ، والذخائر : جمع ذخيرة ، وهو ما تذّخره لوقت الحاجة .

الوقعة ، فقال أبو الطيب وذكر الحدث [من الطويل] :

بناهـا فأعلـى والقنـا تقـرع القنا ومـوج المنـايا حولهـا متلاطـمُ[1]

وكان بهـا مثـل الجنـون فأصبحت ومـن جثث القتلـى عليهـا تمائم[2]

تفيت الليالـي كلّ شيءٍ أخذتهُ وهـنّ لمـا يأخـذن منـك غوارم[3]

وذكر ولد الدمستق فقال :

وقـد فجعتـه بابنـه وابـن صهره وبالصهـر حمـلات الأمير الغواشم

مضى يشكر الأصحاب في فوتـه الظّبا بمـا شغلتهـا هامهـم والمعاصم[4]

ويفهـم صوت المشـرفية فيهم علـى أنّ أصـوات السيوف أعاجم

يسـرّ بمـا أعطـاك لا عن جهالةٍ ولـكنّ مغنومـاً نجـا منـك غانم

وقال السريّ في بناء الحدث [من البسيط] :

رفعت بالحدث الحصن الذي خفضت منه الحوادث حتى ذلّ جانبهُ

أعدتـه عدويـاً فـي مناسبه من بعـد ما كان روميّاً مناسبه[5]

فقـد وفـي عرضـه بالبيد واعترضت طولاً علـى منـكب الشّعـرى مناكبه

مصـغ إلى الجو أعـلاه فإنْ خفقت زهـر الـكواكب خلناهـا تخاطبه

كأنّ أبراجـه من كلّ ناحيةٍ أبراجهـا والدُّجـى وحفٌ غياهبه[6]

---

(١) القنا : يقصد بها السلاح وعدّة الحرب . ، والمنايا : جمع منيّة ، وهي الموت ، ومتلاطم : أي يزحم بعضه بعضا ، متدافع .

(٢) التمائم : جمع تميمة وهي العوذة التي تقي من العين .

(٣) غوارم : مَدينة .

(٤) الظّبا : جمع ظبّة ، وهي حدّ السيف والسكّين وغيرهما .

(٥) عدوياً : منسوب إلى عدي ، وهو جدّ من أجداد سيف الدولة .

(٦) الوَحْف : الشعر الأسود ، والغياهب : الظلمات الشديدة .

ولأبي فراس في ذكرها [من الطويل] :

رأى الثغر مثغوراً فسدّ بسيفه فم الدهر عنه وهو سغبان فاغر][1]

* * *

ملح شعر سيف الدولة

ومما أنشدني أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقي المتيم لسيف الدولة في وصف قوس قزح ، وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرته [من الطويل] :

وساقٍ صبيحٍ للصبوح دعوته فقام وفي أجفانه سِنة الغمضِ[2]
يطوف بكاسات العقار كأنجمٍ فمن بين منقضٍّ علينا ومنفضٍّ
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً على الجوّ دكناً والحواشي على الأرض[3]
يطرّزها قوس الغمام بأصفرٍ على أحمرٍ في أخضرٍ تحت مبيضٍّ
كأذيال خودٍ أقبلت في غلائلٍ مصبّغةٍ والبعض أقصر من بعضِ[4]

وهذا من التشبيهات الملوكية التي لا يكاد يحضر مثلها السوقة ، ونظيره قول ابن المعتز في وصف الهلال [من الكامل] :

فانظر إليه كزورقٍ من فضّةٍ قد أثقلته حمولةٌ من عنبرِ

وقول أبي فراس - وهو مما يعرب عن استخدامه نفائس الفرس - [من الكامل] :

وكأنّما البرك الملاء تحفّها ألوان ذاك الروض والزهرِ

---

(١) مثغوراً : أي به ثغرة ، والسغب : الجوع ، وفاغر : فاتح .
(٢) الصبوح : الشرب صباحا ، سنة الغمض : أي الفتور الذي يلحق بالأجفان من النعاس .
(٣) الجنوب : الريح تهبّ جنوباً : والمطارف : ودكناً : قاتمة .
(٤) الخود : النساء الناعمة ، والغلائل : الثياب الرقيقة الناعمة ، تنسب إلى ابن الرومي .

بسطٌ من الديباج بيضٌ فروزت   أطرافها بفراوزٍ خضر[1]

وقوله من قصيدة [من الكامل] :

والماء يفصل بين زهر الـ   ـرّوض في الشّطين فصلا
كبساط وشيٍ جرّدتْ   أيدي القيون عليه نصلا[2]

وأنشدني أبو الحسن العلوي الهمداني ، قال : أنشدني سيف الدولة لنفسه . وأنا أراه من قوله في صباه [من الوافر] :

أقبّله على جزعٍ   كشرب الطائر الفزع
رأى ماءً فأطعمه   وخاف عواقب الطمع
وصادف فرصةً فدنا   ولم يلتذّ بالجرع[3]

ينظر معناها إلى قول ابن المعتز [من المنسرح] :

فكم عناقٍ لنا وكم قبلٍ   مختلساتٍ حذار مرتقب
نقر العصافير- وهي خائفةٌ   من النواطير- يانع الرطب[4]

ويحكى أنه كانت لسيف الدولة جارية من بنات ملوك الروم ، لا يرى الدنيا إلا بها ، ويشفق من الريح الهابة عليها ، فحسدتها سائر حظاياه على لطف محلها منه ، وأزمعن إيقاع مكروه بها من سم أو غيره، وبلغ سيف الدولة ذلك ، فأمر بنقلها إلى بعض الحصون احتياطاً على روحها ، وقال [من الخفيف] :

راقبتني العيون فيك فأشفقـ   ـت ولم أخلُ قطُّ من إشفاقِ

---

(1) فروزت : ذيّلت بحواشي .

(2) القيون : مفردها قين وهو الحداد .

(3) الجرع : شرب الماء بسرعة .

(4) النواطير : جمع ناطور ، وهو الموكل بحراسة الكروم والأشجار .

ورأيت العذول يحسدني فيـ ـك مجداً يا أنفس الأعلاقِ[1]
فتمنّيت أن تكوني بعيداً والذي بيننا من الودِّ باق
ربَّ هجرٍ يكون من خوف هجرٍ وفراقٍ يكون خوف فراق

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني ابن خالويه بحلب لسيف الدولة [من الطويل] :

تجنّى عليَّ الذنبَ والذنب ذنبه وعاتبني ظلماً وفي شقّه العتب[2]
وأعرض لما صار قلبي بكفّه فهلاّ جفاني حين كان لي القلبُ ![3]
إذا برم المولى بخدمة عبده تجنّى له ذنباً وإن لم يكن ذنب[4]

يشبه هذا المعنى [من الخفيف] :

وإذا ما الجفاء جهّز جيشاً سبقته طليعةٌ من تجنِّي

وأنشد أبو الحسن أحمد بن فارس ، قال : أنشدني شاعر يعرف بالمتيم[5] لسيف الدولة [من المديد] :

قد جرى في دمعه دمه فإلى كم أنت تظلمُه ؟
ردّ عنه الطرف منك فقد جرّحته منك أسهمهُ[6]
كيف يستطيع التجلّد مَنْ خطراتُ الوهم تؤلمه ؟[7]

---

(١) الأعلاق : جمع علق وهو من العقود .
(٢) شقّه : فمه .
(٣) أعرض : صدّ وامتنع .
(٤) برم : سئم وضجر .
(٥) المتيّم : سبق للمؤلف في مطلع هذا البحث أن سماه أبا الحسن محمد بن أحمد الأفريقي .
(٦) الطرف : العين والنظر .
(٧) خطرات الوهم : تخيّله وتصوّره .

وأنشدني غير واحد له في أخيه ناصر الدولة أبي محمد عند وحشة جرت بينهما . [من الطويل] :

رضيت إليك العليا وقد كنت أهلها وقلت لهم بيني وبين أخي فرقُ
ولم يكُ بي عنها نكولٌ ، وإنّما تجافيت عن حقي فتمّ لك الحقُّ[1]
ولا بدّ لي من أن أكون مصلّياً إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق[2]

وأنشدت له أيضاً في وصف نار الكانون [من المنسرح] :

كأنّما النار والرماد معاً وضوءها في ظلامه يحجبْ
وجنة عذراء مسّها خجلٌ فاستترت تحت عنبرٍ أشهبْ[3]

نظيرهما في الحسن قول كشاجم [من المنسرح] :

كأنّما الجمر والرماد وقد كاد يواري من ناره النورا
ورد جني القطاف أحمر قد ذرّت عليه الأكفّ كافورا

وقول أبي طالب المأموني [من الخفيف] :

ما ترى النار كيف أسقمها الـقرّ فأضحت تخبو وطوراً تسعرُ[4]
وغدا الجمر والرماد عليه في قميصٍ مذهّبٌ ومعنبرُ

* * *

(١) النكول : الهرب والابتعاد .
(٢) المصلّى : هو من فرسان السباق الذي يجيء بعد الفرس الأول ، والأول يسمّى السابق .
(٣) الأشهب : ما كان لونه الشهبة ، وهي بياض غلب على السّواد .
(٤) القرّ : البرد ، وتخبو : يضعف وهجها ، وتسعر : يشتدّ وهجها ويتقد .

الباب الثالث

٢ - في ذكر أبي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وأخباره

وغرر أخباره وأشعاره[١]

[هو ابن عم سيف الدولة المقدم ذكره ، وابن عم ناصر الدولة] .

كان فرد دهره ، وشمس عصره ، أدباً وفضلاً ، وكرماً ونبلاً ، ومجداً وبلاغة وبراعة ، وفروسية وشجاعة ، وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة ، والسهولة والجزالة ، والعذوبة والفخامة، والحلاوة والمتانة ، ومعه رواء الطبع ، وسمة الظرف ، وعزة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبد الله بن المعتز ، وأبو فراس يعد أشعر منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام ، وكان الصاحب يقول : « بديء الشعر بملك ، وختم بملك » يعني امرأ القيس وأبا فراس ، وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز، ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته، ولا يجترىء على مجاراته ، وإنما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيباً له وإجلالاً ، لا إغفالاً وإخلالاً . وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن أبي فراس ، ويميزه بالإكرام عن سائر قومه ، ويصطنعه لنفسه، ويصطحبه في غزواته ، ويستخلفه على أعماله ، وأبو فراس ينثر الدر الثمين في مكاتباته إياه ، ويوفيه حق سؤدده ، ويجمع بين أدبي السيف والقلم في خدمته .

* * *

(١) تجد ترجمة أبي فراس في وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ١٢٧ الحلبي) .

قطعة من أخباره مع سيف الدولة وأشعاره فيه سوى الروميات

حكى ابن خالويه قال : كتب أبو فراس إلى سيف الدولة، وقد شخص من حضرته إلى منزله بمنبج كتاباً صدره :«كتابي ـ أطال الله بقاء مولانا ! ـ من المنزل وقد وردته ورود السالم الغانم مثقل [البطن] والظهر وفراً وشكراً » . فاستحسن سيف الدولة بلاغته ، ووصف براعته . وبلغ أبا فراس ذلك فكتب إليه [من الكامل] :

هل للفصاحة والسما ... حة والعلا عنّي محيدُ
إذ أنت سيدي الذي ... ربّيتني ، وأبي سعيدُ
في كلّ يومٍ أستفيـ ... ـد من العلاء وأستزيدُ
ويزيد فيَّ إذا رأيـ ... ـتك في النّدى خلقٌ جديدُ

وكان سيف الدولة قلماً ينشط لمجلس الأنس ؛ لاشتغاله عنه بتدبير الجيوش وملابسة الخطوب ، وممارسة الحروب ، فوافت حضرته إحدى المحسنات من قيان بغداد ، فتاقت نفس أبي فراس إلى سماعها ، ولم ير أن يبدأ باستدعائها قبل سيف الدولة ، فكتب إليه يحثه على استحضارها ، فقال [من السريع] :

محلّك الجوزاءُ أو أرفعُ ... وصدرك الدهناء بل أوسع[1]
وقلبك الرحب الذي لم يزلْ ... للجدّ والهزل به موضع
رفّهْ بقرع العود سمعاً غدا ... قرع العوالي جلّ ما يسمع

فبلغت هذه الأبيات المهلبي الوزير فأمر القيان [والقوالين] بحفظها

(١) الجوزاء : نجم في السماء ، والدهناء : صحراء من صحارى العرب ، يريد أنّ صدره مثلها في الاتساع .

(٢) العوالي : الرماح .

وتلحينها ، وصار لا يشرب إلا عليها .

وكتب أبو فراس إلى سيف الدولة [من الكامل] :

يا أيّها الملك الذي أضحت له جمل المناقبْ[1]
نتج الربيع محاسناً ألقحنها غرر السحائب[2]
راقت ورقّ نسيمها فحكتْ لنا صور الحبائب
حضر الشّراب فلم يطبْ شرب الشراب وأنت غائب

وتأخر عن حضرته لعلة وجدها ، فكتب إليه [من الهزج] :

لقد نافسني الدّهر بتأخيري عن الحضره
فما ألقى من العلّة ما ألقى من الحسره

وأهدى الناس إلى سيف الدولة [في بعض الأعياد] وأكثروا ، فكتب إليه أبو فراس [من الكامل] :

نفسي فداؤك قد بعثـ ـت تعهّدي بيد الرسولِ
أهديت نفسي ، إنّما يهدي الجليل إلى الجليل
وجعلت ما ملكت يدي صلةَ المبشّر بالقبول
[لما رأيتك في الأنا م بلا مثالٍ أو عديل][3]

وكتب إليه يعاتبه [من الكامل] :

قد كنت عدّتيَ التي أسطو بها ويدي إذا اشتدّ الزمان وساعدي
فرميت منك بغير ما أمّلته والمرء يشرق بالزلال البارد[4]

---

(١) المناقب : المآثر .

(٢) نتج الربيع : خلّف ، وألقحنها : أسقينها والسحائب : الغيوم .

(٣) العديل : الشبيه والموازن .

(٤) يشرق : يغصُّ ، والزلال : الماء العذب .

فصبــرت كالولــد التقيّ لبـرّه أغضــى علــى ألــمٍ لضــرب الوالد

وعزم سيف الدولة على الغزو ، واستحلاف أبي فراس على الشام ، فكتب إليه قصيدة منها [من البسيط] :

قالــوا المسير فهــزَّ الرمــح عامله وارتاح في جفنه الصمصامـة الخذمُ[1]

حقّــاً لقــد ساءنــي أمــرٌ ذكرت له لولا فراقــك لم يوجــدْ له ألمُ

لا تشــغلنّ بأمــرِ الشّــام تحرسه إن الشــام علــى من حلّــه حرمُ

وإنّ للثغــر سوراً من مهابته صخــوره من أعــادي أهلــه القمم

لا يحرمنّــيَ سيف الــدّين صحبته فهـي الحياة التـي تحيا بهــا النسم[2]

ومــا اعترضــت عليه في أوامره لكنْ سألـت ، ومـن عاداتــه « نعم »

وقال له [من الطويل] :

ومــا ليَ لا أثني عليك وطالما وَفَيت بعهــدي والوفــاء قليلُ

وأوعدتنــي حتّــى إذا ما ملكتني صفحت ، وصفح المالكين جميلُ

وكتب إليه يعزيه [من السريع] :

لا بدّ من فقــدٍ ومــن فاقدٍ هيهــات ما في النــاس من خالدِ

كُنِ المعــزّي لا المعــزى به إن كان لا بدّ من الواحد

وكتب إليه [من الطويل] :

أيا عاتبــاً لا أحمــل الدهــر عتبه علــيَّ ، ولا عنــدي لأنعمــه جحد[3]

سأســكت إجــلالاً لعلمــك أنّني إذا لم تكن خصمي لي الحجج اللدّ[4]

---

(١) الصمصامة : السيف ، والخذم : القاطع .

(٢) النسم : الناس والأرواح .

(٣) الجحد : النكران .

(٤) اللدّ : الشديدة القويّة .

وكان لسيف الدولة غلام يقال له نجا ، قد اصطنعه ونوه باسمه وقلده طرسوس وأخذ يقرع باب العصيان والكفران ، وزاد تبسطه وسوء عشرته لرفقائه ، فبطش به ثلاثة نفر منهم وقتلوه . فشق ذلك على سيف الدولة ، وأمر بقتل فتكته فكتب إليه أبو فراس [من المجتث] :

مــا زلــت تسعــى بجدٍّ   برغــم شانيك مقبــلْ[1]
تــرى لنفسـك أمـراً   ومـا يرى الله أفضـلْ

وكتب إليه يستعطفه [من الكامل] :

إن لم تجــاف عن الذنو   ب وجــدتهـا فينـا كثيره[2]
لــكــنَّ عادتـك الجميــــــلة أن تغـضّ على بصيره[3]

وكتب إليه يستعطفه [من الوافر] :

دع العبــرات تنهمــر انهمارا   ونـــار الشـــوق تستعــر استعارا
أتطفــأ حسرتــي وتقــرُّ عيني   ولــم أوقــد مع الغــازين نارا
أقمـت علــى الأمير وكنــت ممّن   تعــزّ عليه فرقتــه اختيارا
إذا سار الأمير فلا هدوّاً   لنفسٍ أو يؤوب ، ولا قرارا
ستذكرنــي إذا طردت رجالٌ   دققــت الرمــح بينهــم مرارا
وأرضٍ كنــت أملؤهــا رجالاً   وجــوٍّ كنــت أُرهجــه غبارا[4]
إذا بقــي الأمير قرير عينٍ   فدينـــاه اختياراً واضطـرارا
يمــدّ علــى أكابرنــا جناحــاً   ويكفـل عند حاجتهــا الصّغارا[5]

---

(١) شانيك : مبغضك .

(٢) تجاف : تصفح وتبتعد .

(٣) تغضّ : تتجاهل وتتعامى ، والبصيرة : المعرفة .

(٤) الرهج : بفتح الراء والهاء : الغبار ، وأرهج الرجل : أثار الغبار .

(٥) يريد أن عنايته قد شملت الكبار والصّغار .

أراني الله طلعته سريعاً وأصحبه السّلامة حيث سارا
وبلّغه أمانيه جميعاً وكان له من الحدثان جارا[1]

وكتب إليه [من الوافر] :

ألا من مبلغٍ سروات قومي إذا حدّثن جمجمن الكلاما[2]
بأني لم أدع فتيات قومي وسيف الدولة الملك الهماما
شريت ثناءهنّ ببذل نفسي ونار الحرب تضطرم اضطراما[3]
ولما لم أجد إلاّ فراراً أشدّ من المنيّة أو حِماما[4]
حملت على ورود الموت نفسي وقلت لصحبتي موتوا كراما
وهل عذرٌ وسيف الدين ركني إذا لم أركبِ الخطط العظاما
وأقفو فعله في كلِّ أمرٍ وأجعل فضله أبداً إماما
وقد أصبحت منتسباً إليه وحسبي أن أكون له غلاما
أراني كيف أكتسب المعالي وأعطاني على الدهر الذّماما
وربّاني ففقت به البرايا وأنشأني فسدت به الأناما
فأحياه الإله لنا طويلاً وزاد الله نعمته دواما

* * *

ما أخرج من فخرياته

قال من قصيدة يذكر فيها إيقاعه ببني كعب وهو على مقدمة سيف الدولة وكان

---

(١) الحدثان : الليل والنهار .

(٢) السروات : جمع سرَاة وهو جمع سري أو السراة مفرد بمعنى الأعلى من كلّ شيء ، ثم أريد منه العظيم القدر من الرجال . والجمجمة : الإسرار بالكلام وإخفاؤه .

(٣) تضطرم : تستعر وتصطلي .

(٤) الحمام : الموت .

قد حسن بلاؤه في تلك الوقعة [من الوافر] :

ألـم ترنـا أعـزّ النـاس جاراً	وأمنعهـم وأمـرعهـم جنابـا[1]
لنـا الجبـل المطـلّ علـى نزارٍ	حللنـا النّجـد منـه والهضابا[2]
يفضّلنـا الأنـام ولا نحاشي	ونـوصف بالجميـل ولا نحابى
وقـد علمـت ربيعـة بل نزارٌ	بأنّـا الـرأس والنـاس الذنابى
ولمـا أن طغـت سفهـاء كعبٍ	فتحنـا بيننـا للحـرب بابا
منحناهـا الحرائـب غير أنّا	إذا جارت منحناهـا الحرابا[3]
ولمـا ثار سيف الـدين ثرنا	كمـا هيّجـت آسـاداً غضابا
أسنّتـه إذا لاقـى طعاناً	صوارمـه إذا لاقـى ضرابا
دعانـا والأسنّـة مشرعاتٌ	فكنّـا عنـد عودتـه الجوابا[4]
صنائـع فاق صانعهـا ففاقتْ	وغـرسٌ طاب غارسـه فطابا
وكنّـا كالسهـام إذا أصابت	مراميهـا فراميهـا أصابا

هذا أحسن ما قيل في معناه ، وقد أخذه الأستاذ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي ، فكتب في كتاب فتح تولاه للصاحب بأصبهان : « وهنأ الله مولانا كافي الكفاة هذه المناجح التي هي نتائج عزائمه ، وثمرات صرائمه ، فما يرى عبده وصنيعته ، وسائر من يكنفه ظله وتريشه عنايته ، نفوسهم إذا وفقوا لمذهب من مذاهب الخدمة وهدوا لأداء حق من حقوق النعمة ، إلا سهاماً إذا أصابت فراميها المصيب ، وما لها في المحمدة نصيب » .

---

(١) أمرعهم جناباً : أخصبهم محلاً وأكثرهم نعمة .

(٢) النجد : ما ارتفع من الأرض ، والهضاب : جمع هضبة ، وهي ما اطمأن من الأرض .

(٣) الحرائب : الأسلاب .

(٤) مشرعات : معدّة للقتال .

ولأبي فراس من قصيدة أولها [من الوافر] :

أيلحاني على العبرات لاحي وقد يئس العواذل من صلاحي[1]
تملّكني الهوى بعد التآبي وراضَنِيَ الهوى بعد الجماح[2]
ألا يا هذه هل من مقيلٍ لضيفان الصّبابة أو مراح
فلولا أنت ما قلقت ركابي ولا هبّتْ إلى نجدٍ رياحي

ومنها :

ومن جرّاك أوطنت الفيافي وفيك غذيت ألبان اللقاح
أصاحب كلّ خلٍّ بالتّجافي وآسو كلّ داء بالسّماح
إذا ما عنّ لي أربٌ بأرضٍ ركبت له ضمينات النّجاح[3]
ولي عند العداة بكلّ أرضٍ ديونٌ في كفالات الرماح

وله من قصيدة كتب بها إلى جعفر بن ورقاء [من الكامل] :

إنّا إذا اشتدّ الزّما ن وناب خطبٌ وادلهمّْ[4]
ألفيت حول بيوتنا عدد الشجاعة والكرم
للقا العدا بيض السيو ف وللندى حمر النعم[5]
هذا وهذا دأبنا يودى دمٌ ويراق دم[6]

وله من قصيدة أولها [من الطويل] :

أقلّي فأيام المحبّ قلائل وفي قلبه شغلٌ عن اللوم شاغل

---

(١) اللاحي : اللائم .
(٢) التآبي : الإمتناع ، وراضني : قادني وطوّعني ، والجماع : الشرود .
(٣) ضمينات : من الضمان والحيطة .
(٤) ناب : حلّ ، وادلهم : اشتدّ واكفهرّ .
(٥) حمر النعم : الإبل .
(٦) يودي : يسفك ، ويراق : يسفك .

يقول فيها :

تطـالبني البيض الصـوارم والقنا ... بمـا وعـدت جـدّيٌّ فيَّ المخايل[1]

ووالله ما قصّـرت في طلـب العلا ... ولـكنْ كأنَّ الدّهـر عنّـيَ غافلُ

مواعيد أيامٍ تطالبنـي بها ... مراءاة أزمـانٍ ودهـرٌ مخاتل[2]

وأخـلاف أيامٍ متـى ما انتجعتها ... حلبـت بكيّاتٍ وهـنٌّ حوافل[3]

تدافعنـي الأيام عمّـا أريغه ... كما دفع الـدين الغـريم المماطل[4]

خليلـيَّ ، شدّا لي علـى ناقتيكما ... إذا ما بدا شيبٌ من الفجـر ناصل[5]

فمثلـيَ من نال المعالـي بسيفه ... وربّتمـا غالتـه عنهـا الغوائـل[6]

ومـا كلّ طلاّبٍ من النـاس بالغٌ ... ولا كلّ سيّارٍ إلـى المجـد واصل

وإنّ مقيمـاً منجـح العـزّ خائبٌ ... وإنّ مريعـاً خائـب الجهـد نائل

ومـا المـرء إلاّ حيث يجعـل نفسه ... وإنّـي لهـا فوق السمـاكين جاعل[7]

أصاغرنـا في المكرمـات أكابرٌ ... وآخرنـا في المأثـرات أوائل

إذا صلـت صولاً لم أجدْ لي مصاولاً ... وإن قلـت قولاً لم أجـد من يقاول

وله من قصيدة أخرى [من الوافر] :

عذيريَ من طوالـع في عذاري ... ومـن ردّ الشبـاب المستعارِ

وثـوبٍ كنـت ألبسـه أنيقٍ ... أجـرّر ذيلـه بين الجواري

---

(١) البيض : السيوف ، والصوارم : القواطع ، والمخايل : جمع مخيلة ، وأراد أن مخايل النجابة كانت ظاهرة عليه ، فتوسّم فيه جدّاه الشجاعة والإقدام .

(٢) المخاتل : الغادر .

(٣) الأخلاف : الأثداء والضروع ، والبكيات : جمع بكية وهي التي قلّ لبنها ، والحوافل : الممتلئة .

(٤) أريغه : أطلبه ، والغريم المماطل : أي المدين الموفّ .

(٥) الناصل : الظاهر والخارج .

(٦) غالته : دهته وأصابته ، والغوائل : الدواهي والمصائب .

(٧) السماكان : نجمان في السّماء .

وما زادت عن العشرين سنّي فما عذر المشيب إلى عذاري ؟

أخذه من قول أبي نواس [من الكامل] :

وإذا عددت السنّ كم هي لم أجدْ للشّيب عذراً للنزول براسي

رجع وما استمتعت من راعي التصابي إلى أن جاءني داعي الوقار

تلاعب بي على هوج المطايا خلائق لا تقرُّ على الصغار[1]

ونفسٍ دون مطلبها الثريا وكفٌّ دونها فيض البحار

وما يغنيك من همٍّ طوالٍ إذا قرنت بأحوالٍ قصار[2]

عزيزٌ حيث حطّ السير رحلي تداريني الأنام ولا أداري

فأهلي من أنخت إليه عيسي وداري حيث كنت من الديار[3]

وله [من الوافر] :

لنا بيتٌ على عنق الثّريا بعيد مذاهب الأطناب سامي[4]

تظلّله الفوارس بالعوالي وتفرشه الولائد بالطعام

وله [من الوافر] :

لقد علمت سراة الحيّ أنّا لنا الجبل الممنّعُ جانباهُ

يفيء الراغبون إلى ذراه ويأوي الخائفون إلى حماه

وله [من الوافر] :

لئن خلق الأنام لحثٍّ كأسٍ ومزمارٍ وطنبورٍ وعودِ

---

(١) الصغار : الذلّ .

(٢) قرنت : سُلِكت ، والأحوال : جمع حول : وهي السنة ، ويقصد بها الأعمار .

(٣) العيس : الإبل .

(٤) الأطناب عُمُد البيت ، وسامي : من السموّ .

فلم يخلق بنو حمدان إلاّ لمجدٍ أو لبأسٍ أو لجود

وله [من الوافر] :

علونا جوشناً بأشدّ منه وأثبت عند مشتجر الرماح[1]
بجيشٍ جاش بالفرسان حتى ظننت البرّ بحراً من سلاح[2]
وألسنةٍ من العذبات حمرٍ تخاطبنا بأفواه الرياح[3]
وأروع جيشه ليلٌ بهيمٌ وغرّته عمودٌ للصبّاح[4]
صفوحٌ عند قدرته كريمٌ قليل الصفح ما بين الصفّاح
وكان ثباته للقلب قلباً وهيبته جناحاً للجناح[5]

وله من قصيدة [من الوافر] :

قتلت فتى بني عمرو بن عبدٍ وأوسعهم على الضيفان ساحا
ولست أرى فساداً في فسادٍ يجرّ على فريقيه صلاحا

كان سيف الدولة قد أبعد كلاباً وشردها ، فقصدت أبا فراس وهو ببالس في خف من أصحابه ، وعليهم كثير بن عوسجة ، فهزمهم ، ثم طرحوا أنفسهم عليه وقدمت وفودهم إليه ، فخرج وتوسط في أمرهم مع سيف الدولة ، وقال في ذلك [من الوافر] :

سلي عنّا سراة بني كلابٍ ببالس عند مشتجر العوالي[6]

---

(١) الجوشن : الدرع ، مشتجر الرماح : تشابكها .
(٢) جاش : امتلأ وفاض .
(٣) العذبات : رؤوس الألسنة وأطرافها .
(٤) غرّته : نوره وبياضه .
(٥) الجناح : يعني به جناح الجيش لأن الجيش كان يقسّم إلى خمس فرق ـ القلب والمقدمة والمؤخرة والجناحان .
(٦) بالس : بلدة بشط الفرات ، والعوالي : الرماح واشتجارها : اختلاطها .

لقيناهم بأسيافٍ قصارٍ كفين مؤونة الأسل الطوال[1]
فولّى بابن عوسجةٍ كثيرٌ وساع الخطو في ضنك المجال
يرى البرغوث إذ نجّاه منّا أجلّ عقيلةٍ وأحبّ مال
تدور به إماءُ بني قريطٍ وتسأله النساء عن الرجال
يقلن له السلامة خير غنمٍ وإنّ الذلّ في ذاك المقال
وعادوا سامعين لنا فعدنا إلى المعهود من شرف الفعال
ونحن متى رضينا بعد سخطٍ أسونا ما جرحنا بالنوال[2]

أخذه من قول أبي نواس :

وَكَلْتَ بالدهر عيناً غير غافلةٍ بجود كفّك تأسو كلّ ما جرحا

وله من قصيدة أولها [من الوافر] :

وقوفك بالدّيار عليك عار وقد ردّ الشباب المستعارُ

ومنها :

وكم من ليلةٍ لم أروَ منها حننت لها وأرّقني ادّكارُ[3]
عسفتُ بها عواريَّ الليالي أحقّ الخيل بالركض المعارُ[4]
فبتُّ أعلّ خمراً من رضابٍ لها سكرٌ وليس لها خمار[5]

---

(١) الأسل : الرماح ، يقصد أن السيوف قامت مقام الرماح في الحرب .

(٢) أسونا : داوينا وخففنا آلام الجراح ، والنوال : العطاء .

(٣) لم أروَ : لم أنل غايتي منها ، وأرّقني : أسهرني

(٤) عسفت : ظلمت ، والعواري : جمع عارية ، وهو ما تعطيه غيرك على أن يعيده إليك ، وعجز هذا البيت من قول الشاعر :

وجدنا في كتاب بني تميمٍ أحقّ الخيل بالركض المعارُ

(٥) أعلّ : أنهل وأشرب ، والخمار : الصداع يعتري شارب الخمر .

إلى أن رقّ ثوب الليل عنّا ونادت قم فقد برد السوّار[1]

ومنها :

إذا ما العزّ أصبح في مكانٍ سموت له ، وإن بعد المزارُ
مقامي حيث لا أهوى قليلٌ ونومي عند من أقلى غرار
أبت لي همتي وغرار سيفي وعزمي والمطيّة والقفار[2]
ونفسٌ لا تجاورها الدّنايا وعرضٌ لا يرفُّ عليه عار
وقومٌ مثل من صحبوا كرامٌ وخيلٌ مثل من حملت خيار
وكم بلدٍ شنّناهنّ فيه ضحىً وعلا منابره المُعار[3]
وكم ملكٍ نزعنا الملك عنه وجبّارٍ به دمه جبار[4]

وله من أخرى [من الطويل] :

ولو نيلت الدنيا بفضلٍ منحتها فضائل تحويها وتبقى فضائلُ
ولكنّها الأيام تجري بما جرتْ فيسفل أعلاها وتعلو الأسافل
لقد قلّ أن تلقى من الناس مجملاً وأخشى قريباً أن يقلّ المجامل[5]
ولست بجهم الوجه في وجه صاحبي وإن سأل الأعمار ما هو سائل[6]

وله [من الطويل] :

بخلت بنفسي أن يقال مبخّلٌ وأقدمت جبناً أن يقال جبانُ

(١) السوّار : حلقة من ذهب تتخذ في المعصم وسوار الخمر : شدّتها .
(٢) غرار السيف : حدُّه .
(٣) المعار : الفرس المضمّر ، وفي الديوان :
وكم بلدٍ شتتناهن فيه ضحىً وعلا منابره الغبار
(٤) جُبار : بزنة شجاع ـ أي هدر دمه ولا ثائر له ، وفي الحديث : « جرح العجماء جبار » .
(٥) المجامل : المواسي والمشارك .
(٦) جهم الوجه : مقطّبه وعابسه .

وملكي بقايا ما وهبت مفاضةٌ ورمحٌ وسيفٌ قاطعٌ وسنانُ[1]

وله [من الوافر] :

بأطراف المثقّفة العوالي تفرّدنا بأوساط المعالي
وما تحلو مجاني العزّ يوماً إذا لم تجنها سمر العوالي
ممالكنا مكاسبنا إذا ما توارثها رجالٌ عن رجال
إذا لم تمس لي نارٌ بأرضٍ أبيت لنار غيري غير صالي[2]

وله [من الكامل] :

غيري يغيّره الفعال الجافي ويحول عن شيم الكريم الوافي[3]
لا أرتضي وداً إذا هو لم يدمْ عند الجفاء وقلة الإنصاف
تعس الحريص وقلٌ ما يأتي به عوضاً عن الإلحاح والإلحاف
إنّ الغنيَّ هو الغنيُّ بنفسه ولو انه عاري المناكب حافي
ما كلّ ما فوق البسيطة كافياً وإذا قنعت فبعض شيءٍ كافي[4]
وتعافُ لي طمع الحريص فتوتي ومروءتي وقناعتي وعفافي[5]
ما كثرة الخيل العتاق بزائدي شرفاً ، ولا عدد السوام الضافي[6]
خيلي - وإن قلَّتْ - كثيرٌ نفعها بين الصوارم والقنا الرّعافِ[7]
ومكارمي عدد النجوم ، ومنزلي مأوى الكرام ومنزل الأضياف

---

(١) المفاضة : الدرع الفضفاضة الوافية .
(٢) صالي : أصلى النار : أسعرها .
(٣) يحول : يتغيّر ويتحوّل .
(٤) البسيطة : الأرض .
(٥) تعاف : تكره وتأبى .
(٦) العتاق : الكريمة ، والسوام : الإبل وغيرها من الماشية .
(٧) الرعّاف : النازف للدماء .

لا أقتني لصروف دهري عدّةً حتى كأنّ خطوبه أحلافي[1]
شيمٌ عرفت بهنّ مذ أنا يافعٌ ولقد عرفت بمثلها أسلافي

وله [من الوافر] :

أتعجب إن ملكنا الأرض قسراً وأن تمسي وسائديَ العراب[2]
وتربط في مجالسنا المذاكي وتنزل بين أرحلنا الركاب[3]
وهذا العزُّ أورثنا العوالي وهذا الملك ملّكنا الضّرابُ
فقصرك إنّ حالاً ملّكتنا لحالٌ لا تذمُّ ولا تعابُ

وله [من الطويل] :

ونحن أناسٌ لا توسّط عندنا لنا الصدر دون العالمين أو القبرُ
تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن خطب الحسناء لم يغله المهر

* * *

الإخوانيات

[قال] وكتب بها إلى أخيه أبي الهيجاء [من المتقارب] :

حللت من المجد أعلى مكانِ وبلّغك الله أقصى الأماني
فإنّك - لا عدمتك العلا ! - أخٌ لا كإخوة هذا الزمان
كسوت أخوتنا بالصفاء كما كسيت بالكلام المعاني

---

(١) أحلافي : أي مرافقيّ وأتباعي ، أو أنها عقدت حلفاً معي فهي لا تفارقني .
(٢) العراب : الخيل العربية .
(٣) المذاكي : جمع مذك ، وهو من الخيل ما تمّ له بعد قروحه سنتان ، يقصد الخيل النشيطة الفتيّة .

وقال لصديق له وأحسن [من الخفيف] :

لـم أؤاخـذك بالجفـاء لأنّـي واثـقٌ منـك بالـوداد الصريحِ[1]
فجميل العـدو غير جميـلٍ وقبيح الصـديق غيـر قبيح

وله [من الكامل] :

مـا كنـت تصبـر في القديـ ـم فلـم صبـرت الآن عنّا
ولقـد ظننـت بك الظنو ن لأنّـه مـن ضنٌ ظنّا[2]

وقال [من الكامل] :

أشـفقت مـن هجـري فسلّـ ـطت الـظنون على اليقيـن
وضننـت بـي فظننـت بـي والظـنّ مـن شيـم الضنينِ

وقال وكتب بها إلى أخيه [من الكامل] :

ولقـد أبيتُ وجـلّ ما أدعـو به حتّى الصبـاح وقـد أقضّ المضجعُ[3]
لا همّ إنّ أخـي لديك وديعتي أبـداً ، وليس يضيع ما تستودع

وكتب إلى أبي العشائر وهو أسير بأرض الروم [من الطويل] :

نفـى النـوم عن عينـي خيالٌ مسلّمٌ تأوّب من أسمـاءَ والـركب نوّمُ[4]
وخطـبٌ من الأيام أنسانـيَ الهوى وأحلى بفيٍّ المـوت والمـوت علقمُ[5]
ووالله ما شبّبـت إلاّ علالـةً ومـن نار غير الحـبّ قلبـي يضرّمُ

---

(١) الوداد الصريح : الحبّ الصافي الذي لا تشوبه شائبة .
(٢) ضنّ : بخل .
(٣) أقضّ المضجع : أي أقلقه وحرمه النوم .
(٤) تأوّب : رجع .
(٥) العلقم : الشديد المرارة .

فمـن مبلـغٍ عنّـي الحسين ألوكة تضـمنهـا درُّ الـكلام المنظّم[1]
لذيذ الـكرى حتـى أراك محرّمٌ ونـار الأسـى بين الحشـا تتضرّم
وأتـرك أن أبـكي عليك تطيُّراً وقلبـي يبـكي والجوانـح تلطـم[2]

لم يسمع أحسن من هذا البيت في التفجع بمنكوب .

وأظهـر للأعـداء فيك جلادةً وأكتـم ما ألقـاه ، والله يعلمُ
ومـا أغربـت فيك الليالـي وإنّها لتصدعنـا من كلّ شعـبٍ وتثلم[3]
طوارق خطـبٍ ما تغـبُّ وفودها وأحـداث أيامٍ تفـذُّ وتتئم[4]
فمـا عرّفتنـي غير ما أنـا عارفٌ ولا علّمتنـي غير ما كنـت أعلم

ومنها :

أندعـو كريمـاً من يجـود بماله ومـن جاد بالنفس النفيسـة أكرمُ
إذا لم يكن ينجـي الفـرار من الرّدى على حالـةٍ فالصّبـر أرجـى وأحزم[5]
لعمـري لقـد أعـذرت لو أنّ مسعداً وأقدمـت لو أنّ الكتائـب تقدم
ومـا عابـك ابـن السـابقين إلـى العلا تأخّـر أقـوامٍ وأنـت مقدَّمُ
ومـالك لا تلقـى بمهجتـك القنا وأنـت مـن القـوم الـذين همُ همُ
لعـاً يا أخـي لا مسّـك السـوء ! إنَّه هو الدهـر في حاليه بؤسـى وأنعم[6]

---

(١) الألوكة : الرسالة .

(٢) تطيُّراً : تشاؤماً ، والجوانح : جوانب الصدر وأضلاعه .

(٣) أغربت : أظلمت ، وتصدعنا : من الصدع وهو الشقّ الذي يفرّق بين وحدة الشيء والشعب : بكسر الشين : الناحية .

(٤) تغبّ : تزور حيناً بعد حين يعني أن الخطوب كانت متلاحقة ، وتفذّ : تأتي بالمصائب فذّة أي مفردة ، وتتئم :
تأتي بها زوجا ، وأصله قولهم « أتأمت المرأة » إذا ولدت توْماً .

(٥) الرّدى : الموت والهلاك .

(٦) لعاً : دعاءٌ للعاثر ، يعني نعشك الله ونجوت .

وكتب إليه قصيدة أخرى منها [من الكامل] :

أأبـا العشائـر إن أُسِـرْت فطالما ... أسـرت لك البيض الخفـاف رجالا
لمّـا أجلـت المهـر فوق رؤوسهم ... نسجـت لـه حمـر الشعـور عقالا

ما أحسن ما اعتذر له مع إحسانه التشبيه .

يا من إذا حمل الحصان على الوجى ... قال اتخـذ حبـك التـريك نعالا[1]
ما كنـت نهـزة آخـذٍ يوم الوغى ... لو كنت أوجدت الـكميت مجالا[2]
أخـذوك في كيد المضـايق غيلةً ... مثـل النســاء تربّـب الرئبالا[3]
زللٌ من الأيام فيك يقيله ... ملكٌ إذا عثـر الزمـان أقالا
بالخيل ضمـراً والسيوف قواضباً ... والسمـر لدنـاً والرجـال عجـالا[4]

وقال [من البسيط] :

ما كنـت مذ كنـت إلاّ طوع خلاّني ... ليسـت مؤاخـذة الإخـوان من شاني
يجنـي الخليل فأستحلـي جنايته ... حتـى أدلُّ علـى عفـوي وإحساني
إذا خليلـي لم تكثـر إساءته ... فأين موقـع إحسانـي وغفراني
يجنـي علـيَّ وأحنـو صافحـاً أبداً ... لا شيء أحسن من حانٍ على جاني[5]

وقال [من الكامل] :

ما صاحبـي إلاّ الـذي من بِشْرِهِ ... عنـوانه في وجهه ولسانه

---

(١) الوجى : التعب ، والحبك : جمع حبيكة وهي المنسوجة ، والتريك : بيضة المغفر ، يأمر حصانه أن يتخذ من مغافر أعدائه نعالاً له ، وذلك كنايةً عن قهره إيّاهم واستيلائه على عقائلهم .
(٢) نهزة : فرصة ، والكميت : الحصان يميل لونه إلى الحمرة الغامقة .
(٣) الرئبال : الأسد .
(٤) الضمر : الهزيلة ، والقواضب : القاطعة . ، والسمر : الرماح ، واللدن : الليّن المرن .
(٥) الجاني : الآثم .

كم صاحبٍ لم أغن عن إنصافه في عشرةٍ وغنيت عن إحسانه

وكتب في وصف كتاب ورد عليه من صديق له [من البسيط] :

ووارد موردٍ أنساً يؤكّدهُ صدوره عن سليم الورد والصدر
شدّت سحائبه منه على نزهٍ تقسّم الحسن بين السمع والبصر
عذوبةٌ صدرت عن منطقٍ جدِدٍ كالماء يخرج ينبوعاً من الحجر[1]
وروضةٌ من رياض الفكر دبّجها صوبُ القرائح لا صوبٌ من المطر[2]
كأنّما نشرت أيدي الربيع بها برداً من الوشي أو ثوباً من الحبر

وقال لأبي الحصين القاضي [من الكامل] :

من بحر شعرك أغترفْ وبفضل علمك أعترفْ
أنشدتني فكأنّما شقّقت عن درّ الصّدف
شعراً إذا ما قسته بجميع أشعار السّلفْ
قصّرن دون مداه تقصير الحروف عن الألف

وقال أيضاً [من الكامل] :

إنّي عليك أبا حصينٍ عاتبُ والحرّ يحتمل الصديق ويغفرُ
وإذا وجدت على الصديق شكوته سرّاً إليه ، وفي المحافل أشكر[3]

هكذا شرط الصداقة ، لا كما حكاه أبو إسحاق الصابي في قوله [من الخفيف] :

ومن الظلم أن يكون الرضى سرّاً ، ويبدو الإنكار وسط النادي

---

(١) منطقٍ جددٍ : منطق فيه لينٌ وسهولة .
(٢) دبّجها : أتقن نظمها وصنعها ، والصوب : المطر .
(٣) وجدت : عتبت وغضبت .

ومـن العـدل أن يشـاع بهذا مثـل ما شاع ذاك في الأشهاد

* * *

الشكوى والعتاب ، سوى ما وقع في الروميات

قال [من الطويل] :

أرانـي وقومـي فرَّقتنـا مذاهبٌ وإنْ جمعتنـا في الأصـول المناسبُ
فأقصاهـمُ أقصاهـم من مساءتي وأقربهـم ممّـا كرهـت الأقارب
غريبٌ وأهلـي حيث ما كرَّ ناظري وحيدٌ وحولـي من رجالـي عصائب[1]
نسيبـك من ناسبـت بالـودِّ قلبه وجـارك من صافيتـه لا المصاقب
وأعـظم أعـداء الرجـال ثقاتها وأهـون من عاديتـه من تحارب
ومـا الذّنـب إلاّ العجـز يركبـه الفتى ومـا ذنبـه إنْ حاربتـه المطالب
ومـن كان غير السيف كافـلُ رزقه فلَلْـذلّ منـه ـ لا محالـة ـ جانب[2]

وقال [من البسيط] :

مالي أعاتب ؟ مالي ؟ أين يذهب بي ؟ قد صرّح الدهـر لي بالمنـع والياس
أبغـي الوفـاء بدهـرٍ لا وفـاء له كأنّنـي جاهـلٌ بالدّهـر والناس

وقال [من الطويل] :

تمنّيتـم أن تفقدونـي ، وإنّما تمنّيتـمُ أن تُفقـدوا العـزَّ أصيدا[3]
أمـا أنـا أعلـى من تعـدّون همّةً ؟ وإن كنـت أدنـى من تعـدّون مولدا
إلـى الله أشـكو عصبـةً من عشيرتي يسيئـون فيَّ القـولَ غيبـاً ومشهدا

---

(١) كرّناظري : تطلّع ، والعصائب : الجماعات .
(٢) جانب : ملازم .
(٣) الأصيد : السيد الكريم .

وإن حاربــوا كنــت المجــنّ أمامهم ... وإن ضاربـوا كنـت المهنّـد واليدا[1]
وإن ناب خطــبٌ أو ألمَّــتْ ملمَّةٌ ... جعلـت لهـم نفسـي ومـا ملـكت فدا

وقال [من الطويل] :

أيا قومنــا لا تنشبــوا الحــرب بيننا ... أيا قومنــا لا تقطعــوا اليدّ باليدِ
فيا ليت دانــي الرحــم منّــا ومنكمُ ... إذا لم يقــرِّبْ بيننــا لم يبعّد
عداوة ذي القربــى أشــدُّ مضاضةً ... على المرء من وقع الحسـام المهند[2]

وقال [من الطويل] :

ويغتابنــي من لو كفانِــيَ غيبه ... لكنــت له العين البصيرة والأذْنا
وعنــدي من الأخبــار ما لو ذكرته ... إذاً قرع المغتــاب من ندمٍ سنّا[3]

وقال [من الطويل] :

إذا كان فضلــي لا أســوّغ نفعه ... فأفضــل منــه أن أرى غير فاضلِ
ومــن أضيع الأشياء مهجــة عاقلٍ ... يجـوز علـى حوبائهـا حكم جاهلِ[4]

* * *

الغزل والنسيب

[قال] [من الوافر] :

تبسّــم إذ تبسّــم عن أقاح ... وأسفــر حين أسفــر عن صباحِ
وأتحفنــي براحٍ من رضابٍ ... وراحٍ من جنــى خدٍّ وراحِ[5]

---

(١) المجن : الترس الواقي والدرع الحصين .
(٢) المضاضة : الألم وشدّته .
(٣) قرع المغتاب من ندمٍ سناً : أي عضّ على أسنانه بقوّة حتى تكسّر بعضها من الغيظ والحنق .
(٤) الحوباء : الروح والنفس .
(٥) الراح : الخمر ، والراح الأخيرة : باطن الكفّ الذي لا ينبت فيه الشعر .

فمـن لألاء غرّتـه صباحي ومـن صهبـاء ريقتـه اصطباحي[1]

وقال [من البسيط] :

سكرت من لحظـه لا من مدامته ومـال بالنّـوم عن عينـي تمايلهُ
فمـا السـلاف دهتنـي ، بل سوالفه ولا الشمـول ازدهتنـي ، بل شمائلهُ
ألـوى بعزمـي أصـداغٌ لوين له وغـال صبـريَ ما تحـوي غلائله[2]

وقال [من الكامل] :

من أين الرشـأ الغـرير الأحور في الخـدّ مثـل عذاره المتحـدِّرِ[3]
قمـرٌ كأنّ بعـارضيه كليهما مسـكاً تساقـط فوق وردٍ أحمرِ

وقال [من مخلع البسيط] :

قـد كان بدر السمـاء حسناً والنّـاس فـي حبّـه سواءُ
فـزاده ربّـه عـذاراً تـمّ به الحسـن والبهـاءُ
لا تعجبـوا ربّنـا قديرٌ يزيد فـي الخلـق ما يشاءُ

وقال [من الطويل] :

وظبـيٍ غريرٍ في فؤادي كناسه إذا اكتنسـت عين الفـلاة وحورها[4]
فمـن خلقـه أجيادهـا وعيونها ومـن خلقـه عصيانـهـا ونفورها

---

(١) غرته : طلعته البيضاء ، والصهباء : الخمر والاصطباح : شرب الخمر صباحاً .
(٢) غال صبري : قتله .
(٣) الرشأ : الغزال ، والغرير : الشاب الحسن ، والأحور : من الحور وهو شدّة سواد العين وشـدّة بياضها .
(٤) الكناس : بيت الظبي ومأواه .

وقال [من البسيط] :

وشادنٍ قال لي لمّا رأى سقمي ... وضعف جسمي والدمع الذي انسجما[1]
أخذت دمعك من خدّي، وجسمك من ... خصري، وسقمك من طرفي الذي سقما

وقال [من الطويل] :

أساء فزادته الإساءة حظوةً ... حبيبٌ على ما كان منه حبيب
يعدّ عليَّ الواشيان ذنوبه ... ومن أين للوجه الجميل ذنوب ؟

وقال [من الرمل] :

أيُّها الغازي الذي يغـ ... ـزو بجيش الحبّ جسمي
ما يقوم الأجر في غز ... وك للروم بإثمي

وقال [من الكامل] :

وإذا يئِستُ من الدنوِّ رغبت في فرط البعاد
أرجو الشهادة في هوا ... ك لأنَّ روحي في جهاد

وقال [من الكامل] :

وكنى الرّسول عن الجواب تظرُّفاً ... ولئن كنى فلقد علمنا ما عنى[2]
قل يا رسول ولا تحاشِ فإنّهُ ... لا بدّ منه أساء بي أمْ أحسنا
الذنب لي فيما جناه لأنّني ... مكّنته من مهجتي فتمكّنا

وقال [من الوافر] :

عدتني عن زيارته عوادٍ ... أقلُّ مخوفها سمر الرماحِ[3]

---

(١) الشادن : الغزال ، وانسجام الدمع : هطوله وذرفه .
(٢) كنى : من الكناية ، أي أجاب عن السؤال بطريق خفي ، وعناه : قصده .
(٣) عدتني : منعتني ، والعوادي : الموانع .

ولـو أنّـي أطعـت رسيس شوقي ركبـت إليه أعنـاق الرياحِ[1]

وقال [من الخفيف] :

يا عسوفـاً بالمسـتهـام الشفيق وعنيفـاً علـى الـرفيق الرفيق[2]
أسـرق الدمـع من نديمـي بكأسٍ فأحلّـي عقيانهـا بالعقيـق

وقال [من مخلع البسيط] :

لـطيرتـي بالصـداع نالـتْ فـوق منـال الصـداع منّـي
وجـدت فيه اتفـاق سوءٍ صدّعنـي مثـل صدّ عني

وقال [من البسيط] :

يا ليلـةً لسـت أنسـى طيبهـا أبداً كأنّ كلّ سرورٍ حاضـرٌ فيها
باتـت وبـتُّ وبـات الـزِّقُّ ثالثنا حتـى الصبـاح تسقّيني وأسقيها
كأنّ سودَ عنـاقيدٍ بلمّتها أهـدت سلافتهـا خمـراً إلـى فيها[3]

وقال [من الوافر] :

مسـيءٌ محسـنٌ طوراً وطوراً فمـا أدري عدوّي أمْ حبيبي
وبعض الظـالمين وإنْ تناهى شهـيٌّ الـظلم مغتفـر الذّنـوب

وقال [من الخفيف] :

قمـرٌ دون حسنـه الأقمار وكثيبٌ مـن النقـا مستعارُ[4]
وغـزالٌ فيه نفـارٌ ، ومـا ينـ ـكر من شيمـة الظّبـاء النِّفارُ

---

(١) رسيس شوقي : رقته ولينه .
(٢) العسوف : الجائر الظالم .
(٣) اللمّة : شعر الرأس ، والسلاف : من صفات الخمر .
(٤) الكثيب : التلّ من الرمل ، والنقا : القطعة من الرّمل المحدودبة .

لا أعاصيه في اجتراح المعاصي   في هوى مثله تطيب النّار
قد حذرت الملاح دهراً ولكنْ   ساقني نحو حبّه المقدار
كم أردت السلو فاستعطفتني   رقيةٌ من رقاك يا عيّار

وقال [من الهزج] :

من السلوان في عينيـ   ـك آياتٌ وآثارُ
أراها منك بالقلب   وفي الأضلاع أبصار
إذا ما برد القلـ   ـب فما تسخنه النّار

وقال [من المجتث] :

يا معشرُ الناس هل لي   ممّا لقيت مجيرُ
أصاب غرّة قلبي   ذاك الغزال الغريرُ(1)
فعمر ليلي طويلٌ   وعمر يومي قصير

وقال [من الرمل] :

أجملي يا أمَّ عمروٍ   زادك الله جمالا(2)
لا تبيعني برخصٍ   إنّ في مثلي يُغالى
[أنا إن جدت بوصلٍ   أحسن العالم حالا]

* * *

الأوصاف والتشبيهات

قال في وصف الجسر [من الرجز] :

كأنّما الماء عليه الجسر   درْج بياضٍ خطّ فيه سطر

---

(1) غرّة قلبي : مفطمه ، والغرير : الجميل الناعم .
(2) أجملي : ترفّقي وتصبّري .

كأنّنـا لمّـا تهيّا العبر أسـرّة موسـى حين شقّ البحر

وجلس يوماً في البستان البديع والماء يتدرج في البرك ، فقال في وصفه ، وكل واصف فإنما يشبه الموصوف بما هو من جنس صناعته ، أو بما يكثر رؤيته له [من الكامل] :

أنظـر إلـى زهـر الربيع والمـاء في برك البديعِ
وإذا الـرياح جرت عليـ ـه في الذهـاب وفـي الرجوعِ
نثـرت علـى بيض الصفا ئح بيننـا حلق الدروع

وقال في وصف النار والفحم [من الكامل] :

لله بـردٌ مـا أشـ ـدّ ومنظـرٌ ما كان أعجبْ
جـاء الغـلام بنـاره هـوجـاء في فحـمٍ تلهّبْ
فكأنّمـا جمـع الحلـــي فمحـرقٌ منـه ومذهب
وكأنّهـا لمـا خبـت ما بيننـا نـدٌّ معشّب[1]

وقال [من الطويل] :

مددنـا علينـا الليل والليل راضعُ إلـى أن تردّى رأسـه بمشيبِ
بحـالٍ تردّ الحاسـدين بغيظهمْ وتطـرف عنّـا عين كلٍّ رقيبِ
إلـى أن بدا ضوء الصبـاح كأنّهُ مبـادي نصـولٍ في عذار خضيب

وقال [من الرجز] :

وجـلّنـارٍ مشـرفٍ على أعـالـي شجـرَهْ
كـأنّ فـي رءوسه أحـمـرَهْ وأصـفـرَهْ

---

(١) خبت النار : ضعف وهجها ، والندّ : نوع من الطيب .

قـراضـةُ من ذهـبٍ فـي خـرقٍ معصفـرَهْ[1]

وقال في جارية مسبية [من الكامل] :

وخــريدةٍ كرمــت علــى آبائها ... زمنــاً ، وعنــد سبائهــا لم تكرم[2]
خطبت بحــدّ السيف حتّــى زوِّجت ... كرهــاً ، وكان صداقهــا للمقسم
راحــت وصاحبهــا لعـرسٍ حاضرٌ ... برضــا الإلّــه وأهلهــا في مأتم

ينظر معنى البيت الأول [والثالث] إلى قول المتنبي [من الطويل] :

تبـكي عليهــن البطــاريق في الدّجى ... وهــنّ لدينــا ملقياتٌ كواسدُ
بذا قضــت الأيام ما بين أهلها ... مصائــبُ قومٍ عنــد قوم فوائد

ولأبي فراس في طعنة أصابت خده [من الكامل] :

لمــا رأت أثــر الســنــان بخدّه ... ظلَّــت تقلِّبــه بوجــهٍ عابسِ
خلف السّنــان به مواقــع لثمها ... بئس الخلافــة للمحــبٍّ البائس
حســن الثنــاء بقبــح ما صنــع القنا ... يوم الطعــان بصحــن خدٍّ الفارس

* * *

الحكمة والموعظة

قال [من الهزج] :

غنــى النفس لمــن يعقــ ... ـل خيرٌ من غنــى المالِ
وفضــل النــاس في الأنفــ ... ـس، ليس الفضــل في الحالِ

---

(۱) القراضة : النثار ، ومعصفرة : مصبوغة بالعصفر ، وهو نبات أصفر يصبغ به .
(۲) الخريدة : الفتاة البكر .

وقال [من الكامل] :

المــرء نصــب مصائــب لا تنقضي ... حتــى يوارى جسمــه في رمسه[1]

فمؤجّــلٌ يلقــى الــرّدى في أهله ... ومعجّــلٌ يلقــى الــردى في نفسه

قال [من الكامل] :

أنفِــقْ من الصبــر الجميل فإنّه ... لم يخش فقــراً منفــقٌ من صبره

والمــرء ليس ببالــغٍ في أرضه ... كالصقــر ليس بصائــدٍ في وكرهِ

وقال [من الكامل] :

خفِّض عليك ولا تكن قلــق الحشا ... ممّــا يكون وعلَّه وعساهُ[2]

والدّهــر أقصــر مدّةً ممــا ترى ... وعســاك أن تكفــي الــذي تخشاهُ

وقال [من الهزج] :

عــرفت الشــرّ لا للشـ ... ـــرّ لكــن لتوقيــه

فمــن لا يعــرف الشرّ ... مــن النــاس يقــعْ فيه

وقال [من الطويل] :

لعمــرك ما الأبصــار تنفــع أهلها ... إذا لم يكن للمبصــرين بصائرُ

وهــل ينفــع الخطّــيّ غير مثقّفٍ ... وتظهــر ، إلاّ بالصّقــال ، الجواهرُ[3]

وكيف ينــال المجــد والجســم وادعٌ ... وكيف يحــاز الحمــد والوفــر وافر

وقال [من الطويل] :

إذا لم يعنــك الله فيمــا تريده ... فليس لمخلــوقٍ إليك سبيل

---

(١) نصب : أمام وهدف ، والرمس : القبر .

(٢) خفّض عليك : أي هوّن ولا تستصعب ، والحشا : ما انضمّت عليه الضلوع .

(٣) الخطيّ : الرمح ، ومثقّف : مصقول .

وإن هو لم يرشـدك في كلّ مسلكٍ ضللت ، ولـو أنّ السّمـاك دليلُ[1]

وقال [من الخفيف] :

لسـت بالمسـتضيم من هو دوني اعتـداءً ، ولسـت بالمستضامِ
ربّ أمـرٍ عففـت عنـه اختياراً حذراً من أصابـع الأيتامِ
أبـذل الحـقّ للخصـوم إذا ما عجـزت عنـه قدرة الحكامِ

* * *

الروميات من غرر أبي فراس

لما أدركت أبا فراس حرفة الأدب ، وأصابته عين الكمال ، أسرته الروم في بعض وقائعها وهو جريح ، وقد أصابه سهم بقي نصله في فخذه ، وحصل مثخناً بخرشنة ، ثم بقسطنطينية ، وتطاولت مدته بها لتعذر المفاداة ، وقد قيل : على كل نجح رقيب من الآفات ، وقد كانت تصدر أشعاره في الأسر والمـرض واستـزادة سيف الدولة ، وفرط الحنين إلى أهله وإخوانه وأحبابه ، والتبرم بحاله ومكانه ، عن صدر حرج ، وقلب شجٍ ، تزداد رقة ولطافة ، وتبكي سامعها ، وتعلق بالحفـظ لسلاستها ، فمنها قوله [من الكامل] :

مـا للعبيد مـن الذي يقضـي به الله امتنـاعُ
ذدت الأسـود عن الفرا ئس ثم تفرسنـي الضباعُ !

وقوله [من السريع] :

قـد عذّب المـوت بأفواهنا والمـوت خيرٌ من مقـام الذّليلْ
إنّـا إلـى الله لمـا نابنا وفـي سبيل الله خير السبيل

---

(١) السّماك : نجمٌ يهتدى به .

ولما شقت فخذه عن نصل السهم الذي أصابه قال [من الطويل] :

فلا تصفـن الحـرب عنـدي ، فإنّها ... طعامـيَ مذْ بعـت الصبـا وشرابي
وقـد عرفـت وقـع المسـامير مهجتي ... وشقّـق عن زرق النصـول إهابي[1]
ولجـجـت في حلـو الزمـان ومرّه ... وأنفقـت من عمـري بغير حساب

وقال بخرشنة [من الكامل] :

إن زرت خرشنـةً أسيراً ... فلقـد حللـت بهـا مغيرا
ولقـد رأيت النـار تنتـهب المنـازل والقصـورا
ولقـد رأيت السبـيَ يجلـ ... ـب نحونـا حوّاً وحورا[2]
مـن كان مثلـي لم يبت ... إلاّ أميـراً أو أسيرا
ليسـت تحـلّ سراتنـا ... إلاّ الصـدور أو القبـورا

وكتب إلى سيف الدولة قصيدة منها [من الطويل] :

دعوتـك للجفـن القـريح المسهّد ... لديَّ ، وللنـوم القليل المشرّدِ
ومـا ذاك بخـلاً بالحياة وإنّها ... لأوّل مبـذولٍ لأوّل مجتدِ[3]
ولا زال عنّـي أنّ شخصـاً معرّضاً ... لنبـل العـدا إن لم يصـب فكأن قدِ
ولكنّنـي أختـار موت بنـي أبي ... علـى سروات الخيل غير موسّد
وآبـى وتأبـى أن أمـوت موسّداً ... بأيدي النصـارى موت أكمد أكبد[4]
نضـوت علـى الأيام ثوب جلادتي ... ولكننـي لم أنض ثوب التجلّد[5]

---

(١) شقّق : تفتح وأنبت ، وزرق النصول : كناية عن أدوات الحرب من سيف وغيره ، والإهـاب : الجلد .

(٢) الحوّ : البيض من النساء ، والحور : النساء اللاتي في عيونهنّ حور ، وهو شدّة سواد العين وشدّة بياضها .

(٣) المجتدي : السائل والطالب .

(٤) أكبد : أي مقروح الكبد من الحزن والغم .

(٥) نضوت : خلعت ، والجلادة : الصبر والتحمل والقوّة .

فمن حسن صبرٍ بالسلامة واعدٍ ومن ريب دهرٍ بالردى متوعدي
فمثلك من يدعى لكلّ عظيمةٍ ومثليَ من يفدي بكل مسوّد[1]
تشبّثْ بها أكرومةً قبل فوتها وقمْ في خلاصي صادق العزم واقعد
فإن تفتدوني تفتدوا شرف العلا وأسرع عوّادٍ إليكم معوّدً
يدافع عن أعراضكم بلسانه ويضرب عنكم بالحسام المهنّد
متى تخلف الأيام مثلي لكم فتى طويل نجاد السيف رحب المقلّد[2]
ولا وأبي ما ساعدان كساعدٍ ولا وأبي ما سيّدان كسيّد
وإنّك للمولى الذي بك أقتدي وإنّك للنجمُ الذي بك أهتدي
وأنت الذي عرّفتني طرق العلا وأنت الذي أهديتني كلّ مقصد
وأنت الذي بلّغتني كلّ غايةٍ مشيت إليها فوق أعناق حسّدي
فيا ملبسي النعمى التي جلّ قدرها لقد أخلقت تلك الثيابَ فجدِّدِ[3]
ألم تر أنّي فيك صافحت حدّها وفيك شربت الموت غير مصرّد[4]
وفيك لقيت الألف زرقاً عيونها بسبعين فيها كلّ أشأم أنكد
يقولون جنِّبْ عادةً ما عرفتها شديدٌ على الإنسان ما لم يعوِّدِ[5]
فقلت أما والله ما قال قائلٌ شهدت له في الخيل ألأم مشهد
ولكن سألقاها فإمّا منيّةٌ هي الظنُّ أو بنيان عزٍّ مؤيّد
ولم أدر أنّ الدهر من عدد العدا وأنّ المنايا السود يرمين عن يد

---

(١) كلّ عظيمة : كلّ أمرٍ عظيم ، والمسوّد : أي سيّد .
(٢) نجاد السيف : حمائله وعلائقه ، والمقلّد : موضع حمائل السيف .
(٣) أخلقت : بليت .
(٤) مصرّد : من التصريد ، وهو تقليل العطاء ، والشرب دون الإرتواء .
(٥) جنّب : أي ابتعد وتجنّب الشيء ، تلافاه .

وكتب إلى والدته وقد ثقل من الجراح التي به [من الطويل] :

مصابي جليلٌ والعزاء جميل ... وظنّي بأنّ الله سوف يديلُ[1]
جراحٌ تحاماها الأساة مخافةً ... وسقمان بادٍ منهما ودخيل
وأسرٌ أقاسيه وليلٌ نجومه ... أرى كلّ شيءٍ غيرهنّ يزول
تطول بيَ الساعات وهي قصيرةٌ ... وفي كلّ دهرٍ لا يسرّك طول
تناسانيَ الأصحاب إلاّ عصابةً ... ستلحق بالأخرى غداً وتحول
وإنّ الذي يبقى على العهد منهم ... وإن كثرت دعواهم لقليلُ
أقلّب طرفي لا أرى غير صاحبٍ ... يميل مع النعماء حيث تميل
وصرنا نرى أنّ المتارك محسنٌ ... وأنّ خليلاً لا يضرُّ وصول

كأنه مأخوذ من قول المتنبي [من البسيط] :

إنّا لفي زمنٍ تَرْكُ القبيح به ... من أكثر الناس إنعامٌ وإفضالُ

(رجع) :

تصفّحت أحوال الزمان فلم يكن ... إلى غير شاكٍ للزّمان وصولُ
أكلّ خليلٍ أنكدُ غير منصفٍ ... وكلّ زمانٍ بالكرام بخيلُ
نعم دعت الدنيا إلى الغدر دعوةً ... أجاب إليها عالمٌ وجهول
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه ... وخلّى أمير المؤمنين عقيلُ
فيا حسرتي من لي بخلٍّ موافقٍ ... أقول بشجوي مرّةً ويقول
وإنّ وراء الستر أمّاً بكاؤها ... عليّ ، وإن طال الزمان ، طويلُ
فيا أمّتا لا تعدمي الصبر ، إنّه ... إلى الخير والنجح القريب رسول[2]
فيا أمّتا لا تحبطي الأجر ، إنّه ... على قدر الصّبر الجميل جزيل

---

(١) يديل : ينتقم لي بأن يجعل له الدولة عليهم .
(٢) أمّتا : أي يا أمي ، وهذا الاستعمال خاص بالنداء .

تأسَّيْ كفاكِ الله ما تجدينه   فقد غال هذا الناس قبلك غول
لقيت نجوم الأفق وهي صوارمٌ   وخضت سواد الليل وهو خيول
ولم أرع للنفس الكريمة خلّةً   عشيّة لم يعطفْ عليَّ خليل
ولكن لقيت الموت حتّى تركته   وفيه وفي حدّ الحسام فلول[1]
ومن لم يوقِّ الله فهو ممزّقٌ   ومن لم يعزِّ الله فهو ذليل
ومن لم يرده الله في الأمر كلّه   فليس لمخلوقٍ إليه سبيل

وكتب إلى سيف الدولة [من الكامل] :

هل تعطفان على العليل   لا بالأسير ولا القتيلِ
باتت تقلّبه الأكـ   ـفُّ سحابة الليل الطويلِ
فقد الضيوف مكانه   وبكاه أبناء السّبيل
وتعطّلت سمر الرما   ح وأغمدت بيض النصول
يا فارج الكرب العظيـ   ـم وكاشف الخطب الجليل
كن يا قويّ لذا الضعيـ   ـف ويا عزيز لذا الذّليل
قرّبه من سيف الهدى   في ظلِّ دولته الظّليل
لم أرو منه ولا شفيـ   ـت بطول خدمته غليلي
ولئن حننت إلى ذرا   ه لقد حننت إلى وصول
لا بالقطوب ولا الغضو   ب ولا الكذوب ولا الملول
يا عدّتي في النائبا   ت وظلّتي عند المقيل[2]
أين المحبّة والذّما   م وما وعدت من الجميل ؟
احمل على النفس الكريـ   ـمة فيَّ والقلب الحمول

---

(١) الفلول : الشطوب ، والتكسّر في حدّ الدسيف .
(٢) ظلّتي : أي ما يظلّني من حرّ الشمس كالفيء وغيره والقيلولة : الراحة وقت اشتداد الحرّ .

وكتب إلى والدته [من الكامل] :

لولا العجوز بمنبجٍ ما خفت أسباب المنيّه
ولكان لي عمّا سألت من الفدى نفسٌ أبيه
لكنْ أردت مرادها ولو انجذبت إلى الدنيّه
أمست بمنبجَ حرّةٌ بالحزن من بعدي حريّه[1]
فيها التقى والدين مجموعان في نفسٍ زكيّه
لا زال يطرق منبجاً في كلّ غاديةٍ تحيّه
يا أمّتا لا تحزني وثقي بفضل الله فيّه
يا أمّتا لا تيأسي لله ألطافٌ خفيّه
أوصيك بالصبر الجميل فإنّه خير الوصيّه

وكتب إلى غلامين له [من الخفيف] :

هل تحسّان لي رفيقاً رفيقا يحفظ الودّ أو صديقاً صدوقا
لا رعى الله يا خليليّ دهراً فرّقتنا صروفه تفريقا
كنت مولاكما وما كنت إلاّ والداً محسناً وعمّاً شفيقا
فاذكراني وكيف لا تذكراني كلما استخون الصديق صديقا
بتُّ أبكيكما وإنّ عجيباً أن يبيت الأسير يبكي الطليقا

وكتب إلى غلامه منصور [من الخفيف] :

مغرمٌ مؤلمٌ جريحٌ أسيرُ إنّ قلباً يطيق ذا لصبورُ
وكثيرٌ من الرجال حديدٌ وكثيرٌ من القلوب صخور
قل لمن حل بالشآم طليقاً : بأبي قلبك الطليق الأسير

---

(١) حريّه : جديره .

أنـا أصبحـت لا أطيق حراكاً كيف أصبحـت أنـت يا منصور

وكتب إليه [من السريع] :

ارثِ لصـبٍّ بك قد زدته على بلايا أسره أسرا
قـد عدم الـدنيا ولذّاتها لكنّـه ما عدم الصبرا
فهـو أسير الجسـم في بلدةٍ وهـو أسير القلـب في أخرى

وكتب إليه أيضاً [من السريع] :

يا ليل ما أغفـل عمّـا بي حبائبـي فيـك وأحبابي
يا ليل نام النـاس عن موجعٍ ناءٍ علـى مضجعـه نابي[1]
هبّـت له ريحٌ شآميةٌ متّـت إلـى القلـب بأسباب[2]
أدّت رسـالات حبيبٍ بها فهمتهـا من بيـن أصحابي

بلغنـي أن الصاحـب كان يستظـرف هذين البيتين ويستملحهمـا ويكثـر الإعجاب بهما .

وكتب إليهما [من المتقارب] :

لأيّـكـم أذكـر وفـي أيّكـم أفكـرُ
وكم لي علـى بلدتي بكـاءٌ ومستعبـر
ففـي حلـبٍ عدّتي وعـزّيَ والمفـخـر
وفـي منبـج من رضا ه أنفسُ ما أذخـر[3]
ومـن حبّهـا زلفةً بهـا يكـرم المحشـر
وأصـبيـةٍ كـالفـرا خ أكبـرهـم أصغـر

---

(١) ناءٍ : بعيد ، ونابي : لم يطمئن في نومه على الفراش .
(٢) متّت : وصلت ، والأسباب : الحبال والعلائق .
(٣) أنفس : أغلى وأثمن ، وأذخر : أي أدّخر وأبقي .

يخيّل لي أمرهم كأنّهم حضّر[1]
وقوم ألفناهم وغصن الصّبا أخضر
فحزنيَ ما ينقضي ودمعي ما يفتر[2]
أيا غفلتا كيف لا أرجى كما أحذرُ
وماذا القنوط الذي أراه وأستشعر
بلى ، إنّ لي سيّداً مواهبه أكثر
بذنبيَ أوردتني ومن فضلك المصدر[3]

وقال وقد حضره العيد [من السريع] :

يا عيد ما عدت بمحبوب على معنّى القلب مكروبِ[4]
يا عيد قد عدت إلى ناظرٍ عن كلٍّ حسنٍ فيك محجوب
يا وحشة الدار التي ربّها أصبح في أثواب مربوب[5]
قد طلع العيد على أهلها بوجه لا حسْنٍ ولا طيبِ
ما لي وللدّهر وأحداثه لقد رماني بالأعاجيبِ

وقال وقد سمع حمامة تنوح بقربه على شجرة عالية [من الطويل] :

أقول وقد ناحت بقربي حمامةٌ أيا جارتي هل تشعرين بحالي
معاذ الهوى ما ذقت طارقة الهوى ولا خطرت منك الهموم ببالِ
أتحمل محزون الفؤاد قوادمٌ على غصنٍ نائي المسافة عالي

---

(١) حُضّر : من الاحتضار ، وهو النزاع عند الموت ، يريد أنّهم لفراقه يحتضرون من الألم .
(٢) يفتر : يضعف .
(٣) الورد : مكان ورود الماء للإستسقاء ، والمصدر : الرجوع عن الماء بعد الوِرد منه .
(٤) معنّى القلب : متألّمه ومتعبه ، والمكروب : المحزون .
(٥) ربُّ الدار : صاحبها ، والمربوب : المستعبد .

أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا ... تعالي أقاسمك الهموم تعالي[1]
تعالي تري روحاً لديّ ضعيفةً ... تردّد في جسمٍ يعذب بالي
أيضحك مأسورٌ وتبكي طليقةٌ ... ويسكتُ محزونٌ ويندب سالي[2]
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلةً ... ولكنَّ دمعي في الحوادث غالي

وكتب إلى سيف الدولة [من الطويل] :

أما لجميلٍ عندكنّ ثوابُ ... ولا لمسيءٍ عندكنّ متابُ
إذا الخلُّ لم يهجرك إلاّ ملالةً ... فليس له ، إلاّ الفراق ، عتاب
إذا لم أجد من خلّةٍ ما أريده ... فعندي لأخرى عزمةٌ وركاب
وليس فراقٌ ما استطعت فإن يكنْ ... فراقٌ على حالٍ فليس إياب

أخذه من قول القائل وهو أوس بن حجر[من الطويل] :

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكدْ ... إليه بوجهٍ آخر الدهر تقبل

(رجع) :

صبور ولو لم يبق منّي بقيةٌ ... قؤولٌ ولو أنّ السيوف جوابُ
وقورٌ وأحداث الزمان تنوشني ... وللموت حولي جيئةٌ وذهاب
بمن يشق الإنسان فيما ينوبه ... ومن أين للحرّ الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس إلاّ أقلّهمْ ... ذئابٌ على أجسادهن ثياب
تغابيت عن قومٍ فظنّوا غباوةً ... بمفرق أغبانا حصىً وتراب !

---

(١) كسر اللام من « تعالي » عند إسنادها إلى ياء المخاطبة وضمّها عند إسنادها لواو الجماعة لغة حجازية قليلة ، والأكثر بقاء اللام مفتوحة في كلِّ أحوالها .
(٢) السالي : من السلوان وهو الذي سلى الشيء : أي نسيه .
(٣) الخلّة : المصادقة . وعزمة وركاب : أي عزيمة إلى قصد غيرها .
(٤) تنوشني : تصيبني وتترك فيَّ آثارها .

ولـو عرفوني بعض معرفتي بهمْ
إذاً علموا أنّي شهدت وغابوا

إلى الله أشكو أنّنا بمنازلٍ
تحكّم في آسادهنّ كلاب

تمرُّ الليالي ليس للنفع موضعٌ
لديَّ ولا للمعتفين جناب

ولا شدَّ لي سرجٌ على متن سابحٍ
ولا ضربت لي بالعراء قباب[1]

ولا برقت لي في اللقاء قواطعٌ
ولا لمعت لي في الحروب حراب

ستذكر أيامي نميرٌ وعامرٌ
وكعبٌ ، على علاّتها ، وكلاب

أنا الجار لا زادي بطيءٌ عليهمُ
ولا دون ما لي في الحوادث باب

ولا أطلب العوراء منها أصيبها
ولا عورتي للطالبين تصاب

بني عمّنا ، ما يفعل السيف في الوغى
إذا قلَّ منه مضرب وذباب

بني عمّنا ، نحن السواعد والظُّبا
ويوشك يوماً أن يكون ضراب

وما أدّعي ما يعلم الله غيره
رحابُ عليٍّ للعفاة رحاب

وأفعاله للراغبين كريمةٌ
وأمواله للطالبين نهاب

ولكن بنا منه بكفّيَ صارمٌ
وأظلم في عينيَّ منه شهاب[2]

ألم فيه بقول البحتري [من الطويل] :

سحابٌ عداني جوده وهو ريِّقٌ
وبحرٌ خطاني فيضه وهو مفعم

وبدرٌ أضاء الأرض شرقاً ومغرباً
وموضع رحلي منه أسود مظلمُ

(رجع) :

وأبطأ عنّي والمنايا سريعةٌ
وللموت ظفرٌ قد أطلَّ وناب

فإن لم يكن ودٌّ قريبٌ تعدّه
ولا نسبٌ بين الرجال قراب

فأحوط للإسلام أن لا يضيعني
ولي عنه فيه حوطةٌ ومناب[3]

---

(١) السابح : الحصان .

(٢) نبا : لم يستقر ، والصارم : السيف القاطع .

(٣) فأحوط : من الحيطة وهي الحذر من مقارفة الذنب .

ولكنّني راضٍ على كلّ حالةٍ لنعلم أيّ الخلتين سرابُ
وما زلت أرضى بالقليل محبّةً لديه ، وما دون الكثير حجاب
وأطلب إبقاءً على الودّ أرضه وذكرى منىً في غيرها وطلاب
كذاك الوداد المحض لا يرتجى له ثوابٌ ، ولا يخشى عليه عقاب[1]

ومثله للمتنبي [من الطويل] :

وما أنا بالباغي على الحبّ رشوةً ضعيف هوىً يبغى عليه ثواب

(رجع) :

وقد كنت أخشى الهجر والشّمل جامعٌ وفي كلّ يومٍ لُقيةٌ وخطاب
فكيف وفيما بيننا ملك قيصرٍ وللبحر حولي زخرةٌ وعباب ؟
أمن بعد بذل النفس فيما تريده أثاب بمرّ العتْبِ حين أثاب
فليتك تحلو والحياة مريرةٌ وليتك ترضى والأنام غضاب
وليتَ الذي بيني وبينك عامرٌ وبيني وبين العالمين خرابُ
إذا صحّ منك الودُّ فالكلُّ هيّنٌ وكلُّ الذي فوق التراب تراب

وكتب إليه [من الكامل] :

بالكره منّي واختيارك أن لا أكون حليف دارك
يا تاركي إنّي لشكـ ـرك ما حييت لغير تارك
كنْ كيف شئت فإنّني ذاك المواسي والمشارك

وكتب إليه [من الطويل] :

أبى غربُ هذا الدّمع إلاّ تسرّعا ومكنون هذا الحبّ إلا تضوّعا[2]

---

(١) المحض : الخالص الذي لا تشوبه شائبة نفعيّة وغيرها .
(٢) الغرب : وهو هنا بمعنى عرقٌ في العين ينزف الدمع فلا ينقطع ، أو مسيل الدمع وانهلاله .

وكنت أرى أنّي مع الصّبر واجدٌ إذا شئت لي ممضى وإن شئت مرجعا[1]
فلما استمرّ الحبُّ في غلوائهِ رعيت مع المضياعة الغرّ ما رعى[2]
فحزنيَ حزن الهائمين مبرّحا وسرِّيَ سرُّ العاشقين مضيّعا
وهبت شبابي والشباب مضنّةٌ لأبلج من أبناء عمِّيَ أروعا[3]
أبيت معنّىً من مخافة عتبه وأصبح محزوناً وأمسي مروّعا
فلما مضى عصر الشبيبة كلّه وفارقني شرخ الشباب فودّعا[4]
تطلّبت بين العتب والهجر فرجةً فحاولت أمراً لا يرام ممنّعا[5]
وصرت إذا ما رمت في الخير لذّةً تتبّعتها بين الهموم تتبّعا
وها أنا قد حلّى الزمان مفارقي وتوّجني بالشيب تاجاً مرصّعا
فلو أنّني مكّنت ممّا أريده من العيش يوماً لم أجد فيّ موضعا
أما ليلةٌ تمضي ولا بعض ليلةٍ أسرُّ بها هذا الفؤاد المفجّعا
أما صاحبٌ فردٌ يدوم وفاؤه فيصفى لمن يصفى ويرعى لمن رعى
أفي كلِّ دارٍ لي صديقٌ أودّه إذا ما تفرّقنا حفظت وضيّعا
إذا خفت من أخواليَ الروم خطّةً تخوّفت من أعمامي العرب أربعا
وإن أوجعتني من أعاديَ شيمةٌ لقيت من الأحباب أدهى وأوجعا
ولو قد رجوت الله لا شيء غيره رجعت إلى آلي وأملّت أوسعا
لقد قنعوا بعدي من القطر بالنّدى ومن لم يجد إلاّ القنوع تقنّعا[6]
وما مرَّ إنسانٌ فأخلف مثله ولكن يرجّى الناس أمراً مرقّعا[7]

---

(١) ممضى : مصدر ميمي بمعنى المضيّ .
(٢) الغلواء : حدّة الشباب ونشاطته وميعته .
(٣) مضنّة : يقال للشيء النفيس الذي تضنُّ به النفوس : إنّه علق مضنّة .
(٤) شرخ الشباب : ريعانه وحدّته ونشاطه .
(٥) الفرجة : الفسحة والخلاص .
(٦) القطر : المطر المنهلّ .
(٧) مرقّعا : موصولاً .

تنكّر سيف الدّين لمّا عتبته وعرّض بي تحت الكلام وقرّعا
فقولا له من صادق الودّ : إنّني جعلتك ممّا رابني منك مفزعا[1]
ولو أنّني أكننته في جوانحي لأورق ما بين الضلوع وفرّعا
فلا تغترر بالناس ، ما كلّ من ترى أخوك إذا أوضعت في الأمر أوضعا[2]
فلله إحسانٌ عليّ ونعمةٌ ولله صنعٌ قد كفاني التصنّعا
أراني طرق المكرمات كما رأى عليٌّ ، وأسعى لي علياً كما سعى
فإن يك بطءٌ مرّةً فلطالما تعجّل بي نحو الجميل فأسرعا
وإن يجف في بعض الأمور فإنّني لأشكره النعمى التي كان أودعا
وإن يستجدّ الناس بعدي فلم يزل بذاك البديل المستجدّ ممتّعا

وكتب إليه أبو فراس : مفاداتي إن تعذرت عليك فأذن لي في مكاتبة أهل خراسان ومراسلتهم ليفادوني وينوبوا عنك في أمري ، فأجابه سيف الدولة بكلام حسن ، وقال له : ومن يعرفك بخراسان ؟ فكتب إليه أبو فراس [من المتقارب] :

أسيف الهدى وقريع العربْ إلامَ الجفاء ؟ وفيم الغضبْ ؟
وما بال كتبك قد أصبحتْ تنكبني مع هذي النكب[3]
وأنت الكريم ، وأنت الحليم وأنت العطوف ، وأنت الحدب[4]
وما زلت تسعفني بالجميلِ وتنزلني بالمكان الخصب
وإنّك للجبلُ المشمخرّ لي ، بل لقومك ، بل للعرب
علاً يستفاد ، وعافٍ يفاد ، وعزٌّ يشاد ، ونعمى تربّ[5]
وما غضّ منّيَ هذا الإسار ولكن خلصت خلوص الذّهب

---

(١) رابني : أدخل في نفسي الريبة والشك ، والمفزع : الملجأ .
(٢) أوضعت : أسرعت ، وأفسدت .
(٣) تنكّبني : تصيبني وتساعد عليّ ، والنكب : المصائب .
(٤) الحدِب : العطوف الشفوق .
(٥) العافي : الطالب المعروف ، تربّ : تحمد وتحفظ .

ففيم يقـرّعني بالخمو ... ل مولىً به نلت أعلـى الرتب ؟
وكان عتيداً لديّ الجواب ... ولـكنْ لهيبتـه لم أجب
أتنـكر أنـي شكوت الزمان ... وأنّـي عتبتـك فيمـن عتب
فـألاّ رجعـت فأعتبتـني ... وصيّرت لي ولقومـي الغلب
فـلا تنسبـنّ إلـيَّ الخمول ... عليك أقمـت فلـم أغترب
وأصبحـت منـك فإن كان فضلٌ ... وإن كان نقصٌ فأنـت السّبب
وإنّ خراسـان إنْ أنكرت ... علايَ فقـد عرفتهـا حلب
ومـن أين ينكرنـي الأبعدون ... أمن نقص جدٍّ ؟ أمن نقص أب ؟
ألسـت وإيّاك من أسرةٍ ... وبينـي وبينـك عرق النسب ؟
ودادٌ تناسـب فيه الكرام ... وتـربيةٌ ومحـلٌّ أشـب[1]
ونفسٌ تكبّـرُ إلاّ عليك ... وترغـب إلاّك عمّـن رغب
فـلا تعـدلن فداك ابـن عمّـــك ، لا ، بل غلامك عمّا يجب
وأنصِفْ فتـاك فإنصافه ... من الفضـل والنسـب المكتسب
فكنـت الحبيب ، وكنـت القريب ... ليالـيَ أدعـوك من عن كثب
فلمّـا بعـدت بدت جفوةٌ ... ولاح من الأمـر ما لا أحب
فلـو لم أكن بك ذا خبرةٍ ... لقلـت صديقـك من لم يغب

وكتب إليه أيضاً [من الوافر] :

زمانـي كلّـه غضـبٌ وعتبُ ... وأنـت علـيّ والأيام أَلْبُ[2]
وعيش العين لديك سهـلٌ ... وعيشي وحده بفناك صعـب
فكيْف وأنـت دافـع كلّ خطبٍ ... مع الخطـب الملـمّ علـيَّ خطب

---

(١) أشب : ملتف ومتماسك .
(٢) ألب : أي مجتمعون عليّ .

فلا تحمل على قلبٍ جريحٍ   به لحوادث الأيام ندبُ[1]
أمثلي تقبل الأقوال فيه   ومثلك يستمرّ عليه كذبُ
جناني ما علمت ، ولي لسانٌ   يقدّ الدرع والإنسان ، عضب[2]
وزندي وهو زندك ليس يكبو   وناري وهي نارك ليس تخبو[3]
وفرعي فرعك السّامي المعلّى   وأصلي أصلك الزاكي وحسب
وفضلي تعجز الفضلاء عنه   لأنّك أصله والمجدّ ترب[4]
فدت نفسي الأمير وكان حظّي   وقربي عنده ما دام قربُ
فلمّا حالت الأعداء دوني   وأصبح بيننا بحرٌ ودرب[5]
ظللت تبدّل الأقوال بعدي   ويبلغني اغتيابك ما يغبّ[6]
فقل ما شئت فيَّ فلي لسانٌ   مليءٌ بالثّناء عليك رطب
وقابلني بإنصافٍ وظلمٍ   تجدني في الجميع كما تحبُّ

وبلغ أبا فراس أن والدته قصدت حضرة سيف الدولة من منبج تكلمه في المفاداة ، وتتضرع إليه ، فلم يكن عنده ما رجت من حسن الإيجاب ، ووافق ذلك عنفا من الدمستق بأبي فراس ومن معه من الأسرى ، وزيادة في إرهاقهم ، فكتب إلى سيف الدولة [من المنسرح] :

يا حسرةً ما أكاد أحملها   آخرها مزعجٌ وأولها
عليلةٌ بالشآم مفردةٌ   بات بأيدي العدى معلّلها

---

(١) الندب : الجرح وجمعه ندوب .
(٢) يقدّ : يقطع ، والعضب صفة ثانية للّسان وهي بمعنى القاطع .
(٣) كبا الزند : أي أنّه لم يخرج ناراً عند القدح ، وتخبو : تضعف وتنطفىء .
(٤) الترب : يقال فلان تِربُ فلان ، أي يساويه في السنّ .
(٥) حالت : منعت ووقفت في طريقي ، والدرب : الطريق الموصل إلى بلاد الروم .
(٦) يغب : يزور الفينة بعد الفينة .

إذا اطمأنـت ، وأين ؟ أو هدأت عنـت لهـا ذكرةٌ تقلقلها[1]
تسـأل عنّـا الركبـان جاهدةً بأدمـعٍ ما تكـاد تمهلها
يا من رأى لي بحصـن خرشنةٍ أسـدَ شرىً في القيود أرجلها
يا من رأى في الـدروب شامخةً دون لقـاء الحبيب أطولهـا
يا أيهـا الراكبـان هل لكما في حمـل نجـوى يخفُّ محملها
يا أمّتـا هـذه منازلنا نتـركهـا تـارة وننزلهـا

ومنها :

يا سيّداً ما تعـدُّ مكرمةً إلاّ وفـي راحتيك أكملها
ليسـت تنـال القيود من قدمي وفـي اتباعـي رضـاك أحملها
لا تتيمَّـمْ والمـاء تدركه غيرك يرضـى الصغـرى ويقبلها[2]
أنـت سمـاءٌ ونحـن أنجمها أنـت بلادٌ ونحـن أجبلهـا
أنـت سحـابٌ ونحـن وابله أنـت يمينٌ ونحـن أشملها
بـأيٍّ عذرٍ رددت والهةً عليك دون الـورى معوِّلها[3]
جاءتـك تمتـاح ردَّ واحدها ينتظـر النـاس كيف تقفلها[4]
تلك العقـود التـي عقـدت لنا كيف وقـد أحكمـت تحلّلها
أرحامنـا منـك ، لمْ تقطّعها ؟ ولـم تزلْ دائبـاً توصّلها
سمحـت منّـي بمهجـةٍ كرمتْ أنـت ، علـى يأسهـا ، مؤمّلها
إن كنـت لم تبـذل الفـداء لها فلـم أزل في هواك أبذلها
تلك المـودات كيف تهملها تلك المـواعيد كيف تغفلها

---

(١) عنّت : خطرت في بالها ، والذكرة : الفكرة ، وتقلقِلها : تقضُّهـا وتقلِقُها .
(٢) التيمُّم : هو استعمال التراب للوضوء في حال الجنابة وعدم توفّر الماء .
(٣) الوالهة : العاشقة الحزينة المفجوعة ، ومعوِّلها : أي الذي يعولها .
(٤) تمتاح : أصل الامتياح ، استخراج الماء من البئر والمراد هنا : تسأل ، وتقفلها : ترجعها وتعيدها .

أين المعالي التي عرفت بها تقولها دائباً وتفعلها ؟
يا واسع الدار كيف توسعها ونحن في صخرةٍ نزلزلها
يا ناعم الثوب كيف تبدله ثيابنا الصوف ما نبدِّلها !
يا راكب الخيل لو بصرت بنا نحمل أقيادنا وننقلها
رأيت في الضر أوجهاً كرمت فارق فيك الجمال أجملها
قد أثّر الدهر في محاسنها تعرفها تارةً وتجهلها
لا يفتح الناس باب مكرمةٍ صاحبها المستغاث يقفلها
أينبري دونك الكرام لها وأنت قمقامها وأجملها[1]
وأنت إن عزَّ حادثٌ جللٌ قُلَّبُها المرتجى وحُوَّلُها[2]
منك تردّى بالفضل أفضلها منك أفاد النوال أنولها[3]
فإن سألنا سواك عارفةً فبعد قطع الرجاء نسألها[4]
لم يبق في الناس أمّةٌ عرفتْ إلاّ وفضل الأمير يشملها
نحن أحقُّ الورى برأفته فأين عنّا وكيف معدلها
يا منفق المال لا يريد به إلاّ المعالي التي يؤثّلها[5]
أصبحت تشري مكارماً فضلاً فداؤنا ما علمت أفضلها
لا يقبل الله قبل فرضك ذا نافلةً عنده تنفّلها[6]

وكتب إلى أبي المعالي وأبي المكارم ابني سيف الدولة [من الكامل] :

يا سيديّ أراكما لا تذكران أخاكما

---

(١) القمقام : السيّد الكثير العطاء .

(٢) قلّبها : يقال فلان قُلّب حوّل : إذا كان بصيراً بمسالك الأمور ، خبيراً بحلّ مشكلها ، قادراً على التحيُّل لها .

(٣) تردّى : أي لبس الرداء ، واستعاره هنا للاستمساك بالفضل ، وأنولها : أشدّها نوالاً .

(٤) العارفة : النوال والعطاء .

(٥) يؤثّلها : يقال مجدٌ أثيل : أي أصيل وعظيم .

(٦) النافلة : ما زاد عن الواجب ، وتنفلها : أراد تتنفلها ، فحذف إحدى التاءين .

أوجـدتمـا بـدلاً بـه يبنـي سمـاءَ علاكمـا
أوجـدتمـا بدلاً بـه يفـري نحـور عداكما[1]
مـن ذا يعـاب بمـا لقيـــت من الـورى إلاّكما
لا تقعـدا بي بعدها وسـلا الأميـر أباكما
وخـذا فدايَ جعلـت من ريب المنـون فداكما !

وقال لما طال أسره يسب الشامتين ويتشوق محله بمنبج [من الكامل] :

قف فـي رسـوم المستجا ب ونـاد أكنـاف المصلّى
تلـك المنـازل والمـلا عـب لا أراهـا الله محلا[2]
أوطنتهـا زمـن الصبـا وجعلـت منبـج لي محلاّ
حيث التفـت رأيت مـا ءً سائحـاً وسـكنـت ظلاّ
والمـاء يفصـل بين زهـــر الـروض في الشـطين فصلا
كبسـاط وشـيٍ جـرّدت أيدي القيون عليه نصلا[3]
مـن كان سرٌّ بمـا عرا ني فليمـت ضرّاً وهزلا[4]
مـا غضّ مني حادثٌ والقـرم قـرمٌ حيث حلاّ[5]
أنّـى حللـت فإنّمـا يدعـونني السيف المحلى
ولئـن خلصـت فإنّنـي شرق العـدا طفـلاً وكهلا[6]
مـا كنـت إلاّ السيف زا د على صروف الدهـر صقلا[7]

(١) يفري : يقطع .
(٢) المحل : الجدب ، وهنا دعاء للمنازل بأن تبقى مخصبة ناعمة .
(٣) القيون : جمع قين ، وهو الحداد ، الذي يصنع السيوف .
(٤) عراني : أصابني .
(٥) غضّ : نقص وقلّل من منزلتي ، والقرم : السيّد .
(٦) شرق العدا : غصتهم .
(٧) الصقل : المضاء ، وصقل السيف : جلاه .

ولئن قتلت فإنّما موت الكرام الصيد قتلى[1]
يغترّ بالدنيا الجهو ل وليس بالدنيا مملّى[2]

وقال من قصيدة [من الطويل] :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ
بلى أنا مشتاق وعندي لوعةٌ ولكنّ مثلي لا يذاع له سرُّ
إذا الليل أضوى بي بسطت يد الرّجا وأذللت دمعاً من خلائقه الكبر
تكاد تضيء النار بين جوانحي إذا هي أذكتها الصبابة والفكر[3]

ومنها :

وإنّي لجرارٌ لكلِّ كتيبةٍ معوّدةٍ أن لا يخلّ بها النصر
وأصدأ حتى ترتوي البيض والقنا وأسغبُ حتى يشبع الذئب والنسر[4]

ومنها :

أسرت وما صحبي بعزلٍ لدى الوغى ولا فرسي مهر ولا ربّه غمرُ[5]
ولكن إذا حمّ القضاء على امرئٍ فليس له برٌّ يقيه ولا بحرُ
وقال أصيحابي : الفرار أو الرّدى فقلت : هما أمران أحلاهما مرُّ
ولكنّني أمضي لما لا يعيبني وحسبك من أمرين خيرهما الأسر
ولا خير في دفع الرّدى بمذلةٍ كما ردّها يوماً بسوأته [illegible][6]

---

(١) الصيد : بكسر الصاد : وهو الذي يميل رأسه كبراً .
(٢) مملّى : يقال تملّى فلان من عمره : أي أطال الله عمره ومدّ بحياته .
(٣) أذكتها : أذكى النار ، أوقدها وزادها وقوداً .
(٤) أصدأ : أظمأ، وأسغب : أجوع .
(٥) بعزل : بجبناء ، والغمر : القليل التجربة ، الجاهل .
(٦) يقال : إنّ عمرو بن العاص ، كان يقاتل عليّ بن أبي طالب فنال منه أبو الحسنين وصرعه ، وأراد أن يجهز عليه فرفع ثوبه وأظهر سوأته ، وكان الإمام عليّ لا ينظر إلى سوأة أحدٍ قطّ ، فتركه وأشاح بنظره =

وكتب إلى سيف الدولة قصيدة منها [من الكامل] :

ما لي جزعت من الخطوب ، وإنّما أخذ الإلّه لبعض ما أعطاني
إن لم تكن طالت سنيّ فإنّ لي رأي الكهول ونجدة الشبانِ
قمنٌ بما سرّ الأعادي موقفي والدهر برّزّ لي مع الأقران[1]
يا دهر خنت مع الأصادق خلّتي وغدرت بي في جملة الإخوان
لكنّ سيف الدولة المولى الذي لم أنسه وأراه لا ينساني
أيضيعني من لم يزل ليَ حافظاً كرماً ويخفضني الذي أعلاني
إنّي أغار على مكانيَ أن أرى فيه رجالاً لا تسدُّ مكاني

وقال من قصيدة [من الوافر] :

يعزّ على الأحبّة بالشآم حبيبٌ بات ممنوع المنام
وإنّي للصبور على الرزايا ولكنّ الكلام على الكلام[2]
جروح ما يزلن يردن منّي على جرحٍ قريب العهد دام
تأمّلني الدمستق إذ رآني فأبصر صيغة الليث الهمام
أتنكرني كأنّك لست تدري بأنّي ذلك البطل المحامي
فلا هُنّئتها نعمى بأخذي ولا وصلت سعودك بالتمام
أما مِنْ أعجبِ الأشياء علجٌ يعرّفني الحلال من الحرام[3]
وتكنفه بطارقةٌ تيوسٌ تباري بالعثانين الضخامِ[4]

= عنه ، ففرّ عمرو ونجا بهذه الحيلة ، وذكر ذلك إلى معاوية فقال له : لو كنت مكانه لاخترمتك بالرمح . . .

(١) القمن : الجدير والخليق .

(٢) الكلام : الجراح ، يريد أن الجراح بعضها فوق بعض أو إثر بعض .

(٣) العلج : الكافر .

(٤) تكنفه : تحيط به ، والعثانين : اللحى ، أو ما فضل منها بعد العارضين « في الذقن » .

لهم خلق الحمير فلست تلقى فتىً منهم يسير بلا حزام
يريغون العيوب ، وأعجزتهم ، وأيّ العيب يوجد في الحسام[1]
ثناءٌ طيِّبٌ لا خلف فيه وآثارٌ كآثار الغمام
ألاز على التعرُّض للمنايا ولي سمعٌ أصمّ عن الملام
بنو الدنيا إذا ماتوا سواءً ولو عمر المعمّر ألف عام
ألا يا صاحبيَّ تذكّراني إذا ما شمتما البرق الشآمي[2]
إذا ما لاح لي لمعان برقٍ بعثت إلى الأحبّة بالسلام

وكتب إليه ابن الأسمر يوصيه بالصبر ، فأجابه [من الطويل] :

ندبت لحسن الصبر قلب نجيب وناديت بالتسليم خير مجيبِ
ولم يبق منّي غير قلبٍ مشيّعٍ وعودٍ على ناب الزمان صليب[3]
وقد علمت أمي بأنّ منيتي بحدّ حسامٍ أو بحدّ قضيب
كما علمت من قبل أن يغرق ابنها بمهلكه في الماء أم شبيب

كانت أم شبيب رأت في منامها ـ وهي حبلى ـ كأن نار أخرجت من بطنها فاشتعلت الآفاق ثم وقعت في الماء فانطفأت ، فلما كان من أمره ما كان ونعى إليها لم تصدق ، حتى قيل : إنه قد غرق في الماء ، فأقامت المناحة .

تجشمت خوف العار أعظم خطةٍ وأمّلت نصراً كان غير قريب
وللعار خلّى ربّ غسان ملكه وفارق دين الله غير مصيب[4]

---

(١) يريغون العيوب : يطلبونها ، والحسام : هو الذي يحسم مادة الشرّ والخلاف .
(٢) شمتما : شام البرق : نظر إليه ليعرف أين مطره .
(٣) قلب مشيع : أي جريء قوي ، والصليب : أي صلب .
(٤) أراد بربّ غسان : جبلة بن الأيهم ، وكان قد أسلم ثم ذهب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولطم أعرابياً مسلماً لأنّه داس رداءه فأراد عمر أن يقتصّ منه ، إلاّ أن يرضى الأعرابي ، فاستمهله إلى الغد ، ثمّ فرّ في جنح الليل ولحق بالروم متنصرًا . . . ؟

ولم يرتغب في العيش عيسى بن مصعبٍ ولا خفَّ خوفاً بالحزون خبيب[1]

وأحفظ أبو فراس الدمستق في مناظرة جرت بينهما فقال له الدمستق : إنما أنتم كتاب ولا تعرفون الحرب ، فقال له أبو فراس : نحن نطأ أرضك منذ ستين سنة بالسيوف أم بالأقلام ؟ ثم قال [من الطويل] :

أتزعم يا ضخم اللغاديد أنّنا ونحن أسود الحرب،لا نعرف الحربا[2]

فويلك ! من للحرب إن لم نكن لها ؟ ومن ذا الذي يضحي ويمسي لها تربا ؟

ومن ذا يكفّ الجيش من جنباته ومن ذا يقود العين أو يصدم القلبا

وويلك ، من أردى أخاك بمرعشٍ وجلّل ضرباً وجه والدك العضبا[3]

[وويلك من خلى ابن أختك موثقاً وخلاّك باللقان تبتدر الشعبا

أتوعدنا بالحرب حتّى كأننا وإياك لم يعصب بها قلبنا عصبا][4]

لقد جمعتنا الحرب من قبل هذه فكنّا بها أسداً وكنت بها كلبا

وسلْ برد ، سل عنّا أباك وصهره وسل أهل برداليس أعظمهم خطبا[5]

وسل قرقاشا والشمقمق صهره وسل سبطه البطريق أثبتهم قلبا

وسل صيدكم آل الملابين ، إنّنا نهبنا ببيض الهند عرضهم نهبا[6]

وسل أهل بيرامٍ وأهل بلنطسٍ وسل آل شنوان الخناجرة الغلبا

وسل بالبطرصيس العساكر كلّها وسل بالمسيطر ناطس الروم والعربا

---

(١) عجز هذا البيت في ديوانه « ولا خفَّ خوفَ الحرب قلبُ حبيب » والحزون : الأرض الصعبة المسالك ، والخبيب : من الخبب وهو ضربٌ من العدو .

(٢) اللغاديد : جمع لغدود ، وهو لحمة في الحلق ، أو كالزوائد من اللحم في باطن الأذن .

(٣) العضب : السيف القاطع .

(٤) لم يعصب : لم يجمع ويشرك ، والعصابة : الجماعة .

(٥) برد : اسم أبي الدمستق ، وبرداليس : إسم مكان .

(٦) الصيد : جمع أصيد وهو المائل الرأس كبراً ومخيلة والملابين جمع ملبون : وهو من به مثل السكر .

ألــم تكفهــم قتــلا ونهبــاً سيوفنا وأسد الشرى الملأى وإن جمدت رعبا
بأقلامنــا أجحــرت أم بسيوفنا ؟ وأسد الشرى قدنـا إليك أم الكتبا ؟[1]
تفاخرنا بالضّرب والطعن والقنا لقد أوسعتك النفس يا ابن استها كذبا[2]
رعــى الله أوفانــا ـ إذا قال ـ ذمّةً وأنفذنــا طعنــا وأثبتنــا ضربا

وقال من قصيدة [من الطويل] :

خليليَّ ما أعددتمــا لمتيّمٍ أسيرٍ لدى الأعــداء جافــى المراقد
فريدٍ عن الأحبــاب لكن دموعه مثــانٍ علــى الخــدين غير فرائد[3]
جمعـت سيوف الهنـد من كلّ وجهةٍ وأعــددت للأعــداء كلّ مجالـد
إذا كان غير الله للمــرء عدّةً أتتــه الــرزايا من وجــوه الفوائد
فقــد جرّت الحنفــاء حتف حذيفةٍ وكان يراهــا عدّةً للشدائد[4]
[وجــرت منــايا مالك بن نويرة عقيلتــه الحسنــاء أيام خالـد][5]
وأردى ذؤابــاً في بيوتِ عُتيبةٍ بنــوه وأهلــوه بشـدو القصائد[6]

ولما خفف عن أبي فراس ورفه ، ونوظر في أمر الهدنة والأسارى ، وأجيب إلـى ملتمسه بعد أن أكرم وبجل قال [من الطويل] :

ولله عنــدي في الإســار وغيره مواهــب لم يخصص بهـا أحــدٌ قبلي
حللـت عقـوداً أعجــز النــاس حلّها ومــا زلــت لا عقــدي يذم ولا حلّي

---

(١) أجحرت : أي دخل الجحر فراراً .
(٢) الإست : المؤخّرة .
(٣) مثانٍ : جمع مثنى ، وأراد متتالية بعضها إثر بعض .
(٤) الحنفاء : القوس ، والحتف : الهلاك .
(٥) العقيلة : الزوجة : وخالد : هو خالد بن الوليد .
(٦) أردى : قتل ، وذؤاباً : جمع ذئب .

إذا عاينتني الروم قد ذلّ صيدها ... كأنّهم أسرى يديّ بلا كبل[1]
وأوسعُ أيّاماً حللت كرامةً ... كأنّي من أهلي نُقلتُ إلى أهلي
فأبلغ بني عمي وأبلغ بني أبي ... بأنّيَ في نعماء يشكرها مثلي
وما شاء ربي غير نشر محاسني ... وأن يعرفوا ما قد عرفتم من الفضل

* * *

ما أخرج من مزدوجته الطردية

ما العمر ما طالت به الدهور ... العمر ما تمّ به السرورُ
أيام عزّي ونفاذ أمري ... هي التي أحسبها من عمري
[ما أجور الدهر على بنيه ... وأغدر الدهر بمن يُصفيه][2]
لو شئت مما قد قللن جدا ... عددت أيام السرور عدّا
أنعت يوماً مرّ لي بالشام ... ألذّ ما مرّ من الأيام
دعوت بالصّقّار ذات يوم ... عند انتباهي سحراً من نومي[3]
قلت له اختر سبعةً كبارا ... كلٌّ نجيبٌ يردُ الغبارا
يكون للأرنب منها اثنان ... وخمسةٌ تفرد للغزلانِ
واجعل كلاب الصيد نوبتين ... يرسل منها اثنان بعد اثنينِ
ثم تقدّمت إلى الفهّاد ... والبازيارين بالاستعداد[4]
وقلت إنّ خمسةً لتقنع ... والزُّرَّقان الفرخُ والملمّع
وأنت يا طباخ لا تباطا ... عجّل لنا اللّفات والأوساطا
ويا شرابيٌّ البلقسيات ... تكون للراح ميسّراتِ

---

(١) الكبل : القيد .
(٢) يُصفيه : يتخذه خليلاً .
(٣) الصقّار : الذي مهنته رعاية الصقور .
(٤) البازيارين : حملة الباز ، الحيوان الذي يستعمل في الصيد وهو استعمال فارسي .

بـالله لا تستصحبـوا ثقيلا واجتنبـوا الكثـرة والفضـولا
ردّوا فلانَـا وخـذوا فلانا وضمنونـي صيدكـم ضمانـا
فاختـرت لمّـا وقفـوا طويلاً عشـرين أو فويقهـا قليـلا
عصابـةً أكرم بهـا عصابهْ معروفـة بالفضـل والنجابهْ
ثـم قصدنـا صيد عين باصر مظنّـة الصيد لكلّ خابر[1]
جئنـاه والشـمس قبيل المغربِ تختـال في ثوب الأصيل المذهبِ
وأخـذ الـدّراج في الصياح مكتنفـاً من سائـر النواحي[2]
فـي غفلـةٍ عنّـا وفـي ضلال ونحـن قد زرنـاه بالآجالِ
يطـرب للصبـح وليس يدري أنّ المنـايا في طلـوع الفجرِ
نحـن نصلـي والبـزاة تخرج مجـرّداتٍ والخيـول تسرج
وقلـت للفّهـاد : إمض وانفردْ وصـح بنـا إن عنّ ظبـيٌ واجتهد
فلـم يزل غير بعيد عنّا إليه يمضـي ما يفـرّ منّا
وسـرت في صفٍّ من الرجال كأنّمـا نزحف للقتال
فمـا استوينـا كلّنـا حتـى وقف غليّمٌ كان قريبـاً من شرف[3]
ثـم أتانـي عجـلاً قال السبق فقلـت إن كان العيان قد صدق
سـرت إليه فأرانـي جاثمه ظننتهـا يقظـى وكانـت نائمه
[ثـم أخـذت نبلـة كانـت معي ودرت دورين ولـم أوسع]
حتـى تمكنـت فلـم أخـط الطلبْ لكلّ حتفٍ سبـبٌ من السبب

ومنها :

ثم دعوت القوم: هذا بازي فأيكـم ينشـط للبـراز

---

(١) مظنّة الصيد : أي حيث يظن أنّ فيها ما يصطاد والخابر : أي الخبير العارف .
(٢) الدرّاج : طائر كالحجل .
(٣) الشُّرَف : أي المكان العالي للمراقبة .

فقال منهم رشأ: أنا ، أنا ولو درى ما بيدي لأذعنا[1]

ومنها :

جئت ببازٍ حسنٍ وهبرج دون العقاب وفويق الزمَّج [2]
زيْنٍ لرائيه وفوق الزّين ينظر من نارين في غارين
كأنَّ فوق صدره والهادي آثار مشي الذرّ في الرماد
[ذي منسرٍ فخمٍ وعينٍ غائرهْ وأفخذٍ مثل الجبال وافره[3]
ضخمٍ قريب الدّستبان جدّا يلقى الذي يحمل منه كدّا[4]
وراحةٍ تحمل كفّي سبطة زادت على قدر البزاة بسطه[5]
سرّ وقال هات قلت مهلا احلف على الردّ فقال كلاّ
أما يميني فهي عندي غاليهْ وكلمتي مثل يميني وافيه
فقلت خذه هبةً بقبله فصدّ عني وعلته خجله
ثم ندمت غاية الندامة ولمت نفسي أكثر الملامه
على مزاحي والرجال حضّر وهو يزيد خجلاً ويحصر
فلم أزل أمسحه حتى انبسط وهشّ للصّيد قليلاً ونشطْ

ومنها في وصف البازي واستيلائه على الكركي .

حتى إذا جندله كالعندل أيقنت أن العظم غير الفضل[6]
صحت إلى الطباخ ماذا تنتظر انزل عن المهر وهات ما حضر

---

(١) أذعن : أقرّ وهدأ .
(٢) الهبرج : السمين ، والزمج : طائرٌ دون العقاب في صوته يشبه نباح الجرو ، يُصاد به .
(٣) المنسر : الظفر .
(٤) الدستبان : فارسية والدست المكان والبيت .
(٥) البسطة : القوّة .
(٦) العندل : الناقة العظيمة ، وجندله : صرعه .

جـاء بأوسـاطٍ وجُرْدباج | من حجـل الـطير ومـن درّاج
فمـا تنازلنـا عن الخيولِ | يمنعنـا الحـرص من النزولِ
وجـيء بالـكأس وبالشراب | فقلـت : وفرّهـا علـى أصحابي
أشبعنـي اليوم وروّانـي الفرح | فقـد كفانـي بعض وسـطٍ وقدح

ومنها :

ثـم انصرفنـا والبغـال موقرهْ | في ليلـةٍ مثـل الصبـاح مسفره
حتـى أتينـا رحلنـا بليلٍ | وقـد سُبقنـا بجياد الخيل
ثـم نزلنـا فطرحنـا الصّيدا | لمـا عددنـا مائـةً وزيْدا[1]
فلـم نزل نشـوي ونقلـي ونصُبْ | حتـى طلبنـا صاحياً فلـم نُصِبْ
شربـاً كمـا عنّ من الزّقاق | بغير ترتيبٍ وغير ساق
ولـم نزل سبـع ليالٍ عددا | أسعـد من راحَ وأحظـى من غدا

وحكى بديع الزمان أبو الفضل الهمذاني قال : قال الصاحب أبو القاسم يوماً لجلسائه وأنا فيهم ـ وقد جرى ذكر أبي فراس ـ : لا يقدر أحد أن يزور على أبي فراس شعراً ، فقلت : ومن يقدر على ذلك وهو الذي يقول [من الوافر] :

رويدك لا تصـل يدهـا بباعك | ولا تغـز السبـاع إلـى رباعكْ
ولا تعـنِ العـدو علـيّ ، إني | يمينٌ إن قطعـت فمـن ذراعكْ

فقال الصاحب : صدقت ، قلت : أيد الله مولانا قد فعلت . ولعمري إنه فد حسن ، ولكن لم يشق غبار أبي فراس .

وكتب على ظهر الجزء المشتمل على مزدوجته التي أولها [من الرجز] :

مـا العمـر ما طالـت به الدّهور | العمـر مـا تمّ به السّرورُ

---

(١) زيْدا : مصدر زاد يزيد ، وأراد مائةً وزائداً عليها .

هذه الأبيات [من الرجز] :

أروِّح القلب ببعض الهزل تجاهلاً منّي بغير جهلِ
أمزح فيه مزح أهل الفضلِ والمزح أحياناً جلاء العقلِ

* * *

فصل

قد أطلت عنان الاختيار من محاسن شعر أبي فراس ، وما محاسن شيء كله حسن ؟ وذلك لتناسبها وعذوبة مشارعها. ولا سيما الروميات التي رمى بها هدف الإحسان . وأصاب شاكلة الصواب ، ولعمري إنها ـ كما قرأته لبعض البلغاء ـ لو سمعته الوحش أنست ، أو خوطبت به الخرس نطقت ، او استدعي به الطير نزلت .

ولما خرج قمر الفضل من سراره ، وأطلق أسد الحرب ، عن إساره ، لم تطل أيام فرحته ، ولم تسمح النوائب بالتجافي عن مهجته . ودلت قصيدة قرأتها لأبي إسحاق الصابي في مرثيته على أنه قتل في وقعه كانت بينه وبين بعض موالي أسرته، وما أحسن وأصدق قول المتنبي [من البسيط] :

فلا تنلك الليالي ، إنّ أيديَها إذا ضربن كسرن النبع بالغرب[1]
ولا يعنّ عدوّاً أنت قاهره فإنهنّ يصدن الصقر بالخرب[2]

---

(١) النبع : شجر صلب ينبت في رؤوس الجبال والغرب : بيت ضعيف بيت على الانهار يريد يكسرن بالضعيف .

(٢) الخرب : بفتحتين : ذكر الحباري ، والصقر : من الطيور الجارحة ، يعني أنّ الليالي إذا أعانت الضعيف صاد القويّ .

وذكر ابن خالويه أن آخر شعر لأبي فراس قوله عند موته ، رحمه الله تعالى ! [من الكامل] :

أبنيَّتي لا تجزعي ... كلُّ الأنام إلى ذهابْ
نوحي عليَّ بحسرةٍ ... من خلف سترك والحجاب
قولي إذا كلَّمتني ... فعييت عن ردِّ الجواب
زين الشباب أبو فرا ... س لم يمتَّعْ بالشَّباب

اللهم ارحم تلك الروح الشريفة !!

* * *



الباب الرابع
في ملح شعر آل حمدان
وغيرهم من أمراء الشام وقضاتها وكتابها

(أخبرني جماعة من أهل الأدب أن المتنبي لما عوتب في آخر أيامه على تراجع شعره قال : قد تجوزت في قولي ، وأعفيت طبعي ، واغتنمت الراحة منذ فارقت آل حمدان) وفيهم من يقول [من الوافر] :

وقد علمت بما لاقته منّا ... قبائل يعربٍ وبنو نزارِ
لقيناهم بأرماحٍ طوالٍ ... تبشّرهم بأعمارٍ قصار

يعني أبا زهير مهلهل بن نصر بن حمدان ، ومنهم من يقول - يعني أبا العشائر - [من الكامل] :

أأخا الفوارس لو رأيت مواقفي ... والخيل من تحت الفوارس تنحطُ[1]
لقرأت منها ما تخطّ يد الوغى ... والبيض تشكِلُ والأسنة تنقط

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي لبعضهم [من الكامل] :

أغمامُ ما يدريك ما أفعالنا ... والخيل تحت النّقع كالأشباح[2]

---

(١) تنحط : تزفر من الجهد .

(٢) النقع : الغبار الذي تثيره الحرب .

تطفو وترسب في الدّماء كأنّها صور الفوارس في كؤوس الراح

وأنشدت لأبي العشائر [من البسيط] :

سطا علينا ، ومن حاز الجمال سطا ، ظبيٌ من الجنّة الفردوس قد هبطا
له عذران قد خطّا بوجنته فاستوقفا فوق خدّيه وما انبسطا
وظلّ يخطو فكلٌّ قال مِنْ شغفٍ : يا ليته في سواد الناظرين خطا

وقال بعض الرواة : دخلت على أبي العشائر أعوده من علة هجمت عليه فقلت له : ما يجد الأمير ؟ فأشار إلى غلام قائم بين يديه اسمه نسطوس كأن رضوان غفل عنه فأبق[1] من الجنة ، وأنشد [من مخلع البسيط] :

أسقم هذا الغلام جسمي بما بعينيه من سقام
فتور عينيه من دلالٍ أهدى فتوراً إلى عظامي[2]
وامتزجت روحه بروحي تمازج الماء بالمدام

وكان أبو الحسن الماسرجي ينشد في تدريسه مسألة « الحر لا يقتل بالعبد » هذين البيتين ، وهما لبعض آل حمدان [من الطويل] :

خذوا بدمي هذا الغزال ، فإنّه رماني بسهمي مقلتيه على عمدِ
ولا تقتلوه إنّني أنا عبده ولم أر حرّاً قطُّ يقتل بالعبد

وأنشدت لبعضهم ، وهو أحسن ما سمعت في معناه [من الكامل] :

للعبد مسألةٌ لديك جوابها إن كنت تذكره فهذا وقتهُ
ما بال ريقك ليس ملحاً طعمه ويزيدني عطشاً إذا ما ذقتهُ !

---

(١) أبق : هرب .
(٢) الفتور : الضعف والانكسار .

ووجدت بخط أبي بكر الخوارزمي هذه الأبيات منسوبة إلى أبي وائل تغلب ابن داود بن حمدان ، ورويت لغيره [من الكامل] :

لا والـذي جعـل الموا ... لي في الهـوى خدم العبيدِ
وأصـار في أيدي الظبا ... ء قياد أعنـاق الأسودِ
وأقـام ألـوية المنيـ ... ـة بين أفنية الصّدود[1]
مـا الـورد أحسـن منظراً ... من حسـن توريد الخدود

ووجدت بخطه لحمدان الموصلي [من الخفيف] :

يا رسـول الحبيب ويحـك قد ألـ ... ـقى عليك الحبيب حسنـاً وطيبا
وتعلّمـت حسـن ألفاظـه تلـ ... ـك فظرّفـت بادئـاً ومجيبـا
ولقـد كدت أن أضمّـك لولا ... أن يسـيء الظنـون أو يستريبا
خيفـةً أن يكون ذاك كمـا قيـ ... ـل قديمـاً : صار الرسـول حبيبا

ولأبي وائل الحمداني لما أسره المبرقع [من الخفيف] :

يا خليلـيَّ ، أسعدانـي فقـد عيـ ... ـل ، اصطباري على احتمال البليّهْ
غربـةٌ قارظيّـةٌ ، وغرامٌ ... عامـريٌّ ومحنـةٌ علويـة[2]

ولأبي زهير ، وهو مما يتغنى به [من الكامل] :

وزعمـت أنـي ظالـمٌ فهجرتني ... ورميت في قلبـي بسهـمٍ نافذِ
فنعـم ظلمتـك فاغتفـر لي زلّتي ... هذا مقـام المسـتجير العائذ

وأنشدني الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي هذه الأبيات ولم يسم

---

(١) أفنية : جمع فناء ، وهو الساحة والمتسع من المكان .
(٢) قارظيّة : أراد دائمةً أبد الدهر ، وعامري : نسبة إلى بني عامر عشاق العرب منهم ليلى العامريّة وعلويّة : نسبة إلى آل عليّ بن أبي طالب عليهم الرحمة .

قائلاً ، ثم وجدتها في بعض التعليقات منسوبة إلى بعض آل حمدان [من الوافر] :

أَجِلْ عينيك في عيني تجدها مشرَّبةً ندى ورد الخدود[1]
وصافحني تجد عبقاً بكفّي يضوع إليك من ردع النهود[2]
وخذ سمعي إليك فإنّ فيه بقايا من حديثٍ كالعقود

وأنشدني أبو الحسن محمد بن أبي موسى الكرخي ، قال: أنشدني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن بن القاضي أبي القاسم التنوخي ، قال : أنشدني أبو المطاع ذو القرنين بن ناصر الدولة أبي محمد لنفسه ، تغمدهم الله تعالى برحمته وأسكنهم بحبوحة جنته ! [من البسيط] :

إنّي لأحسد « لا » في أسطرِ الصحف إذا رأيت اعتناق اللام للألف
وما أظنُّهما طال اجتماعهما إلاّ لما لقيا من شدّة الشغفِ

قال : وأنشدني أيضاً لنفسه [من البسيط] :

أفدى الذي زرته بالسّيف مشتملاً ولحظ عينيه أمضى من مضاربه
فما خلعت نجادي في العناق له حتّى لبست نجاداً من ذوائبه
فكان أنعمنا عيشاً بصاحبه من كان في الحبِّ أشقانا بصاحبه

قال : وأنشدني أيضاً لنفسه [من البسيط] :

قالت لطيف خيالٍ زارها ومضى : بالله صفه ولا تنقص ولا تزدِ
فقال : خلفته لو مات من ظمأٍ وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت : صدقت الوفا في الحبّ عادته يا برد ذاك الذي قالت على كبدي !

---

(١) أجل : أدِر ، وتطلّع ، وحدّق .
(٢) العبق : الريح الطيب ، ويضوع : يفوح ، والردع ؛ أثر الطيب .

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني لنفسه في جارية كانت معاجرها[1] تبلى بسرعة [من البسيط] :

أرى الثياب من الكتّان يلمحها ضوءٌ من البدر أحياناً فيبليها
وكيف تنكر ان تبلي معاجرها والبدر في كلّ حينٍ طالع فيها[2]

وقد أحسن غاية الإحسان ، والعرب تزعم أن البدر يبلي الثياب الحلوة ، وقوله [من المتقارب] :

أيا من صبرت على فقدهِ وإنْ كان لي مؤلماً موجعا
لقد نال كلّ الذي يشتهي حسودٌ علينا ببينٍ دعا[3]

وأنشدني أيضاً للحسين بن ناصر الدولة [من البسيط] :

لو كنت أملك طرفي ما نظرت به من بعد فرقتكم يوماً إلى أحدِ
ولست أعتدّه من بعدكم نظراً لأنّه نظرٌ من مقلتيْ رمِدِ[4]

* * *

٣ ـ منصور وأحمد ابنا كيغلغ

أديبان شاعران ، من أولاد أمراء الشام ، فمن مشهور ملح منصور قوله [من السريع] :

خنت الذي أهوى من الناس ونمت عن جودي وعن باسي
يومَ أرى الدجن فلا أرتوي من ريق إلفي ومن الكاس[5]

---

(١) المعجر : بزنة المنبر ، ثوب تشدّه المرأة على وسطها .
(٢) تبلى : تخلق وترثّ .
(٣) البين : الفراق ، ودعا : توسّل الله .
(٤) الرمد : وجعٌ يصيب العين .
(٥) الدجن : المطر الكثير ، والإلف : خلّي وحبيبي .

وقوله [من السريع] :

كأنها والقرط في أذنها ... بدر الدجى قرّط بالمشتري
قد كتب الحسن على وجهها ... « يا أعين الناس قفي وانظري »

وقوله من أبيات [من مخلع البسيط] :

يدير في كفّه مداما ... ألذُّ من غفلة الرقيب
كأنّها إذ صفت ورقّتْ ... شكوى محبٍّ إلى حبيب

وقوله [من الكامل] :

عاد الزمان بمن هويت فأعتبا ... يا صاحبيَّ فسقّياني واشربا
كم ليلةٍ سامرت فيها بدرها ... من فوق دجلة قبل أن يتغيَّبا
قام الغلام يديرها في كفّه ... فحسبت بدر التمِّ يحمل كوكبا
والبدر يجنح للغروب كأنّهُ ... قد سلَّ فوق الماء سيفاً مذهبا

وقد أكثروا في وصف القمر على الماء ، وبيت منصور هذا من غرر ذلك ، وأحسن ما سمعت فيه ـ على كثرته ـ قول القاضي التنوخي [من الكامل] :

أَحسِنْ بدجلة والدجى متصوِّبٌ ... والبدر في أفق السماء مغرِّبُ[1]
فكأنّها فيه بساطٌ أزرقٌ ... وكأنّه فيها طرازٌ مذهب

وقول أبي الفتح كشاجم [من مجزوء الرجز] :

ما زلت أسقاها على ... وجه غزالٍ مونِقِ[2]
بقمرٍ منتقبٍ ... بخاتمٍ منتطق
والبدر فوق دجلةٍ ... والصبح لمّا يشرق

---

(١) الدّجى : الظلام : متصوّب : منحدر ، ونازل .
(٢) المونق : البديع الفاتن .

كحليةٍ من ذهبٍ على رداءٍ أزرق

ومن ملح منصور قوله [من المتقارب] :

كتبت إليك بماء الجفون وقلبي بماء الهوى مشربُ
فكفّي تخطّ وقلبي يمل وعيني تمحو الذي تكتبُ

وقوله [من مخلع البسيط] :

ألبسني ذلّة العبيد مَنْ قلبُهُ صيغ من حديد[1]
ونمَّ طرفي بما ألاقي من كمدٍ دائم المزيد[2]
وكيف يخفي الهوى عميدٌ ودمّه صاحب البريد

وقوله [من البسيط] :

قالوا : عليك سبيل الصبر ، قلت لهمْ : هيهاتَ ! إن سبيل الصبّر قد ضاقا
ما يرجع الطرف عنه حين يبصره حتى يعود إليه القلب مشتاقا

* * *

ولأحمد [من الرمل] :

لا يكن للكأس في كفّـ ـك يوم الغيث لبثُ[3]
أو ما تعلم أن الـ ـغيث ساقٍ مستحثُّ

وله [من الهزج] :

ولولا أن برذون الـ ـهوى يعتلف الرطبه

---

(١) صيغ : سبك وصنع .
(٢) نمَّ : أظهر ودلّ ، والكمد : الحزن والغمّ .
(٣) اللّبْث : مقامٌ .

ركبناه إلى الصيد وأرسلنا له كلْبه
فصدنا ثعلب الهجرا ن تلك الخبّة الضبّه[1]
وصيّرنا لزيت الوصـ ـل من جلد استها ربّه[2]

وله ، ويروي لديك الجن [من مخلع البسيط] :

قلت له والجفون قرحى قد أقرح الدمع ما يليها
ما ليَ في لوعتي شبيهٌ قال : وأبصرت لي شبيها ؟!

وله [من الهزج] :

بدت من خلل الحجب كمثل اللؤلؤ الرطبِ
فأدمى خدّها لحظي وأدمى لحظها قلبي

وله [من الرجز] :

واعطشي إلى فمٍ يمجُّ خمراً من برد
إنْ قسّم الناس فحسـ ـبي بك من كلٍّ أحد

* * *

٤ ـ أبو محمد جعفر وأبو أحمد عبد الله ابنا ورقاء الشيباني

من رؤساء عرب الشام وقوادها ، والمختصين بسيف الدولة . وما منهما إلا أديب شاعر جواد ممدح ، وبينهما وبين أبي فراس مجاوبات ، وإليهما أرسل أبو فراس يقول من قصيدة [من الوافر] :

أتاني عن بني ورقاء قولٌ ألـذُّ جنىً من الماء القراح

---

(١) ثعلب الهجران : تقلّبه وتحوله ، والخبّة : خرقة طويلة تعصب بها اليد ، والضبّة : جلد الضب المدبوغ ، أو أنثى الضبّ .
(٢) الإست : المؤخّرة .

وأطيب من نسيم الـروض حفّتْ   به اللّـذات من روحٍ وراح
ولـو أنّـي اقترحـت علـى زماني   لكنتـم ، يا بنـي ورقـا ، اقتراحي

ولأبي أحمد في جوابها من قصيدة أولها [من الوافر] :

أصـاح قلبـه أم غير صاحٍ   وقـد عنّـت له عفـر البطاح[1]
ظبـاء الـوحش تحـكي ماثلاتٍ   ظبـاء الإنس بالصّـور الملاح

ومنها :

يدرن مراض أجفـانٍ صحاحٍ   فيا عجبـي من المرضـى الصحاحِ
ومـا زالـت عيون العين فينا   تؤثّـر فوق تأثير السّلاح

ومنها :

أمطلعـة الهـلال علـى قضيبٍ   ومسدلـة الظـلام علـى الصّباح !
عدتنـي عن زيارتـك العوادي   ودهـرٌ للأكارم ذو اطراح[2] !

ومنها :

أمـدره تغلـب لسنـاً وعلما   ومصقـع نطقهـا عنـد التلاحي[3]
لقـد أوتيت علمـاً واضطلاعا   بآدابٍ وألفـاظٍ فصـاح
لمقـولِكَ المضـاء إذا انتضـاه الـ   ـقصيد علـى المهنّـدة الصّفاح

وله من قصيدة [من الطويل] :

ألا ليت شعـري ، والحـوادث جمّةٌ   وما كنت في دهري إلى النـاس شاكيا

---

(١) عنّت : أذعنت ، وعفر البطاح : شجعانها ودهاتها .
(٢) عدتني : منعتني ، والعوادي : الأحداث المانعة .
(٣) المدره : العالم الجليل . والمصقع : البليغ الفصيح ، والتلاحي : اللوم .

أمخترمـي ريب المنـون بحسرةٍ تبلّـغ نفسـي من شجاهـا التراقيا ؟[1]
إلـى الله أشـكو أنّ في الصـدر حاجةً تمـرُّ بهـا الأيام وهـي كمـا هيا

ومنها في ذكر بني كعب وإيحاشهم سيف الدولة حتى أضربهم :

وإنّهـمُ لمّـا استهاجـوا صياله وما كان عن مستوجب البطش وانيا[2]
كمـن شبَّ ناراً في شعـار ثيابه وهيّج ليثـاً للفريسـة ضاريا[3]

وله من قصيدة أجاب بها عن قصيدة أبي فراس التي أولها [من الطويل] :

* لعل خيال العامرية زائر *

عمـرن بعمّـارٍ من الإنس برهةً فهـا هنّ صفـرٌ ليس فيهـنّ صافرُ
أخلّـت بمغناهـا دمـىً وخرائدٌ وحلّـت بأقصاهـا مهـاً وجآذر[4]
أهـنّ عيونٌ باللحـاظ دوائرٌ علـى عاشقيهـا أم سيوفٌ بواتر ؟[5]
ضعـائف يقهـرن الأشـدّاء قدرةً عليهـم وسلطـان الصّبابـة قاهرُ

ومنها :

ألا يا ابـن عمّ يستـزيد ابـن عمّه رويدك إنّـي لانبساطـك شاكرُ
تصفّحـت ما أنفذتـه فوجدته كما استودعـتْ نظـم العقـود الجواهر
وذكّرنـي روضـاً بكتـه سماؤه فضاحـكه مستأسـدٌ وهـو زاهر
عرائس تجلوهـا عليك خدورها ولكنّمـا تلك الخـدور دفاتـر

---

(١) امخترمي : اخترم الشيء : ثقبه من ناحيةٍ إلى ناحية . والتراقي : جمع ترقوة ، وهي العظمة بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .
(٢) الصيال : أي صولته في الحرب ، والواني : المتأخّر والتعِب ، والضعيف .
(٣) شبّ ناراً : أسعرها وأصلاها .
(٤) الدمى والخرائد : الفتيات الأبكار النواهد .
(٥) البواتر : القاطعة .

فعدلاً ، فإنّ العدل في الحكم سيرةٌ بها سار في الناس الملوكُ الأساور[1]

ولما قال أبو فراس [من الكامل] :

إنا إذا اشتدّ الزما ن وناب خطبٌ وادلهمْ

من أبيات قد مرت أجابه أبو محمد جعفر بن محمد بن ورقاء بقوله من أبيات [من الكامل] :

أنتم كما قد قلت بل أعلى وأشرف يا ابن عمْ
ولكم سوابق كلِّ فخـ ـرٍ واللواحق من أمم[2]
أحسنت والله العظيـ ـم نظام بيتك حين تمّ
فيما ذكرت من السيو ف وما ذكرت من النعم
حتى كأنّ بنظمه للحسن دراً منتظم

وكتب أبو محمد عند حصوله ببغداد بعد وفاة سيف الدولة إلى أبي إسحاق الصابي ، وكانت بينهما مودة وتزاور فانقطع عنه أبو إسحاق لبعض العوائق [من الكامل] :

يا ذا الذي جعل القطيعة دأبه إنّ القطيعة موضعٌ للريْبِ
إن كان ودّك في الطويّة كامناً فاطلب صديقاً عالماً بالغيبِ[3] !

فأجابه أبو إسحاق بهذه الأبيات [من الكامل] :

قد يهجر الخلّ السليم الغيب للشغل وهو مبرأٌ من ريب
ويواصل الرجل المنافق مبدياً لك ظاهراً مستبطناً للعيب

---

(١) الأساور : الشجعان الأسود .

(٢) أمم : قرب .

(٣) الطويّة : يقصد الصدر والضمير والنيّة .

لا تفرحــنّ من الصــديق بشاهدٍ حتــى يكون موافقــاً للغيب

وتأمّــلِ المســودَّ من شعــر الفتى أهو الشبيبة أم خضاب الشيب ؟[1]

وإذا ظفــرت بذي ودادٍ خالص فاغفــر له ما دون غشّ الجيب

وكتب إليه أبو إسحاق قصيدة طويلة فأجابه بقصيدة منها [من الطويل] :

ومشمولــةٍ صرفٍ صرفــت بشربها وجــوه لحاتــي قاطبــاتُ الحواجبِ

إذا جال فيهــا المــزج خلــت حبابها عيون الأفاعــي أو قرون الجنادب

وعاذلــةٍ في بذل ما ملــكت يدي رددت لهــا المسعــى بصفقــة خائب

فإنّ زئير الأســد من كلّ جانبٍ ليشغــل سمعــي عن صياح الثعالب

أفي الحــقّ أن قايســت غير محقّقٍ فظاظــة جنــديّ إلــى ظرف كاتب[2]

ولا سيّمــا أنــت الــذي نشــرت له محاســن كالأعــلام فوق المراقب[3]

ومــا زلـت بين النــاس صدر محافلٍ وعين مقامــاتٍ وقلــب مواكِبِ

وكتب إليه أبو أحمد قصيدة منها [من الخفيف] :

يا هلالاً يدعــى أبــوه هلالا جلّ باريك في الــورى وتعالى

أنــت بدرٌ حسنــاً، وشــمسٌ علوّاً ، وحســامٌ عزمــاً ، وبحــرٌ نوالا

* * *

٥ ـ أبو حصين علي بن عبد الملك الرقي القاضي بحلب

هو الذي يقول فيه السري الموصلي من قصيدة [من الوافر] :

لقــد أضحــت خلال أبــي حصينٍ حُصونــاً في الملمّــاتِ الصعابِ

---

(١) الخضاب : الصباغ .

(٢) قايست : وازنت وساويت .

(٣) نشرت له : دفعت واشتهرت ، والمراقب : الأماكن العالية حيث تكون المراقبة .

كساني ظلّ وابله ، وآوى غرائب منطقي بعد اغتراب
وكنت كروضةٍ سقيت سحاباً فأثنت بالنسيم على السّحاب

وكتب إليه أبو فراس ـ وقد عزم على المسير إلى الرقة ـ قصيدة افتتاحها [من البسيط] :

يا طولَ شوقيَ إنْ كان الرحيل غدا لا فرَّق الله فيما بيننا أبدا

فأجابه القاضي بقصيدة أولها [من البسيط] :

الحمد لله حمداً دائماً أبداً أعطانيَ الدَّهر ما لم يعطه أحدا

ومنها :

إن كان ما قيل من سير الركاب غداً حقّاً فإنّي أرى وشك الحمام غدا[1]

ومنها في ذكر سيف الدولة :

لولا الأمير وأنّ الفضل مبدؤه منه لقلت بأنّ الفضل منك بدا
دام البقاء له ما شاء مقتدراً تمضي أوامره ، إن حلّ أو عقدا
يذلّ أعداءه عزّاً ، ويرفع منْ والاه فضلاً ، ويبقى للعلا أبدا

وكتب أبو حصين إلى أبي فراس من قصيدة جواباً [من البسيط] :

من واثبَ الدهر كان الدهر قاهرهُ ومن شكا ظلمه قلّت نواصِرُهُ[2]
إن كان سار فإنّ الروح تذكره ، والعين تبصره ، والقلب حاضره
يا من أخالصه ودّي ، وأمحضه نصحي ، وتأتيه من وصفي جواهره[3]
أتى كتابك والأنفاسُ خافتةٌ والجسم مستسلمٌ ، والسُّقم قاهره

---

(١) وشك الحمام : قرب الموت .
(٢) واثب الدّهر : قارعه وسابقه .
(٣) أمحضه : أصفيه .

والطرف منكسرٌ، والشوق طارقه ، والوجد باطنه ، والصبر ظاهره
فانتاشني وأعاد الروح في بدني وشدّ صدعاً وكسراً أنت جابره[1]
ما زلت في نزهةٍ منه وفي زهرٍ وأحسن الروض ما دامت زواهره
حسبي بسيِّدنا فخراً أصول به هو الفخور وما خلقٌ يفاخرُهُ
من ذا يطاوله ؟ أم من يماجده ؟ أم من يساجله ؟ أم من يكاسره ؟[2]
أم من يفاقهه ؟ أم من يشاعره ؟ أم من يجادله ؟ أم من يناظره ؟
أم من يقاربه في كلّ مكرمةٍ ؟ أم من يناضله ؟ أم من يساوره ؟[3]
أم من يبارزه ؟ أم من يواقفه في كلّ معتركٍ ؟ أم من يصابره ؟
الحرب نزهته ، والبأس همتُّهُ والسيف عزمته ، والله ناصره
والجود لذّته ، والشكر بغيته والعفو والعرف والتقوى ذخائره

ومنها :

هذا جواب عليلٍ لا حراك به قد خانه فهمه ، بل مات خاطره
يشكو إليك بعاداً عنك أتلفه وطول شوقٍ ونيراناً تخامره[4]
إن كان قصّر فيما قال مجتهداً فأنت بالعدل والإحسان عاذره

وقال أيضاً فيه [من الكامل] :

آليت إنّي ما بقيت رهين شكرِ الحارث[5]
فإذا المنيَّة شارفتْ ورَّثت ذلك وارثي[6]

---

(١) انتاشني : نال منّي ، أو أعاد إليّ الروح ، والصدع : الكسر ، وجبر العظم : أصلحه وقوّاه .
(٢) يطاوله : أي يقاربه رفعةً وعلاءً ، المساجلة : المباراة والمفاخرة في المماجد والمآثر .
(٣) يساوره : يواثبه ، والمراد المحاربة .
(٤) تخامره : تداخله وتخالطه .
(٥) أليت : حلفت وأقسمت .
(٦) المنيّة : الموت ، وشارفت : دنت وقربت .

رقّـي له من بعـد سيّـ ـدنـا وليـس لثالـث
قسمـاً علـى صدق الضمير ولسـت فيـه بحانـث[1]

* * *

٦ ـ أبو الفرج سلامة بن بحر أحد قضاة سيف الدولة

يقول شعراً يكاد يمتزج بأجزاء الهواء رقة وخفة ، ويجري مع الماء لطافة وسلاسة ، كقوله [من السريع] :

مـن سرّه العيد فمـا سرّني بل زاد همّـي وأشجاني[2]
لأنّـه ذكّرنـي ما مضى من عهـد أحبابـي وإخواني

ونظيرهما لغيره [من الكامل] :

مـن سرّه العيد الجديـ ـد فمـا لقيت به سرورا
كان السـرور يتـمُّ لي لو كان أحبابـي حضورا

ولأبي الفرج ، ويروى للقاضي أبي النعمان البصري [من المنسرح] :

نوح حمـام بيثـربٍ غرد هيّج شوقـي وزاد في كمدي
واكبـدي من عذابـكم ! وكذا من ذاق ما ذقـت صاح واكبدي !
فارقـت إلفـي فصـار في بلدٍ بالرغـم منّـي ، وصـرت في بلد

وأنشدني أبو علي محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني القاضي أبو الفرج ببيروت لنفسه [من الكامل] :

مـولاي ما لي منـك بختُ قد ذبـت من كمـدٍ ومتُّ[3]

---

(١) الحانث : الذي لا يفي بقسمه .
(٢) أشجاني : أحزنني .
(٣) البخت : الحظ ، والكمد : الحزن والغمّ .

تصفو بك الدنيا ولا يصفو لعبدك منك وقتُ
مولاي ما ذنبي إليك ؟ فلو عرفت الذنب تبت
لا أنني أنسيتكم أو أنني للعهد خنت
إن كان ذاك فلا بقيت ، وإن بقيت فلا سلمت

* * *

٧ ـ أبو محمد عبد الله بن عمرو بن محمد الفياض

كاتب سيف الدولة ونديمه ، معروف ببعد المدى في مضمار الأدب وحلبة الكتابة ، أخذ بطرفي النظم والنثر ، وكان سيف الدولة لا يؤثر عليه في السفارة إلى الحضرة أحداً لحسن عبارته وقوة بيانه ، ونفاذه في استغراق الأغراض ، وتحصيل المراد ، وقد ذكره أبو إسحاق الصابي في الكتاب « التاجي » ومدحه السري بقصائد منها قوله من قصيدة [من الوافر] :

محت رسم الكرى عن مقلتيه رواسمُ لا تملُّ من الرسيمِ[١]
تروم وقد فرعن بنا فروعاً من الفيَّاضِ طيِّبة الأرومِ[٢]
إذا طافت بعبد الله لاقت سمات المجد في الوجه الوسيمِ
لك القلم الذي يضحي ويمسي به الإقليم محمّي الحريم[٣]
هو الصلُّ الذي لو عضَّ صلاًّ لأسلمه إلى ليل السليم
أخو حِكَمٍ إذا بدأت وعادت حكمن بعجز لقمان الحكيم
ملكت خطامها فعلوت قساً برونقها وقيس بن الخطيم[٤]

---

(١) الرواسم : الإبل ، والرسيم : ضرب من السير .
(٢) الأروم : الأصول والمحتد .
(٣) الصلّ : الأفعى ، والسليم : اللديغ أطلق عليه ذلك تمنّياً له السلامة .
(٤) الخطام : العنان والزمام ، وقساً : هو قسّ بن ساعدة الأيادي .

نجـومٌ لا تعـوز فمـن درارٍ   يسـار بضوئهـن ومـن رجوم[1]
كحلـي الخـود مؤتلفُ النّواحي   ووشـي الـرّوض مختلف الرقوم[2]

وكان يعجن مداده بالمسك ، ولا تلاق دواته إلا بماء الورد، تفادياً من قول القائل [من الوافر] :

دعـيٌّ في الكتابـة لا رويٌّ   له فيهـا يُعِـدُّ ولا بديهُ
كأنَّ دواتـه من ريق فيه   تُلاقُ فريحهـا أبـداً كريه[3]

وإيثاراً لما قال الآخر [من الرجز] :

فـي كفّـه مثـل سنـان الصعدهْ   أرقش بزّ الأفعـوان جلده[4]
كأنّمـا النقش إذا استمدّهْ   غاليةٌ مدوفـةٌ بنـدّه[5]

ومن ملح شعره قوله ، ولم أسمع في معناه أحسن منه [من البسيط] :

قمْ فاسقني بين خفـق النـاي والعودِ   ولا تبـعْ طيْب موجـودٍ بمفقود
كأسـاً إذا أبصـرت في القـوم محتشماً   قال السـرور له قم غير مطرود
نحـن الشهـود وخفق العـود خاطبنا   نزوِّج ابـن سحـابٍ بنـت عنقود[6]

وأنشدني أبو علي محمد عمر الزاهر ، قال : أنشدني ابن الفياض لنفسه بحلب في

---

(١) رجوم : شهب تتطاير .
(٢) الخود : المرأة الناعمة ، والرقم : جمع رقم ، أراد به سطور الأزهار .
(٣) تلاق : تملأ .
(٤) الصعدة : القناة المستوية ، وأراد قلمه والأرقش : من الحيات : المنقط ، والأفعوان : ذكر الحيّات وبزّ : غلب وقهر ، يريد أنه اعتصب جلدا لأفعوان ولبسه ، والمقصد تشبيه قلمه بالأفعى .
(٥) الغالية : ضربٌ من الطيب ، وكذا الندّ ، ومدوفة : مخلوطة وممزوجة .
(٦) أي نخلط الماء بالخمر .

غلام له أثير لديه استوحش منه لميله إلى غلام آخر يقال له إقبال [من الكامل] :

أنــكرت إقبالــي علــى إقبالِ وخشيت أن تتســاويا في الحال
هيهــات ! لا تجــزع فكلٌّ طريفةٍ ربــحٌ يهــون وأنــت رأس المال

قال : وأنشدني لنفسه في ذلك الغلام [من الكامل] :

الآن تهجرنــي وأنــت المذنبُ وظننــت أنَّــك عاتــبٌ لا تعتبُ
وأمنــت من قلبــي التقلّــب واثقاً بوفائــه لك ، والقلــوب تقلّبُ[1]

وقال [من الوافر] :

ومــا بقيت من اللّــذات إلاّ محادثــة الــكرام علــى الشرابِ
ولثمــك وجنتــي قمــرٍ منيرٍ يجــول بخــدّه ماء الشباب

٨ ـ أبو القاسم الشيظمي

قال يصف نمرقة[2] رآها بجنب سيف الدولة [من مجزوء الرجز] :

نمــرقــةٌ منهــا استعا ر الــرّوض أصنــاف المُلَحَ
فيهــا لمــن يبصــر من ريش الطــواويــس ملح
كأنّمــا دارت علــى سمــائهــا قــوس قــزح

* * *

٩ ـ أبو ذر أستاذ سيف الدولة

قال [من الكامل] :

نفســي الفــداء لمــن عصيت عواذلي في حبّــه لم أخش من رقبائه

(١) التقلّب : التحوّل والتغيّر .
(٢) النمرقة : الصغيرة من الوسائد .

الشـمس تطلـع في أسـرَّة وجهه والبـدر يطلـع من خلال قبائه[1]

وله أيضاً [من مخلع البسيط] :

مـروَّعٌ منـك كلَّ يوم محتمـلٌ فيك كلَّ لومِ
إن كنـت أنـكرت ملك رقي غصبـاً صراحـاً بغير سوم[2]
فقـلْ لجنبـيَّ : أين قلبي ؟ وقـل لعينـيَّ : أين نومي ؟

* * *

١٠ ـ أبو الفتح البكتمري

يعرف بابن الكاتب الشامي ، له شعر يتغنى بأكثره ملاحة ولطافة ، أنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني ابن الكاتب لنفسه بالشام [من الرجز] :

وروضـةٍ راضيةٌ عن الدِّيمْ وطأتهـا بناظـري دون القدمْ
وصنتها صونيَ بالشكر النِّعمْ

قال : وأنشدني لنفسه [من الكامل] :

قالـوا : بكيت دمـاً؟ فقلـــت : مسحـت من خدي خِلوقا[3]
أبصـرت لـؤلـؤ ثغـرهِ فنشـرت من جفنـي عقيقا
لـولا التمسُّـك بالهـوى لحملـت في دمعـي غريقـا

وأنشدني غيره له [من الكامل] :

قمـرٌ كأنَّ قوامـه من قدِّ غصـنٍ مسترقْ

---

(١) القباء : الثوب الذي يعتمره فوق ثيابه .
(٢) السوم : المبايعة والمفاصلة عند الشراء
(٣) الخلوق : الطيب .

وكأنّما اصطبح الربيع بوجنتيه واغتبق[1]
وكأنّما قلم الزمرّد فوق عارضه مشق[2]

وله من أبيات [من المتقارب] :

سقاني بعينيه كأس الهوى وثنّى وثلّث بالحاجبِ
كأنّ العذار على خدّه فذالك من مشقة الكاتبِ

ووجدت على ظهر دفتر عراقي الخط هذين البيتين منسوبين إليه [من الكامل] :

ردّوا الهدوّ كما عهدت إلى الحشا والمقلتين إلى الكرى ثم اهجروا
من بعد ملكي رمتمُ أنْ تغدروا ما بعد فرقة بيِّعين تخيّرٌ[3]

وله زعم في الميضأة [من السريع] :

أحقّ بيتٍ من بيوت الورى بصونه قدماً وإيثاره
بيتٌ إذا [ما] زاره زائرٌ فقد قضى أعظم أوطاره[4]
يدخله المولى بخزٍّ كما يدخله العبد بأطماره[5]
وهو إذا ما كان مستنظفاً مروءة الإنسان في داره

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني بعضهم لنفسه في أبي الفتح ابن الكاتب ، ولم ينصف فضله [من السريع] :

إن أبا الفتح فتىً كاتبٌ والشعر من آلته فضلُ

---

(١) اصطبح واغتبق : أي شرب الخمرة صباحاً ومساءاً .

(٢) العارض : صفحة الخدّ ، ومشق : مدّ وأطال حرومه .

(٣) أخذ معناه من الحديث « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » .

(٤) أوطاره : حاجاته وغاياته .

(٥) الخزّ : ضربٌ فاخر من الحرير ، والأطمار : الثياب البالية .

أنشدنا شعراً فقلنا له : ذا غزلٌ ويحك أم غَزْلُ ؟
وملت عنه نحو أصحابنا أسألهم : هل عندكم نعل !؟

* * *

١١ ـ أبو الفرج العجلي الكاتب

أنشدني أبو بكر الخوارزمي له أبياتاً تعجب من سلاستها وسهولة مأخذها وعذوبة ألفاظها ، وذكر أنه من أفراد مطبوعي تلك البلاد ، فمنها قوله [من المتقارب] :

أقول له يا مُذيقي الهوى ولم أكُ فيما مضى ذقتُهُ
سألتك بالله لا تدنني إلى أجلٍ ما دنا وقته
ملكت فؤادي فعذّبته ولو أنّه في يدي صنته

ومنها قوله [من الكامل] :

أرسلت نظرة وامقٍ لك خائفٍ من عين واشٍ لحظه ما يفترُ[1]
وجعلت أوهم أنّ قلبي مضمرٌ شيئاً سوى نظري ، وأنت المضمر

ومنها قوله [من الخفيف] :

وأريه أنّي سلوت ، وإني لمشوقٌ والله صبٌّ إليهِ
وهواه يدبُّ في كلّ قلبٍ كدبيب السواد في عارضيه[2]

ومنها قوله وأنشدنيه غيره [من الوافر] :

عذارٌ كالطّراز على الطراز وبدرٌ في الحقيقة لا المجازِ

---

(١) الوامق : المحب العاشق ، يفتر : يضعف وينكسر .
(٢) يدبُّ : يتمشّى .

ولــو جاز السجــود له سجدنا ولــكن ليس ذاك بمستجازِ

* * *

١٢ ـ أبو عبد الله الحسين بن خالويه*[١]

أصله من همذان ، ولكن استوطن حلب ، وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم ، وكانت إليه الرحلة من الآفاق ، وآل حمدان يكرمونه ، ويدرسون عليه ، ويقتبسون منه ، وله شعر لم يحضرني منه الآن إلا قوله في وصف بَرْدَ همذان [من الطويل] :

إذا همــذان اعتارهــا القــرُّ وانقضى برغمــك أيلــولٌ وأنــت مقيمُ[٢]

فعينــك عمشــاءٌ وأنفــك سائلٌ ووجهــك مســودّ البياض بهيم

وأنــت أسيرُ البــرد تمشــي بعلّةٍ علــى السّيف تحبــو مرّةً وتقوم

بلادٌ إذا ما الصيف أقبــل جنّةٌ ولكنّهــا عنــد الشتــاء جحيم

ولبعضهم في برد همذان [من الكامل] :

همــذان متلفــة النفــوس ببردها والزمهــرير ، وحرُّهــا مأمونُ

غلــب الشتــاء مصيفهــا وخريفها فكأنّمــا تمــوزهــا كانــون

ولأبي علي كاتب بكر [من السريع] :

يــا بلــدةً أســلمني بردها وبــرد من يسكنهــا للقلقْ

لا يسلــم الشاتــي به من أذىً من لثــقٍ أو دمــقٍ أو زلق[٣]

---

(١) إقرأ ترجمة ابن خالويه في ابن خلكان (١/ ٢٨١ النيل) .

(٢) اعتارها : حلّ بها ، والقرّ : البرد القارص .

(٣) اللثق : الوحل ، والدّمق : الريح التي يرافقها بَرْد ، والزلق : السقوط وزلّة القدم .

ولأبي الربيع البلخي في الشاش[1] [من المجتث] :

الشـــاش في الصيف جَنَّة ومـــن أذى الحـــر جُنَّهْ[2]
لـــكـــنّنـــي تعتـــرينـــي بهـــا لدى البـــرد جِنّـهْ[3]

وفي مثل هذه الصنعة ، وإن كان في غير المعنى ، لغيره [من المجتث] :

يا شادنـــاً متُّ قَبْلَهْ قد صار في الحســـن قُبْلَهْ
امنـــنْ علـيَّ بقبلـةٍ تشـفـي فـؤاداً مـولَّـه[4]

ولابن خالويه ايضاً [من الطويل] :

إذا لم يكن صدر المجـــالس سيّداً فلا خير فيمـــن صدّرتـــه المجالسُ
وكم قائـــلٍ : ما لي رأيتـــك راجلاً ؟ فقلـت له : مَن أجـل أنّـك فارس !

* * *

١٣ ـ أبو الفتح عثمان بن جني النحوي اللغوي*[5]

هو القطب في لسان العرب ، وإليه انتهت الرياسة في الأدب ، وصحب أبا الطيب دهراً طويلاً ، وشرح شعره ، ونبه على معانيه وإعرابه ، وكان الشعر أقل خلاله لعظم قدره ، وارتفاع حاله . فمن ذلك قوله في الغزل [من مجزوء الوافر] :

غـزالٌ غيـر وحشـيٍّ حكـى الوحشـيَّ مقلتَهُ
رآه الـــورد يجنـــي الور د فاستـــكســـاه حُـلَّـتَـهُ

---

(١) الشاش : بلدة ممّا وراء النهر ينسب إليها كثير من العلماء .
(٢) جلة الأولى بفتح الجيم : البستان ، والثانية بضم الجيم : بمعنى الوقاية .
(٣) جنّة : بكسر الجيم : تعني الجنون .
(٤) امنن : تكرّم وتمنّن ، والواله : العاشق المعذب .
(٥) إقرأ ترجمة أبي الفتح في وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ٥٦١ النيل) .

وشمٌ بأنفه الريحا ن فاستهداه زهرته
وذاقت ريقه الصهبا ء فاختلسته نكهته[1]

وله [من الطويل] :

أيا دارهم ما أنت أنت مذ انتووا ولا أنا مذ سار الركاب أنا أنا[2]
وجود المنى أن لا يكاثر بالمنى ونيل الغنى أن لا يكاثر بالغنى
ومن كان في الدنيا أشدّ تصوّراً تجده عن الدنيا أشدُّ تصوّنا

* * *

١٤ ـ الشمشاطي

هو أبو الفتح الحسن بن علي بن محمد ، لم يقع إلى من شعره إلا قوله في البنفسج [من الكامل] :

إشربْ على زهر البنفسـ ـج قبل تأنيب الحسودِ
فكأنّما أوراقه آثار قرصٍ في الخدودِ

وقوله في الجلنار [من الخفيف] :

وبدا الجلّنار مثل خدودٍ قد كساها الحياءُ ثوبَ عقارِ
صبغة الله كالعقيق تراه أحمراً ناصعاً لدى الاخضرارِ

* * *

وممن يليق ذكره بهذا المكان من اعيان الشام ، وليس يحضرني شعر أبو القاسم الآدمي ، وإذا حصلت عليه ألحقته به ، وهذا آخر الباب الرابع .

* * *

(١) اختلسته : أي سرقت منه ، والنكهة : المذاق .
(٢) انتووا : أي ابتعدوا وفارقوا .

الباب الخامس

١٥ ـ في ذكر أبي الطيب المتنبي ، وما له وما عليه*

هو ـ وإن كان كوفي المولد ـ شامي المنشأ ، وبها تخرج ، ومنها خرج .

نادرة الفلك ، وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر ، ثم هو شاعر سيف الدولة المنسوب إليه ، المشهور به ، إذ هو الذي جذب بضبعه[٢] ، ورفع من قدره ، ونفق سعر شعره ، وألقى عليه شعاع سعادته ، حتى سار ذكره مسير الشمس والقمر ، وسافر كلامه في البدو والحضر ، وكادت الليالي تنشده ، والأيام تحفظه ، كما قال وأحسن ما شاء [من الطويل] :

وما الدّهر إلاّ من رواة قصائدي ... إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمِّراً ... وغنّى به من لا يغنّي مغرِّدا[٣]

وكما قال [من المتقارب] :

ولي فيك ما لم يقلْ قائلٌ ... وما لم يسرْ قمرٌ حيث سارا
وعندي لك الشُّردُ السائرا ... ت لا يختصصن من الأرض دارا
إذا سرن من مَقْوِلٍ مرّةً ... وثبن الجبال وخضن البحارا

---

(١) إقرأ ترجمة أبي الطيب في وفيات الأعيان (١/ ٦٢/ النيل) .

(٢) جذب ضبعه : كناية عن أنه رفعه وأعلى قدره .

(٣) مشمّراً : جاداً .

هذا من أحسن ما قيل في وصف الشعر السائر ، وأبلغ منه قول علي بن الجهم حيث قال [من الطويل] :

ولكنّ إحسان الخليفة جعفرٍ دعاني إلى ما قلت فيه من الشِّعر
فسار مسير الشمس في كلّ بلدةٍ وهبَّ هبوب الريح في البرِّ والبحر

فليس اليوم مجالس الدرس ، أعمر بشعر أبي الطيب من مجالس الأنس ولا أقلام كتاب الرسائل ، أجرى به من ألسن الخطباء في المحافل ، ولا لحون المغنين والقوالين ، أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين . وقد ألفت الكتب في تفسيره ، وحل مشكله وعويصه ، وكثرت الدفاتر على ذكر جيده ورديئه ، وتكلم الأفاضل في الوساطة بينه وبين خصومه ، والإفصاح عن أبكار كلامه وعونه[1] . وتفرقوا فرقاً في مدحه والقدح فيه والنضح[2] عنه ، والتعصب له وعليه . وذلك أول دليل دل على وفور فضله ، وتقدم قدمه ، وتفرده عن أهل زمانه ، بملك رقاب القوافي ، ورق المعاني ، فالكامل من عدت سقطاته ، والسعيد من حسبت هفواته « وما زالت الأملاك تهجي وتمدحُ » .

وأنا مورد في هذا الباب ذكر محاسنه ومقابحه ، وما يرتضى وما يستهجن من مذاهبه في الشعر وطرائقه ، وتفصيل الكلام في نقد شعره ، والتنبيه على عيونه وعيوبه ، والإشارة إلى غرره وعرره[3] ، وترتيب المختار من قلائده وبدائعه ، بعد الأخذ بطرف من طرق أخباره ومتصرفات أحواله ، وما تكثر فوائده وتحلو ثمرته ، ويتميز هذا الباب به عن سائر أبواب الكتاب كتميزه عن أصحابها بعلو الشأن في شعر الزمان ، والقبول التام عند أكثر الخاص والعام .

---

(١) العون : بضمّ العين ، جمع عوان وهي النصف من النساء .
(٢) النضح عنه : أراد الدفاع عنه .
(٣) الغرر : البدائع ، والعرر : الساقط من شعره .

ذكر ابتداء أمره

ذكرت الرواة أنه ولد بالكوفة في كندة سنة ثلاث وثلاثمائة ، وأن أباه سافر إلى بلاد الشام، فلم يزل ينقله من باديتها إلى حضرها ، ومن مدرها إلى وبرها ، ويسلمه في المكاتب ، ويردده في القبائل ، ومخايله نواطق الحسنى عنه . وضوامن النجح فيه ، حتى توفي أبوه وقد ترعرع أبو الطيب وشعر وبرع ، وبلغ من كبر نفسه وبعد همته أن دعا إلى بيعته قوماً من رائشي نبله[1] ، على الحداثة من سنه والغضاضة من عوده . وحين كاد يتم له أمر دعوته تأدى خبره إلى والي البلدة ، ورفع إليه ما هم به من الخروج ، فأمر بحبسه وتقييده ، وهو القائل في الحبس قصيدته التي أولها [من المتقارب] :

أيا خدَّد الله ورد الخدودِ وقدٌ قدود الحسان القدودِ

ومنها استعطافه ذلك الأمير والتنصل مما قذف به :

أمالك رقيّ ، ومن شأنه هبات اللجين وعتق العبيدِ
دعوتك عند انقطاع الرجا ء والموت منّي كحبل الوريدِ
دعوتك لما براني البلى وأوهن رجليَ ثقلُ الحديدِ

ومنها :

وقد كان مشيهما في النعال فقد صار مشيهما في القيود[2]
وكنت من الناس في محفلٍ فها أنا في محفلٍ من قرود
تعجّل فيَّ وجوب الحدود وحدِّيَ قبل وجوب السجود ![3]

---

(١) رائشي نبله : كناية عمّن يقوى بهم ساعده تقول راش النبل يريشه : إذا لزق فيه الريش ليقوى .
(٢) المشيهم : من الشيهم ، وهو ما عظم شوكه من ذكور القنافذ .
(٣) الحدود : تنفيذ أوامر الشريعة في المخالفين لها .

أي : إنما تجب الحدود على البالغ ، وأنا صبي لم تجب عليّ الصلاة بعد ، ويجوز أن يكون قد صغّر سنه وأمر نفسه عند الوالي ، لأن من كان صبياً لم يظن به اجتماع الناس إليه للشقاق والخلاف .

ومن شعره في الحبس ما كتب به إلى صديق له قد كان أنفذ إليه مبرّةً [من المنسرح] :

أهـون بطـول الثـواء والتلفِ　　والسجـن والقيد ، يا أبـا دلفِ
غير اختيارٍ قبلـت برّك بي　　والجـوع يرضـي الأسـود بالجيف

يشبه قول أبي عيينة [من مخلع البسيط] :

مـا أنـت إلا كلحـم ميْتٍ　　دعـا لي إلـى أكلـه اضطرارُ

(رجع) :

كنْ أيّهـا السجـن كيف شئـت فقدْ　　وطّنـت للمـوت نفسَ معترفِ
لو كان سكنـاي فيك منقصةً　　لم يكن الـدرُّ ساكن الصدف

ويحكى أنه تنبأ في صباه ، وفتن شرذمة بقوة أدبه ، وحسن كلامه ، وحـكى أبـو الفتح عثمان بن جني قال : سمعت أبا الطيب يقول : إنما لقبت بالمتنبي لقولي [من الخفيف] :

أنـا ترب النـدى وربُّ القوافي　　وسمـام العـدا وغيظُ الحسودِ
أنـا في أمّـةٍ تداركهـا اللـ　　ـه غريبٌ كصالـحٍ في ثمودِ

وفي هذه القصيدة يقول :

مـا مقامـي بأرض نخلـة إلاّ　　كمقـام المسيح بيـن اليهود

وما زال في برد صباه إلى أن أخلق برد شبابه ، وتضاعفت عقود عمره ، يدور حب الولاية والرياسة في رأسه ، ويظهر ما يضمر من كامن وسواسه ، في الخروج

على السلطان ، والاستظهار بالشجعان ، والاستيلاء على بعض الأطراف ، ويستكثر من التصريح بذلك في مثل قوله [من البسيط] :

لقد تصبّرت حتى لات مصطبرٍ فالآن أقحم حتى لاتِ مقتحم[1]

لأتركنَّ وجوه الخيل ساهمةً والحرب أقوم من ساقٍ على قدم[2]

[والطعن يحرقها والزجر يقلقها حتّى كأنَّ بها ضرباً من اللممِ[3]

قد كلّمتها العوالي فهي كالحةٌ كأنّما الصّاب مذرورٌ على اللجمِ][4]

بكلِّ منصلتٍ ما زال منتظري حتى أدلت له من دولة الخدمِ[5]

شيخٌ يرى الصلوات الخمس نافلةً ويستحلُّ دمَ الحجاج في الحرم

وقوله [من الطويل] :

سأطلب حقّي بالقنا ومشايخٍ كأنّهم من طول ما التثموا مردُ

ثقالٌ إذا لاقوا ، خفافٌ إذا دعوا كثيرٌ إذا شدّوا ، قليلٌ إذا عدّوا

وطعنٍ كأنّ الطّعن لا طعنَ بعده وضربٍ كأنّ النار من حرِّه بردُ

إذا شئت حفت بي على كلّ سابحٍ رجالٌ كأنّ الموت في فمها شهد[6]

وقوله [من الطويل] :

ولا تحسبنّ المجد زقّاً وقينةً فما المجد إلاّ السّيفُ والفتكةُ البكرُ

وتضريب أعناق الملوك وأن ترى لك الهبوات السود والعسكر المجرُ[7]

---

(١) لات : بمعنى النهاية أي تصبر حتى أخر الاصطبار .

(٢) ساهمة : ضامرة ضعيفه .

(٣) اللمم : ضرب من الجنون.

(٤) الصّاب : شجر مرّ ، وعصارته شديدة المرارة مذرور : نابت وطالع.

(٥) أدلت له : غلّبته وأظفرته.

(٦) السابح : الحصان.

(٧) الهبوّ : الغبار يرتفع في الجوّ.

وتـركك في الـدّنيا دويّاً كأنّما تداول سمع المـرء أنملـه العشر[1]

وقوله [من البسيط] :

وإن عمـرْت جعلـت الحـرب والدةً والسمهـريَّ أخـاً ، والمشرفـيَّ أبا
بكلِّ أشعـث يلقـى المـوت مبتسماً حتّـى كأنّ له في قتلـهِ أربا
قحٌّ يكاد صهيل الخيل يقذفه من سرجـه مرحـاً للعـزّ أو طربا[2]
الموت أعذرُ لي ، والصبر أجمل بي ، والبـرُّ أوسـع ، والـدنيا لمـن غلبا

وكان كثيراً ما يتجشم أسفاراً بعيدة أبعـد من آمالـه ، ويمشـي في منـاكب الأرض ، ويطوي المناهل والمراحـل ، ولا زاد إلا من ضرب الحـراب ، على صفحة المحراب[3] . ولا مطية إلا الخف أو النعل ، كما قال [من المنسرح] :

لا ناقتـي تقبـل الـرديف ولا بالسّـوط يوم الرهـان أجهدُها
شراكهـا كورهـا ، ومشفرها زمامهـا ، والشسـوع مقودهـا[4]

وإنما ألم في هذا المعنى بأبي نواس في قوله [من الطويل] :

إليك أبـا العبـاس من بين من مشى عليهـا امتطينـا الحضرمـيّ الملسّنا[5]
قلائص لم تعـرفْ حنينـاً علـى طلا ولـم تدرِ ما قرع الفنيق ولا الهنا[6]

---

(١) تداول سمع المرء : أي جعل الإنسان أصابعه في أذنيه .
(٢) قحٌّ : خالص النسب ، جمعه أقحاح يقال: عربٌ أقحاح .
(٣) أراد بالمحراب هنا العنق ، يريد أنه ينهب الناس بعد ما يقتلهم .
(٤) الشسوع : حبل من جلد .
(٥) الحضرميّ الملسّنا : أراد النعل الذي يلبسه في رجله .
(٦) القلائص : النوق ، والطلا : الصغير من ولد الإبل والفنيق : الفحل من فحولة الأبل؛ الهنا : طلي الإبل ، الجربى بالقطران .

وكما قال في شكوى الدهر ووصف الخف [من الكامل] :

أظمتنيَ الدُّنيا فلمّا جئتها مستسقياً مطرت عليَّ مصائبا[1]
وحُبيت من خوص الركاب بأسودٍ من دارشٍ فغدوت أمشي راكبا[2]

وكما قال في الاعتداد بالرحلة ، والقدرة على الرجلة [من المنسرح] :

ومهمهٍ جبتهُ على قدمي تعجز عنه العرامس الذُّلُلُ[3]
[بصارمي مرتدٍ ، بمخبرتي مجتزيءٌ ، بالظّلام معتملُ]
إذا صديقٌ نكرت جانبه لم تعيني في فراقهِ الحيلُ
في سعة الخافقين مضطربٌ وفي بلاد من أختها بدلُ

وشتان ما بين حاله هذه والحال التي قال فيها [من البسيط] :

وعرّفاهمْ بأنّي من مكارمه أقلّب الطرف بين الخيل والخول[4]

وكان قبل اتصاله بسيف الدولة يمدح القريب والغريب ، ويصطاد ما بين الكركي والعندليب .

ويحكى أن علي بن منصور الحاجب لم يعطه على قصيدته فيه التي أولها [من الكامل] :

بأبي الشموس الجانحاتِ غواربا [اللابساتِ من الحرير جلاببا]

---

(١) أظمتني : أصلها أظمأتني بالهمز - فسهّل الهمزة فصارت الفاً، ثم حذفها كما تحذف الألف الأصلية.
(٢) حُبت : أعطيت، والخوص : ورق النخل.
(٣) العرامس : النوق الشديدة ، والذلُلْ : جمع ذلول وهو سهلة القياد.
(٤) الخول: العبيد .

ومنها :

حالٌ متى علم ابن منصورٍ بها جاء الزّمان إليَّ منها تائبا

إلا ديناراً واحداً ، فسميت الدينارية .

ولما انخرط في سلك سيف الدولة ، ودرّت له أخلاف الدنيا على يده ، كان من قوله فيه [من الطويل] :

تركت السُّرى خلفي لمن قلَّ ماله وأنعلت أفراسي بنعماك عسجدا[1]

وقيَّدت نفسي في هواك محبَّةً ومن وجد الإحسان قيداً تقيَّدا

وهذا البيت من قلائده ، وإنما ألم فيه بقول أبي تمام [من الكامل] :

هممي معلَّقةٌ عليك رقابها مغلولةٌ ، إنّ الوفاء إسارُ

ولكنه أخذ عباءة وردها ديباجاً ، وأرسلها مثلاً سائراً ، وكرر هذا المعنى فزاد فيه حتى كاد يفسده في قوله [من الكامل] :

يا من يقتِّل من أراد بسيفه أصبحت من قتلاك بالإحسان

* * *

نبذ من أخباره

لما أنشد سيف الدولة قصيدته التي أولها [من البسيط] :

أجاب دمعي وما الداعي سوى طللِ دعا فلبّاه ، قبل الركب والإبلِ

وناوله نسختها وخرج فنظر فيها سيف الدولة ، فلما انتهى إلى قوله :

يا أيُّها المحسن المشكور من جهتي والشكر من جهة الإحسان ، لا قبلي

(١) السُّرى : المسير ليلاً، والعسجد الذهب.

[مـا كان نومـيَ إلاّ فوق معرفتي بأنّ رأيك لا يؤتـى من الزَّلل]
أقـلْ أنـلْ أقطـعْ احمـلْ علْ سلْ أعد زدْ هشّ بشّ تفضّـلْ أدنِ سرْ صلِ

وقع تحت أقل : قد أقلناك ، وتحت أنل : يحمل إليه من الدراهم كذا ، وتحت أقطع : قد أقطعناك الضيعة الفلانية ضيعة ببلاد حلب ، وتحت احمل : يقاد إليه الفرس الفلاني ، وتحت عل : قد فعلنا ، وتحت سل : قد فعلنا فاسل ، وتحت أعد : أعدناك إلى حالك من حسن رأينا ، وتحت زد : يزاد كذا ، وتحت تفضل : قد فعلنا ، وتحت أدن : قد أدنيناك ، وتحت سر : قد سررناك . وتحت صل : قد فعلنا .

قال ابن جني : فبلغني عن المتنبي أنه قال : إنما أردت سر من السرية ، فأمر له بجارية .

قـال : وحـكى لي بعض إخوانـنـا أن المعقلي ـ وهـو شيخ كان بحضرتـه ظريف ـ قال له ـ وحسد المتنبي على ما أمر به ـ : يا مولاي قد فعلت به كل شيء سألكه ، فهلا قلت له لما قال لك هش بش : هه هه هه ، يحـكي الضحـك ، فضحك سيف الدولة ، فقال له : ولك أيضاً ما تحب ، وأمر له بصلة .

وذكر القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز في كتاب « الوساطة » أن أبا الطيب نسج على منوال ديك الجن فقال [من الخفيف] :

احـل وامـررْ وضـر وانفـعْ ولِنْ واخـ ـشـنْ ورِشْ وابـرِ وانتـدبْ للمعالي

وحكى ابن جني قال : حدثني أبو علـي الحسين بن أحمـد الصنوبـري ، قال : خرجت من حلب أريد سيف الدولة ، فلما برزت من السور إذا أنا بفارس متلثم قد أهوى نحوي برمح طويل ، وسدده الى صدري ، فكدت أطرح نفسي عن

الدابة فرقاً ، فلما قرب مني ثنى السنان وحسر لثامه[1] فإذا المتنبي ، وأنشدني [من الطويل] :

نثرنا رءوساً بالأحيدب منهم كما نثرت فوق العروس الدراهم

ثم قال : كيف ترى هذا القول ؟ أحسن هو ؟ فقلت له : ويحك ! قد قتلتني يا رجل ، قال ابن جني : فحكيت أنا هذه الحكاية بمدينة السلام لأبي الطيب ، فعرفها وضحك لها ، وذكر أبا علي من التقريظ والثناء بما يقال في مثله .

قال : وأنشدت أبا علي ليلاً قصيدة أبي الطيب التي أولها [من البسيط] :

* واحرّ قلباه ممّن قلبه شبم[2] *

فلما وصلت إلى قوله فيها :

وشرّ ما قنصته راحتي قنصٌ شهب البزاة سواءٌ فيه والرّخم[3]

أعجب جداً به ، ولم يزل يستعيده ، حتى حفظه ، ومعناه : إذا تساويت ومن لا قدر له في أخذ عطاياك فأي فضل لي عليه ؟ وما كان من الفائدة كذا لم أفرح به ، وإنما أفرح بأخذ ما تختص به الأفاضل .

قال : وحدثني المتنبي قال : حدثني فلان الهاشمي من أهل حران بمصر ، قال : أحدثك بطريفة ، كتبت إلى امرأتي وهي بحران كتاباً تمثلت فيه ببيتك [من البسيط] :

بم التعلّل لا أهلٌ ولا وطنٌ ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنُ ؟

---

(1) حسر لثامه : أزاله عن وجهه فانكشف وظهر.
(2) الشبم : البارد ، لأنّ قلبه لم يداخله الحب حتى يحترق بناره.
(3) الرّخم : طائر من الجوارح يشبه النسر.

فأجابتني عن الكتاب ، وقالت : ما أنت والله كما ذكرته في هذا البيت ، بل أنت كما قال الشاعر في هذه القصيدة :

سهـرت بعـد رحيلـي وحشـةً لكمُ ... ثم استمـرّ مريري وارعـوى الوسن[1]

قال : ولما سمع سيف الدولة البيت الذي يتلوه وهو قوله :

وإن بليت بودٍّ مثـل ودكمُ ... فإنّنـي بفـراقٍ مثلـه قِمنُ[2]

قال : سار وحق أبي .

قال : ولما سمع قوله لفنا خسرو [من المنسرح] :

وقـد رأيت الملـوك قاطبةً ... وسـرت حتـى رأيت مولاها

قال : ترى هل نحن في الجملة ؟

سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : كان أبو الطيب المتنبي قاعداً تحت قول الشاعر [من الطويل] :

وإنّ أحـقّ النـاس باللـوم شاعرٌ ... يلـوم علـى البخـل الرجـال ويبخلُ

وإنما أعرب عن عادته وطريقته في قوله [من الطويل] :

بليت بلـى الأطـلال إن لم أقفْ بها ... وقوف شحيحٍ ضاع في التـرب خاتمه

فحضرت عنده يوماً بحلب وقد أحضر مالاً من صلات سيف الدولة ، فصب بين يديه على حصير قد افترشه ، ووزن وأعيد في كيس ، وإذا بقطعة كأصغر ما يكون من ذلك المال قد تخللت خلل الحصير ، فأكب عليها بمجامعه ينقرها ويعالج استنقاذها منه ، ويشتغل بذلك عن جلسائه حتى توصل إلى إظهار

---

(١) استمرّ مريري : قوي بعد ضعف والمرير : العزيمة وارعوى : تراجع ، والوسن: النعاس.

(٢) القمن : الجدير .

بعضها ، فتمثل ببيت قيس بن الخطيم [من الطويل] :

تبــدَّتْ لنــا كالشــمس بين غمامةٍ بدا حاجــبٌ منهــا وضنَّــت بحاجبِ[1]

ثم استخرجها ، وأمر بإعادتها إلى مكانها من الكيس ، وقال : إنها تحضر المائدة .

وسمعته يقول : لما أنشد المتنبي عضد الدولة قصيدته فيه التي أولها [من الوافر] :

*مغاني الشعب طيباً في المغاني *

وانتهى إلى قوله فيها .

وألقــى الشــرق منهــا في ثيابي دنــانيراً تفــرُّ من البنان

قال له عضد الدولة : لأقرنها في يديك ، ثم فعل .

قال : ولما قدم أبو الطيب من مصر بغـداد ، وترفـع عن مدح المهلبـي الوزير ، ذهاباً بنفسه عن مدح غير الملوك ، شق ذلك على المهلبي ، فأغرى به شعراء بغداد ، حتى نالوا من عرضه ، وتباروا في هجائه ، وفيهم ابن الحجاج وابن سكرة [محمد بن عبد الله الزاهد] الهاشمي ، والحاتمي ، وأسمعـوه ما يكره ، وتماجنوا به ، وتنادروا عليه ، فلم يجبهم ولم يفكر فيهـم ، وقيل له في ذلك ، فقال : إني فرغت من إجابتهم بقولي لمن هم أرفع طبقة منهم في الشعراء [من الوافر] :

أرى المتشاعــرين غروا بذمّي ومــن ذا يحمــل الــدّاء العضالا[2]

ومــن يك ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ يجــد مرّاً به المــاء الزلالا

---

(١) تبدّت : ظهرت.

(٢) غروا : أولعوا .

وقولي [من الطويل] :

أفـي كلّ يومٍ تحـت ضبنـي شويعرٌ ضعيفٌ يقاوينـي قصيرٌ يطاولُ[1]
لساني بنطقـي صامـتٌ عنـه عادلٌ وقلبـي بصمتي ضاحـكٌ منـه هازلُ
وأتعـب من ناداك من لا تجيبه وأغيظ من عاداك من لا تشاكلُ
ومـا التّيه طِبِّـي فيهـمُ غير أنني بغيضٌ إلـيَّ الجاهـل المتعاقل[2]

وقولي [من الكامل] :

وإذا أتتـك مذمّتـي من ناقصٍ فهـي الشهـادة لي بأنِّـي فاضل

قال : وبلغ أبا الحسين بن لنكك بالبصرة ما جرى على المتنبي من وقيعة شعراء بغداد فيه ، واستحقارهم له ، وكان حاسداً له ، طاعناً عليه ، هاجياً إياه ، زاعماً أن أباه كان سقاء بالكوفة فشمت به وقال [من البسيط] :

قولا لأهـل زمـانٍ لا خلاق لهم ضلّوا عن الرشد من جهلٍ بهم وعموا
أعطيتـم المتنبـي فوق منيته فزوّجـوه برغـمٍ أمّهاتكمُ
لكنّ بغـداد جاد الغيث ساكنها نعالهـم في قفـا السقّـاء تزدحم

قال : ومن قوله فيه [من الخفيف] :

متنبّيكُمُ ابـن سقّـاء كوفا ن ويوحـى من الـكنيف إليه[3]
كان من فيه يسلـح الشعـر حتى سلحـت فقحـةُ الزمـان عليه

ومن قوله أيضاً فيه [من المجتث] :

مـا أوقـح المتنبّـي فيمـا حكـى وادّعـاهُ

---

(١) الضبن : بكسر الضاد وسكون الباء ، ما بين الكشح والإبط.
(٢) التيه :التكبّر والعجب، وطبّي : عادتي وخلقي.
(٣) الكنيف : المرحاض .

أبيح مالاً عظيماً حتى أباح قفاه
يا سائلي عن غناه من ذاك كان غناه
إن كان ذاك نبياً فالجاثليق إلّه

ثم إن أبا الطيب المتنبي اتخذ الليل جملاً ، وفارق بغداد متوجّهاً إلى حضرة أبي الفضل بن العميد مراغماً للمهلبي الوزير ، فورد أرجان ، وأحمد مورده ، فيحكى أن الصاحب أبا القاسم طمع في زيارة المتنبي إياه بأصبهان ، وإجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان ، وهو إذ ذاك شاب وحاله حويلة ، ولم يكن استوزر بعد ، وكتب إليه يلاطفه في استدعائه ، وتضمن له مشاطرته جميع ماله ، فلم يقم له المتنبي وزناً ، ولم يجبه عن كتابه ولا إلى مراده ، وقصد حضرة عضد الدولة بشيراز ، فأسفرت سفرته عن بلوغ الأمنية ، وورود مشرع المنية ، واتخذه الصاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقيعة ، ويتتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته ، وينعي عليه سيئاته ، وهو أعرف الناس بحسناته، وأحفظهم لها ، وأكثرهم استعمالاً إياها وتمثلاً بها في محاضراته ومكاتباته ، وكان مثله معه كما قال الشاعر [من الرجز] :

شتمت من يشتمني مغالطاً لأصرف العاذل عن لجاجتهْ
فقال: لمّا وقّع البزّاز في الثـ ـوب علمنا أنّه من حاجتهْ[1]

وكما قال الآخر [من الطويل] :

وذمّوا لنا الدنيا وهم يرضعونها ولم أر كالدُّنيا تذمُّ وتحلب[2]

وكما قال الآخر [من البسيط] :

(١) البزّاز : بائع البز.
(٢) يرضعونها : أي يشربون لبنها ، وتحلب : يستخرج لبنها .

نُبِّئْتُ أنّي إذا ما غبتُ تشتمني　　　قل ما بدا لك فالمحبوب مسبوبُ

* * *

قطعة من حل الصاحب وغيره نظم المتنبي واستعانتهم بألفاظه ومعانيه في الترسل

فصل له من رسالة في وصف قلعة افتتحها عضد الدولة :

وأما قلعة (كذا) فقد كانت بقية الدهر المديد ، والأمد البعيد ، تعطس بأنف شامخ من المنعة ، وتنبو بعطف جامع على الخطبة ، وترى أن الأيام قد صالحتها على الإعفاء من القوارع ، وعاهدتها على التسليم من الحوادث ، فلما أتاح الله للدنيا ابن بجدتها ، وأبا بأسها ونجدتها ، جهلوا بون ما بين البحور والأنهار ، وظنوا الأقدار تأتيهم على مقدار ، فما لبثوا أن رأوا معقلهم الحصين ومثواهم القديم ، نهزة الحوادث ، وفرصة البوائق ، ومجر العوالي ، ومجرى السوابق .

وإنما ألم بألفاظ بيتين لأبي الطيب أحدهما [من الكامل] :

حتّى أتى الدنيا ابن بجدتها　　　فشكا إليه السّهل والجبل[1]

والآخر [من الطويل] :

تذكّرت ما بين العذيب وبارق　　　مجرّ عوالينا ومجرى السوابقِ[2]

وفصل له - لئن كان الفتح جليل الخطر ، عظيم الأثر ، فإن سعادة مولانا لتبشر بشوافع له ، يعلم معها أن لله أسراراً في علاه لا يزال يبديها ، ويصل أوائلها بتواليها .

---

(١) ابن بجدتها : أي العالم بالشيء المتقن له .

(٢) العوالي : الرماح ، والسوابق : الخيل.

وهو من قول أبي الطيب [من الطويل] :

ولله سرٌّ في علاك ، وإنّما كلام العدى ضربٌ من الهذيانِ

فصل ـ ولو كان ما أحسنه شظية في قلم كاتب لما غيرت خطه ، أو قذى في عين نائم لما انتبه جفنه .

وهو من قول أبي الطيب [من الطويل] :

ولو قلمٌ ألقيت في شقّ رأسهِ من السقم ما غيّرت من خط كاتبِ

وقول نصر [من السريع] :

ضنيت حتى صرت لو زجّ بي في ناظر النائم لم ينتبهْ[1]

ومنه أخذ ابن العميد قوله [من الكامل] :

فلو انّ ما أبقيت في جسدي قذى في العين لم يمنع من الإغفاء

فصل للصاحب في التعزية ـ إذا كان الشيخ القدوة في العلم وما يقتضيه ، والأسوة في الدين وما يجب فيه ، لزم أن يتأدب في حالات الصبر والشكر بأدبه ، ويؤخذ في ثارات الأسى والأسى بمذهبه ، فكيف لنا بتعزيته عند حادث رزيته ، إلا إذا روينا له بعض ما أخذناه عنه ، وأعدنا إليه طائفة مما استفدناه منه .

وإنما هو حل من قول أبي الطيب [من الخفيف] :

أنت يا فوق أن يعزى عن الأحـ ـباب فوق الذي يعزّيك عقلا

وبألفاظك اهتدى فإذا عزّا ك قال الذي له قلت قبلا

وفصل له ـ وقد أثنى عليه ثناء لسان الزهر ، على راحة المطر .

---

(١) ضنيت : هزلت وضعفت .

وهو من قول أبي الطيب [من الكامل] :

وذكيٌّ رائحـة الـرياض كلامها	تبغـي الثنـاء علـى الحيا فيفوح[1]

والأصل فيه قول ابن الرومي [من الخفيف] :

شكرت نعمـة الولـيّ علـى الوسمـيِّ ثم العهـاد بعـد العهاد[2]
فهـي تثنـي علـى السمـاء ثناءً طيّب النّشـر شائعـاً في البلاد
من نسيم كأنّ مسـراه في الأر واح مسـرى الأرواح في الاجساد

ومما أورده من أبيات أبي الطيب كما هي قوله في كتاب أجاب به ابن العميد عن كتابه الصادر إليه عن شاطىء البحر في وصف مراكبه وعجائبه :

وقد علمت أن سيدنا كتب وما أخطر بفكره ، سعة صدره ، ولو فعل ذلك لرأى البحر وشلاً لا يفضل عن التبرض[3] ، وثمداً لا يكثر عن الترشف[4] [من الطويل] :

وكم من جبالٍ جبت تشهـد أنّني الـ	ـجبال وبحرٍ شاهـدٍ أنّنـي البحرُ[5]

وله من رسالة في التهنئة ببنت أولها ـ أهلاً بعقيلة النساء ، وكريمة الآباء ، وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار ، والأولاد الأطهار ، ثم يقول فيها [من الوافر] :

ولـو كان النسـاء كمثـل هذي	لفضِّلـتِ النّسـاء علـى الرجالِ

---

(١) الحيا : المطر ، شبه رائحة أزهار الرّياض بالكلام ، ثم بيّن أن الرياض أرادت أنّ تتحدّث عن صنائع المطر فأرسلت عبير أزهارها تحدُّث عنه .

(٢) الولي : المطر بعد المطر ، والوسميّ : مطر الربيع والعِهاد : أوّل المطر.

(٣) الوشل : القليل من الماء ، والتبرّض : الاكتفاء والتبلّغ بالقليل، ولا يفضل عنه : لا يزيد على قدره .

(٤) الثمد : الماء القليل ، والترشّف: أخذ الماء جرعة بعد جرعة.

(٥) جبت : قطعت.

وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكير فخرٌ للهلال

وهما لأبي الطيب من قصيدة في مرثية والدة سيف الدولة إلا أنه يقول :

* ولو كان النساء كمن فقدنا *

وللصاحب من كتاب تعزية ـ وقلنا : قد أخذ الزمان من أخذ ، وترك من ترك ، فهو لا شك يعفو عن القمر ، وقد أسلم الشمس للطفل[1] ولا يصل الصروف بالصروف ، ولا يجمع الكسوف إلى الخسوف ، فأبي حكم الملوين ، وقد غبنك إذ قاسمك الأخوين ، إلا أن يعود فيلحق الباقي بالفاني ، والغابر بالماضي [من البسيط] :

وعاد في طلب المتروك تاركهُ إنّا لنفعل والأيام في الطلبِ
ما كان أقصر وقتاً كان بينهما كأنّه الوقت بين الورد والقرب

أقول : هذا كعادة المصدور في النفث ، وشكوى الحزن والبث ، وإلا فما يعجب السفر من تقدم بعض ، وكل بين الراحلة والرحل ، لا يترك الموت ساعياً على وجه الأرض ، حتى ينقله إلى بطن الترب [من السريع] :

نحن بنو الموتى فما بالنا نعاف ما لا بدّ من شربهِ
تبخل أيدينا بأرواحنا على زمانٍ هنّ من كسبه
فهذه الأرواح من جوّه وهذه الأجسام من تربه

وهذا غيض من فيض ما اغترفه الصاحب من بحر المتنبي ، وتمثل به من شعره . ولو ذكرت نظائره لامتد نفس هذا الباب .

وليس هو بأوحد في الاقتباس من كلامه ، هذا أبو إسحاق الصابي رسيله في

---

(١) الطَفَل : بفتح الطاء والفاء، الوقت عند الغروب.

ذلك وزميله ، وقد قرأت له غير فصل فيما أشرت إليه ، ونبهت عليه : فمنه ما كتب في تقريظ ـ شاب مقتبل الشبيبة ، مكتهل الفضيلة ، ولقد آتاه الله في اقتبال العمر جوامع الفضل ، وسوغه في عنفوان الشباب محامد الاستكمال ، فلا تجد الكهولة خلة تتلافاها بتطاول المدة ، وثلمة تسدها بمزايا الحنكة .

وإنما هو حل نظم أبي الطيب ، وإن كان في معنى آخر [من المنسرح] :

لا تجد الخمر في مكارمه إذا انتشى خلّةً تلافاها[1]

وأخذ من قول البحتري [من الطويل] :

تكرّمت من قبل الكؤوس عليهمِ فما اسطعن أن يحدثن فيك تكرُّما

ومنه ما كتب إلى ابن معروف تهنئة بقضاء القضاة ـ منزلة قاضي القضاة تجل عن التهنئة ، لأن ما تكتسبه الولاة بها من الصيت والذكر ، ويدرعونه فيها من الجمال والفخر ، سابق لها عنده ، وحاصل قبلها له ، وإذا مد أحدهم إليها يداً تجذبها إلى سفال ، جذبتها يده إلى المحل العالي ، فكأن أبا الطيب المتنبي عناه أو حكاه بقوله [من الكامل] :

فوق السماء وفوق ما طلبوا فإذا أرادوا غايةً نزلوا

ومنه ما كتب ـ وعاد مولانا إلى مستقر عزه عود الحلي إلى العاطل ، والغيث إلى الروض الماحل .

وإنما من قول أبي الطيب [من المتقارب] :

وعدت إلى حلبٍ ظافراً كعود الحليِّ إلى العاطلِ[2]

---

(1) الخلّة : الصداقة وتلافاها : توقّاها وتجنّبها.

(2) العاطل : يقال جيدٌ عطل أي خالٍ من الحليّ.

وإذا كان هذان الصدران المقدمان على بلغاء الزمان يقتبسان من أبي الطيب في رسائلهما ، فما الظن بغيرهما ؟ وما أحسن قول الشاعر [من الطويل] :

ألا إن حلّ الشعر زينة كاتبٍ ولكنّ منهمْ من يحلّ فيعقِدُ

وممن يحذو حذوهما الأستاذ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي ، وما أظرف ما قرأت له في كتابه إلى أبي سعيد الشبيبي :

وقد أتاني كتاب شيخ الدولتين فكان في الحسن ، روضة حزن[1] بل جنة عدن . وفي شرح النفس ، وبسط الأنس ، برد الأكباد والقلوب ، وقميص يوسف في أجفان يعقوب .

وهو من بيت أبي الطيب [من البسيط] :

كأنّ كلّ سؤالٍ في مسامعه قميص يوسف في أجفان يعقوبِ

وفصل لأبي بكر الخوارزمي ـ وكيف أمدح الأمير بخلق ضن به الهواء ، وامتلأت من ذكره الأرض والسماء ، وأبصره الأعمى بلا عين وسمعه الأصم بلا أذن .

وهو حل نظم أبي الطيب [من المنسرح] :

تنشد أثوابنا مدائحهُ بألسنٍ ما لهنّ أفواهُ
إذا مررنا على الأصمّ بها أغنته عن مسمعيه عيناهُ

ولأبي بكر من رسالة ـ ولقد تساوت الألسن حتى حسد الأبكم ، وأفسد الشعر حتى أحمد الصمم .

---

(١) موضعٌ في ديار بني يربوع يشتمل على قيعان ورياض .

وهو قول أبي الطيب [من البسيط] :

ولا تبال بشعرٍ بعد شاعره قد أفسد القول حتّى أُحمد الصممُ

وهذا ميدان عريض ، وشوط بطين ، وفيما ذكرته كفاية .

* * *

ولاستراقات الشعراء من أبي الطيب باب هذا مكانه .

* * *

أنموذج لسرقات الشعراء منه

١ ـ قال المتنبي [من الوافر] :

وقد أخذ التّمام البدر فيهمْ وأعطاني من السّقم المحاقا(١)

أخذه أبو الفرج الببغاء فلطفه وقال [من الكامل] :

أوليس من إحدى العجائب أنّني فارقته وحييت بعد فراقه
يا من يحاكي البدر عند تمامه ارحمْ فتىً يحكيه عند محاقه

٢ ـ وقال أبو الطيب [من البسيط] :

قد علّم البين منّا البين أجفانا تدمى ، وألّف ذا القلب أحزانا(٢)

أخذه المهلبي الوزير وقال [من الطويل] :

تصارمت الأجفان منذ صرمتني فما تلتقي إلاّ على عبرةٍ تجري

---

(١) المحاق : وقت سرار القمر وخفائه .
(٢) البين : الفراق، وألّف : أوجد .

٣ ـ وقال أبو الطيب وهو من قلائده [من الطويل] :

وكنت إذا يمّمت أرضاً بعيدةً سريت فكنت السرَّ والليل كاتمهْ

أخذه الصاحب وقال [من الطويل] :

تجشّمتها والليل وحفٌ جناحه كأنّيَ سرٌّ والظلام ضميرُ[1]

٤ ـ وقال أبو الطيب ، وهو أيضاً من قلائده [من الوافر] :

لبسن الوشيَ لا متجمّلاتٌ ولكن كي يصنَّ به الجمالا

أغار عليه الصاحب لفظاً ومعنى فقال [من الطويل] :

لبسن برود الوشي لا لتجمّلٍ ولكن لصون الحسن بين برود

وإنما فعل ببيتيه ما فعل أبو الطيب ببيت العباس بن الأحنف [من الكامل] :

والنجم في كبد السماء كأنّه أعمى تحيّر ما لديه قائدُ

فقال [من المنسرح] :

ما بال هذي النجوم حائرةً كأنّها العمى ما لها قائد

وهذه مصالتة لا سرقة[2] ، وهي مذمومة جداً عند النقدة .

٥ ـ وقال أبو الطيب ، وهو من فرائده [من الطويل] :

سقاك وحيّانا بك الله ، إنّما على العيس نورٌ والخدور كمائمهْ

أخذه السري بن أحمد ، قال ابن جني : أنشدني لنفسه من قصيدة يمدح بها أبا

---

(١) تجشّم : كابد ، والوحف : الشعر الأسود.

(٢) المصالتة : أن يأخذ الشاعر معنى بيت من أبيات شاعر آخر، ولا يكتفي بهذا حتى يضمّ إليه ألفاظ البيت المأخوذ أو بعضها.

الفوارس سلامة بن فهد ، وهي قوله [من المنسرح] :

حيّا به الله عاشقيه فقد أصبح ريحانةً لمن عشقا

ولم أجد أنا هذه القصيدة في ديوان شعره ، والبيت نهاية في العذوبة ، وخفة الروح .

٦ ـ والسري كثير الأخذ من أبي الطيب في مثل قوله [من الوافر] :

وخرقٍ طال فيه السّير حتى حسبناه يسير مع الركابِ

وهو مأخوذ من قول أبي الطيب [من الطويل] :

يخدن بنا في جوزه وكأنّنا على كرةٍ أو أرضه معنا سفرُ[1]

٧ ـ وقال السري [من الكامل] :

وأحلّها من قلب عاشقها الهوى بيتاً بلا عمدٍ ولا أطنابِ

وهو من قول أبي الطيب [من البسيط] :

هام الفؤاد بأعرابيةٍ سكنتْ بيتاً من القلب لم تضرب به طنبا[2]

٨ ـ وقال السري [من الكامل] :

وأنا الفداء لمن مخيلةُ برقهِ عندي وعند سواي من أنوائه[3]

وإنما ألم فيه بقول أبي الطيب [من البسيط] :

ليت الغمام الذي عندي صواعقه يزيلهنّ إلى من عنده الدِّيمُ

---

(١) يخدن : يهتمُّ ويحدب، والخدن : الصديق.

(٢) الطنب : الحبال.

(٣) الأنواء : المطر.

٩ ـ وقال أبو الطيب ، وهو من قلائده [من الوافر] :

فإن تفـق الأنـام وأنـت منهم فإن المسـك بعض دم الغزال

وقال أيضاً [من الوافر] :

ومـا أنـا منهـمُ بالعيش فيهم ولـكن معـدن الذهـب الرغام[1]

أخذ أبو بكر الخوارزمي معنى البيتين ، وهمـا قريب من قريب ، فقـال [مـن الوافر] :

فديتـك ما بدا لي قصـد حرٍّ سواك من الـورى إلاّ بدالي
وأنّـك منهـمُ وكذاك أيضاً من المـاء الفرائـد واللآلي
وتسكن دارهـم وكذاك سكنـى الـ ـحجـارة والزّمـرد في الجبال

وهذا معنى قد اخترعه المتنبي ، وكرره في تفضيل البعض على الكل ، فأحسـن غاية الإحسان حيث قال [من الطويل] :

فإن يك سيّار بن مكرم إنقضى فإنـك ماء الـورد إن ذهـب الورد

١٠ ـ وقال [من البسيط] :

وإن تكن تغلـبُ الغلبـاء عنصرها فإنّ في الخمـر معنـىً ليس في العنب

ألم به أبو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب فقال [من الطويل] :

أبـوك حوى العليا وأنـت مبرّزٌ عليه إذا نازعتـه قصـب المجدِ
وللخمـر معنـىً ليس في الـكرم مثله وفي النار نورٌ ليس يوجد في الزّند
وخيرٌ من القـول المقـدّم فاعترفْ نتيجته والنّحـل يكرم للشهدِ

(١) الرغام : التراب.
(٢) الزند: الذي تورى به النار.

وقال أيضاً [من الطويل] :

أبــوك كريمٌ غير أنّــك سابقٌ   مداه بلا ضيمٍ عليه ولا ذيم[1]
فلا يعجبــنّ النــاس ممــا أقوله   وأقضــي به فالغيث أنــدى من الغيم

١١ ـ وقال أبو الطيب [من الوافر] :

وصــرت أشــكُّ فيمــن أصطفيه   لعلمــيَ أنّــهُ بعض الأنـامِ

أخذه أبو بكر الخوارزمي فقال [من الرمل] :

قــد ظلمناك بحســن الــ   ـظــنّ يـا بعض الأنامِ

١٢ ـ وقال أبو الطيب [من البسيط] :

أتــى الزّمــان بنــوه في شبيبتهِ   فسرّهــمْ وأتينــاه علــى الهرم

أخذه أبو الفتح وحسنه فقال [من البسيط] :

لا غرو إن لم تجد في الدّهــر مخترفاً   فقــد أتينــاه بعــد الشيب والخرف

١٣ ـ وقال أبو الطيب [من الطويل] :

هما الغرض الأقصى ، ورؤيتك المنى   ومنــزلك الــدنيا ، وأنــت الخلائق

امتثله أبو الحسن السلامي فقال [من الطويل] :

وبشّــرت آمالــي بملكٍ هو الورى   ودارٍ هي الــدنيا ، ويومٍ هو الدهر

١٤ ـ وقال أبو الطيب [من الخفيف] :

لم تزلْ تسمــع المــديح ولكـــــن   صهيل الجياد غير النهاقِ

---

(١) الذيم والذام : العيب.

أخذه أبو القاسم الزعفراني ولطفه جداً فقال [من الخفيف] :

وتغنّيك في النداء طيورٌ أنا وحدي ما بينهن الهزار

* * *

وإذ قد ذكرت أنموذجاً من سرقات الشعراء منه ، فلا بأس أن أذكر سرقاته من الشعراء ، سوى ما أورده القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز في كتاب « الوساطة » فشفى وكفى وبالغ فأوفى ، وسوى ما مر ويمر منها في أماكنها من فصول هذا الكتاب .

صدر من سرقاته

١ ـ قال مخلد الموصلي [من مخلع البسيط] :

يا منزلاً ضنّ بالسلام سقيت ريّاً من الغمامِ
ما ترك الدهر منك إلاّ ما ترك الشوق من عظامي

أخذه أبو الطيب فجوّده حيث قال [من البسيط] :

ما زال كلُّ هزيم الودق ينحلها والشوق ينحلني حتى حكت جسدي[١]

٢ ـ وقال عمرو بن كلثوم [من الوافر] :

فآبوا بالنهاب وبالسبايا وإبنا بالملوك مصفَّدينا

أخذه أبو تمام فأحسن إذ قال [من البسيط] :

إنّ الأسود أسود الغاب همّتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب[٢]

---

(١) هزيم الودق : أي المطر المندفع ، وينحلها : يخصُّها وحكت : شابهت وماثلت .
(٢) الكريهة : الحرب .

وأخذه أبو الطيب فلم يحسن في تكرير لفظ النهب وذكر القماش إذ هو من ألفاظ العامة [من الوافر] :

ونهب نفوس أهل النّهب أولى | بأهل المجد من نهب القماشِ

٣ ـ وقال بشار بن برد [من الطويل] :

كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنا | وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبهْ[1]

أخذه أبو الطيب وذكر الرماح مكان الأسياف فقال [من الكامل] :

وكأنّما كسيَ النّهار بها دجى | ليلٍ ، وأطلعت الرّماح كواكبا

٤ ـ وقال مسلم بن الوليد [من الطويل] :

أرادوا ليخفوا قبره من عدوّه | فطيْبُ تراب القبر دلّ على القبرِ

ألم به أبو الطيب فقال [من الوافر] :

وما ريح الرياض لها ولكنْ | كساها دفنهم في التّرب طيبا

٥ ـ وقال الفرزدق [من البسيط] :

وكنت فيهم كممطورٍ ببلدته | يسرّ أن جمع الأوطان والمطرا

أخذه أبو الطيب فقال [من الطويل] :

وليس الذي يتبع الوبل رائداً | كمن جاءه في داره رائد الوبل

٦ ـ وفي قوله في هذه القصيدة [من الطويل] :

وخيلٍ إذا مرّت بوحشٍ وروضةٍ | أبت رعيها إلاّ ومرجلنا يغلي

---

(١) النقع : الغبار

رائحة من قول امرىء القيس [من الطويل] :

إذا ما ركبنا قال ولدانُ أهلنا : تعالوا إلى أن يأتيَ الصَّيد نحطبِ[1]

٧ ـ وقال أبو نواس ، ويقال : إنه أمدح بيت للمحدثين [من البسيط] :

وكلت بالدهر عيناً غير غافلةٍ بجود كفّيك تأسو كلَّ ما جرحا[2]

أخذه أبو الطيب وزاد فيه حسن التشبيه فقال [من الطويل] :

تتبع آثار الرزايا بجوده تتبّع آثار الأسنّة بالفتل[3]

٨ ـ وقال أبو نواس ، وهو من قلائده في وصف الخمر [من الطويل] :

إذا ما أتت دون اللهاة من الفتى دعا همَّه من صدره برحيل

أخذه أبو الطيب ونقله إلى معنى آخر فقال [من الطويل] :

وما هي إلاّ لحظةٌ بعد لحظةٍ إذا نزلت في قلبه رحل العقل

٩ ـ وقال ابن أبي عيينة ، ويروى للخليل [من البسيط] :

زرْ واديَ القصر ، نعم القصر والوادي في منزل حاضرٍ ، إن شئتَ ، أو بادي
ترقى به السفن والظلمان حاضرةً والضبُّ والنون والملاح والحادي[4]

وهذا أحسن ما قيل في وصف مكان يجمع بين أوصاف البر والبحر والحاضرة والبادية ، ألم به أبو الطيب في وصف متصيد عضد الدولة بناحية سهلية

---

(١) نحطب : نجمع الحطب.

(٢) تأسو : تطيّب وتخفّف الجراح.

(٣) الرزايا : المصائب، والأسنّة الرماح وغيرها من عدّة الحرب.

(٤) الظلمان: جمع ظليم ، وهو ذكر النعام، والنون : الحوت والحادي من يسوق الإبل ويزجرها.

جبلية تجمع الأضداد [من الرجز] :

سقياً لدشت الأرزن الطوال ... بين المروج الفيح والأغيال[1]
مجاور الخنزير والرئبال ... داني الخنانيص من الأشبال[2]
مستشرف الدبّ على الغزال ... مجتمع الأضداد والأشكال

١٠ ـ وقال بعض العرب ، وهو من الأمثال السائرة [من الطويل] :

إذا بلّ من داءٍ به ظنّ أنّه ... نجا ، وبه الداء الذي هو قاتله[3]

أخذه أبو الطيب فقال وأحسن [من الوافر] :

وإنْ أسلمْ فما أبقى ولكنْ ... سلمت من الحمامِ إلى الحمام[4]

١١ ـ وقال بعض الرجاز [من الرجز] :

هل يغلبني واحدٌ أقاتله ... ريمٌ على لبّاته سلاسلهْ[5]

* سلاحه يوم الوغى مكاحله *

أخذه أبو الطيب فأكمل الوصف وأظهر الغرض حيث قال [من الكامل] :

من طاعني ثغر الرجال جآذرٌ ... ومن الرماح دمالجٌ وخلاخلُ
ولذا اسم أغطية العيون جفونها ... من أنّها عمل السيوف عوامل

---

(١) الدشت : الصحراء لفظة فارسية، والأرزن : الشجر والفيح : الواسعة، والغيل : أجمة الأسد .
(٢) الخنانيص : أولاد الخنازير، والرئبال: الأسد .
(٣) بلّ من دائه : شُفي ونجا من المرض.
(٤) الحمام : الموت.
(٥) الريم : الظبي الخالص البياض، واللبّة: موضع القلادة.

١٢ ـ وقال أبو تمام [من الكامل] :

غربتْ خلائقه وأغرب شاعرٌ فيه فأبدع مغربٌ في مغربِ

أخذه أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

شاعر المجد خدنه شاعر اللفـ ـظ كلانا ربّ المعاني الدّقاقِ[1]

١٣ ـ وقال أبو تمام [من الطويل] :

يمدّون بالبيض القواطع أيدياً فهن سواءٌ والسّيوف قواطعُ

أخذه أبو الطيب فأوقع التشبيه على الجملة حيث قال [من الطويل] :

همامٌ إذ ما فارق الغمد سيفه وعاينته لم تدر أيُّهما النصل

١٤ ـ وقال ابن الرومي [من السريع] :

لا قدِّست نُعمى تسربلْتها كم حجةٍ فيها لزنديق

أخذه أبو الطيب فقال [من البسيط] :

فإنّه حجةٌ يؤذي القلوب بها من دينه الدّهر والتعطيل والقدم

١٥ ـ ولابن الرومي وأجاد [من الطويل] :

وأحسن من عقد العقيلة جيدها وأحسن من سربالها المتجرِّد

أخذه أبو الطيب فقال [من الرجز] :

وربّ قبحٍ وحليٍ ثقالِ أحسن منها الحسن في المعطال

---

(١) الخدن : الصاحب والصديق.

١٦ ـ وقال عبيد الله بن طاهر [من الطويل] :

وجرّبت حتى لا أرى الدهر مغرباً علـيَّ بشيءٍ لم يكن في تجاربي

أخذه أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

قد بلوت الخطوب حلواً ومرّاً وسلكت الأيام حزناً وسهلا[١]
وقتلت الزمان علماً فما يغـ ـرب قولاً ولا يجدّد فعلا

وكرر هذا المعنى فقال [من الطويل] :

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا فلمّا دهتنا لم تزدني بها علما

١٧ ـ وكتب ابن المعتز إلى عبيد الله بن سليمان يعزيه عن ابنه أبي محمد ويسليه ببقاء أبي الحسين القاسم أبياتاً منها [من الكامل] :

ولقد غبنت الدهر إذ شاطرته بأبي الحسين وقد ربحت عليهِ[٢]
وأبو محمدٍ الجليل مصابه لكن يمنّي المرء خير يديهِ

فأخذ أبو الطيب هذا المعنى ، وقال لسيف الدولة من قصيدة يعزيه بها عن أخته الصغرى ، ويسليه ببقاء الكبرى حيث قال [من الخفيف] :

قاسمتك المنون شخصين جوراً جعل القسم نفسه فيك عدلا
فإذا قست ما أخذن بما غا درن سرى من الفؤاد وسلّى
وتيقّنت أنّ حظك أوفى وتبيّنت أن جدك أعلى[٣]

١٨ ـ وكان أبو الطيب كثير الأخذ من ابن المعتز ، على تركه الإقرار بالنظر في شعر

---

(١) بلوت : خبرت وجرّبت، والحزن : الأرض الصعبة المسالك.
(٢) غبنت : انتقصت، يقال غبنه حقه : أي انتقصه إياه .
(٣) الجدّ : الحظّ.

المحدثين : فمما أخذه منه قوله [من البسيط] :

وتكسب الشمس منك النور طالعةً ... كما تكسّب منها نورها القمرُ

وهو معنى قول ابن المعتز [من السريع] :

البدر من شمس الضحى نوره ... والشمس من نورك تستملي

١٩ ـ وأخذ قوله ، وهو من قلائده ، ولعله أمير شعره [من البسيط] :

أزورهمْ وسواد الليل يشفعُ لي ... وأنثني وبياضُ الصبح يغري بي

من مصراع لابن المعتز ، ذكر ابن جني قال : حدثني المتنبي ـ وقت القراءة عليه ـ [قال] : قال لي ابن حنزابة وزير كافور : أحضرت كتبي كلها وجماعة من الأدباء يطلبون لي من أين أخذت هذا المعنى ، فلم يظفروا بذلك ! وكان أكثر من رأيت كتباً .

قال ابن جني : ثم إني عثرت بالموضع الذي أخذه منه ، إذ وجدت لابن المعتز مصراعاً بلفظ لين صغير جداً فيه معنى بيت المتنبي كله على جلالة لفظه وحسن تقسيمه ، وهو قوله [من البسيط] :

* فالشمس نمّامة والليل قوّاد *[1]

ولن يخلو المتنبي من إحدى ثلاث : إما أن يكون ألم بهذا المصراع فحسنه وزينه ، وصار أولى به ، وإما أن يكون قد عثر بالموضع الذي عثر به ابن المعتز فأربى عليه في جودة الأخذ ، وإما أن يكون قد اخترع المعنى وابتدعه وتفرد به ، فلله دره ! وناهيك بشرف لفظه ، وبراعة نسجه !

وما أحسن ما جمع فيه أربع مطابقات في بيت واحد ، وما أراه سبق إلى

(١) صدر هذا البيت: لا تلق إلاّ بليلٍ من تواصله.

مثلها ، وما زال الناس يعجبون من جمع البحتري ثلاث مطابقات في قوله [من البسيط] :

وأمّـةً كان قبـح الجـور يسخطها ... دهـراً فأصبـح حسـن العـدل يرضيها

حتى جاء أبو الطيب فزاد عليه مع عذوبة اللفظ ورشاقة الصنعة .

ولبعض أهل العصر بيت يجمع خمس مطابقات ، ولكنه لا يستقل إلا بإنشاد بيتين قبله . وهي [من الطويل] :

عذيري من الأيام مدّت صروفها ... إلى وجه من أهوى يد النسخ والمحوِ

وأبـدت بوجهـي طالعـاتٍ أرى بها ... سهـام أبـي يحيى مسـدّدةً نحوي

فذاك سواد الحـظّ ينهـى عن الهوى ... وهـذا بياض الوخـط يأمـر بالصحو[1]

٢٠ ـ وقال ابن الرومي [من الطويل] :

أرى فضـل مال المـرء داءً لعرضه ... كمـا أنّ فضـل الـزاد داءٌ لجسمهِ

فليس لداء العـرض شيءٌ كبذله ... وليس لداء الجسـم شيءٌ كحسمه

ألم به أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

يتـداوى من كثـرة المـال بالإقـ ... ـلال جوداً كأنّ مـالا سقام

* * *

بعض ما تكرر في شعره من معانيه

١ ـ قال [في سيف الدولة] [من الوافر] :

وأنـت المـرء تمرضـه الحشايا ... لهمّتـه ، وتشـفيه الحروبُ

---

(١) الوخط : اختلاط الشعر الأبيض بالأسود.

وقال [يذكر الحمى التي كانت تغشاه بمصر] [من الوافر] :

وما في طبّه أنّي جوادٌ أضرَّ بجسمه طول الجمامِ [1]

٢ ـ وقال [يمدح بدر بن عمار] [من الكامل] :

ليت الحبيب الهاجري هجر الكرى من غير جرمٍ واصِلي صلة الضنّا

وقال [يمدح طاهر بن الحسين] [من الطويل] :

فيا ليت ما بيني وبين أحبّتي من البعد ما بيني وبين المصائبِ

٣ ـ وقال [يمدح المغيث بن بشر العجلي] [من البسيط] :

إذا بدا حجبت عينيك هيبتهُ وليس يحجبه سترٌ إذا احتجبا

وقال [وقد حجبه بدر عمار] [من الكامل] :

أصبحت تأمر بالحجاب لخلوةٍ هيهات لست على الحجاب بقادرِ

من كان ضوء جبينه ونوالهِ لم يحجبا لم يحتجبْ عن ناظر

فإذا احتجبت فأنت غير محجّبٍ وإذا بطنت فأنت عين الظاهر

٤ ـ وقال [من قصيدة يمدحه بها] [من المتقارب] :

أميرٌ أميرٌ عليه الندى جوادٌ بخيلٌ بأن لا يجودا

وقال [من الوافر] :

إلا أنّ الندى أضحى أميراً على مال الأمير أبي الحسينِ

٥ ـ وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

ومالٍ وهبت بلا موعدٍ وقرنٍ سبقت إليه الوعيدا [2]

---

(١) طبّه : عِلمه والجمام: الراحة.

(٢) القرن : النضير في العلم والشجاعة ، والوعيد : التهديد .

وقال [من القصيدة التي كتبها إلى السلطان من حبسه] [من المتقارب] :

لقـد حال بالسيف دون الوعيد وحالـت عطـاياه دون الوعودِ

٦ ـ وقال [من قصيدة يمدح بها كافوراً] [من الطويل] :

ومـا رغبتـي في عسجـدٍ أستفيده ولكنّهـا في مفخـرٍ أستجدُّهُ[1]

وقال [من قصيدة يمدح بها أبا العشائر] [من الوافر] :

فسـرت إليك في طلـب المعالي وسـار سواي في طلـب المعاش

٧ ـ وقال [يمدح سعيد بن عبد الله] [من البسيط] :

قد علّـم البين منّـا البين أجفانا تدمـي وألف في ذا القلـب أحزانا

وقال [في خلاص أبي وائل] [من المتقارب] :

كأنّ الجفـون علـى مقلتي ثيابٌ شققـن علـى ثاكلِ

٨ ـ وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

كأنّـك بالفقـر تبغـي الغنى وبالمـوت في الحـرب تبغي الخلودا

وقال [في الحسين بن إسحاق التنوخي] [من الطويل] :

كأنّـك في الإعطـاء للمـال مبغضٌ وفـي كلّ حربٍ للمنية عاشقُ

٩ ـ وقال [من الخفيف] :

الّـذي زلـت عنـه شرقـاً وغرباً ونـداه مقـابلـي مـا يـزولُ

وقال [في سيف الدولة] [من الطويل] :

ومـن فرّ من إحسانـه حسـداً له تلقـاه منـه حيث ما سار نائلُ

---

(١) العسجد : الذهب والجوهر.

١٠ ـ وقال [يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران] [من الكامل] :

فكأنّما نتجت قياماً تحتهم ... وكأنّما ولدوا على صهواتها[١]

وقال [في الحسن بن عبيد الله بن طغج] [من الطويل] :

وطعن غطاريفٍ كأنّ أكفَّهم ... عرفن الردينيات قبل المعاصم[٢]

١١ ـ وقال [يشكو الحمى بمصر] [من الوافر] :

جرحتِ مجرّحاً لم يبق منهُ ... مكانٌ للسيوف وللسهامِ

وقال [في مرثية والدة سيف الدولة] [من الوافر] :

رماني الدهر بالأرزاء حتّى ... فؤادي في غشاءٍ من نبالِ
فصرت إذا أصابتني سهامٌ ... تكسّرت النصال على النصال

١٢ ـ وقال [يمدح أبا علي هارون بن عبد الله الكاتب] [من الكامل] :

وشكيتي فقد السّهام لأنّه ... قد كان لمّا كان لي أعضاءُ

وقال [قبيل مسيره من مصر يهجو كافوراً] [من البسيط] :

لم يترك الدهر من قلبي ومن كبدي ... شيئاً تتيِّمه عينٌ ولا جيدُ[٣]

١٣ ـ وقال [يصف مدينة مرعش] [من الطويل] :

تصد الرياح الهوج عنها مخافةً ... وتفزع فيها الطير أن تلقط الحبَّا

---

(١) نتجت : ولَدت.

(٢) الغطاريف : جمع غطريف ، وهو الفتى الجميل والردينيّات : الرماح.

(٣) تتيِّمه : تجعله يعشق والجيد : العنق.

وقال [من قصيدة في مدح كافور] [من البسيط] :

إذا أتتها الرياح النكب في بلدٍ فما تهبُّ بها إلاَّ بترتيب

١٤ ـ وقال [يمدح الحسن بن عبيد الله بن طغج] [من الطويل] :

إذا ضوؤها لاقى من الطّير فرجةً تدوَّر فوق البيض مثل الدراهمِ[١]

وقال [من كلمة يمدح فيها عضد الدولة] [من الوافر] :

وألقى الشرق منها في ثيابي دنانيراً تفرُّ من البنانِ

وقال[٢] [يمدح أبا شجاع محمد بن أوس] [من الكامل] :

ولقد بكيت على الشباب ولمّتي مسودّةٌ ، ولماء وجهي رونقُ
حذراً عليه قبل يوم فراقه حتى لكدت بماء جفني أشرق[٣]

١٥ ـ وقال [وقد أهداه عبد الله بن خراسان هدية] [من المنسرح] :

هديةٌ ما رأيت مهديها إلاّ رأيت العباد في رجلِ

وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

[أحلماً نرى أم زماناً جديداً] أم الخلق في شخص حيٍّ أعيدا

ومثله [في الحسين بن إسحاق التنوخي] [من الطويل] :

[هي الغرض الأقصى ، ورؤيتك المنى] ومنزلك الدنيا ، وأنت الخلائقُ

---

(١) الفرجة : الكوّة.
(٢) لا يظهر لي وجه اتفاق هذين البيتين مع ما قبلها ولا ما بعدهما ، ولا بدّ أنّه سقط من الأصول ما يوافقها وكذلك سقط من الصبح المنبي ١٧٦ .
(٣) أشرقُ : أغصُّ.

ثم كرره وزاد فيه فقال [من كلمة يمدح فيها ابن العميد] [من الكامل] :

ولقيت كلَّ الفاضلين كأنّما ردَّ الإلَه نفوسهم والأعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدّماً وأتى فذلك إذ أتيت مؤخّرا

والأصل فيه قول أبي نواس [من السريع] :

ليس على الله بمستنكرٍ أن يجمع العالم في واحد

وقال [من البسيط] :

متى تخطي إليه الرجل سالمةً تستجمع الخلق في تمثال إنسانِ

١٦ ـ وقال [في سيف الدولة] [من البسيط] :

هو الشجاع يعدّ البخل من جبنٍ وهو الجواد يعدُّ الجبن من بخلِ

وقال [وقد ضرب أبو العساكر خيمة على الطريق فكثر سؤاله وغاشيته] [من المنسرح] :

فقلت إنّ الفتى شجاعته تريه في الشحّ صورة الفرقِ(١)

والأصل فيه قول أبي تمام [من الكامل] :

أيقنت أنّ من السماح شجاعةً تدمى ، وأنّ من الشجاعة جودا

١٧ ـ وقال [يمدح أبا شجاع عضد الدولة] [من الوافر] :

ومن أعتاض منك إذا افترقنا ؟ وكلُّ الناس زورٌ ما خلاكا

وقال في مثله فتبرد وبالغ [من الخفيف] :

إنّما الناس أنت ، وما النا س بناسٍ في موضعٍ منك خالِ

---

(١) الشحّ : البخل، والفرق : الخوف وشدّته.

١٨ ـ وقال [في سيف الدولة] [من الطويل] :

إذا اعتلّ سيف الدولة اعتلّتِ الأرضُ ومَنْ فوقها والبأس والكَرَمُ المحض[1]

وقال [فيه أيضاً] [من البسيط] :

وما أخصك في برءٍ بتهنئةٍ إذا سلمت فكلُّ الناس قد سلموا

١٩ ـ وقال [يمدح كافوراً ولم يلقه بعد] [من الطويل] :

تجاوز قدر المدح حتّى كأنّه بأحسن ما يُثنى عليهِ يعابُ

وقال [في عبد الله بن يحيى البحتري] [من البسيط] :

وعظْمُ قدرك في الآفاق أوهمني أني بقلّةِ ما أثنيت أهجوكا

وقال [يعزي عضد الدولة وقد ماتت عمته] [من السريع] :

وكان من عدّد إحسانهُ كأنّه أسرف في سبّه

والأصل في هذا قول البحتري [من الخفيف] :

جلَّ عن مذهب المديح فقد كا د يكون المديح فيه هجاءُ

٢٠ ـ وقال [وهو مما سبق إليه] [من مخلع البسيط] :

نال الذي نلت منه منّي لله ما تصنع الخمورُ

وقال [من الطويل] :

أفيكم فتىً حيٌّ فيخبر ناعباً بما شربت مشروبة الراح من ذهني

---

(١) المحض : الخالص الصافي.

٢١ ـ وقال [يمدح سيف الدولة] [من الطويل] :

عليمٌ بأســرار الديانــات واللّغى له خطـراتٌ تفضـح النـاس والكتبا[١]

وقال [في أبي العشائر علي بن الحسين] [من الوافر] :

كأنّــك ناظـرٌ في كلّ قلبٍ فمـا يخفــى عليك محــلّ غاشِ[٢]

وقال [من البسيط] :

ووكّل الظــن بالأســرار فانكشفتْ له سرائــر أهــل السهــل والجبلِ

٢٢ ـ وقال [لبدر بن عمار يمدحه] [من الكامل] :

فاغفــرْ فدىً لك واحبنــي من بعدها لتخصّنــي بعــطيةٍ منهــا أنا[٣]

وقال [من المنسرح] :

لــه أيادٍ إلــيَّ سالفةٌ أعــدُّ منهــا ولا أعدِّدها

٢٣ ـ وقال وهو من قلائده [من الخفيف] :

خير أعضائنــا الــرؤسُ ولكنْ فَضُلتهــا بقصــدك الأقــدام[٤]

وقال [من المتقارب] :

وإنّ القيام الألــى حوله لتحســد أرجلهــا الأرؤس

٢٤ ـ وقال [من قصيدة في مدح سيف الدولة] [من الطويل] :

وما الحســن في وجــه الفتــى شرفٌ له إذا لم يكن في فعلــه والخلائق

---

(١) اللغى : جمع لغة.

(٢) غاشٍ : مغطى ومحجوب.

(٣) الحباء : العطاء .

(٤) فضلتها : من الفضل، اي سبقتها إلى الفضل.

وقال في وصف الخيل [من الطويل] :

إذا لم تشاهدْ غير حسن شياتها   وأعضائها فالحسن عنك مغيبُ[1]

وقريب منه قوله [من الوافر] :

يحبُّ العاقلون على التصافي   وحبّ الجاهلين على الوسامِ

٢٥ ـ وقال في معنى قد تصرفت فيه الشعراء [من الخفيف] :

ذلّ من يغبطِ الذليل بعيشٍ   ربَّ عيشٍ أخفُّ منه الحمامُ

وقال [في صباه] [من الخفيف] :

عش عزيزاً أو متْ وأنت كريمٌ   بين طعن القنا وخفقِ البنودِ[2]

٢٦ ـ وقال [لعلي بن إبراهيم التنوخي يمدحه] [من الوافر] :

إذا ما لم تسرْ جيشاً إليهمْ   أسرت إلى قلوبهم الهلوعا[3]

وقال [من الخفيف] :

بعثوا الرعب في قلوب الأعادي   فكأنّ القتال قبل التلاقي

وقال [من البسيط] :

قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت   لك المهابة ما لا يصنع البهمُ

وقال [من الخفيف] :

أبصروا الطعن في القلوب دراكاً   قبل أن يبصروا الرماح خيالا[4]

---

(١) الشية : العلامة.

(٢) البنود : الأعلام والرايات.

(٣) الهلوع : الخوف والرعب.

(٤) دراكاً : متلاحقه.

وقال [من الطويل] :

صيامٌ بأبـواب القبـاب جيادهمْ   وأشخاصهـم في قلـب خائفهـم تعدو

وقال [من البسيط] :

تغيرُ عنـه علـى الغـارات هيبتهُ   ومالـه بأقاصـي البـرّ أهمالُ[1]

والأصل فيه قول النبي ﷺ « نصرت بالرعب » ثم أكثر الناس منه ، ومن أوجز ما قالوا قول علي بن جبلة العكوّك [من الهزج] :

غـدا مجتمع العـزم   لـه جندٌ مـن الرعبِ

٢٧ ـ وقال أبو الطيب [من الطويل] :

وأتعـب خلـق الله من زاد همّهُ   وقصّـر عمّـا تشتهـي النفس وجدَهُ

وقال [من الطويل] :

لحـى الله ذي الـدنيا مناخـاً لراكبٍ   فكلّ بعيد الهـمّ فيهـا معذّبُ[2]

٢٨ ـ وقال [من الخفيف] :

ومعـالٍ إذا ادّعاهـا سواهمْ   لزمتـه خيانـة السُّرّاقِ

وقال [من الكامل] :

مسـكيّـةُ النّفحـات إلاّ أنّها   وحشيـةٌ بسـواهـم لا تعبـقُ

* * *

(١) تغير : تغزو : من الغارة .
(٢) لحى الله : لعن وقبّح .

والآن حين أذكر ما ينعى على أبي الطيب من معائبِ شعره ومقابحه :

ومن ذا الذي تُرضي سجاياه كلّها كفى المرء فضلاً أن تعدّ معائبه[1]

ثم أقفى على آثارها بمحاسنه وسياق بدائعه وفرائده :

فحسن دراريٍّ الكواكب أن ترى طوالع في داجٍ من الليل غيهبِ[2]

* * *

١ ـ فمنها قبح المطالع

وحقه الحسن والعذوبة لفظاً ، والبارعة والجودة معنى ، لأنه أول ما يقرع الأذن ويصافح الذهن ، فإذا كانت حاله على الضد مجه السمع ، وزجه القلب ، ونبت عنه النفس ، وجرى أوله على ما تقوله العامة « أول الدن دردى » .

ولأبي الطيب ابتداءات ليست لعمري من احرار الكلام وغرره ، بل هي ـ كما نعاها عليه العائبون ـ مستشنعة لا يرفع السمع لها حجابه ، ولا يفتح القلب لها بابه ، كقوله [من الكامل] :

هذي برزت لنا فهجت رسيسا ثم انصرفت وما شفيت نسيسا[3]

فإنه لم يرض بحذف علامة النداء من « هذي » ، وهو غير جائز عند النحويين ، حتى ذكر الرسيس والنسيس، فأخذ بطرفي الثقل والبرد .

---

(١) السجايا : الصفات والطبائع.

(٢) داجٍ : مظلمٍ . وغيهب : شديد الظلمة .

(٣) الرسيس : الرقة في الشوق. والنسيس: بقية الروح.

وكقوله [من المنسرح] :

* أوهِ بديلٌ من قولتي واها *[1]

وهو برقْيَة العقرب أشبه منه بافتتاح كلام في مخاطبة ملك .

وكقوله ـ وهو مما تكلف له اللفظ المتعقد ، والترتيب المتعسف ، لغير معنى بديع يفي شرفه وغرابته بالتعب في استخراجه ، ولا تقوم فائدة الانتفاع به بإزاء التأذي باستماعه [من الطويل] :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمهْ بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمهْ[1]

وكقوله في استفتاح قصيدة في مدح ملك يريد أن يلقاه بها أول لقية [من الطويل] :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكنٌ أمانيا

وفي الابتداء بذكر الداء والموت والمنايا ما فيه من الطيرة ، التي تنفر منها السوقة ، فضلاً عن الملوك .

حكى الصاحب قال : ذكر الأستاذ الرئيس يوماً الشعر ، فقال : وإن أول ما يحتاج فيه إليه حسن المطلع ، فإن ابن أبي الشباب أنشدني في يوم نيروز قصيدة ابتداؤها [من الطويل] :

* أقبرٌ وما طلّت ثراك يد الطلّ ؟ *

فتطيرت من افتتاحه بالقبر ، وتنغصت باليوم والشعر ، فقلت : كذاك كانت حال

---

(١) وعجز البيت : لمن نأت والبديل ذكراها . وأوه : كلمة توجع ، وواهاً : كلمة تعجب وطيبة .
(٢) طاسمه : دارسه، وأشجاه : أحزنه والساجم : المذروف من الدمع .

ابن مقاتل لما مدح الداعي بقوله [من الرمل] :

لا تقـل بشـرى ولـكنْ بشريانِ غرّةُ الدّاعـي ويوم المهرجان

فإنه نفر من قوله « لا تقل بشرى » أشد نفار ، وقال : أعمى وتبتدىء بهذا في يوم مهرجان ؟!

قال الصاحب : ومن عنوان قصائده التي تحير الأفهام ، وتفوت الأوهام ، وتجمع من الحساب ما لا يدرك بالأرتيماطيقي ، وبالأعداد الموضوعة للموسيقى [من الوافر] :

أحـادٌ أم سداسٌ في أحاد لـيـيلتنـا المنـوطـة بالتنـادي

وهذا كلام الحكل ورطانة الزط[1] وما ظنك بممدوح قد تشمر للسماع من مادحه فصك سمعه بهذه الألفاظ الملفوظة والمعانـي المنبـوذة ؟ فأي هزة تبقـى هناك ؟ وأي أريحية تثبت هنا ؟

وقد خطأه في اللفظ والمعنى كثير من أهل اللغة وأصحاب المعاني ، حتى احتيج في الاعتذار له ، والنضح عنه ، إلى كلام لا يستأهله هذا البيت ، ولا يتسع له هذا الباب .

ومن ابتداءاته البشعة التي تنكرها بديهة السماع قوله [من الوافر] :

ملـثَّ القطـرِ أعطِشْهـا ربوعاً وإلاّ فاسِقهـا السـمّ النجيعا[2]

وقوله [من الكامل] :

أثلث فإنّـا أيّهـا الطلل [نبـكي وتـرزم تحتنـا الإبل][3]

(١) الحكل : ما لا يسمع صوته كالذرّ، والحكلة : العجمة في الكلام، والزط: جيل من الهنود.
(٢) ملثُّ القطر : أي المطر الذي لا ينقطع لأيّام والنجيع : النافع، أي القائل لها.
(٣) أثلث: كن ثالثاً. ترزم : تحنّ.

وقوله [من الوافر] :

بقائي شاء ليس هم ارتحالا [وحسن الصبر زمّوا لا الرّحالا][1]

قال الصاحب : ومن افتتاحاته العجيبة قوله لسيف الدولة في التسلية عند المصيبة [من الطويل] :

لا يحزن الله الأمير فإنني لآخذُ من حالاته بنصيب

قال الصاحب : لا أدري لم لا يحزن سيف الدولة إذا أخذ المتنبي بنصيب من القلق !

* * *

٢ ـ ومنها إتباع الفقرة الغراء ، بالكلمة العوراء

والإفصاح بذلك في شعره عن كثرة التفاوت ، وقلة التناسب ، وتنافر الأطراف ، وتخالف الأبيات ، وما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة ، ويعود لهذه العادة السيئة ، ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط . فبينا هو يصوغ أفخر حلي ، وينظم أحسن عقد ، وينسج أنفس وشي ، ويختال في حديقة ورد ، إذا به وقد رمى بالبيت والبيتين في إبعاد الاستعارة ، أو تعويص اللفظ ، أو تعقيد المعنى ، إلى المبالغة في التكلف ، والزيادة في التعمق ، والخروج إلى الإفراط والإحالة والسفسفة ، والركاكة والتبرد والتوحش ، باستعمال الكلمات الشاذة ، فمحا تلك المحاسن ، وكدر صفاءها ، وأعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها ، واستهدف لسهام العائبين ، وتحكك بألسنة الطاعنين : فمن متمثل بقول الشاعر [من الكامل] :

أنت العروس لها جمالٌ رائقٌ لكنّها في كلِّ يومٍ تصرعُ

(١) زمّوا : أجمعوا .

ومن مشبه إياه بمن يقدم مائدة تشتمل على غرائب المأكولات وبدائع الطيبات ، ثم يتبعها بطعام وضر ، وشراب عكر ، أو من يتبخر بالند المعشب المثلث ، المركب من العود الهندي والمسك الأصهب والعنبر الأشهب ، ثم يرفقه بإرسال الريح الخبيثة، ويفسده بالرائحة الردية ، أو بالواحد من عقلاء المجانين ينطق بنوادر الكلم ، وطرائف الحكم ، ثم يعتريه سكرة الجنون فيكون أصلح أحواله وأمثل أقواله أن يقول : اعذروني فإن العذرة متعذرة .

فمما نشر أبو الطيب من هذا النمط قوله [من الخفيف] :

أتراها لكثرة العشّاقِ تحسب الدمع خلقةً في المآقي ؟

وهو ابتداء ما سمع بمثله ، ومعنى تفرد بابتداعه ، ثم شفعه بما لا يبالي العاقل أن يسقطه من شعره فقال :

كيف ترثي التي ترى كلّ جفنٍ راءها غير جفنها غير راقي[1]

وقوله [من الطويل] :

ليالــيَّ بعد الظاعنين شكولُ طوالٌ ، وليل العاشقين طويلُ[2]
يبِنَّ ليَ البدر الذي لا أريده ويخفين بدراً ما إليه وصولُ
وما عشت من بعد الأحبّة سلوةً ولكنني للنائبات حمولُ
وما شرقي بالماء إلاّ تذكّراً لماءٍ به أهل الخليط نزول[3]
يحرِّمُهُ لمع الأسنة فوقه فليس لظمآنٍ إليه سبيل

من قصيدة اخترع أكثر معانيها ، وتسهل في ألفاظها ، فجاءت مصنوعة ، ثم

---

(١) راءها : أي رآها قدّم الألف واخر الهمزة ضرورة راقي : رقأ الدمع، انكفأ وانقطع .
الظاعنين : الراحلين .

(٢) الظاغين: الراحلين وشكول : متشابهة .

(٣) شرقي : غصي، والخليط: المكان الذي يختلط به القوم.

اعترضته تلك العادة المذمومة ، فقال :

أغـركُمُ طول الجيوش وعرضها علـيٌّ شروبٌ للجيوش أكول
إذا لم تكن لليث إلاّ فريسةٌ غذاه ولم ينفعـك أنّـك فيل

ثم أتى بما هو أطم[1] منه فقال ، وذكر الصاحب أنه من أوابده التي لا يسمع طول الأبد بمثلها :

إذا كان بعض النـاس سيفـاً لدولةٍ ففـي النـاس بوقـاتٌ لهـا وطبـول
فإن تكن الـدولات قسمـاً فإنّها لمـن ورد المـوت الـزؤام تدول

قال الصاحب : قوله « الدولات » و « تـدول » من الألفـاظ التي لو رزق فضـل السكوت عنها لكان سعيداً .

وقال من قصيدة جمع فيها الشذرة والبعرة ، والدرة والآجرة [من الكامل] :

لك يا منـازل في الفـؤاد منازل أقفـرت أنـت ، وهـنّ منـك أواهلُ

وهذا ابتداء حسن ومعنى لطيف ، ثم قال :

وأنـا الـذي اجتلـب المنيّة طرفُهُ فمـن المطالـب والقتيل القاتلُ

وهو وإن كان مأخوذاً من قول دعبل [من الكامل] :

لا تطلبـا بظـلامتـي أحداً طرفـي وقلبـي في دمـي اشتركا

فإنه آخذ بأطراف الرشاقة والملاحة، ثم استمر في قصيدتـه ، فجـاء بالمتوسـط المقارب والبديع النادر والرديء النافر ، حيث قال :

ولـذا اسـم اغـطية العيون جفونها من أنّهـا عمـل السيوف عوامل

(١) أطم: أدهى.

وهذا معنى في نهاية الحسن واللطف لو ساعده اللفظ ، ثم قال :

كم وقفةٍ سجرتك شوقاً بعدما غريَ الرقيب بنا ولجَّ العاذل[١]

فلم يحسن موقع قوله « سجرتك » أي ملأتك (هكذا الرواية بالجيم ، ولو كانت بالحاء من السحر لم يكن بأس) ثم قال وملح :

دون التعانق ناحلين كشكلتي نصبٍ أدقّهما وضمٌّ الشاكلُ[٢]

أي : قريب بعضنا من بعض ، ولم نتعانق خوف الرقيب . ثم قال فأحسن غاية الإحسان :

للهو آونةٌ تمرُّ كأنّها قبلٌ يزوّدها حبيبٌ راحلُ
جمع الزمان فما لذيذٌ خالصٌ ممّا يشوب، ولا سرورٌ كامل
حتى أبو الفضل بن عبد الله رؤ يته المنى وهو المقام الهائل

قال ابن جني : وهذا خروج غريب ظريف حسن ، ما أعرفه لغيره ، يقول : إن المنى رؤيته إلا أن هيبته تهول . ثم قال فجمع أوصافاً في بيت واحد :

للشّمس فيه وللرّياح وللسّحا ب وللبحار وللأسود شمائلُ

ثم قال وتحذق وتبرّد :

ولديه ملعقيان والأدب المفا د وملحياة وملمات مناهل[٣]

وإنما ألم في صدر هذا البيت بقول أبي تمام [من المنسرح] :

* نأخذ من ماله ومن أدبه *

(١) سجرتك : أشعلتك، وسجر التنوّر : زاده ناراً ووقوداً.

(٢) أدقهما : حركهما ،

(٣) يريد : من العقيان، ومن الحيات ، ومن الممات فحذف النون من (منْ) الجارة والف الوصل من المجرور بها.

ثم قال :

علاَّمـةُ العلمـاء واللـجُّ الذي لا ينتهـي ، ولـكلّ لجٍّ ساحلُ[1]

ثم قال فأحال :

لو طاب مولـد كلّ حيٍّ مثله ولـد النسـاء ومـا لهـنّ قوابل[2]

قال القاضي أبو الحسن : إن طيب المولد لا يستغني به عن القابلة ، وإن استغنى عنها كان ماذا ؟ وأي فخر فيه ؟ وأي شرف ينال به ؟

ثم توسط وقارب فقال :

ليزد بنـو الحسـن الشـراف تواضعاً هيهـات تُكتـم في الظـلام مشاعلُ

ستـروا النـدى ستـر الغـراب سفاده فبدا، وهل يخفي الرباب الهاطـل ؟[3]

ثم قال وتوحش وتبغض ما شاء الحاسد :

جفخـت وهـم لا يجفخـون بهـا بهم شيمٌ علـى الحسـب الأغـرّ دلائل[4]

يريد بالجفخ الفخر والبذخ ، ثم قال :

يا افْخـرْ فإنّ النـاس فيك ثلاثةٌ : مستعظـمٌ ، أو حاسـدٌ ، أو جاهل

أي : يا هذا افخر ، فحذف المنادى ، وتباغض وتبادى ، ثم قال :

لا تجسـر الفصحـاء تنشـد ههنا شعـراً ، ولكنّـي الهزبـر الباسل

---

(١) اللجُّ: البحر الزاخر.

(٢) القوابل : جمع قابلة ، وهي التي تشرف على الولادة.

(٣) السّفاد : الجماع ، والرّباب.

(٤) جفخت : فخرت وبذخت ، والأغرّ : الشريف والكريم.

ثم قال وأرسله مثلاً سائراً ، وأحسن جداً :

وإذا أتتك مذمّتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأنّي كامل
ما نال أهل الجاهلية كلّهم شعري ، ولا سمعت بسحري بابل

ثم قال وتعسف في اللفظ :

أمّا وحقّك وهو غاية مقسمٍ للحقّ أنت ، وما سواك الباطل
الطيب أنت إذا أصابك طيبه والماء أنت إذا اغتسلت الغاسلُ

وتقدير الكلام : الطيب أنت طيبه إذا أصابك ، والماء أنت غاسله إذا اغتسلت به ، وإنما ألم فيه بقول القائل [من الخفيف] :

وتزيدين طيب الطيب طيباً إن تمسّيه ، أين مثلك أينا ؟!

وقال من قصيدة كهذه التي تقدمت [من البسيط] :

قد علّم البين منّا البين أجفانا تدمى ، وألّف في ذا القلب أحزانا
أمّلت ساعة ساروا كشف معصمها ليلبث الحيّ دون السير حيرانا
بالواخدات وحاديها وبي قمرٌ يظلّ من وخدها في الخدر حشيانا[1]

وحشيان ـ بالحاء المهملة ـ من الغريب الوحشي ، الذي لا يأنس به السمع ، ولا يقبله القلب ، يقال : حشى الرجل حشياً فهو حشيان ، إذا أخذه البهر . يقول : إذا وخدت الإبل تحت هذا القمر أخذه البهر لترفه . ومن المؤدبين من يروي خشيانا بالخاء معجمة من الخشية .

---

(١) الواخدات : النوق ، والوخد ضرب من السير والحادي : السائق .
والخدر : الخباء .

ثم قال ، وأحسن ولطف وظرف :

قد كنت أشفق من دمعي على بصري   فاليوم كلّ عزيزٍ بعدكم هانا

ثم أراد أن يزيد على الشعراء في وصف المطايا ، فأتى ـ كما قال الصاحب ـ بأخزى الخزايا ، فقال :

لو استطعت ركبت الناس كلّهم   إلى سعيد بن عبد الله بعرانا[1]

قال الصاحب : ومن الناس أمه ، فهل ينشط لركوبها ؟ والممدوح لعل له عصبة لا يريد أن يركبوا إليه ، فهل في الأرض أفحش من هذا السخف وأوضع من هذا التبسط ؟

ثم أراد أن يستدرك هذه الطامة بقوله :

فالعيس أعقل من قوم رأيتهم   عمّا يراه من الإحسان عميانا

وقال ، ثم قال وأجاد في مدح الممدوح :

إن كوتبوا، او لقوا، او حوربوا، وجدوا   في الخط واللفظ والهيجاء فرسانا[2]
كأنّ ألسنهم في النطق قد جعلتْ   على رماحهم في الطّعن خرصانا[3]
كأنّهم يردون الموت من ظمأ   أو ينشقون من الخطّيِّ ريحانا

ثم قال :

خلائق لو حواها الزنج لانقلبوا   ظمي الشفاه جعاد الشعر غرّانا

والزنجي لا يوجد إلا جعد الشعر ، فكيف ينقلبون عن الجعودة إلى الجعودة ؟ وقد

---

(١) بعران : جمع بعير ، وهو الجمل.
(٢) الهيجاء : الحرب.
(٣) خرصان : جمع خرص، وهي أسنّة الرماح، او الحراب.

احتج عنه أصحاب المعاني بما يطول ذكره .

والعجب كل العجب من خاطر يقدح بمثل قوله في قصيدة [من المتقارب] :

وملمومةٍ زردٍ ثوبها ولكنّه بالقنا مخملُ[1]
يفاجىء جيشاً بها حينه وينذر جيشاً بها القسطل[2]

ثم يتصور في هذا الكلام الغث الرث فيتبعه به حيث يقول :

جعلتك في القلب لي عدّةً لأنك باليد لا تجعل

ولو قاله بعض صبيان المكاتب لاستحيا له منه .

* * *

٣ ـ ومنها استكراه اللفظ ، وتعقيد المعنى

وهو أحد مراكبه الخشنة التي يتسنمها ، ويأخذ عليها في الطرق الوعرة فيضل ويضل ويتعب ويُتعب ولا ينجح ، إذ يقول في وصف الناقة [من الكامل] :

فتبيت تسئد مسئداً في نيِّها إسئادها في المهمه الأنضاءُ[3]

وتقديره : فتبيت تسئد مسئد الأنضاء في نيها إسآدها في المهمه : أي كلما قطعت الأرض قطعت الأرض شحمها على احتذاء ومثال بهذا .

---

(١) الملمومة : الدرع .
(٢) القسطل : الغبار.
(٣) سئد : تسرع السير في الليل خاصة والني : الشحم
والمهمه : الأرض الواسعة البعيد
والأنضاء : مصدر أنضاه : أي أهزله .

ويقول في المدح [من الكامل] :

أنّـى يكون أبـا البـرايا آدمٌ ... وأبـوك ، والثقـلان أنـت ، محمدُ[1]

وتقديره : أنى يكون آدم أبا البرايا وأبوك محمد وأنت الثقلان .

وقال من نسيب قصيدة [من الطويل] :

إذا عذلـوا فيهـا أجبـت بأنّةٍ ... حبيبتـا قلبـي فؤادي هيا جمل

أراد « يا حبيبتي » ثم أبدل الياء من حبيبتي ألفاً تخفيفاً ، و « قلبي » منصوب لأنه بدل من حبيبتا ، و « فؤادي » بدل من قلبي ، وهذا كقولك : أخي سيدي مولاي ، نداء بعد نداء ، ويقال في النداء : يا زيد ، وأيا زيد ، وهيا زيد .

وأشباه هذه الأبيات كثيرة في شعره كقوله [من الطويل] :

لسانـي وعينـي والفـؤاد وهمّتي ... أودّ اللواتـي إذا اسمُهـا منـك والشطرُ

وقوله [من الطويل] :

فتـىً ألف جزءٍ رأيهُ في زمانه ... أقـلُّ جزيٍّ بعضـه الـرأي أجمعُ

وقوله [من الكامل] :

لو لم تكنْ من ذا الورى اللذ منك هو ... عقمـت بمـولـد نسـلهـا حواء

وهو مما اعتل لفظه ، ولم يصح معناه ، فإذا قرع السمع لم يصل إلى القلب إلا بعد إتعاب الفكر ، وكد الخاطر ، والحمل على القريحة ، [ثم] إن ظفر بعد العناء والمشقة فقلما يحصل على طائل .

* * *

(١) الثقلان : الجنّ والانس.

٤ ـ ومنها عسف اللغة والإعراب

وهو مما سبق إلى القلوب إنكاره ، وإن كان عند المحتجين عنه الاعتذار له ، والمناضلة دونه ، كقوله [من الطويل] :

فدى من على الغبراء أولّهم أنا لهذا الأبي الماجد الجائد القرمِ(١)

ولم يحك عن العرب « الجائد » وإنما المحكى رجل جواد ، وفرس جواد ، ومطر جواد .

وكقوله [من الطويل] :

فأرحام شعرٍ تتصلن لدنّه وأرحام مالٍ لا تني تتقطّعُ

وتشديد النون من « لدن » غير معروف في لغة العرب .

وكقوله [من الوافر] :

شديد البعد من شرب الشمول ترنج الهند أو طلع النخيلِ

والمعروف عند العرب الأترج ، والترنج مما يغلط فيه العامة . قال الصاحب : لا أدري الاستهلال أحسن ، أم المعنى أبدع ، أم قوله ترنج أفصح ؟

وكقوله [من الكامل] :

بيضاء يمنعها تكلّم دلّها تيها ، ويمنعها الحياء تميسا

فنصب « تميس » مع حذف أن ، وهو ضعيف عن أكثر النحويين .

وكقوله [من الكامل] :

وتكرّمتْ ركباتها عن مبركٍ تقعان فيه ليس مسكاً أذفرا(٢)

---

(١) القرم : السيد.

(٢) المبرك : مكان البروك ، والأذفر : ما ظهرت رائحته واشتدت سواء كانت طيبة أم خبيثة .

فجمع الركبات ثم انتقل إلى التثنية فقال « تقعان » ، وهو ضعيف وغير سديد في صناعة الإعراب .

وكقوله [من الخفيف] :

ليس إلاّك يا عليُّ همامٌ سيفه دون عرضه مسلولُ

وكقوله [من السريع] :

لم تر من نادمت إلاّ كا لا لسوى ودّك لي ذا كا

فوصل الضمير بإلا ، وحقه أن ينفصل عنه كما قال الله تعالى[1] : ﴿ضل من تدعون إلا إياه﴾ .

وكقوله [من البسيط] :

* لأنت أسود في عيني من الظلمِ *

وألف التعجب[2] لا تدخل على أفعل ، وإنما يقال : أشد سواداً وحمرة وخضرة .

وكقوله [من الكامل] :

* جللاً كما بي فليكُ التبريحُ *

وحذف النون من « يكن » إذا استقبلها الألف واللام خطأ عند النحويين[3] ، لأنها تتحرك إلى الكسر ، وإنما تحذف استخفافاً إذا سكنت .

---

(١) من الآية ٦٧ من سورة الاسراء .

(٢) يريد أن صيغة «أفعل» في التفضيل والتعجب لا تبنى من الأفعال الدالة على الألوان، وهذا رأي كثير من النحاة، ومنهم من أجاز البناء من البياض والسّواد بخصوصهما .

(٣) أجازه يونس بن حبيب واستدل له بوروده في بعض القراءات وفي الشعر العربي من مثل قول الشاعر : فإن لم تك المرآة أبدت وسامةً. فقد أبدت المرآة جبهة ضيغم.

وكقوله [من الطويل] :

* أمطْ عنك تشبيهي بما وكأنّه *[1]

والتشبيه بما محال .

وكقوله [من الكامل] :

لعظمــتَ حتــى لو تكون أمانةٌ ما كان مؤتمنــاً بهــا جبرين

قال الصاحب : وقلب هذه اللام إلى النون ، أبغض من وجه المنون ، ولا أحسب جبرائيل عليه السلام يرضى منه بهذا المجاز، هذا على ما في البيت من الفساد والقبح .

وكقوله [من الطويل] :

حملــت إليه من ثنائــي حديقةً سقاها الحجا سقي الرياض السحائب

أي : سقي السحائب الرياض[2] .

* * *

٥ ـ ومنها الخروج عن الوزن

كقوله [من الطويل] :

تفــكُّره علــمٌ ، ومنطقــه حكمُ وباطنــه دينٌ ، وظاهــره ظرفُ

وقد خرج فيه عن الوزن لأنه لم يجيء عن العرب « مفاعيلن » في عروض الطويل غير مصرع ، وإنما جاء « مفاعلن » ، قال الصاحب : ونحن نحاكمه إلى كل شعر للقدماء والمحدثين على بحر الطويل ، فما نجد له على خطئه مساعداً .

(١) أمط : نحِّ وأبعد.

(٢) فيه الفصل بين المضاف والمضاف اليه بمفعول المضاف وهو جائز عند الكوفيين، وله شواهد.

قال القاضي أبو الحسن : وقد عيب أيضاً بقوله [من الرمل] :

إنّمـا بدر بن عمّـار سحابٌ هطِـلٌ فيه ثوابٌ وعقابْ

لأنه أخرج الرمل على « فاعلاتن » وأجـرى جميع القصيدة علـى ذلك في الأبيات غير المصرعة ، وإنما جاء الشعر على « فاعلن » وإن كان أصله في الدائرة فاعلاتن .

* * *

٦ ـ ومنها استعمال الغريب الوحشي

وإذا كان المتنبي من المحدثين ، بل من العصريين ، وجرى على رسومهم في اختيار الألفـاظ المعتـادة المألوفـة بينهـم ، بل ربمـا انحـط عنهـم بالـركاكة والسفسفة ، ثم تعاطى الغريب الوحشي ، والشاذ البدوي ، بل ربما زاد في ذلك على أقحاح المتقدمين ـ حصـل كلامـه بين طرفـي نقيض ، وتعـرض لاعتـراض الطاعنين .

فمن ذلك الفن الذي ينادي على نفسه ، ويقلق موقعه في شعره وشعر غيره من أبناء عصره ـ قوله [من الوافر] :

ومـا أرضـى لمقلتـه بحلمٍ إذا انتبهـت توهّمـه ابتشاكا

والابتشاك : الكذب ، ولم أسمع فيه شعـراً قديمـاً ولا محدثـاً سوى هذا البيت وقوله في وصف الغيث [من الوافر] :

لسـاحيه علـى الأجـداث حفشٌ كأيدي الخيل أبصـرت المخالي

الساحي : القاشر ، ومنه سميت المسحاة لأنها تقشر وجه الأرض ، والحفش : مصدر حفش السيل حفشاً ، إذا جمع الماء من كل جانب إلى مستنقع .

وقوله في وصف السيف [من الخفيف] :

ودقيقٌ قديَ الهبـاء أنيـقٌ متـوالٍ فـي مستـوٍ هزهازِ

قدي : بمعنى مقدار ، يقال : بينهما قيد رمح ، وقدي رمح .

وقوله [من الكامل] :

* تطِسُ الخدود كما تطسن اليرمعا *

تطسن : أي تدق ، واليرمع : الحجارة الرخوة .

وقوله [من الكامل] :

وإلـى حصـى أرضٍ أقـام بها بالنّـاس منْ تقبيلهـا يلَلُ

اليلل : إقبال الأسنان وانعطافها على باطن الفم ، ولم أسمعه في غير شعره .

وقوله [من الكامل] :

* الشمس تشرق والسّحاب كنهوراً *

الكهنور : القطع من السحاب العظيمة .

وقوله [من البسيط] :

وكيف أستر ما أوليت من حسنٍ وقد غمرت نوالاً أيّها النّالُ

والنال : المعطي .

وقوله [من الوافر] :

* أسائلها عـن المتديّريها *

قال الصاحب : لفظة « المتديريها » لو وقعت في بحر صاف لكدرته ، ولو ألقى ثقلها على جبل سام لهده ، وليس للمقت فيها نهاية ، ولا للبرد معها غاية ، المتديروها : المتخذوها داراً .

قال الصاحب : ومن أطم ما يتعاطاه التفاصح بالألفاظ النافرة ، والكلمات الشاذة، حتى كأنه وليد خباء ، وغذي لبن ، لم يطأ الحضر ، ولم يعرف المدر، فمن ذلك قوله [من الطويل] :

أيفطمه التوراب قبل فطامه ويأكله قبل البلوغ إلى الأكلِ[1]

وليس ذلك سائغاً لمثله ، وهو وليد قرية ، ومعلم صبية .

ومن الجموع الغريبة التي يوردها قوله في جمع الأرض [من الوافر] :

أُروضُ الناس من تربٍ وخوفٍ وأرضُ أبي شجاعٍ من أمانِ[2]

وقوله في جمع اللغة [من الطويل] :

* عليمٌ بأسرار الديانات واللّغى *

وقوله في جمع الدنيا [من الطويل] :

* أعزُّ مكان في الدنى سرج سابحٍ *

وقوله في جمع الأخ [من الخفيف] :

* كلّ آخائه كرام بني الدنيا *

قال الصاحب : لو وقع « الآخاء » في رائية الشماخ لاستثقل ، فكيف مع أبيات منها :

قد سمعنا ما قلت في الأحلام وأنلناك بدرةً في المنام[3]

---

(١) التوراب : لغة في التراب ، والترباء : الأرض.

(٢) أروض : جمع أرض .

(٣) البدرة : العطية، وهي كيس من الدراهم، أو صرّة.

والكلام إذا لم يتناسب زيفته جهابذته ، وبهرجته نقاده .

* * *

٧ ـ ومنها الركاكة والسفسفة بألفاظ العامة والسوقة ومعانيهم

كقوله [من الطويل] :

رماني خساس الناس من صائب استه   وآخــرُ قُطــنٌ من يديه الجنادلُ[١]

وقوله [من الوافر] :

وإن ما ريتنــي فاركب حصاناً   ومثِّلــهُ تخــرُّ له صريعا[٢]

وقوله [من الكامل] :

إن كان لا يدعــى الفتــى إلاّ كذا   رجــلاً فســمّ النــاس طرّاً إصبعا

وقوله [من الوافر] :

قســا فالأســد تفــزع من يديه   ورقّ فنحــن نفــزع أن يذوبا

وقوله [من الوافر] :

تألــم درزه والــدّرز لينٌ   كمــا يتألــم العضــب الصنيعا[٣]

وعلى ذكر الدرز فقد حكى الصاحب في كتاب الروزنامجة من حديث لحظة الطولونية المغنية ما يشبه معنى هذا البيت ، وهو أنـه قال : سمعتهـا تقـول : يا

---

(١) خساس الناس : أقلّهم قدراً. والإست : المؤخّرة.
والقطن : الذي تصنع منه الثياب، والجنادل : الصخور .
(٢) ماريتني : جادلتني.
(٣) الدرز : الخياطة ، والعضب : السيف.

جارية ، علي بالقميص المعمول في النسج ، فقد آذاني نقل الدروز .

وقوله [من الخفيف] :

لسرى لباسه خشن القطـ ـن ومروي مرو لبس القرود

وقوله [من المجتث] :

ما أنصف القوم ضبّه وأمه الطرطبه[1]
رموا برأس أبيه وباكوا الأمّ غلبه[2]

وقوله [من البسيط] :

بياض وجهٍ يريك الشمس طالعةً ودرّ لفظٍ يريك الدرَّ مخشلبا[3]

وقوله [من الكامل] :

إن كان مثلك كان أو هو كائنٌ فبرئت حينئذ من الإسلامِ

قال الصاحب : « حينئذ » ، ههنا من عير منفلت .

قال : ومن ركيك صنعه ، في وصف شعره ، والزراية على غيره ، قوله [من الخفيف] :

إنّ بعضاً من القريض هراءٌ ليس شيئاً ، وبعضه أحكام
منه ما يجلب البراعة والذهـ ـن ، ومنه ما يجلب البرسام

وقال : وههنا بيت نرضى باتباعه فيه ، وما ظنك بمحكم مناويه ثقة بظهور حقه وإيراء زنده ؟ ، ولو لم يكن التحكيم بعد أبي موسى من موجب العزم ،

---

(١) القرطبه : القصيرة الضخمة.

(٢) باكوا : نزوا .

(٣) المخشلب : نبطية الأصل ليست عربية وتعني خرز من حجارة البحر وليس بدر .

ومقتضى الحزم ، وهو[من الطويل] :

أطعناك طوع الدهر يا بن ابـن يوسفٍ   بشهوتنـــا والحاســـدو لك بالرغم

وقوله [من الخفيف] :

تقضمُ الجمـر والحـديد الأعادي   دونـــه قضـــم سكّر الأهوازِ

وقوله [من الكامل] :

فكأنّمـــا حسِـب الأسنّــة حلوةً   أو ظنّهــا البــرنـي والآزاذا[1]

قال الصاحب : إذا جمع السكر إلى البرني والأزاذ تم الأمر .

قال : وكانت الشعراء تصف المآزر ، تنزيهاً لألفاظها عما يستشنع ذكره ، حتى تخطى هذا الشاعر المطبوع إلى التصريح الذي لم يهتد له غيره فقال [من الكامل] :

إنّــي علــى شغفــي بمــا في خمرها   لأعفُّ عمّـا في سراويلاتها

وكثير من العهر أحسن من هذا العفاف .

قال القاضي : ومن أمثاله العامية قوله [من المتقارب] :

وكـلّ مكانٍ أتـــاه الفتى   علــى قدر الرِجـلِ فيه الخطى

* * *

ومنها إبعاد الاستعارة ، والخروج بها عن حدها

كقوله [من البسيط] :

مســرّةٌ في قلـــوب الــطيب مفرقها   وحسـرةٌ في قلـــوب البيض واليلب[2]

---

(١) البرني : نوع من التمر، وكذلك الآزاذ.

(٢) اليلب : الجلد.

وقوله [من المنسرح] :

تجمّعتْ في فؤادهمْ هممٌ ملء فؤاد الزمان إحداها

وقوله [من الكامل] :

لم يحك نائلك السّحاب ، وإنّما حمّت به فصبيبها الرحضاء[1]

وقوله [من البسيط] :

إلاّ يشبْ فلقد شابت له كبدٌ شيباً إذا خضبته سلوةٌ نصلا

وقوله [من الطويل] :

وقد ذقت حلواء البنين على الصّبا فلا تحسبنّي قلت ما قلت عن جهلِ

فجعل للطيب والبيض واليلب قلوباً ، وللسحاب حمى ، وللزمان فؤاداً ، وللكبد شيباً ، وهذه استعارات لم تجر على شبه قريب ولا بعيد ، وإنما تصح الاستعارة وتحسن على وجه من الوجوه المناسبة ، وطرق من الشبه والمقاربة .

قال الصاحب : وما زلنا نتعجب من قول أبي تمام [من الكامل] :

لا تسقني ماء الملام [فإنّني صبٌّ قد استعذبت ماء بكائي]

فخف علينا بحلواء البنين .

* * *

ومنها الاستكثار من قول « ذا »

قال القاضي : وهي ضعيفة في صنعة الشعر ، دالة على التكلف ، وربما

---

(١) الرحضاء : العرق إثر الحمّى.

وافقت موضعاً تليق به فاكتست قبولاً ، فأما في مثل قوله [من الخفيف] :

قد بلغت الذي أردت من البرِّ ومن حق ذا الشريف عليكا
وإذا لم تسر إلى الدار في وقتك ذا خفت أن تسير إليكا

وقوله [من الكامل] :

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو عقمت بمولد نسلها حواءُ

وقوله [من الكامل] :

عن ذا الذي حرم الليوث كماله تنسى الفريسة خوفه لجمالِهِ

وقوله [من المنسرح] :

وإنْ بكينا له فلا عجبٌ ذا الجزر في البحر غير معهودِ[1]

وقوله [من الطويل] :

أفي كلِّ يومٍ ذا الدمستق مقدمٌ قفاه على الإقدام للوجه لائمُ

وقوله [من الطويل] :

أبا المسك ذا الوجه الذي كنت تائقاً إليه ، وذا الوقت الذي كنت راجيا

وقوله [من الطويل] :

* وأعجب من ذا الهجر ، والوصل أعجب *

وقوله [من البسيط] :

أريد من زمني ذا أن يبلِّغني ما ليس يبلغه في نفسه الزمنُ

---

(١) الجزرُ : رجوع ماء البحر إلى الوراء .

وقوله [من الطويل] :

* يضاحك في ذا اليوم كلٌّ حبيبةٍ *

فهو ـ كما تراه ـ سخافة وضعف ، ولو تصفحت شعره لوجدت فيه أضعاف ما ذكرناه من هذه الإشارة ، وأنت لا تجد منها في عدة دواوين جاهلية حرفاً ، والمحدثون أكثر استعانة بها ، لكن في الفرط والندرة ، أو على سبيل الغلط والفلتة .

* * *

ومنها الإفراط في المبالغة ، والخروج فيه إلى الإحالة

كقوله [من الوافر] :

ونالوا ما اشتهوا بالحزم هوناً ... وصاد الوحش نملهم دبيبا[1]

وقوله [من البسيط] :

وضاقت الأرض حتى صار هاربهمْ ... إذا رأى غير شيء ظنَّه رجلا

فبعده وإلى ذا اليوم لو ركضتْ ... بالخيل في لهوات الطفل ما سعلا

وقوله [من الوافر] :

وأعجب منك كيف قدرت تنشا ... وقد أعطيت في المهد الكمالا

وأقسم لو صلحت يمين شيء ... لما صلح العباد له شمالا

وقوله [من الطويل] :

بمن أضرب الأمثال ؟ أم من أقيسه ... إليك وأهلُ الدهر دونك والدهرُ ؟

---

(١) الهون : الرفق والتأنّي والدبيب : مشي النمل.

وقوله [من الطويل] :

ولــو قلــمٌ ألقيت في شقّ رأسهِ   من السّقــم ما غيّرت من خطِّ كاتبِ

وقوله [من البسيط] :

من بعــد ما كان ليلــي لا صبــاح لهُ   كأنّ أوّل يوم الحشــر آخرُهُ

فهو مما يستهجن في صنعة الشعر ، على أن كثيراً من النقـدة لا يرتضـون هذا الإفراط كله .

* * *

ومنها تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين

كقوله [من الطويل] :

ومـن جاهـلٍ بي وهـو يجهــل جهله   ويجهــل علمــي أنّــه بيَ جاهلُ

وقوله في هذه القصيدة :

فقلقلـت بالهـمّ الــذي قلقــل الحشا   قلاقــل عيسٍ كلُّهــنَّ قلاقلُ[1]

قال الصاحب : وما زال الناس يستبشعون قول مسلم [من الكامل] :

سلّــت وسلّــت ثم سلّ سليلها   فأتــى سليل سليلهــا مسلـولا

حتى جاء هذا المبدع فقال [من الوافر] :

وأفجــع من فقدنــا من وجدنا   قبيـل الفقــد مفقــود المثالِ

وأظن المصيبة في الراثي أعظم منها في المرثي .

---

(١) قلقل : حرّك ، وقلاقل عيس : وهي النوق الخفيفة والعيس : الإبل.

وقوله [من الطويل] :

عظمــتَ فلمّــا لم تكلّــمْ مهابةً　　تواضعت وهو العظم عظماً عن العظم

قال الصاحب : وما أحسن ما قال الأصمعي لمن أنشده [من الطويل] :

فمـا للنـوى جدّ النـوى قطـع النوى　　كذاك النــوى قطّاعــةٌ لوصالِ

لو سلط الله تعالى على هذا البيت شاة فأكلت هذا النوى كله !

وقوله [من الطويل] :

ولا الضعف حتى يتبع الضعف ضعفه　　ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألفُ

وقوله [من الوافر] :

ولــم أر مثــل جيرانــي ومثلي　　لمثلــي عنــد مثلِهــمِ مقامُ

وقوله [من البسيط] :

العارض الهتنُ ابن العارض الهتنِ ابــــن العارض الهتن ابن العارضِ الهتنِ[1]

وقوله [من الطويل] :

وإنّــي وإنْ كان الــدفين حبيبه　　حبيبٌ إلــى قلبــي حبيبُ حبيبي

وقوله [من الطويل] :

لك الخير غيري رام من غيرك الغنى　　وغيري بغير الــلاذقية لاحقُ

وقوله [من المنسرح] :

ملولــةٌ ما تدوم ليس لها　　من مللٍ دائــمٍ بهــا مللُ

---

(١) العارض الهتن : الغيم الممطر.

وقوله [من الوافر] :

قبيلٌ أنت وأنت منهم وجدّك بشّر الملك الهمامُ[1]

وقوله [من الوافر] :

وكلُّكُمُ أتى مأتى أبيهِ فكلٌّ فعالِ كلِّكمُ عجابُ

وقوله [من الطويل] :

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كلّهُ ولكن شعري فيك من نفسه شعرُ

وقوله [من الخفيف] :

إنّما الناس حيث أنت ، وما النا س بناسٍ في موضعٍ منك خالي

وقوله [من الطويل] :

ولولا تولّى نفسه حمل حمله عن الأرض لانهدّت وناء بها الحملُ

وقوله [من الوافر] :

ونهبُ نفوسِ أهل النّهب أولى بأهل النّهب من نهب القماش

وقوله [من الطويل] :

* وطعنٍ كأنّ الطّعن لا طعنَ عندهُ *

وقوله [من الطويل] :

أراه صغيراً قدرها عظم قدره فما لعظيمٍ قدره عنده قدرُ

---

(1) قبيل : جماعة .

وقوله [من الوافر] :

جواب مسائلي أَلَـهُ نظيرٌ ولا لك في سؤالك لا ألالا

قال الصاحب : ما قدرت أن مثل هذا البيت يلج سمعاً ، وقد سمعت الفأفاء ، ولم أسمع باللألاء ، حتى رأيت هذا المتكلف المتعسف ، الذي لا يقف حيث يعرف .

* * *

ومنها إساءة الأدب بالأدب

كقوله [من الكامل] :

فغدا أسيراً قد بللت ثيابه بدمٍ ، وبلَّ ببولَه الأفخاذا

وقوله [من المتقارب] :

وما بين كاذتي المستغير كما بين كاذتي البائل[1]

وقوله [من الطويل] :

خفِ الله واسترْ ذا الجمال ببرقعٍ فإن لحت حاضت في الخدور العوائقُ[2]

ويقال : لما أنكرت عليه « حاضت » غيره فجعله « ذابت » ، وذكر البول والحيض مما لا يحسن وقوعه في مخاطبة الملوك والرؤساء .

وأقبح موقعاً من ذلك قوله في قصيدة يرثي بها أخت سيف الدولة ، ويعزيه عنها حيث يقول [من البسيط] :

وهل سمعت سلاماً لي ألمّ بها فقد أطلت وما سلّمت عن كثبِ

---

(١) الكاذة : ما حول السوأة من ظاهر الفخذين ، أو لحم مؤخرهما.

(٢) حاضت : من الحيض وهو معروف عند المرأة والعوائق : الكريمات من النساء.

وما باله يسلم على حرم الملوك ، ويذكر منهن ما يذكره المتغزل في قوله [من البسيط] :

يعلمن حين تحيّ حسن مبسمها ... وليس يعلم إلاّ الله بالشنبِ[1]

وكان أبو بكر الخوارزمي يقول : لو عزاني إنسان عن حرمة لي بمثل هذا لألحقته بها ، وضربت عنقه على قبرها ، قال الصاحب : ولقد مررت على مرثية له في أم سيف الدولة تدل مع فساد الحس ، على سوء أدب النفس ، وما ظنك بمن يخاطب ملكاً في أمه بقوله [من الوافر] :

بعيشك هل سلوت فإنّ قلبي ... وإن جانبت أرضك غير سالي ؟

فيتشوق إليها ، ويخطىء خطأً لم يسبق إليه ، وإنما يقول مثل ذلك من يرثي بعض أهله ، فأما استعماله إياه في هذا الموضع فدال على ضعف البصر بمواقع الكلام ، وفي هذه القصيدة :

رواق العزّ فوقك مسبطر ... وملك عليٍّ ابْنِكَ في كمالِ[2]

ولعل لفظة الاسبطرار في مراثي النساء من الخذلان الرقيق الصفيق المتبر قال : ولما أبدع في هذه القصيدة واخترع قال :

صلاة الله خالقنا حنوط ... على الوجه المكفّن بالجمالِ

فلا أدري هذه الاستعارة أحسن أم وصفه وجه والدة ملك يرثيها بالجمال أم قوله في وصف قرابتها وجواريها .

أتتهنّ المصائب غافلاتٍ ... فدمع الحزن في دمع الدلالِ !؟

* * *

(١) الشنب : البارد من رضابها .
(٢) رواق العزّ : أي أروقتها . ومسبطر : الممتدّ .

ومنها الإيضاح عن ضعف العقيدة ورقة الدين

على أن الديانة ليست عياراً على الشعراء ، ولا سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر ، ولكن للإسلام حقه من الإجلال الذي لا يسوغ الإخلال به قولاً وفعلاً ونظماً ونثراً ، ومن استهان بأمره ، ولم يضع ذكره وذكر ما يتعلق به في موضع استحقاقه ، فقد باء بغضب من الله تعالى ، وتعرض لمقته في وقته ، وكثيراً ما قرع المتنبي هذا الباب بمثل قوله [من الخفيف] :

يترشّفن من فمي رشفاتٍ هنَّ فيه أحلى من التوحيدِ

وقوله [من الطويل] :

ونصفي الذي يكنى أبا الحسن الهوى ونرضى الذي يسمى الإلـه ولا يكنى

وقوله من قصيدة مدح بها العلوي [من الطويل] :

وأبهر آيات التهاميِّ أنّه أبوكم ، وإحدى مالكم من مناقبِ

وقوله [من الكامل] :

تتقاصر الأفهام عن إدراكه مثل الذي الأفلاك فيه والدُّنا

وقد أفرط جداً ؛ لأن الذي الأفلاك فيه والدنا هو علم الله عز وجل .

وقوله [من المنسرح] :

الناس كالعابدين آلهةً وعبده كالموحد اللاها

وقوله [من الكامل] :

لو كان علمك بالإلـه مقسّماً في الناس ما بعث الإلـه رسولا

أو كان لفظك فيهم ما أنزل الـ ـتوراة والفرقان والإنجيلا

وقوله [من الكامل] :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما أتى الظلمات صرن شموساً
أو كان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركةٍ لأعيا عيسى

عازر : اسم الرجل الذي أحياه المسيح عليه الصلاة والسلام ، بإذن الله عز وجل .

أو كان لجُّ البحر مثل يمينه ما انشقّ حتّى جاز فيه موسى

وكأن المعاني أعيته حتى التجأ إلى استصغار أمور الأنبياء ، وفي هذه القصيدة :

يا من نلوذ من الزمان بظلِّهِ أبداً ، ونطرد باسمه إبليسا

وقوله وقد جاز حد الإساءة [من مجزوء الرجز] :

أيُّ محلٍّ أرتقي ؟! أيُّ عظيمٍ أتّقي ؟!
وكلُّ ما قد خلق اللـه وما لم يخلق
محتقرٌ في همّتي كشعرةٍ في مفرقي[1]

وقبيح بمن أوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بينهما حامل بول وعذرة ، أن يقول مثل هذا الكلام الذي لا تسعه معذرة .

* * *

ومنها الغلط بوضع الكلام في غير موضعه

كقوله [من الوافر] :

أغار من الزجاجة وهي تجري على شفةِ الأمير أبي الحسينِ

(١) مفرقي : أي مفرق الشعر في الرأس .

وهذه الغيرة إنما تكون بين المحب ومحبوبه ، كما قال أبو الفتح كشاجم وأحسن [من الوافر] :

أغار إذا دنت من فيه كأسٌ على درٍّ يقبِّله الزُّجاجُ

فأما الأمراء والملوك فلا معنى للغيرة على شفاهها !

وكقوله [من المتقارب] :

وغرٌّ الدمستق قول الوشا ة إنّ علياً ثقيلٌ وصِبْ[1]

فجعل الأمراء يوشى بهم، وإنما الوشاية السعاية ونحوها [من الرعية] ، ومن شأن الممدوح أن يفضل على عدوه ، ويجري العدو مجرى بعض أصحابه وليس في اللغة أن يقال : وشى فلان بالسلطان إلى بعض رعيته .

وكقوله في وصف الحمى المعرقة [من الوافر] :

إذا ما فارقتني غسلتني كأنّا عاكفان على حرام

وليس الحرام أخص بالاغتسال منه من الحلال .

وكقوله في وصف مهره [من الرجز] :

* وزاد في الأذن على الخرانق *[2]

وأذن الفرس يستحب فيها الدقة والانتصاب ، وتشبه بطرف القلم ، وأذن الأرنب ، على الضد من هذا الوصف .

* * *

---

(١) وصب : مريض .

(٢) الخرانق : الأرانب .

ومنها امتثال ألفاظ المتصوفة

واستعمال كلماتهم المعقدة ، ومعانيهم المغلقة ، في مثل قوله في وصف فرس [من الطويل] :

[وتسعدني في غمرةٍ بعد غمرةٍ] سبوحٌ لها منها عليها شواهدُ[1]

وقوله [من الوافر] :

إذا ما الكأس أرعشتِ اليدين صحوت فلم تحلْ بيني وبيني

وقوله [من الطويل] :

أفيكم فتىً حيٌّ يخبِّرني عنّي بما شربت مشروبة الراح من ذهني

وقوله [من مخلع البسيط] :

نال الذي نلت منه منّي لله ما تصنع الخمورُ !

وقوله [من الكامل] :

كبر العيان عليَّ حتّى إنّه صار اليقينُ من العيان توهّما

وقوله [من الكامل] :

وبه يضنُّ على البرية ، لا بها وعليه منها ، لا عليها ، يوسي

وقوله [من الوافر] :

ولولا أنّني في غير نومٍ لكنت أظنّني منّي خيالا

قال الصاحب : ولو وقع قوله [من الخفيف] :

نحن من ضايق الزمان له فيـ ـك ، وخانته قربك الأيام

---

(١) غمرة : موقعة وحرب ، وسبوح : فرس .

في عبارات الجنيد والشبلى لتنازعته المتصوفة دهراً بعيدا .

ومن أشد ما قاله في هذا المعنى قوله [من الطويل] :

ولكنّـك الـدّنيا إلـيَّ حبيبةٌ فمـا عنـك لي إلاَّ إليك ذهابُ

* * *

ومنها الخروج عن طريق الشعر إلى طريق الفلسفة

كقوله [من الكامل] :

ولجـدت حتـى كدت تبخـل حائلاً للمنتهـى ، ومـن السـرور بكاءُ

وقوله [من الخفيف] :

والأسـى قبـل فرقـة الـروح عجزٌ والأسـى لا يكون قبـل الفراقِ

وقوله [من الخفيف] :

إلف هذا الهـواء أوقـع في الأنـ ـفس أنّ الحمـام مرٌّ المذاقِ

وقوله [من البسيط] :

تخـالف النـاس حتى لا اتفـاقَ لهمْ إلاّ على شجبٍ والخلف في الشجب[1]

فقيل : تخلص نفس المـرء سالمةً ، وقيل : تشرك جسم المرء في العطبِ

وقوله [من الكامل] :

خلفـتْ صفاتـك في العيون كلامَهُ كالخـطّ يمـلأ مسمعـي من أبصرا

---

(١) الشجب : الهلاك .

وقوله [من الوافر] :

تمتّع من سهادٍ أو رقاد ولا تأمل كرى تحت الرجام[1]
فإنّ لثالث الحالين معنى سوى معنى انتباهك والمنام

قال ابن جني : أرجو أن لا يكون أراد بذلك أن نومة القبر لا انتباه لها .

* * *

ومنها استكراه التخلص

قال القاضي : لعلك لا تجد في شعره تخلصاً مستكرهاً إلا قوله [من الوافر] :

أحبك أو يقولوا : جرَّ نملٌ ثبيراً وابن إبراهيم ريعا[2]

فأما قوله [من الطويل] :

فأفنى وما أفنته نفسي ، كأنّما أبو الفرج القاضي له دونها كهفُ

وقوله [من البسيط] :

لو استطعت ركبت الناس كلّهم إلى سعيد بن عبد الله بعرانا

وقوله [من الطويل] :

أعزُّ مكانٍ في الدّنا سرج سابحٍ وخير جليسٍ في الزّمان كتابُ[3]
وبحر أبو المسك الخضمُّ الذي له على كلّ بحرٍ زخرةٌ وعبابُ[4]

فهي وإن لم تكن مستحسنة مختارة فليست بالمستهجن الساقط .

* * *

---

(١) الرجام : الحجارة توضع على القبر .
(٢) ثبير : إسم جبل ، وابن ابراهيم : هو علي بن إبراهيم التنوخي ممدوحه ، وريعا : أي أخيف .
(٣) السابح : الحصان .
(٤) زخرة وعباب : كناية عن تفوّقه على غيره .

ومنها قبح المقاطع

كقوله بعد أبيات أحسن فيها غاية الإحسان ، وترقى الدرجة العالية ، وهي [من الطويل] :

ولله سرٌّ في علاك ، وإنّما ... كلام العدا ضربٌ من الهذيانِ
أتلتمس الأعداء بعد الذي رأتْ ... قيام دليلٍ أو وضوح بيان ؟
رأت كلّ من ينوي لك الغدر يبتلي ... بغدر حياةٍ أو بغدر زمان
قضى الله يا كافور أنّك واحدٌ ... وليس بقاضٍ أن يرى لك ثاني
فما لك تختار القسيّ ، وإنّما ... عن السعد ترمي دونك الثقلان[1]
وما لك تعني بالأسنّة والقنا ... وجدّك طعّانٌ بغير سنانِ ؟!
ولم تحمل السيف الطويل نجاده ... وأنت غنيٌّ عنه بالحدثان[2]
أرد لي جميلاً جدت أو لم تجد بهِ ... فإنّك ما أحببت فيَّ أتاني

هذا البيت الذي هو عوذتها .

لو الفلك الدوّار أبغضت سعيَهُ ... لعوّقه شيءٌ عن الدورانِ

وقوله في قصيدة منها [من الكامل] :

في خطّه من كلّ قلبٍ شهوةٌ ... حتّى كأنّ مداده الأهواءُ
ولكلّ عينٍ قرّةٌ في قربهِ ... حتّى كأنّ مغيبه الأقذاءُ[3]

هذا البيت الذي جعله المقطع .

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو ... عقمت بمولد نسلها حواءُ

---

(١) القسيّ : جمع قوس ، والثقلان : الجن والإنس .
(٢) نجاد السيف : حمائله ، والحدثان : الليل والنهار .
(٣) قرّة : من القرار ، وهو السكينة والهدوء ، والقذى : ما يقع في العين من أذىً .

وكقوله في آخر القصيدة [من الكامل] :

خلـت البـلاد من الغزالـة ليلها   فأعاضهـاك الله كي لا تحزنا[1]

* * *

هذا آخر المقابح والمعائب ، وأول المحاسن والروائع والبدائع والقلائد والفرائد التي زاد فيها على من تقدم ، وسبق جميع من تأخر .

* * *

فمنها حسن المطالع

كقوله [من الطويل] :

فدينـاك من ربـعٍ وإن زدتنـا كربا   فإنّك كنـت الشـرق للشـمس والغربا
نزلنـا عن الأكوار نمشـي كرامةً   لمـن بان عنـه أن نلـمَّ به ركبا

وقوله [من الكامل] :

الـرأي قبـل شجاعـة الشجعان   هو أوّلٌ، وهـي المحـلُّ الثاني
فـإذا همـا اجتمعـا لنفسٍ مرّةٍ   بلغـت من العلياء كلَّ مكانِ[2]

وقوله [من الطويل] :

إذا كان مدحٌ فالنسيبُ المقدَّمُ   أكلُّ فصيحٍ قال شعـراً متيَّمُ ؟
لحـبُّ ابـن عبـد الله أولـى : فإنّهُ   به يبـدأ الـذكر الجميل ويختمُ

وقوله [من البسيط] :

أعلى الممـالك ما يبنى على الأسلِ   والـطعـن عنـد محبّيهـن كالقبلِ[3]

---

(١) الغزالة : أي الشمس .
(٢) المرّة : القوية الثابتة .
(٣) الأسل : الرماح .

وقوله [من الوافر] :

فـؤادٌ ما تسلّيه المدام وعمـرٌ مثل ما يهب اللئام

وقوله [من البسيط] :

أفاضل الناس أغراضٌ لذا الزمنِ يخلو من الهمِّ أخلاهم من الفطنِ [1]

وقوله [من الكامل] :

اليوم عـهدكمُ فأين الموعدُ هيهات ليس ليوم عهدكُمُ غدُ ؟

المـوت أقـرب مخلباً من بينكمْ والعيش أبعـد منـكُمُ لا تبعدوا

وقوله [من البسيط] :

المجـد عوفـيَ إذْ عوفيت والكرمُ وزال عنك إلى أعدائك الألم

* * *

ومنها حسن الخروج والتخلص

كقوله [من البسيط] :

مرَّت بنا بين تربيها فقلت لها : من أين جانس هذا الشادن العربا [2]

فاستضحكت ثم قالت : كالمغيث يرى ليث الشرى وهو من عجلٍ إذا انتسبا

وقوله [من الطويل] :

وغيثٍ ظننا تحتـهُ أنَّ عامراً علا لم يمت أوفى السحاب له قبرُ

وقوله [من الطويل] :

وإلاّ فخانتني القوافي ، وعاقني عن ابن عبيد الله ضعف العزائمِ

---

(١) أغراض : أهداف ، والفطن : الذكاء .

(٢) الشادن : الظبي إذا طلع قرنه .

إذا صلت لم أترك مصالاً لصائلٍ وإن قلت لم أترك مقالاً لعالمِ

وقوله [من الطويل] :

نودِّعهم والبين فينا كأنَّهُ قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلقِ[1]

وقوله [من الكامل] :

ومقانبٍ بمقانبٍ غادرتها أقوات وحشٍ كنَّ من أقواتها[2]
أقبلتها غرر البلاد كأنّما أيدي بني عمران في جبهاتها

وقوله [من الكامل] :

حدقٌ يذمُّ من القواتل غيرها بدر بن عمار بن إسماعيلا

وقوله [من المتقارب] :

ولو كنت في أسر غير الهوى ضمنت ضمان أبي وائلِ
فدى نفسه بضمان النّضار وأعطى صدور القنا الذابلِ

* * *

ومنها النسيب بالأعرابيات

كقوله [من البسيط] :

من الجآذر في زيّ الأعاريب حمر الحلى والمطايا والجلابيبِ ؟[3]
إن كنت تسأل شكّاً في معارفها فمن بلاك بتسهيدٍ وتعذيب ؟

---

(١) الفيلق : القطعة العظيمة من الجيش ، أو الرجل العظيم .
(٢) المقانب : جمع مقنب وهي الجماعة من الناس وأراد أنه لقي الأعداء بجيشٍ عظيم مغادرهم طعمةً للوحوش .
(٣) الجآذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية .

سوائرٌ ربّما سارت هوادجها منيعةً بين مطعونٍ ومضروب

أي : لكثرة الرغبة فيهن، وشدة الذب عنهن ، والمحاربة دونهن .

وربما وخدت أيدي المطيّ بها على نجيعٍ من الفرسان مصبوبِ[1]
كم زورةٍ ليَ في الأعراب خافيةٍ أدهى وقد رَقدوا من زورة الذيب
أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يغري بي

قد وقع التنبيه على حسن هذا البيت في شرف لفظه ومعناه ، وجودة تقسيمه ، وكونه أمير شعره .

قد وافقوا الوحش في سكنى مراتعها وخالفوها بتقويضٍ وتطنيبِ
فؤاد كلِّ محبٍّ في بيوتهم ومال كلّ أخيذِ المال محروب[2]
ما أوجه الحضر المستحسنات به كأوجه البدويّات الرعابيب[3]
حسن الحضارة مجلوبٌ بتطريةٍ وفي البداوة حسنٌ غير مجلوب
أفدي ظباء فلاةٍ ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ولا برزن من الحمّام مائلةً أوراكهنّ صقيلاتُ العراقيب[4]
ومن هوى كلّ من ليست مموهةً تركت لون مشيبي غير مخضوب
ومن هوى الصدق في قولي وعادته رغبت عن شعرٍ في الوجه مكذوب

وناهيك بهذه الأبيات جزالة وحلاوة وحسن معادن .

وله طريقة ظريفة في وصف البدويات قد تفرد بحسنها وأجاد ما شاء فيها ،

---

(١) وخدت : سارت ، والنجيع : الدم السائل .
(٢) محروب : الذي أخذ جميع ماله .
(٣) الرعابيب : جمع رعبوبة وهي الطويلة الممتلئة .
(٤) العراقيب : جمع عرقوب ، وهو العصب الغليظ فوق عقب الرجل .

فمنها قوله [من البسيط] :

هامَ الفـؤاد بأعـرابيةٍ سكنتْ بيتـاً من القلـب لم تضـربْ به طنبا
مظلومـة القـدّ في تشبيهـه غصناً مظلومـة الـرّيق في تشبيهـه ضربا[1]

وقوله [من الكامل] :

إن الـذين أقمـت واحتملوا أيامهـم لديارهـم دُوَلُ
الحسـن يرحـل كلّمـا رحلوا معهـم ، وينـزل حيثمـا نزلوا
فـي مقلتـيْ رشـأٍ تديرهما بدويّةٌ فتنـت بهـا الحلل
تشـكو المطاعـم طول هجرتها وصدودهـا ومـن الـذي تصل

وصفها بقلة الطعم ، وهي محمودة في نساء العرب .

ما أسـأرت في القعـب من لبنٍ تركتـه وهـو المسـكُ والعسل[2]
قالـت ألا تصـحـو فقلـت لها أعلمتنـي أنّ الهـوى ثمـلُ

وقوله [من الطويل] :

ديار اللواتـي دارهـنَّ عزيزةٌ بطـول القنـا يحفظـن لا بالتمائم[3]
حسـان التثنّـي ينقش الوشـي مثله إذا مِسْـنَ في أجسادهـنّ النواعم
ويبسمـن عن درٍّ تقلّـدن مثلهُ كأنّ التراقـي وشّحـت بالمباسم[4]

* * *

---

(١) الضرب : بفتح الضاد والراء : الشهد ؛
(٢) السؤر : بضمّ فسكون ، ما فضل من الشرب في الإناء ، والقعب : الإناء .
(٣) التمائم : جمع تميمة وهي عوذة تعلق على الصبي من العين .
(٤) التراقي : جمع ترقوة ، وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .

ومنها حسن التصرف في سائر الغزل

كقوله [من الكامل] :

قد كان يمنعني الحياء من البكا   فالآن يمنعه البكا أن يمنعا
حتّى كأنّ لكلِّ عظمٍ رنَّةً   في جلده ولكلِّ عرقٍ مدمعا
سفرت وبرقعها الحياء بصفرةٍ   سترت محاسنها ولم تكُ برقعا
فكأنّها والدمع يقطر فوقها   ذهبٌ بسمطي لؤلؤٍ قد رصّعا[1]
كشفت ثلاث ذوائبٍ من شعرها   في ليلةٍ فأرت ليالي أربعا[2]
واستقبلت قمر السماء بوجهها   فأرتنيَ القمرين في وقتٍ معا

وهي مما يتغنى به لرشاقتها وبلوغها كل مبلغ من حسن اللفظ وجودة المعنى ، واستحكام الصنعة .

وكقوله [من الوافر] :

أيدري الربع أي دمٍ أراقا ؟   وأيّ قلوب هذا الركب شاقا ؟
لنا ولأهله أبداً قلوبٌ   تلاقي في جسومٍ ما تلاقى

معناه ينظر إلى قول ابن المعتز [من الرجز] :

إنّا على البعاد والتفرُّقِ   لنلتقي بالذّكر إنْ لم نلتقي

ومنها :

فليت هوى الأحبَّة كان عدلاً   فحمّل كلَّ قلبٍ ما أطاقا[3]

---

(۱) السمط : العقد .

(۲) الذوائب : خصلات الشعر في مقدّمة الرأس .

(۳) عدلاً : منصفاً ، وأطاق : تحمّل .

ومنها :

وقد أخذ التمام البدر فيهم ... وأعطاني من السقم المحاقا
وبين الفرع والقدمين نورٌ ... يقود بلا أزمّتها النِّياقا[1]
وطرفٍ إن سقى العشّاق كأساً ... بها نقصٌ سَقَانيها دهاقا[2]
وخصرٍ تثبت الأحداق فيه ... كأنّ عليه من حدقٍ نطاقا[3]

وقوله [من المنسرح] :

كأنّما قدّها إذا انفتلتْ ... سكران من خمر طرفها ثملُ
يجذبها تحت خصرها عجزٌ ... كأنّه من فراقها وجلُ[4]

وقوله [من الكامل] :

مثّلت عينك في حشاي جراحةً ... فتشابها كلتاهما نجلاءُ[5]
نفذت عليّ السابريّ ، وربّما ... تندقّ فيه الصّعدة السّمراء[6]

وكقوله [من الوافر] :

كأنّ العيس كانت فوق جفني ... مناخاتٍ فلمّا ثرن سالا[7]
لبسن الوشي لا متجملاتٍ ... ولكنْ كي يصنّ به الجمالا
وضفّرن الغدائر لا لحسنٍ ... ولكن خفن في الشعر الضّلالا

* * *

(١) الفرع : الشعر الأسود كناية عن الرأس .
(٢) دهاقاً : مملوءة .
(٣) النطاق : الإزار ، وما تضعه المرأة في خصرها .
(٤) الوجل : الخوف .
(٥) النجلاء : الواسعة .
(٦) السابريّ : الدرع ، والصعدة : حديدة الرمح .
(٧) العيس : النوق والإبل ، ثرن : أي مشين ، وسال : أي دمعه .

ومنها حسن التشبيه بغير أداة التشبيه

كقوله [من الوافر] :

بدت قمـراً ، ومالـت غصـن بانٍ وفاحـت عنبـراً ، ورنـت غزالا[1]

وقوله [من البسيط] :

ترنـو إلـيَّ بعينِ الظّبـي مجهشةً وتمسـح الطـلَّ فوق الـورد بالعنمِ[2]

وقوله [من الكامل] :

قمـراً ترى وسحـابتين بموضعٍ من وجهـه ويمينـه وشمالهِ

وقوله [من البسيط] :

أعارنـي سقـم عينيه وحمّلني من الهـوى ثقـل ما تحـوي مآزره

وقوله [من الوافر] :

عرفـت نوائـب الحدثـان حتّى لو انتسبـت لكنـت لهـا نقيبا

وقوله [من الكامل] :

فـأتيت معتزمـاً ولا أسدٌ ومضيت منهزمـاً ولا وعلُ

وقوله في وصف الخيل [من المتقارب] :

خرجنـا من النقـع في عارضٍ ومـن عرق الـركض في وابلِ[3]

---

(١) رنت : نظرت .

(٢) العَنَمْ : شجر حجازي له نبت أحمر ، والعرب تشبّه به أصابع الحسان .

(٣) النقع : الغبار ، والعارض : الغيم . والوابل : الممطر .

وقوله [من الخفيف] :

وجيادٍ يدخلن في الحـرب أعرا ءً ويخرجـن من دمٍ في جلالِ[1]
واستعـار الحـديد لونـاً وألقى لونـه فـي ذوائـب الأطفالِ

* * *

ومنها الإبداع في سائر التشبيهات والتمثيلات

كقوله [من الطويل] :

وإنَّ نهـاري ليلـةٌ مدلهمَّةٌ على مقلـةٍ من فقـدكمْ في غياهبِ
بعيدة ما بـين الجفـون كأنَّما عقدتـم أعـالي كلّ هدبٍ بحاجب

ذكر ابن جني أنه مثل قول بشار [من الوافر] :

جفـت عينـي عن التغميض حتّى كأنَّ جفـونها عنهـا قصارُ

وذكر القاضي أنه مأخوذ من قول الطرمي في رطاناته [من الطويل] :

ورأسي مرفـوعٌ إلى النّجـم كأنَّما قفـاي إلى صلبـي بخيطٍ مخيَّطُ[2]

وقوله [من الطويل] :

كأنَّ رقيبـاً منـك سدّ مسامعي عن العذل حتّى ليس يدخلها العذلُ
كأنَّ سهـاد العـين يعشـق مقلتي فبينهما في كلِّ هجـرٍ لنـا وصلُ

وقوله [من الطويل] :

رأيت الحميّا في الزّجـاج بكفِّهِ فشبّهتها بالشمس في البدر في البحرِ[3]

---

(١) الجلال : جمع جل ، وهو للفرس كالبرذعة للحمار .
(٢) الصلب : عظم في الظهر من الكاهل إلى أسفل الظهر .
(٣) الحميّا : الخمر .

وقوله في الحمى [من الوافر] :

وزائرتي كأنَّ بها حياءً فليس تزور إلاّ بالظلامِ
بذلت لها المطارف والحشايا فعافتها وباتت في عظامي

وقوله في وصف الظبي [من الرجز] :

أَغْناه حسن الجيد عن لبس الحلى وعادة العري عن التفضُّلِ[1]

* كأنّه مضمَّخٌ بصندلِ *[2]

وقوله في سرعة الأوبة وتقليل اللبث [من الوافر] :

وما أنا غير سهمٍ في هواءٍ يعود ولم يجد فيه امتساكا

قال ابن جنى : قد اختلف أهل النظر في هذا الموضع ، فقال قوم : إن السهم والحجر ونحوهما إذا رمي به صعدا فتناهى صعوده كانت له في آخر ذلك لبثة ما ، ثم يتصوب منحدراً . وقال آخرون : لا لبثة له هناك ، وإنما أول وقت انحداره وقت صعوده .

وقوله ـ وهو أحسن ما قيل في وصف محنة نهكت صاحبها ، واشتدت به ، ثم عاد إلى حال السلامة وقد هذبته تلك الحال وزادته صفاء وسهولة [من الوافر] :

وربّتما شفيت غليل صدري بسيرٍ أو مقامٍ أو حسامِ
وضاقتْ خطّةٌ فخرجت منها خروج الخمر من نسج الفدام[3]

وقوله وهو مما لم يسبق إليه [من الطويل] :

كريمٌ نفضت الناس لمّا لقيته كأنّهم ما جفَّ من زاد قادمِ

---

(1) الجيد : العنق ، والتفضّل : بقيّة الشيء .
(2) الصندل : شجر هندي أبيض الزهر ، خشبه طيّب الرائحة .
(3) الفدام : المصفاة .

وكاد سروري لا يفي بندامتي ... على تركه في عمريَ المتقادم

وقوله وهو من بدائعه [من الوافر] :

رضوا بك كالرضا بالشيب قسراً ... وقد وخط النواصي والفروعا[1]

وقوله في وصف الشعر [من البسيط] :

إذا خلعْت على عرضٍ له حللاً ... وجدتها منه في أبهى من الحلل

بذي الغباوة من إنشادها ضررٌ ... كما تضرُّ رياح الورد بالجعل[2]

وذلك أن الجعل إذا طرح عليه الورد غشي عليه .

* * *

ومنها التمثيل بما هو من جنس صناعته

كقوله [من البسيط] :

وإنّما نحن في جيلٍ سواسيةٌ ... شرٌّ على الحرِّ من سقمٍ على البدنِ

حولي بكلِّ مكانٍ منهم خلقٌ ... تخطي إذا جئت في استفهامها بمن

« من » إنما يستفهم بها عمن يعقل ، يقول : هؤلاء كالبهائم ، فقولك لهم « من أنتم » خطأ ، إنما ينبغي أن يقال لهم « ما أنتم » لأن موضع « ما » لما لا يعقل ، ويحكى أن جريراً لما قال [من البسيط] :

يا حبذا جبل الريّان من جبلٍ ... وحبّذا ساكن الريان من كانا

قال الفرزدق : ولو كان ساكنه قروداً ؟ فقال له جرير : لو أردت هذا لقلت ما كانا ولم أقل من كانا .

---

(١) وخط : خالط ، والنواصي : جمع ناصية وهي شعر مقدم الرأس والفروع : الشعر الأسود.

(٢) الجعل : نوع من الخنافس .

وكقوله [من البسيط] :

نتـاج رأيك في وقـتٍ علـى عجلٍ كلفـظ حرفٍ وعـاه سامـعٌ فهِمُ

وقوله [من البسيط] :

من اقتضـى بسـوى الهنـديّ حاجتهُ أجـاب كلّ سؤال عن هل بلمِ

وقوله [من الكامل] :

أمضـى إرادتـه فسـوف له قـد واستقـرب الأقصـى فثـمّ لـه هنا

« سوف » للاستقبال ، و « قد » موضوعة للمضي ومقاربة الحال ، يقول : إذا نوى أمراً فكأنما يسابق نيته ، وقوله [من الكامل] :

دون التعانـق ناحلين كشكلتي نصـبٍ أدقّهمـا وضـمٌ الشاكلُ

وقوله [من الوافر] :

ولـولا كونـكم في النـاس كانوا هـراءً كالـكلام بلا معان[1]

وقوله [من الطويل] :

قشيرٌ وبلعجـان فيهـا خفيةٌ كراءين في ألفـاظ ألثـغ ناطقِ[2]

وقوله [من الطويل] :

إذا كان ما تنـويه فعـلاً مضارعاً مضـى قبـل أن تلقـى عليه الجوازمُ

المضارع ما كان في أوله إحدى الزوائد الأربع ، مثل : أقوم ، ونقـوم وتقـوم ، ويقوم ، يقول : إذا نويت فعلاً أوقعته قبل فوته . وقبل أن يقال لم يفعل ، وأن

---

(١) الهراء : الذي لا معنى وراءه .

(٢) أراد بقوله ، بلعجان ، بنو العجلان .

يفعل ، وقوله [من الوافر] :

وكان ابنا عدوٍّ كاثراه له يآءي حروف أُنَيْسَيانِ

« أنيسيان » تصغير إنسان وتحقيره ، وإنسان عدد حروفه خمسة ، وهو اسم مكبر ، فإذا صغرته زدت عليه ياءين فزادت حروفه ونقص معناه ، فكذلك إذا كان لعدوه ابنان فكاثره بهما ، فيكونان زائدين في عدده ولكن ناقصين ، لسقوطهما وتخلفهما .

* * *

ومنها المدح الموجه

كالثوب له وجهان ما منهما إلا حسن ، كقوله [من الطويل] :

نهبت من الأعمار ما لو حويتهُ لهنّئتِ الدنيا بأنّك خالدُ

قال ابن جني : لو لم يمدح أبو الطيب سيف الدولة إلا بهذا البيت وحده لكان قد بقي فيه ما لا يخلقه الزمان ، وهذا هو المدح الموجه ، لأنه بنى البيت على ذكر كثرة ما استباحه من أعمار أعدائه ، ثم تلقاه من آخر البيت بذكر سرور الدنيا ببقائه ، واتصال أيامه ، وكقوله [من البسيط] :

عمر العدوّ إذا لاقاه في رهجٍ أقلّ من عمر ما يحوي إذا وهبا[1]
مالٌ كأنّ غراب البين يرقبهُ فكلّما قيل هذا مجتدٍ نعبا[2]

وقوله [من المنسرح] :

تشرق تيجانه بغرّته إشراق ألفاظهِ بمعناها

---

(١) الرهج : غبار الحرب .
(٢) المجتدي : السائل ، ونعب : صوّت .

وقوله [من المنسرح] :

تشرق أعراضهم وأوجههمْ　　كأنّما في نفوسهم شيمُ

وقوله [من الطويل] :

إلى كم تردّ الرسل فيما أتوا له　　كأنهم فيما وهبت ملامُ

وقوله [من الطويل] :

يخيَّل ِ لي أنّ البلاد مسامعي　　وأنّيَ فيها ما تقول العواذلُ

وقوله [من البسيط] :

كأنّ ألسنهم في النطق قد جعلتْ　　على رماحهم في الطعنِ خرصانا(١)

* * *

ومنها حسن التصرف في مدح سيف الدولة بجنس السيفية

كقوله [من المتقارب] :

لقد رفع الله من دولةٍ　　لها منك يا سيفها منصلُ(٢)

وقوله [من الكامل] :

لولا سميُّ سيوفه ومضاؤه　　لمّا سللن لكنّ كالأجفان

وقوله [من الطويل] :

عزاءك سيف الدولة المقتدى بهِ　　فإنّك نصلٌ والشدائد للنصلِ

(١) خرصان : جمع خرْص ، وهو سنان الرمح .
(٢) المنصل : السيف .

وقوله [من البسيط] :

يسمّى الحسام وليست من مشابهةٍ ... وكيف يشتبه المخدوم والخدمُ
كلّ السيوف إذا طال الضراب بها ... يمسّها ـ غير سيف الدولة ـ السأمُ[1]

وقوله [من الطويل] :

تهاب سيوف الهند وهي حدائدٌ ... فكيف إذا كانت نزاريّةً عربا

وقوله [من الطويل] :

تحيّر في سيفٍ : ربيعة أصلُهُ ... وطابعه الرحمن ، والمجد صاقلُ

وقوله [من الخفيف] :

قلّد الله دولةً سيفها أنـ ... ـت حساماً بالمكرمات محلّى
فإذا اهتزّ للندى كان بحراً ... وإذا اهتزّ للعدا كان نصلا

وقوله [من الطويل] :

وأنت حسام الملك والله ضاربٌ ... وأنت لواء الدّين والله عاقدُ

وقوله [من الطويل] :

لقد سلّ سيف الدولة المجد معلماً ... فلا المجد مخفيه ولا الضرب ثالمهْ[2]
على عاتق الملك الأغرّ نجاده ... وفي يد جبار السّموات قائمهْ[3]
وإنّ الذي سمى علياً لمنصفٌ ... وإنّ الذي سمّاه سيفاً لظالمه
وما كلّ سيفٍ يقطع الهام حدُّهُ ... وتقطع لزبات الزمان مكارمه[4]

---

(١) الضراب : من الضرب ، والسأم : الملل .
(٢) معلماً : واضحاً عالياً وثلمه : قطعه .
(٣) قائمه : قبضته .
(٤) الزبات : شدّته وقحطه .

وقوله [من الكامل] :

إنّ الخليفة لم يسمِّكَ سيفهُ حتى بلاك فكنت عين الصارمِ[1]
وإذا تتوّج كنت درّة تاجه وإذا تختّم كنت فصَّ الخاتمِ

وقوله [من الكامل] :

من للسيوف بأن تكون سميُّها في أصله وفرندِهِ ووفائهِ[2]
طبع الحديد فكان من أجناسه وعليٌّ المطبوع من آبائه

* * *

ومنها الإبداع في سائر مدائحه

كقوله [من الكامل] :

مَلِكٌ سنانُ قناته وبنانهِ يتباريان دماً وعرفاً ساكبا
يستصغر الخطر الكبير لوفده ويظنُّ دجلة ليس تكفي شاربا
كالبدر من حيث التفتّ رأيته يهدي إلى عينيك نوراً ثاقبا
كالشمس في كبد السماء وضوؤها يغشى البلاد مشارقاً ومغاربا
كالبحر يقذف للقريب جواهراً جوداً ، ويبعث للبعيد سحائبا

وقوله [من الكامل] :

ليس التعجب من مواهب ماله بل من سلامتها إلى أوقاتها
عجباً له حفظ العنان بأنملٍ ما حفظها الأشياء من عاداتها
لو مرّ يركض في سطور كتابه أحصى بحافر مهره ميماتها
كرمٌ تبيَّن في كلامك ماثلاً ويبين عتق الخيل فى أصواتها[3]

---

(١) بلاك : اختبرك ، والصارم : السيف القاطع .
(٢) الفرند : السيف بالفارسية .
(٣) عتق الخيل : نجابتها .

أعيا زوالك عن محلٍّ نلته　　لا تخرج الأقمار من هالاتها

فيه مدح ، ومثل مضروب ، وتشبيه نادر .

ذكر الأنام لنا فكان قصيدةً　　أنت البديع الفرد من أبياتها

وهذا البديع الفرد من أبيات هذه القصيدة ، وكقوله [من الطويل] :

وما زلت حتى قادني الشوق نحوهُ　　يسايرني في كلِّ ركبٍ له ذكرُ
وأستكبر الأخبار قبل لقائهِ　　فلمّا التقينا صغَّر الخبرَ الخُبْرُ

هذا ضد قولهم « تسمع بالمعيدي خير من أن تراه » .

أزالت بك الأيام عتبي كأنّما　　بنوها لها ذنبٌ وأنت لها عذرُ

وكقوله [من الطويل] :

ألا أيّها المال الذي قد أباده　　تعزَّ فهذا فعله بالكتائبِ[1]
لعلّك في وقتٍ شغلت فؤاده　　عن الجود أو أكثرت جيش محارب

وقوله [من الخفيف] :

بعثوا الرعب في قلوب الأعادي　　فكأنّ القتال قبل التلاقي
وتكاد الظُّبا لما عوّدوها　　تنتضي نفسها إلى الأعناق
كلّ ذمرٍ يزيد في الموت حسناً　　كبدورٍ تمامها في المحاق[2]
كرمٌ خشّنَ الجوانب منهمْ　　فهو كالماء في الشِّفار الرقاقِ[3]
ومعالٍ إذا ادّعاها سواهمْ　　لزمته جناية السُّراقِ

---

(١) أباده : أنفقه ، والكتائب : جمع كتيبة وهي الفرقة من الجيش .

(٢) الذمر : الشجاع الظريف . والمحاق : سرار القمر وخفاؤه .

(٣) الشفّار : السيوف .

وكقوله [من الخفيف] :

خير أعضائنا الرءوس ولكن فَضَّلتها بقصدك الأقدامُ

وكقوله [من المنسرح] :

قومٌ بلوغ الغلام عندهمُ طعن نحور الكماة لا الحلمُ
كأنّما يولد الندى معهمْ لا صغرٌ عاذرٌ ولا هرمُ
إذا تولّوا عداوةً كشفوا وإن تولّوا صنيعةً كتموا
تظنُّ من فقدك اعتدادهمُ بأنّهم أنعموا وما علموا
إن برقوا فالحتوف حاضرةٌ أو نطقوا فالصواب والحكم
أو شهدوا الحرب لاقحاً أخذوا من مهج الدارعين ما احتكموا[1]
أو حلفوا بالغموس واجتهدوا فقولهم « خاب سائلي » القسم[2]
أو ركبوا الخيل غير مسرجةٍ فإنّ أفخاذهم لها حزمُ
تشرق أعراضهم وأوجههمْ كأنّها في نفوسهم شيمُ
أعيذكم من صروف دهركمُ فإنّه في الكرام متّهمُ

وكقوله [من المنسرح] :

الناس ما لم يروك أشباهُ والدهر لفظٌ وأنت معناهُ
والجود عينٌ وأنت ناظرهُ والبأس باعٌ وأنت يمناه
يا راحلاً كلّ من يودّعه مودّعٌ دينه ودنياهُ
إن كان فيما تراه من كرمٍ فيك مزيدٌ فزادك الله

وكقوله [من البسيط] :

تمشي الكرام على آثار غيرهم وأنت تخلق ما تأتي وتبتدعُ

---

(١) لاقحاً : هائجة .

(٢) خاب سائلي : هذه جملة يقولها أحدهم عندما يحلف ، مثل قول أحدنا « برئت من كذا » .

من كان فوق محلِّ الشمس موضعه ... فليس يرفعه شيءٌ ولا يضعُ

وكقوله [من الطويل] :

فلما رأوه وحده دون جيشه ... دروا أنّ كلَّ العالمين فضولُ

وكقوله [من الطويل] :

وأوردهم صدر الحصان وسيفه ... فتى بأسه مثل العطاء جزيلُ
جوادٌ على العلاّت بالمال كلّهِ ... ولكنّه بالدّارعين بخيل[1]

وكقوله [من الطويل] :

أرى كلَّ ذي ملكٍ إليك مصيرُهُ ... كأنّكَ بحرٌ والملوك جداولُ
إذا أمطرت منهم ومنك سحابةٌ ... فوابلهم طلٌّ وطلُّك وابلُ[2]

وقوله [من الطويل] :

ودانت له الدنيا فأصبح جالساً ... وأيّامه فيما يريد قيامُ
وكلُّ أناسٍ يتبعون إمامهم ... وأنت لأهل المكرمات إمامُ
وربَّ جوابٍ عن كتابٍ بعثته ... وعنوانه للناظرين قتامُ[3]

وكقوله [من الطويل] :

هم المحسنون الكرَّ في حومةِ الوغى ... وأحسن منهم كرُّهم في المكارمِ[4]
ولولا احتقار الأسد شبّهتها بهم ... ولكنّها معدودةٌ في البهايمِ

---

(١) العلاّت : كلّ الأحوال .
(٢) الطلّ : الندى ، والوابل : المطر .
(٣) القتام : الغبار .
(٤) الكرُّ : الهجوم والحرب .

وكقوله [من المنسرح] :

أغرّ أعداؤه إذا سلموا بالهرب استكثروا الذي فعلوا
إنك من معشرٍ إذا وهبوا ما دون أعمارهم فقد بخلوا
كتيبةٌ لست ربّها نفلٌ وبلدةٌ لست حليها عَطِلُ[1]

وكقوله [من المنسرح] :

لو كفر العالمون نعمته لما عَدَتْ نفسه سجاياها[2]
كالشمس لا تبتغي بما صنعتْ منفعةً عندهم ولا جاها

وكقوله [من الطويل] :

فجاءت بنا إنسان عين زمانه وخلّت بياضاً خلفها ومآقيا[3]

وهذا أحسن ما يمدح به ملك اسود ، ولا نهاية لحسنه ، وشرف معناه ، وجودة تشبيهه وتمثيله :

ترفع عن عون المكارم فعله فما يفعل الفعلات إلاّ عذاريا[4]
أبا كلِّ طيبٍ ، لا أبا المسك وحده وكلّ سحاب لا أخصّ الغواديا
يدلُّ بمعنى واحدٍ كلّ فاخرٍ وقد جمع الرحمن فيك المعانيا

ألم فيه بقول أبي نواس [من المجتث] :

كأنّما أنت شيءٌ حوى جميع المعاني

* * *

---

(١) النفل : الغنيمة ، والعطل : الخالية من الحليّ .
(٢) عدت : فارقت ، والسجايا : المزايا والصفايا .
(٣) إنسان العين : بؤبؤها .
(٤) العون : النصف من النساء ، وأراد هنا المكرمة التي لها مثال ونظير ، والعذارى : البكر من النساء ، وأراد المكرمة التي ليس لها نظير .

ومنها مخاطبة الممدوح من الملوك

بمثل مخاطبة المحبوب والصديق ، مع الإحسان والإبداع

وهو مذهب له : تفرد به ، واستكثر من سلوكه ، اقتداراً منه ، وتبحراً في الألفاظ والمعاني ، ورفعا لنفسه عن درجة الشعراء ، وتدريجاً لها إلى مماثلة الملوك ، في مثل قوله لكافور [من الطويل] :

وما أنا بالباغي على الحبّ رشوةً ضعيف هوىً يبغي عليه ثوابُ
وما شئت إلاّ أن أدلّ عواذلي على أن رأيي في هواك صوابُ
وأعلم قوماً خالفوني فشرّقوا وغرَّبتُ ، أنّي قد ظفرت وخابوا
إذا نلت منك الودّ فالمال هينٌ وكلّ الذي فوق الترابِ ترابُ

وقوله له [وقد أهداه مهراً أسود] [من الطويل] :

فلو لم تكن في مصر ما سرت نحوها بقلب المشوق المستهام المتيّمِ

وقوله لابن العميد [يودعه] [من الطويل] :

تفضّلتِ الأيّام بالجمع بيننا فلمّا حمدنا لم تدمنا على الحمدِ
فجدْ لي بقلبٍ إن رحلت فإنّني مخلّفُ قلبي عند من فضله عندي

وقوله لعضد الدولة [من الوافر] :

أروح وقد ختمت على فؤادي بحبّك أن يحلّ به سواكا
فلو أنّي استطعت حفظت طرفي فلم أبصرْ به حتّى أراكا

من قصيدة تشتمل على أبيات من هذا الطراز ، سأكتبها في آخر الباب .

وكقوله لسيف الدولة [من البسيط] :

ما لي أكتّمُ حبّاً قد برى جسدي وتدّعي حبَّ سيف الدولة الأممُ ؟

إن كان يجمعنا حبٌّ لغرَّته ... فليت أنّا بقدر الحبِّ نقتسِمُ[١]
يا أعدل الناس إلاّ في معاملتي ... فيك الخصام ،وأنت الخصم والحكم
إذا رأيت نيوب الليث بارزةً ... فلا تظنَّنَّ أنَّ الليث يبتسم
أعيذها نظراتٍ منك صادقةً ... أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورمُ
وما انتفاع أخي الدنيا بناظره ... إذا استوت عنده الأنوار والظُّلَمُ
يا من يعزُّ علينا أن نفارقهمْ ... واجداننا كلُّ شيءٍ بعدكم عدم
ما كان أخلقنا منكم بتكرمةٍ ... لو أنَّ أمركم من أمرنا أمم[٢]
إن كان سرّكم ما قال حاسدنا ... فما لجرحٍ - إذا أرضاكم - ألم
وبيننا ، لو رعيتم ذاك ، معرفةٌ ... إنَّ المعارف في أهل النُّهى ذممُ
كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكمْ ... ويكره الله ما تأتون والكرم
ما أبعد العيب والنقصان من شرفي ... أنا الثريا وذان الشيب والهرم
ليت الغمام الذي عندي صواعقُهُ ... يزيلهنّ إلى من عنده الدِّيم[٣]
أرى النوى تقتضيني كلَّ مرحلةٍ ... لا تستقلّ بها الوخّادة الرّسم[٤]
لئن تركنا ضميراً عن ميامننا ... ليحدثنّ لمن ودّعتهم ندم
إذا ترحّلت عن قوم وقد قدروا ... ألاّ تفارقهم فالراحلون هم
شر البلاد بلادٌ لا صديق بها ... وشرُّ ما يكسب الإنسان ما يصم[٥]
وشرُّ ما قنصته راحتي قنصٌ ... شهب البزاة سواءٌ فيه والرخم[٦]

---

(١) لغرَّته : لطلعته المضيئة .
(٢) أخلقنا : أجدرنا ، وأمم : قريب .
(٣) الديم : السحاب الممطر .
(٤) النوى : الفراق والبعد ، والوخّادة : النوق السريعة السير ، والرسم : جمع رسوم ، وهي الناقة التي تؤثّر في الأرض بأخفافها .
(٥) يصم : يلحق به العار .
(٦) الرخم : طائرٌ من الجوارح يشبه النسر .

وهي ـ على براعتها ، واستقلال أكثر أبياتها بأنفسها ـ تكاد تدخـل في باب إساءة الأدب بالأدب ، وقد تقدم ذكره .

* * *

ومنها استعمال ألفاظ الغزل والنسيب في أوصاف الحرب والجد

وهو أيضاً مما لم يسبق إليه ، وتفرد به ، وأظهر فيه الحذق بحسن النقل ، وأعرِب عن جودة التصرف والتلعب بالكلام ، كقوله [من البسيط] :

أعلى الممـالك ما يبنى على الأسلِ   والـطعـن عنـد محبِّيهـن كالقبلِ

وقوله ، وهو من فرائده [من الطويل] :

شجــاعٌ كأنَّ الحــرب عاشقــةٌ له   إذا زارهــا فدّتــه بالخيل والرجل

وكقوله [من البسيط] :

وكم رجـالٍ بلا أرضٍ لكثرتهمْ   تركتَ جمعهـم أرضـاً بلا رجلِ
ما زال طرفـك يجـري في دمائهم   حتى مشى بك مشي الشارب الثملِ

وكقوله [من المنسرح] :

والطّعـن شزرٌ والأرض واجفةٌ   كأنّمـا في فؤادهـا وهلُ[1]
قـد صبغـت خدّهـا الدمـاء كما   يصبـغ خدّ الخـريدة الخجلُ[2]
والخيل تبـكي جلودهـا عرقاً   بأدمـعٍ مـا تسحّهـا مُقَلُ[3]

---

(١) الشزر : أي أن الطعن عن اليمين والشمال ، وواجفة : مضطربة ، والوهل : الخـوف والرعب والذهل .

(٢) الخريدة : الفتاة البكر .

(٣) تسحّ : تذرف .

وكقوله [من الطويل] :

تعـوّد أن لا تقضـم الحـبَّ خيله ... إذا الهـام لم ترفـع جنـوب العلائقِ [1]
ولا ترد الغـدران إلاّ وماؤها ... من الـدمّ كالريحـان تحـت الشقائق

وكقوله [من الكامل] :

فأتتـك دامية الأظـلّ كأنّما ... حذيت قوائمهـا العقيق الأحمرا
وإذا الحمائـل ما يخـدن بنفنفٍ ... إلاّ شققـن عليه برداً أخضرا [2]

وكقوله [من الكامل] :

قـد سوّدت شجـر الجبـال شعورهمْ ... فكأنّ فيه مسفَّـة الغربان [3]
وجـرى علـى الـورق النجيع القاني ... فكأنّـه النارنـج في الأغصـان

وكقوله [من الوافر] :

حمـى أطـراف فارس شمرّيٌّ ... يحضُّ علـى التباقـي في التفاني [4]
بضـربٍ هاج أطـراب المنايا ... سوى ضربِ المثالـث والمثاني
كأنّ دم الجماجـم في العناصي ... كسـا البلـدان ريش الحيقطان [5]
فلـو طرحـت قلـوب العشـق فيها ... لما خافـت من الحـدق الحسان [6]

---

(١) العلائق : العلف الذي تعلق به .
(٢) يخدن : من الوخد وهو ضرب من السير السريع ، والنفنف : المفازة والمهوى .
(٣) المسفّة : الدانية من الأرض ، وأسفّ الطائر : إذا دنا من الأرض في طيرانه .
(٤) شمّريٌّ : فارسٌ كثير التشمير ، أي الجدّ والسّعي ، ويحضّ : يحثّ .
(٥) العناصي : جمع عنصوة وهو الشعر المتفرّق في جوانب الرأس ، والحيقطان : ذكر الدرّاج وريشه ملون .
(٦) يريد بقلوب العشق ، قلوب أهله .

وكقوله [من الطويل] :

كَرِعْنَ بسبتٍ في إناءٍ من الورد[1]

* * *

ومنها حسن التقسيم

حكى أبو القاسم الآمدي في كتاب الموازنة بين شعري الطائيين ، قال : سمع بعض الشيوخ من نقدة الشعر قول العباس بن الأحنف [من الطويل] :

وصالكُمُ هجرٌ ، وحبُّكم قلى ... وعطفكم صدٌّ ، وسلمكم حربُ[2]
وأنتم بحمد الله فيكم فظاظةٌ ... وكلُّ ذلولٍ من مراكبكمْ صعبُ[3]

فقال : والله هذا أحسن من تقسيمات إقليدس ، وقول أبي الطيب المتنبي في هذا الفن أولى بهذا الوصف [من البسيط] :

ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملكٍ ... ملء الزمان وملء السهل والجبل
فنحن في جذلٍ ، والرُّوم في وجلٍ ... والبرُّ في شغلٍ ، والبحر في خجل[4]

وكقوله [من البسيط] :

الدّهر معتذرٌ ، والسّيف منتظرٌ ... وأرضهم لك مصطافٌ ومرتبعُ
للسبي ما نكحوا ، والقتل ما ولدوا ... والنهب ما جمعوا ، والنار ما زرعوا

وقوله [من الطويل] :

فلم يخلُ من نصرٍ له مَنْ له يدٌ ... ولم يخل من شكرٍ له مَن له فمُ

---

(١) كرعن : شربن . ، والسبت : بكسر السين وسكون الباء ، جلود تدبغ بالقرظ .
(٢) القلى : البغض .
(٣) الذلول : الليّن السهل الانقياد .
(٤) الجذل : السرور والفرح ، والوجل : الخوف .

ولـم يخـل من أسمائـه عود منبرٍ ... ولـم يخـل دينـارٌ ولـم يخـل درهمُ

وقوله [من الوافر] :

قليلٌ عائـدي ، سقـمٌ فؤادي ... كثيرٌ حاسـدي ، صعـبٌ مرامي[1]
عليـل الجسـم ممتنـع القيام ... شديد السّـكر من غير المدام

وقوله [من المتقارب] :

بمصـر ملـوكٌ لهـمْ ما لَهُ ... ولـكنّهـم ما لهـم همّةُ
فأجـود من جودهـم بخله ... وأحمـد من حمدهـم ذمّةُ
وأشـرف من عيشهـم موته ... وأنفـع من وجدهـم عدمه

وقوله [من البسيط] :

لم نفتقـد بك من مزنٍ سوى لثقٍ ... ولا من البحـر غير الـريح والسفن[2]
ولا من الليث إلاّ قبـح منظره ... ومـن سواه سوى ما ليس بالحسن

وقوله [من الطويل] :

يجـلُّ عن التشـبيه : لا الـكفُّ لجّةٌ ... ولا هو ضرغـامٌ ، ولا الـرأي مخذمُ
ولا جرحـه يؤسـى، ولا غوره يرى ... ولا حـدّه ينبـو ولا يتثلّمُ[3]
محلّك مقصـودٌ ، وشـانيك مفحمٌ ... ومثلك مفقـود ، ونيلك خضرمُ[4]

---

(١) العائد : الزائر ، والمرام : الغاية والنيل .
(٢) المزن : السحاب الممطر ، واللثق : تبلُّل الثياب أو : الوحل .
(٣) غوره : عمقه وعبابه ، ينبو : لا يصيب ولا يقطع . ويتثلّم : يتقطّع .
(٤) الشانيء : المبغض ، والمفحم : المغلوب والمقهور . والخضرم : البحر العظيم ، والكثير من كلّ شيء .

وقوله [من الطويل] :

أذمُّ إلى هذا الزمان أهيله فأعلمهم فدمٌ ، وأحزمهم وغدُ[1]
وأكرمهم كلبٌ ، وأبصرهم عمٍ ، وأسهدهم فهدٌ ، وأشجعهم قردُ

وقوله [من الكامل] :

وغناك مسألةٌ ، وطيشك نفحةٌ ورضاك فيشلةٌ ، وربُّك درهمُ[2]

وقوله [من الخفيف] :

عربيٌّ لسانه ، فلسفيٌّ رأيه ، فارسيّةٌ أعياده

وقوله [من الطويل] :

سقتني بها القطربُّليَ مليحةٌ على كاذبٍ من وعدها ضوء صادقِ[3]
سهادٌ لأجفانٍ ، وشمسٌ لناظرٍ، وسقمٌ لأبدانٍ ، ومسكٌ لناشقِ
وأغيد يهوى نفسه كلّ عاقلٍ عفيفٍ ، ويهوى جسمه كلّ فاسقِ

* * *

ومنها حسن سياقة الأعداد

كقوله [من الطويل] :

على ذا مضى الناس : اجتماعٌ وفرقةٌ وميتٌ ومولودٌ ، وقالٍ ووامقُ[4]

---

(١) الفدم : الجاهل والأحمق والوغد : الخبيث الماكر .
(٢) النفحة : الفورة والدفعة ، والفيشلة : القضيب الضخم الرأس .
(٣) القطربليّ : الخمر المنسوب إلى قطربل .
(٤) القال : الكاره ، والوامق : العاشق .

وقوله [من الطويل] :

ألا أيّها السيف الذي ليس مغمداً ولا فيه مرتابٌ ، ولا منه عاصمُ[1]
هنيئاً لضرب الهام والمجد والعلا وراجيك والإسلام أنّك سالمُ

وقوله [من الكامل] :

لا يستحي أحدٌ يقال له فضلوك آل بويه أو فضلوا[2]
قدِروا عفوا ، وعدوا وفوا ، سئلوا أغنوا ، علَوْا أعلَوْا ، ولُوا عدَلوا

وقوله [من قصيدة يمدح بها سيف الدولة] [من الطويل] :

وربَّ جوابٍ عن كتابٍ بعثته وعنوانه للناظرين قتامُ
حروف هجاء الناس فيه ثلاثةٌ : جوادٌ ، ورمحٌ ذابلٌ ، وحسام[3]

لما سمى الجيش جواباً جعل حروفه جواداً ورمحاً وحساماً ، اقتداراً واتساعا في الصنعة، وقوله [من البسيط] :

ومرهفٍ سِرْتُ بين الجحفلين به حتى ضربت وموج الموت يلتطم
فالخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال ابن جني : قد سبق الناس إلى ذكر ما جمعه في هذا البيت ، ولكن لم يجتمع مثله في بيت ما علمت ، وقد قال البحتري [من الخفيف] :

اطلبا ثالثاً سواي فإنّي رابع العيس والدُّجى والبيدِ

---

(١) عاصم : مانع .
(٢) فضلوك : غلبوك .
(٣) الرمح الذابل : الرمح الدقيق .

وهـذا اللفـظ عذب ، ولـكن ليس فيه جميع ما في بيت المتنبي ، وقولـه [مـن البسيط] :

أنـت الجـواد بلا منٍّ ولا كدرٍ ولا مطـالٍ ولا وعـدٍ ولا مذل[1]

وقوله [من المنسرح] :

بي حرُّ شوقٍ إلـى ترشُّفِها ينفصـل الصّبـر حين يتّصلُ
فالثغـر والفجـر والمخلخـل والـ ـمعصـم دائـي ، والفاحـم الرَّجِلُ[2]

وقوله [من الطويل] :

ولـكنَّ بالفسطـاط بحـراً أزرته حياتـي ونصحـي والهـوى والقوافيا[3]

وقوله [من الطويل] :

أمينـاً وإخلافـاً وغـدرا وخسّةً وجبناً، أشخصاً لحت لي أمْ مخازيا ؟[4]

ومنها إرسال المثل في أنصاف الأبيات

كقوله [من الطويل] :

* مصائب قومٍ عند قومٍ فوائدُ *

وقوله [من الطويل] :

* ومن قصد البحر استقلّ السّواقيا *

وقوله [من الطويل] :

* وخير جليسٍ في الزمان كتابُ *

---

(١) المنّ : تعداد الفضل في كلّ مناسبة والمذل : الضجر والقلق .
(٢) الفاحم الرَّجل : الشعر المسترسل المسرّح .
(٣) أزرته : منحته .
(٤) المين : الكذب .

وقوله [من البسيط] :

* إنّ المعارف في أهل النّهي ذممُ *

وقوله [من البسيط] :

* وربّما صحَّتِ الأجسام بالعللِ *

وقوله [من الوافر] :

* وفي الماضي لمن بقيَ اعتبارُ *

وقوله [من المتقارب] :

* وتأبى الطِّباع على الناقلِ *

وقوله [من المتقارب] :

* ومنفعة الغوث قبل العطبْ *

وقوله [من الكامل] :

* هيهات تكتم في الظلام مشاعلٌ *

وقوله [من المنسرح] :

* ومخطىءٌ من رميه القمرُ *

وقوله [من الوافر] :

* وما خير الحياة بلا سرورِ *

وقوله [من البسيط] :

* بجبهة العير يفدى حافر الفرسِ *

وقوله [من المتقارب] :

* ولا رأي في الحبِّ للعاقلِ *

وقوله [من الطويل] :

* ولكنّ طبع النفس للنفس قائدُ *

وقوله [من البسيط] :

* وليس يأكل إلاّ الميّتَ الضبعُ *

وقوله [من الخفيف] :

* كلّ ما يمنح الشريف الشريفُ *

وقوله [من المنسرح] :

* والجوع يرضي الأسود بالجيَفِ *

وقوله [من المتقارب] :

* ومن فرح النفس ما يقتلُ *

وقوله [من الطويل] :

* ويستصحب الإنسان من لا يلائمهْ *

وقوله [من البسيط] :

* إنّ النفيس غريبٌ حيثما كانا *

وقوله [من الكامل] :

* فمن الرّديف وقد ركبت غضنفراً *

وقوله [من الطويل] :

* إذا عظم المطلوب قلَّ المساعدُ *

وقوله [من البسيط] :

* ومن يسدُّ طريق العارض الهطلِ *

وقوله [من الوافر] :

* وأدنى الشّرك في نسبٍ جوارُ *

وقوله [من الطويل] :

* وفي عنق الحسناء يستحسن العقدُ *

وقوله [من الطويل] :

* لا تخرج الأقمار من هالاتها *

وقوله [من الرجز] :

* إنّ النفوس عدد الآجالِ *

وقوله [من الطويل] :

* ولكنّ صدم الشر بالشرِّ أحزمُ *

وقوله [من البسيط] :

* أنا الغريق فما خوفي من البللِ *

وقوله [من الطويل] :

* أشدّ من السُّقمِ الذي أذهب السّقما *

وقوله [من الوافر] :

* فإنّ الرفق بالجاني عتابُ *

وقوله [من الكامل] :

* إنّ القليل من الحبيب كثيرُ *

وقوله [من الطويل] :

* بغيضٌ إليّ الجاهلُ المتعاقلُ *

وقوله [من البسيط] :

* وليس كلّ ذوات المخلب السبعُ *

وقوله [من البسيط] :

* وللسيوف كما للنـاس آجالُ *

وقوله [من البسيط] :

* في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحلِ *

وقوله [من الوافر] :

* فأوّل قرح الخيل المهار *

وقوله [من البسيط] :

* والبر أوسع والدنيا لمن غلبا *

وقوله [من البسيط] :

* ليس التكحّل في العينين كالكحل *

وقوله [من الكامل] :

* ويبين عتقُ الخيل في أصواتها *

* * *

ومنها إرسال المثالين في مصراعي البيت الواحد

كقوله [من الطويل] :

وكلُّ امـرىءٍ يولـي الجميل محبّبُ وكلُّ مكانٍ ينبـت العـزَّ طيِّبُ

وقوله [من المنسرح] :

فـي سعـة الخـافقين مضطـربٌ وفـي بلادٍ من أختهـا بدل

وقوله [من الكامل] :

الحـبُّ ما منـع الـكلام الألسنا وألـذّ شكوى عاشـقٍ ما أعلنا

وقوله [من الخفيف] :

ذلَّ من يغبـط الـذليل بعيشٍ ربَّ عيشٍ أخفُّ منـه الحمامُ(1)
من يهـن يسهـل الهـوان عليه ما لجـرحٍ بميِّتٍ إيلامُ

وقوله [من الطويل] :

كفـى بك داءً أن ترى المـوت شافياً وحسـب المنـايا أن يكنَّ أمانيا

وقوله [من البسيط] :

أفاضـل النـاس أغـراضٌ لذا الزمن يخلـو من الهـمِّ أخلاهـم من الفطنِ

---

(1) يغبط الذليل : أي يتمنّى مثل عيشه ويكاد يحسده عليه ، والحمام : الموت .

وقوله [من الطويل] :

وأتعب من ناداك من لا تجيبه وأغيظ من عاداك من لا تشاكلُ

وقوله [من البسيط] :

لا تشترِ العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاسٌ مناكيدُ

وقوله [من الطويل] :

إذ أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضرٌ كوضع السيف في موضع الندى
وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ومَنْ لك بالحرٍّ الذي يحفظ اليدا
وقيّدت نفسي في ذراك محبّةً ومن وجد الإحسان قيْداً تقيّدا

* * *

ومنها إرسال المثل والاستملاء والموعظة وشكوى الدهر والدنيا والناس وما يجري مجراها .

كقوله [من الطويل] :

وما الجمع بين الماء والنار في يدي بأصعب من أن أجمع الجدَّ والفهما

وقوله [من الكامل] :

يخفي العداوة وهي غيرُ خفيَّةٍ نظرُ العدو بما أُسِرُّ يبوحُ

وقوله [من المنسرح] :

والأمر لله ، ربَّ مجتهدٍ ما خاب إلاّ لأنَّه جاهد[1]

(١) جاهد : راغب في عمله ومثابرٌ عليه .

وقوله [من الطويل] :

إليك فإنّي لست ممّن إذا اتقى عضاض الأفاعي نام فوق العقارب

وقوله [من الكامل] :

خير الطيور على القصور ، وشرُّها يأوي الخراب ويسكن الناووسا[1]

وقوله [من البسيط] :

ليس الجمال لوجهٍ صحّ مارنه أنف العزيز بقطع العزّ يُجتدعُ[2]

وقوله [من الوافر] :

وليس يصح في الأفهام شيءٌ إذا احتاج النَّهار إلى دليلِ

قال ابن جني : هذا كما يقول أهل الجدل « من شك في المشاهدات فليس بكامل العقل » .

وقوله [من الطويل] :

وقد يتزيّا بالهوى غير أهله ويستصحب الإنسان من لا يلائمه

وقوله [من الطويل] :

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا إذا لم يكن فوق الكرامِ كرامُ

وقوله [من البسيط] :

ما كلُّ ما يتمنّى المرء يدركه تجري الرّياح بما لا تشتهي السّفنُ

---

(1) الناووس : القبر .

(2) مارنه : لين جلده . يجتدع : يقطع ويرغم .

وقوله [من الكامل] :

وأحبّ أنّي لو هويت فراقكمْ ... فارقته والدّهر أخبث صاحبِ

وقوله [من الكامل] :

من خصّ بالذمّ الفراق فإنّني ... من لا يرى في الدّهر شيئاً يحمدُ

وقوله [من الطويل] :

ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى ... عدوّاً له ما من صداقته بدٌّ(١)

وقوله [من الخفيف] :

وإذا كانت النفوس كباراً ... تعبتْ في مرادها الأجسامُ

وقوله [من الكامل] :

تلْفَ الذي اتخذ الشجاعة جنّةً ... وعظ الذي اتخذ الفرار خليلا(٢)

وقوله [من الطويل] :

فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً ... فأفعاله اللاتي سررن ألوفُ

وقوله [من الكامل] :

وإذا خفيتُ على الغبيّ فعاذرٌ ... أنْ لا تراني مقلةٌ عمياءُ

وقوله [من البسيط] :

إن كنت ترضى بأن يعطوا الجزي بذلوا ... منها رضاك ومن للعور بالحولِ ؟!

---

(١) النكد : البلاء والقهر .

(٢) الجنّة : الدرع ، والخليل : الصاحب .

وقوله [من الوافر] :

فآجرك الإله على مريضٍ بعثت به إلى عيسى طبيبا

وقوله [من الوافر] :

إذا أتت الإساءة من لئيمٍ ولم أَلُمِ المسيءَ فَمَنْ ألومُ

وقوله [من الكامل] :

وإذا أتتك مذمّتي من ناقصٍ فهي الشّهادة لي بأنّي فاضلُ

وقوله [من المتقارب] :

إذا ما قدرت على نطقةٍ فإنّي على تركها أقدرُ

وقوله [من الخفيف] :

واحتمال الأذى ورؤية جانيـ ـه غذاءٌ تضوى به الأجسامُ[1]

وقوله [من الكامل] :

وتوهّموا اللعب الوغى والطعن في الـ ـهيجاء غير الطعن في الميدانِ

وقوله [من الخفيف] :

وإذا ما خلا الجبان بأرضٍ طلب الطّعن وحده والنزالا

وقوله [من الخفيف] :

ومن الخير بطءُ سيبك عنّي أسرع السحب في المسير الجهام[2]

---

(١) تضوى : تهزل .

(٢) السيب : العطاء ، والجهام : القاتم .

وقوله [من الطويل] :

وليس الـذي يتبـع الوبـل رائداً   كمـن جاءه في داره رائـد الوبلِ

وقوله [من المنسرح] :

أبلـغ ما يطلـب النجـاح به الـــطبـع ، وعنـد التعمّـق الزللُ

وقوله [من البسيط] :

كم مَخْلصٍ وعـلاً في خوضِ مهلكةٍ   وقتلـةٍ قرنـت بالـذمّ في الجبن

وقوله [من المتقارب] :

ومـا قلـت للبـدر أنت اللجين   ولا قلـت للشـمس أنـت الذهبْ
ومـن ركب الثـور بعـد الجوا   د أنـكر أظـلافه والغبـب[1]

وقوله [من البسيط] :

فقـر الجهـول بلا قلـبٍ إلـى أدبٍ   فقـر الحمـار بلا رأسٍ إلـى رسنِ
لا يعجبـن مضيمـاً حسـن بزّته   وهـل يروق دفينـاً جودة الكفنِ

وقوله [من الوافر] :

إذا ما النـاس جرَّبهـم لبيبٌ   فإنّـي قـد أكلتهـمُ وذاقا
فلـم أر ودّهـم إلاّ خداعاً   ولـم أر دينهـم إلاّ نفاقا

وقوله [من الطويل] :

ذرينـي أنـل ما لا ينـال من العلا   فصعب العلا في الصّعب والسهل في السهلِ
تريدين لقيان المعالـي رخيصةً   ولا بدّ دون الشهـد من إبـر النحل

---

(١) الغبب : اللحم المتدلّي تحت الحنك من الناس والبقر والدّيكة .

وقوله [من الطويل] :

تمنٍّ يلذُّ المستهام بمثله وإن كان لا يغني فتيلاً ولا يجدي
وغيظٍ على الأيام كالنّار في الحشا ولكنّه غيظ الأسير على القدِّ[1]

وقوله [من الكامل] :

ومكائد السفهاء واقعةٌ بهمْ وعداوة الشعراء بئسَ المقتني
لعنت مقاربة اللئيم فإنّها ضيفٌ يجرُّ من النّدامة ضيفنا

وقوله [من الطويل] :

وما الخيل إلاّ كالصديق قليلةٌ وإن كثرت في عين من لا يجرِّبُ
إذا لم تشاهد غير حسن شياتها وأعضائها فالحسن عنك مغيَّبُ[2]

وقوله [من الكامل] :

تصفو الحياة لجاهلٍ أو غافلٍ عمّا مضى منها وما يتوقَّعُ
ولمن يغالط في الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتطمع[3]

كأنه مأخوذ من قول لبيد [من الرمل] :

أكذب النفس إذا حدّثتها إنّ صدق النفس يزري بالأمل

وكقوله [من الطويل] :

وأتعب خلق الله من زاد همُّه وقصّر عما تشتهي النفس وجدُهُ
فلا ينحلل في المجد مالك كلّه فينحلُّ مجدٌ كان بالمال عقدُهُ

---

(١) القدّ : القيد .
(٢) الشية : العلامة .
(٣) يسومها : يكلّفها .

ودبَّـره تدبير الـذي المجـد كفّه إذا حارب الأعـداء والمـال زنده
فلا مجـد في الـدنيا لمـن قلّ ماله ولا مال في الـدنيا لمـن قلّ مجدُهُ
إذا كنـت في شكٍّ من السيف فابْلُهُ فإمّـا تنفيه وإما تعدُّهُ[1]
ومـا الصـارم الهنـديُّ إلاّ كغيره إذا لم يفارقـه النجـاد وغمدُهُ[2]

وقوله [من الخفيف] :

إنّمـا تنجـح المقالـة في المر ء إذا وافقـت هوىً في الفؤادِ
وإذا الحلـم لم يكنْ في طباعٍ لـم يحلّـم تقـادم الميـلادِ
إنّمـا أنـت والـدٌ ، والأب القا طع أحنـى من واصـل الأولاد

وقوله [من الطويل] :

وما الحسـن في وجـه الفتـى شرفاً لهُ إذا لم يكنْ في فعلـه والخلائقِ
ومـا بلـد الإنسـان غير الموافق ولا أهلـه الأدنـون غير الأصادق
وجائـزة دعـوى المحبّـة والهوى وإن كان لا يخفـى كلام المنافقِ
ومـا يوجـع الحرمـان من كفٍّ حارمٍ كمـا يوجـع الحرمـان من كفٍّ رازقِ

وقوله [من الخفيف] :

إنّمـا أنفس الأنيس سباعٌ يتفـارسـن جهـرةً واغتيـالا
مـن أطـاق التمـاس شيءٍ غلاباً واقتسـاراً لم يلتمسـه سؤالا
كلُّ غادٍ لحاجـةٍ يتمنّـى أن يكون الغضنفـر الرئبالا[3]

وقوله [من البسيط] :

لولا المشقّـة ساد النـاس كلّهم الجـود يفقـر والإقـدام قتّالُ

---

(١) أبله : اختبره من البلاء .
(٢) الصارم : السيف القاطع ، والهندي : نسبة إلى بلاد الهند .
(٣) الغضنفر الرئبالا : أي الأسد الشجاع .

وقلَّمــا يبلــغ الإنســان غايته ... ما كلُّ ماشيةٍ بالرجــل شملالُ[1]
إنّــا لفــي زمــنٍ تَرْكُ القبيح به ... من أكثــر النّــاس إحســانٌ وإجمالُ
ذكر الفتــى عمــره الثانــي ، وحاجته ... ما قاتــه ، وفضــول العيش أشغال

وقوله [من الوافر] :

يرى الجبنــاء أنَّ العجــز حزمٌ ... وتلك خديعــة الطّبــع اللئيمِ
وكلُّ شجاعــةٍ في المــرء تغني ... ولا مثــل الشجاعــة في الحكيمِ

قيل له : أنى يكون الشجاع حكيماً ؟ فقال : هذا علي بن أبي طالـب كرم الله وجهه ! .

وكم من عائــبٍ قولاً صحيحاً ... وآفتــه مــن الفهــم السقيمِ
ولــكن تأخــذ الأذهــان منه ... علــى قــدر القرائــح والعلومِ

وقوله [من الكامل] :

ولقــد رأيت الحادثــات فلا أرى ... يقفــاً يميت ولا سواداً يعصم[2]
والهــمُّ يختــرم الجسيم نحافةً ... ويشيب ناصية الصبــيّ ويهرمُ[3]
ذو العقــل يشقــى في النعيم بعقله ... وأخــو الجهالــة في الشقــاوة ينعم
لا يخدعنّــك من عدوٍّ دمعه ... وارحــم شبابــك من عدوٍّ يرحمُ
لا يسلــم الشــرف الــرفيع من الأذى ... حتّــى يراق علــى جوانبــه الدم

---

(١) الشملال : السريع .
(٢) اليقق : الشديد البياض ، يقول : البياض في الشعر لا يكون سبباً في الموت فقد يعيش الشيخ ، وسواد الشعر لا يكون سبباً في الحياة فقد يموت الشاب .
(٣) يخترم : يصيب ، واخترم الشيء : ترك فيه خرماً من جانب إلى جانب ، والناصية : شعر مقدّم الرأس .

قال ابن جنى : أشهد بالله لو لم يقل غير هذا البيت لتقدم به أكثر المحدثين .

وهذه الأبيات كلها غرر وفرائد ، لا يصدر مثلها إلا عن فضل باهر ، وقدرة على الإبداع ظاهرة .

والظُّلم من شيم النفوس ، فإنْ تجدْ ذا عفةٍ فلعلّةٍ لا يظلمُ
ومن البليّة عذل من لا يرعوي عن جهله ، وخطاب من لا يفهم
ومن العداوة ما ينالك نفعه ومن الصّداقة ما يضرُّ ويؤلم

وقوله [من الطويل] :

أرى كلُّنا يبغي الحياة لنفسه حريصاً عليها مستهاماً بها صبّا[1]
فحبّ الجبان النفس أورده التُّقى وحبُّ الشُّجاع النفس أورده الحربا
ويختلف الرزقان والفعل واحدٌ إلى أن ترى إحسان هذا لذا ذنبا

وقوله [من الوافر] :

وفيك إذا جنَى الجاني أناةٌ تظنّ كرامةً وهي احتقارُ[2]
بنو كعبٍ وما أثّرت فيهم يدٌ لم يدمها إلاّ السّوار
بها من قطعه ألمٌ ونقصٌ وفيها من جلالته افتخار
لهم حقٌّ بشركك في نزارٍ وأدنى الشّرك في نسبٍ جوارُ
لعلّ بنيهمُ لبنيك جندٌ فأوّل قرّح الخيل المهار[3]
وما في سطوة الأرباب عيبٌ ولا في ذلّة العبدان عار[4]

---

(١) الصبّ : العاشق .
(٢) الأناة : التصبُّر وطول البال .
(٣) القرح : جمع قارح ، وهو ما بلغ التاسعة من عمره من ذوات الحافر ، والمهار : جمع مهر .
(٤) العبدان : أحد جموع العبد ، والسطوة : القوّة والبسطة .

وقوله [من البسيط] :

من اقتضى بسوي الهنديّ حاجته ... أجاب كلّ سؤالٍ عن هل بلم
ولم تزلْ قلّة الإنصاف قاطعةً ... بين الرجال وإن كانوا ذوي رحم
هوّنْ على بصرٍ ما شقّ منظره ... فإنّما يقظات العين كالحلمِ
لا تشكونّ إلى خلقٍ فتشمتهُ ... شكوى الجريح إلى الغربان والرخم
وكن على حذرٍ للنّاس تسترهُ ... ولا يغرّنْك منهم ثغر مبتسم
وقتٌ يضيع وعمرٌ أنت مدّته ... في غير أمّته من سائر الأمم
أتى الزمان بنوه في شبيبته ... فسرّهم وأتيناه على الهرم

وقوله [من الكامل] :

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أوّلٌ ، وهي المحلُّ الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفسٍ مرّةٍ ... بلغت من العلياء كلَّ مكان
ولربّما طعن الفتى أقرانه ... بالرأي قبل تطاعن الأقران[1]
لولا العقول لكان أدنى ضيغمٍ ... أدنى إلى شرفٍ من الإنسان[2]

وقوله [يمدح كافوراً] [من الطويل] :

لحا الله ذي الدنيا مناخاً لراكبٍ ... فكلُّ بعيد الهمِّ فيها معذَّبُ !
ألا ليت شعري هل أقول قصيدةً ... ولا أشتكي فيها ولا أتعتّبُ !؟
وبي ما يذود الشعر عنّي أقلّه ... ولكنّ قلبي ، يا ابنة القوم ، قلّبُ
أما تغلط الأيام فيّ بأن أرى ... بغيضاً تُنائي أو حبيباً تقرّبُ ؟

---

(١) القرين : المثيل والنظير ، والأقران :
(٢) الضيغم : المفترس من الحيوانات .

وقوله [يمدحه أيضاً] [من الطويل] :

أبـي خُلُـقُ الـدّنيا حبيبـاً تديمهُ   فمـا طلبـي منهـا حبيبـاً تردُّهُ ؟
وأسـرع مفعـولٍ فعلـت تغيّراً   تكلّف شيء في طباعـك ضدّه

وقوله [يمدحه أيضاً] [من الطويل] :

إذا ساء فعـل المـرء ساءت ظنونه   وصـدّق ما يعتـاده من توهُّمِ
وعـادي محبيه بقـول عداتـهُ   وأصبـح في ليلٍ من الشّـكٍّ مظلم

ومنها :

ومـا كلُّ هاوٍ للجميـل بفاعـلٍ   ولا كـلُّ فعّـالٍ له بمتمّمِ

ومنها :

فأحسنُ وجهٍ في الورى وجـه محسنٍ   وأيمـن كفٍّ فيهـمُ كفُّ مُنعمِ
وأشرفهـم من كان أشـرف همّه   وأكثـر إقدامـاً علـى كلّ معظم
لمـن تطلـب الـدّنيا إذا لم تردْ بها   سرورَ محـبٍّ أو مسـاءةَ مجرم ؟

وقوله [يمدح المغيث بن علي العجلي] [من الوافر] :

فـؤادٌ ما تسـلّيه المـدامُ   وعمـرٌ مثـل ما يهـب اللئامُ
ودهـرٌ ناسـه نـاسٌ صغارٌ   وإن كانـت لهـمْ جثـثٌ ضخامُ
ومـا أنـا منهـم بالعيش فيهم   ولـكن معـدنُ الـذّهـب الرُّغام[1]
وشبـه الشـيء منجذبٌ إليه   وأشبهنـا بدنيانـا الطّغام[2]
ولـو لم يعـل إلاّ ذو محلٍّ   تعالـى الجيش وانحـطَّ القتام[3]

---

(١) الرغام : التراب .
(٢) الطغام : أرذال الناس .
(٣) القتام : الغبار .

ولــو حيْزَ الحفــاظ بغير عقلٍ   تجنّــب عنـق صيقلـه الحسام[1]

وقوله [من الخفيف] :

أبــداً تستــردّ ما تهــب الدّنـ   ـيا فيا ليت جودهــا كان بخلا

فَكَفَــتْ كون فرحــةٍ تورث الغـ   ـمّ وخــلٌ يغــادر الوجــد خلاً

وهـي معشوقـةٌ علــى الغــدر لا تحـ   ـفـظ عهــداً ولا تتمّــم وصلا

كلُّ دمــعٍ يسيل منهــا عليها   وبفــكّ اليديـن عنهــا تخلّـى

أي : كل من أبكته الدنيا فإنما يبكي لفوت شيء منها ، ولا يخليها الإنسان إلا قسراً بفك يديه .

وفي هذه القصيدة :

شيم الغــانيات فيهــا فلا أد   ري لذا أنّث اسمهـا النــاس أم لا ؟

ولــذيذ الحياة أنفس في النّفـ   ـس وأشهــى من أن يمــلّ وأحلى

وإذا الشيخ قال أفٍّ فما مــــــلّ حياةً وإنّمــا الضّـعف ملاً

آلــة العيـش صحّــةٌ وشبـابٌ   فإذا وليّا عن المــرء ولّى

* * *

ومنها افتضاضه أبكار المعاني ، في المراثي والتعازي

كقوله [من المنسرح] :

سالــم أهــل الــودادِ بعدهُمُ   يُسْلــمُ للحـزن لا لتخليـد

أي : إذا مات الصديق يسلم صديقه للحزن لا للخلود ، لأن كلا ميت .

فمــا ترجّــى الخلــود من زمنٍ   أحمــد حاليـهِ غيــر محمودِ

(١) حيْزَ : امتلك .

أي : أحمد حاليك أن تبقى مع صديقك ، وهو مع ذلك غير محمود لتعجيل الحزن وانتظار الأجل .

وقوله [من الكامل] :

المجد أخسر والمكارم صفقةً ... من أن يعيش بها الكريم الأروعُ
والناس أنزل في زمانك منزلاً ... من أن تعايشهم وقدرك أرفعُ
قبحاً لوجهك يا زمان ؛ فإنّهُ ... وجهٌ له من كلِّ قبحٍ برقع
أيموت مثل أبي شجاعٍ فاتكٌ ... ويعيش حاسده الخصيُّ الأوكع ؟[1]

وقوله [من البسيط] :

عدمته وكأنّي سرت أطلبه ... فما تزيدني الدّنيا على العدمِ
من لا يشابهه الأحياء في شيمٍ ... أمسى يشابهه الأموات في الرّمم[2]

أحسن والله أبدع ما شاء ! .

وقوله [من الطويل] :

وقد فارق الناس الأحبة قَبْلنا ... وأعيا دواء الموت كلُّ طبيبِ
سبقنا إلى الدنيا ، فلو عاش أهلها ... منعنا بها من جيئةٍ وذهوبِ
تملَّكها الآتي تملُّك سالبٍ ... وفارقها الماضي فراقَ سليب

هذا كقول بعضهم في الموعظة : « وإن ما في أيديكم أسلاب الهالكين ، ويستخلفها الباقون كما تركها الماضون » .

علينا لك الإسعاد إن كان نافعاً ... بشقّ قلوبٍ لا بشقٍّ جيوبِ
فربٌّ كئيبٍ ليس تندى جفونه ... وربٌّ كثيرِ الدّمع غير كئيبِ

---

(١) الأوكع : اللئيم ، والأحمق .

(٢) الشّيم : السجايا والخصال الكريمة . والرّمم : العظام البالية .

وللواجد المكروب من زفراته   سكون عزاءٍ أو سكون لغوب[1]

وقوله [من الكامل] :

ما كنت أحسب قبل دفنك في الثّرى   أنّ الكواكب في التراب تغورُ
ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى   رضوى على أيدي الرجال تسيرُ[2]
خرجوا به ، ولكلٍّ باكٍ خلفه   صعقات موسى يوم دكّ الطُّور[3]
حتى أتوا جدثا كأنّ ضريحه   في كلّ قلب موحّدٍ محفورُ
كفل الثناء له بردّ حياته   لما انطوى فكأنّه منشورُ

وقوله في تعزية سيف الدولة عن أخته [من الخفيف] :

ولعمري لقد شغلت المنايا   بالأعادي فكيف يطلبن شغلا
وكم انتشْتَ بالسّيوف من الدّهـ   ـر أسيراً وبالنّوال مقلاّ[4]
خطبةٌ للحمام ليس لها ردٌّ   وإن كانت المسمّاة ثكلا
وإذا لم تجد من الناس كفواً   ذات خدرٍ أرادتِ الموت بعلا

هذا أحسن ما قيل في مرثية حرم الملوك .

وقوله في مرثية طفل لسيف الدولة وتعزيته عنه [من الطويل] :

فإن تك في قبرٍ فإنّك في الحشا   وإن تك طفلاً فالأسى ليس بالطفلِ
ومثلك لا يبكي على قدر سنّهِ   ولكنْ على قدر المخيلة والفضل[5]
عزاءك سيف الدولة المقتدى به   فإنّك نصلٌ ، والشدائد للنّصلِ

---

(١) اللغوب : الإعياء الشديد .
(٢) رضوى : إسم جبل معروف .
(٣) دكّ : هدم وتحطم ، والطور : جبل .
(٤) انتشت : انتاش : تناول وانتشل ، والمقلّ : الفقير .
(٥) المخيلة : المظنّة .

ولـم أر أعصـى فيك للحـزن عبرةً وأثبـت عقـلاً ، والقلـوب بلا عقل
تخـون المنـايا عهـده في سليله وتنصـره بين الفـوارس والرّجل[1]
ويبقـى علـى مرّ الحـوادث صبره ويبدو كما يبدو الفرنـد على الصقل
ومـا المـوت إلاّ سارقٌ رقّ شخصه يصـول بلا كفٍّ ويسعـى بلا رجل
يردّ أبـو الشبـل الخميس عن ابنه ويسلمـه عنـد الـولادة للنمل
إذا ما تأمّلـت الزّمـان وصرفه تيقّنـت أن المـوت ضربٌ من القتل
ومـا الدّهـر أهـلٌ أن يؤمّـل عنده حياةً وأن يشتـاق فيه إلـى النّسل

وقوله [من السريع] :

نحـن بنـو الـدنيا فمـا بالنا نعـاف ما لا بدًّ من شربِهِ
تبخـل أيدينـا بأرواحنـا علـى زمـانٍ هنَّ من كسبه
فهـذه الأرواح من جوّه وهـذه الأجسـام مـن تربه
لـو فكر العاشـق في منتهى حسـن الـذي يسـبيه لم يسبه
لـم ير قرن الشـمس في شرقه فشـكّتِ الأنفس في غربه
يمـوت راعـي الضـأن في جهله موتـة جالينـوس فـي طبِّه
وربّمـا زاد علـى عمـره وازداد في الأمـن علـى سربه[2]
وغـاية المفـرط فـي سلمه كغـاية المفـرط فـي حربه ؟[3]
فـلا قضـى حاجتـه طالـبٌ فؤاده يخفـق من رعبـه !

* * *

(١) الرجل : المشاة من الجيش .
(٢) السرب : الجماعة .
(٣) المفرط : المتزيّد والمكثر .

ومنها الايجاع في الهجاء

كقوله [من المجتث] :

إن أوحشتك المعالي فإنّها دار غربهْ
أو آنستك المخازي فإنّها لك نسبهْ

وقوله [من البسيط] :

إنّي نزلت بكذّابين ضيفهم عن القرى وعن الترحال محدودُ
جود الرجال من الأيدي ، وجودهُمُ من اللسان ، فلا كانوا ولا الجود !
ما يقبض الموت نفساً من نفوسهم إلاّ وفي يده من نتنها عود

يعني العود الذي يتناوله المعالج للشيء القذر ليكون واسطة بينه وبين يده .

وقوله [من البسيط] :

العبد ليس لحرٍّ صالحٍ بأخٍ لو أنّه في ثياب الحرّ مولودُ
لا تشترِ العبد إلاّ والعصا معه إنّ العبيد لأنجاسٌ مناكيد
من علّم الأسود المخصيَّ مكرمةً أقومه البيض أم آباؤه الصيد ؟[1]
أم أذنه في يد النخاس داميةً أم قدره وهو بالفلسين مردود ؟
وذاك أن الفحول البيض عاجزةٌ عن الجميل فكيف الخصية السّودُ

كأنه من قول أبي علي البصير [من الخفيف] :

عجز الراكب البصير ، وأولى منه بالعجز راجلٌ مكفوفُ[2]

وقوله [من السريع] :

فلا ترجُّ الخير عند امرئٍ مرّت يد النخاس في رأسه

---

(١) الصيد : السادة ، والصيد إمالة الرأس عجباً وتكبّراً .
(٢) المكفوف : الأعمى ، والراجل : السائر على قدميه .

وقوله [من الوافر] :

أخــذتُ بمدحــه فرأيت لهواً ... مقالــي للأحيمــق يا حكيمُ
ولمّــا أن هجــوت رأيت عيّاً ... مقالــي لابــن آوى يا حليمُ[1]
فهــل من غادرٍ في ذا وهذا ... فمدفــوعٌ إلــى السُّقــمِ السّقيمُ

وقوله [من المتقارب] :

لقـد كنـت أحسـب قبـل الخصي ... بأنّ الــرءوس مقــرُّ النهى
فلمــا نظــرت إلــى عقله ... رأيت النهــى كلّهــا في الخصى

وقوله [يهجو إسحاق بن إبراهيم بن كيغلغ] [من الكامل] :

يمشــي بأربعــةٍ علــى أعقابه ... تحت العلـوج ومـن وراءٍ يلجم[2]
وجفونــه ما تستقــرُّ كأنّها ... مطروفــةٌ أو فتّ فيهــا حصرم
وتــراه أصغــر ما تراه ناطقاً ... ويكون أكذب ما يكون ويقسم
وإذا أشــار مكلّمــاً فكأنّهُ ... قردٌ يقهقــه أو عجــوزٌ تلطم
يقلــي مفارقــة الأكفّ قذاله ... حتــى يكاد علــى يدٍ يتعمّم[3]

* * *

ومنها إبراز المعاني اللطيفة
في معارض الألفاظ الرشيقة الشريفة
والرمز بالطرف والملح

كقوله في الجمع بين مدح سيف الدولة وقد فارقه ، وبين مدح كافور وقد

---

(١) العيّ : الصعوبة في الكلام .
(٢) العلوج : الحمير .
(٣) يقلى : يكره ، والقذال : القفا من الرقبة .

قصده في بيت واحد [من الطويل] :

فراقٌ ومن فارقت غير مذمَّمٍ وأمٌّ ومن يمّمتُ خير ميمّم[1]

ثم قال معرضاً بسيف الدولة :

وما منزل اللذاتِ عندي بمنزلٍ إذا لم أبجَّلْ عنده وأكرَّمُ
رحلت فكم باكٍ بأجفان شادنٍ عليَّ ، وكم باكٍ بأجفان ضيغم[2]

المصراع الثاني تصديق لقوله :

* ليحدثنَّ لمن ودّعتهم ندمُ *

وما ربّة القرط المليح مكانهُ بأجزع من ربِّ الحسام المصمَّمِ
فلو كان ما بي من حبيبٍ مقنّعٍ عذرت ، ولكن من حبيبٍ معمّمِ[3]

وهذا أيضاً مما نبهت عليه من إجرائه الممدوح من الملوك مجرى المحبوب في كثير من شعره :

رمى واتّقى رمي ، ومن دون ما اتقى هوىً كاسرٌ كفّي وقوسي وأسهمي

وكقوله في مدح كافور والتعريض بالقدح في سيف الدولة [من البسيط] :

قالوا : هجرت إليه الغيث ؟ قلت لهم إلى غيوثٍ يديه والشآبيبِ[4]
إلى الذي تهب الدّولات راحته ولا يمنٌّ على آثارِ موهوبِ
ولا يروع بمغرورٍ به أحداً ولا يفزّع موفوراً بمنكوبِ
يا أيّها الملك الغاني بتسميةٍ في الشرق والغرب عن نعتٍ وتلقيب

---

(١) يمّم : قصد ناحيته .
(٢) الشادن : الغزال ، والضيغم : المفترس من الوحش .
(٣) معمّم : يلبس عِمّة .
(٤) الشآبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر .

يعني أنا مستغن بشهرته عن لقب كلقب سيف الدولة .

أنــت الحبيب ولكنّــي أعــوذ به   من أن أكون محبّـاً غير محبوبِ

وهذا أيضاً من ذاك .

وقوله من قصيدة لسيف الدولة بعد ما فارق حضرته يعرض باستزادة يومه وشكر أمسه ، وهو من فرائده [من المتقارب] :

وإنْ فارقتنيَ أمطاره   فأكثر غدرانها ما نضبْ
وإنّي لأتبع تذكاره   صلاة الإله وسقي السُّحبْ

ومنها في التعريض بكافور :

ومن ركب الثور بعد الجوا   د أنكر أظلافه والغبب[1]

وقوله في هز كافور والتعريض باستزادته [من الطويل] :

أبا المسك هل في الكأس فضلٌ أناله   فإنّي أغنّي منذُ حينٍ وتشربُ

يقول : مديحي إياك يطربك كما يطرب الغناء الشارب ، فقد حان أن تسقيني من فضل كأسك .

وهبت على مقدار كفّي زماننا   ونفسي على مقدار كفّيك تطلبُ

وقوله أيضاً في التعريض بالاستزادة [من الطويل] :

أرى لي بقربي منك عيناً قريرةً   وإن كان قرباً بالبعاد يشابُ[2]
وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا   ودون الذي أمّلت منك حجابُ ؟
أقلّ سلامي حبّ ما خفّ عنكمُ   وأسكت كيما لا يكون جواب

(١) الغبب : اللحمة المتدلية تحت الحنك في الإنسان والبقر والدّيكة .
(٢) يشاب : يمزج ويخلط .

وفـي النفس حاجـاتٌ وفيك فطانةٌ سكوتـي بيانٌ عندهـا وخطاب

وكقوله في وصف الفرس [من الطويل] :

ويومٍ كليل العاشـقين كمنته أراقـب فيه الشـمس أيّان تغربُ
وعينـي إلـى أذنـيْ أغـرّ كأنّه من الليل باقٍ بين عينيه كوكب

أي : كأنه قطعة من الليل ، وكأن الغرة في وجهه كوكب ، وعينه إلى أذنه لأنه كامن لا يرى شيئاً ، فهو ينظر إلى أذني فرسه ، فإن رآه قد توجس بهما تأهب في أمره وأخذ لنفسه ، وذلك أن أذن الفرس تقوم مقام عينيه ، وتقول العرب : أذن الوحشي أصدق من عينيه .

له فضلـةٌ عن جسمـه في إهابه تجـيء علـى صدرٍ رحيبٍ وتذهبُ[1]
شققـت به الظلمـاء أدنـى عنانه فيطغـى ، وأرخيه مراراً فيلعب

أي : إذا جذبت عنانه طغى برأسه لطماحه وعزة نفسه ، وإذا أرخيت عنانه لعب برأسه .

وأصـرع أيّ الـوحش قفّيتـه به وأنـزل عنـه مثلـه حين أركبُ

وكقوله في التوديع [من الوافر] :

وإنّـي عنـك بعـد غدٍ لغادٍ وقلبـي في فنائـك غيـر غاد
محبُّك حيث ما اتجهـت ركابي وضيفـك حيـث كنـت من البلاد

وكقوله [من الكامل] :

سرْ حيث شئـت يحلُّـه النوّار وأراد فيك مرادك المقدارُ
وإذا ارتحلـت فشيَّعتْـكَ سلامةٌ حيـث اتجهـت وديمـةٌ مدرارُ

(١) الإهاب : الجلد .

وأراك دهـرك ما تحـاول في العدا حتـى كأنّ صروفـه أنصار
أنـت الـذي بجـح الزمـان بذكره وتزيّنـت بحـديثه الأسمـار[1]

وكقوله في اللطف بالصديق والعنف بالعدو [من الكامل] :

إنّي لأجبن عن فراق أحبّتي وتحسّ نفسي بالحمام فأشجعُ
ويزيدني غضب العداة جراءةً ويلمّ بي عتب الصديق فأجزعُ

وكقوله في حسن الكناية [من الخفيف] :

تشتـكي ما اشتـكيت من ألـم الشو ق إلينـا ، والشـوق حيث النحول

وإنما كنى عن تكذيبها ولم يصرح به : أي أنا أشتكي الشوق ونحولي يدل على ذلك ، وهي غير ناحلة فليست مشتاقة .

وكقوله [من الرجز] :

أبيضُ ما في تاجـه ميمونه عفيف ما في ثوبـه مأمونه[2]

أي : عفيف الفرج ، فكنى به .

وكقوله في حسن الحشو [من الكامل] :

صلّـى عليك الله غير مودعٍ وسقـى ثرى أبـويك صوبَ غمامِ

« غير مودع » حشو ، ولكنه حسن .

وكقوله [من الطويل] :

ويحتقـر الـدنيا احتقـار مجرّبٍ يرى كل ما فيهـا ، وحاشـاك ، فانيا

سبحان الله ! ما أحسن الحشو بقوله « وحاشاك » !

---

(1) بجح : افتخر وفرح ، والأسمار : من السّمر ، وهو الأنس .
(2) الميمون : من اليمن .

وكقوله [من البسيط] :

إذا خَلَتْ منك حمصٌ ، لا خلت أبداً فلا سقاها من الوسميّ باكره[1]

وكقوله في العيادة [من الكامل] :

لا نعذل المرض الذي بك ، شائقٌ أنت الرجالَ ، وشائقٌ علاّتها[2]
ومنازل الحمى الجسوم ، فقل لنا : ما عذرها في تركها خيراتها ؟

أي : لا عذر للحمى في تركها جسمك ، إذ هو أفضل الجسوم .

وكقوله [من المنسرح] :

قصدت من شرقها ومغربها حتى اشتكتك البلاد والسُّبلُ
لم تبق إلاّ قليل عافيةٍ قد وفدت تجتديكها العلل

وقوله [من الوافر] :

تجشَّمك الزمان هوىً ووداً وقد يؤذى من المقت الحبيبُ
وكيف تعلُّك الدنيا بشيءٍ وأنت لعلّةِ الدّنيا طبيبُ ؟
وكيف تنوبك الشكوى بداءٍ وأنت المستجار لما ينوب ؟[3]

وكقوله في التهنئة وهي تهنئة سيف الدولة [من البسيط] :

المجد عوفيَ إذ عوفيت والكرمُ وزال عنك إلى أعدائك الألمُ
وما أخصّك في برءٍ بتهنئةٍ إذا سلمت فكلُّ الناس قد سلموا

---

(١) الوسمي : مطر الربيع .

(٢) شائق : خبر مقدم، وأنت مبتدأ مؤخر والرجال مفعول به لاسم الفاعل شائق وشائق الثاني معطوف على الأول، وعلاتها مفعول والشائق: باعث الشوق، يقول: ألمّ بك المرض لأنك باعث له على الحب لك .

(٣) تنوبك : تصيبك.

وكقوله [من الخفيف] :

إنّما التهنئات للأكفاء ... ولمن يدني من البعداء
وأنا منك لا يهنىء عضوٌ ... بالمسرات سائر الأعضاءِ

وكقوله [من البسيط] :

الصوم والفطر والأعياد والعصر ... منيرة بك ، حتّى الشمس والقمرُ
ما الدهر عندك إلا روضةٌ أُنُفٌ ... يا مَنْ شمائله في دهره زهرُ[1]
ما ينتهي لك في أيّامه كرمٌ ... فلا انتهي لك في أعوامه عمر
فإنّ حظك من تكرارها شرفٌ ... وحظّ غيرك منها النوم والسهر

وكقوله [من الطويل] :

تغيّر حالي والليالي بحالها ... وشبت وما شاب الزمان الغرانق[2]

وكقوله [من البسيط] :

تسوِّدُ الشمس منّا بيض أوجهنا ... ولا تسوِّدُ بيض العذر واللمم[3]
وكان حالهما في الحكم واحدةً ... لو احتكمنا من الدنيا إلى حكم

وقوله [من الطويل] :

مُشبٌّ الذي يبكي الشباب مشيبُهُ ... فكيف تَوَقّيه وبانيه هادمُهْ[4]
وما خضب الناس البياض لأنّه ... قبيحٌ ، ولكن أحسن الشعر فاحمه[5]

* * *

(١) روضة أنف : أي لم ترعَ.
(٢) الغرانق : الشاب الأبيض الناعم الجميل.
(٣) اللمم : جمع لمّة وهي شعر الرأس.
(٤) مشبّ : مبتدأ خبره مشيبه ، ويجوز العكس ، والبيت الذي يبكي الشباب إنّما أشابه الذي أشبّه ، فقد حصل له الشيب من عند الذي حصل له منه الشباب.
(٥) والفاحم : الأسود.

ومنها حسن المقطع

كقوله [من البسيط] :

قد شرَّف الله أرضاً أنت ساكنها وشرَّف الناس إذْ سوَّاك إنسانا

قال ابن جني : لا يعجبني قوله « سواك إنسانا » لأنه لا يليق بشرف ألفاظه ، ولو قال « أنشاك » أو نحو ذلك لكان أليق بالحال .

قلت أنا : ولو قال غير ما قاله لم يكن فصيحاً شريفاً . لأن في القرآن « ثم سواك رجلاً »(1) ولا أفصح ولا أشرف مما ينطق به كتاب الله عز ذكره وكقوله [من المتقارب] :

سما بك همّي فوق الهموم فلست أعدّ يساراً يسارا
ومن كنت بحراً له يا عليّ لم يقبل الدرّ إلاّ كبارا(2)

وكقوله [يمدح سيف الدولة] [من المتقارب] :

أنلت عبادك ما أمّلوا أنالك ربّك ما تأملُ

وكقوله [في المغيث بن علي العجلي] [من الوافر] :

وأعطيت الذي لم يعط خلقٌ عليك صلاة ربّك والسلامُ

* * *

ذكر آخر شعره وأمره

لما أنجحت سفرته ، وربحت تجارته بحضرة عضد الدولة . ووصل إليه من صلاته أكثر من مائتي درهم ـ استأذنه في المسير عنها ليقضي حوائج في نفسه ،

(1) من الآية ٣٧ من سورة الكهف .
(2) يا علي : أي سيف الدولة .

ثم يعود إليها ، فأذن له ، وأمر بأن تخلع عليه الخلع الخاصة ، ويقاد إليه الحملان الخاص ، وتعاد صلته بالمال الكثير ، فامتثل ذلك ، وأنشده أبو الطيب الكافية التي هي آخر شعره ، وفي أضعافها كلام جرى على لسانه كأنه ينعي فيه نفسه ، وإن لم يقصد ذلك ، فمنه قوله [من الوافر] :

فلو أني استطعت خفضت طرفي فلم أبصرْ به حتّى أراكا

وهذه لفظة يتطير منها ، ومنه :

إذا التّوديع أعرض قال قلبي عليك الصّمت لا صاحبتُ فاكا
ولولا أنَّ أكثر ما تمنّى معاودةٌ لقلت ولا مناكا

أي : لو أن أكثر ما تمنى قلبي أن يعاودك لقلته له : ولا بلغت أنت أيضاً منتك ، وهذا أيضاً من ذاك ، ومنه :

قد استشفيت من داءٍ بداءٍ وأقتل ما أعلّك ما شفاكا

أي : قد أضمرت يا قلب شوقاً إلى أهلك ، وكان ذلك داء لك ، فاستشفيت منه بأن فارقت عضد الدولة ، ومفارقته داء لك أيضاً أعظم من داء شوقك إلى أهلك ، وهذا شبه قول النبي ﷺ « كفى بالسلامة داء » وقول حميد بن ثور [من الطويل] :

* وحسبك داءً أن تصحَّ وتسلما *

و « أقتل ما أعلك ما شفاكا » من ألفاظ الطيرة أيضاً ، ومنه :

وكم دون الثّويّة من حزينٍ يقول له قدومي ذا بذاكا

الثوية : من الكوفة ، يقول له « قدومي ذا بذاك » أي هذا القدوم بتلك الغيبة ، وهذا السرور بذلك الحزن ، لم يقل « إن شاء الله تعالى » ومنه :

ومن عذب الرّضاب إذا انخنا يقبّل رحل تروكِ والوراكا

تروك : اسم ناقة لم ير مثلها لعضد الدولة أمر له بها ، والوراك : شيء يتخذه الراكب كالمخدة تحت وركه .

يحرّم أن يمسّ الطيب بعدي وقد عبق العبير به وصاكا[1]

وهذا أيضاً من تلك الألفاظ ، ومنه :

وفي الأحباب مختصٌ بوجدٍ وآخر يدّعي معه اشتراكا
إذا اشتبهت دموعٌ في خدودٍ تبيَّن من بكى ممَّنْ تَباكى

وهذا أيضاً من ذاك ، ومنه :

فزلْ بعد عن أيدي ركابٍ لها وقع الأسنّةِ في حشاكا

هذه استعارة حسنة لأنه خاطب البعد وجعل له حشا ، ومنه :

وأيّاً شئت يا طرقي فكوني أذاةً أو نجاةً أو هلاكا

جعل قافية البيت الهلاك فهلك ، وذلك أنه ارتحل عن شيراز بحسن حال ووفور مال ، فلما فارق أعمال فارس حسب أن السلامة تستمر به كاستمرارها في مملكة عضد الدولة ، ولم يقبل ما أشير به عليه من الاحتياط باستصحاب الخفراء والمبذرقين[2] ، فجرى ما هو مشهور من خروج سرية من الأعراب عليه ومحاربتهم إياه ، وتكشف الوقعة عن قتله وابنه محسد ونفر من غلمانه ، وفاز الأعراب بأمواله وذلك في سنة أربع وخمسين وثلثمائة .

أنشدني أبو القاسم المظفر بن علي الطبسي الكاتب لنفسه في مرثية المتنبي [من الخفيف] :

لا رعى الله سرب هذا الزمان إذ دهانا في مثل ذاك اللّسانِ

---

(١) صاك : أراد أنّه لصق به.

(٢) المبذرقين : الحرّاس والخفراء.

مــا رأى النــاس ثانــيَ المتنبيّ أيّ ثانٍ يرى لبــكر الزمان ؟
كان من نفســه الــكبيرة في جيـ ـشٍ وفــي كبــرياء ذي سلطان
كان في لفظــه نبياً، ولكنْ ظهــرت معجزاتــه فـي المعاني

فصل - وقد جمح بي القلم في إشباع هذا الباب وتذييله ، وتصييره كتاباً برأسه في أخبار أبي الطيب والاختيار من أشعاره والتنبيه على محاسنه ومساويه ، وقد كان بعض الأصدقاء سألني عمل ذلك ، وله الآن فيه كفاية ، وبه غنية ، فإن أحب إفراده عن الأبواب كان كتاباً على حدة ، وإن نشط لانتساخ الجميع تضاعفت الفوائد لديه ، وانثالت القلائد عليه ، بمشيئة الله وإرادته .

والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

* * *



الباب السادس

١٦ ـ في ذكر النامي والناشي والزاهي وإخراج غرر أشعارهم

أبو العباس أحمد بن محمد النامي ـ شاعر من فحولة شعراء العصر ، وخواص شعراء سيف الدولة ، وكان عنده تلو المتنبي في المنزلة والرتبة ، وقد أخرجت من ديوانه ما هو شرط الكتاب من عقائل شعره وفرائد عقده ، فمن ذلك قوله من قصيدة [من الطويل] :

له من هواها ما لصبٍّ متيّمٍ ... وذمة حبٍّ عهده لم يذمَّمِ
أفارق نفسي شعبةً بعد شعبةٍ ... فريقين باتا منجداً بعد متهم[1]
فقد كثرتْ في كلِّ أرضٍ ديارهمْ ... ككثرة عذّالي عليَّ ولوَّمي
ولم أر يوماً كان أثلم للحشا ... من اليوم بين الجزع والمتثلَّم[2]

ومنها :

لكم يا بني العباس سيفٌ على العدا ... حسامٌ متى يعرض له الداء يحسمِ
أخفُّ إلى يوم الوغى من حمامةٍ ... وأثبت من شوقٍ بقلبٍ متيَّمِ

(١) الشعبة : الجزء والقسم ومنجدو متهم : نسبة الى نجد وتهامة .
(٢) أثلم : أي أمرّ وأقطع .

وقوله من أخرى [من الطويل] :

أمير العلا ، إنّ العوالي كواسبٌ علاءك في الدنيا وفي جنّة الخلدِ
يمرُّ عليك الحول : سيفك في الطلا ، وطرفك ما بين الشكيمة واللبد[1]
ويمضي عليك الدهر : فعلك للعلا ، وقولك للتقوى ، وكفك للرِّفدِ[2]

ومنها في وصف أشعاره :

رياحين أذهانٍ : سماحك غارسٌ لها ، فاجنِها بالعرف من روضة الحمد
من المذهبات الدّارميّات شرَّدٌ تدقُّ معانيها على الملك الكندي[3]

وقوله من أخرى [من الوافر] :

أحقّاً أنّ قالتي زرود وأنّ عهودها تلك العهودُ[4]
وقفت وقد فقدت الصبر حتّى تبيّن موقفي أنّي الفقيدُ
وشكّتْ فيَّ عذالي فقالوا لرسم الدار : أيّكما العميد ؟

ومثل هذا النمط من التشبيه قول السري [من الوافر] :

إذا ما الراح والأترج لاحا لعينك قلت : أيّهما الشرابُ ؟

وقول بعض أهل العصر [من المنسرح] :

لي سيدٌ فاتنٌ يعلّمني بحسنه كيف يعبد الصنمُ
لما رآني وفي يدي قلمٌ لم يدر مولاي أيُّنا القلمُ

---

(١) الطلا : الدم المطلول والشكيمة : حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس.

(٢) الرفد : العطاء .

(٣) الملك الكندي : يعني امروء القيس.

(٤) زرود : إسم علم.

ومنها :

إليك صدعن أفئدة الليالي وفيهنّ السخائم والحقد[1]
فعيدان الأراك لها عظامٌ وأسقية السنان لها جلودُ[2]

ومنها :

وشعرٍ لو عبيد الشعر أصغى إليه لظلّ لي عبداً عبيد
كأنّ لفكرة نشر ابن حجرٍ ونوديَ من حفيرته لبيد[3]

وقوله من أخرى [من البسيط] :

إلمامةٌ بمغاني داره لممُ إذ لا أمامة في دارٍ لها أمم
بأيّ حكمٍ لأيّام الفراق نأتْ بناعبٍ كاعبٍ والبين يحتكم ؟
عقلت عيساً كأنّي كنت حاسدها بدار سلمى وترب الدار مستلم
إحدى الحسان أساءت بي وقد صرمت يوم الحمى وهواها ليس ينصرمُ

أخذه من قول ابن الرومي [من البسيط] :

يا ربّ حسّانةٍ منهنّ قد فعلت سوءاً وقد يفعل الأسواء حسّان

[رجع] :

كأنّ قلبي معارٌ للنوى جزعاً من قلب قرن عليٍّ وهو منهزمُ
ناط الحمائل في ليثٍ وفي قمرٍ وفي الحمائل قد نيطت به الهممُ[4]
كأنّه أجلٌ ، أو طرفه وجلٌ ، أو سيفه قدرٌ في الروح يحتكم

---

(١) السخائم : الضغائن.
(٢) الأراك : شجر طيب الرائحة يستعمل عوده سواكاً.
(٣) ابن حجر : امروء القيس، ولبيد : لبيد بن ربيعة وعبيد : عبيد بن الأبرص .
(٤) ناط : أوكل وكلّف وعهد.

يا مظمــىء الخيل أو تروى ذوابله ... والخيل تشرب من أشداقهـا اللّجم[1]
إذا ملائـكة النصـر اختلطـت بها ... تشابـه العالـم النـوريُّ والنَّسـم
لم تدعَ يا علـم المجـد المقابلنا ... إلاّ وسبـح إجـلالاً لك العلم
لا يكتـم النصـر يومـاً أنـت شاهده ... واليوم من نقعـه قد كاد ينكتم[2]
النصـر أسرجهـا ، والعزُّ ألجمها ... والحـزم أمسـك بالأسـراج لا الحزم
قال النهـار له والشـمس مغمدةٌ ... وللمنـايا شمـوسٌ غمدهـا القمم :
هذا عجـاجٌ فأين الأفـق وهـو قنا ؟ ... وتلك خيلٌ فأين الأرض وهـي دم ؟
بحـدِّ سيفـك سيف الدولـة انحطمتْ ... قواعـد الشـرك والأرواح تنحطم
يحـدّث الذئـب ذئـبٌ وهـو مبتهجٌ ... ويخبـر النسـر نسـرٌ وهـو مبتسم
قد أرضعتـك ثديٌ الأرض درّتها ... ورمحـك ابـن رضـاعٍ ليس ينفطم
من آل حمـدان حيث الملك مقتبلٌ ... والمـال مقتسـمٌ والحمـد مغتنم
قومٌ إذا حكمـوا يومـاً لأنفسهم ... جار السماح عليهم في الـذي حكموا
أمـن علاً أم ندىً أدعـوك ؟ أم بهما ؟ ... فأنـت ذا والحيا والصـارم الخذم[3]
إن يعجـل الـرأي تلحقـه بغايته ... كذا الجـواد من الإعجـاب يحتدم
وإن تأنّيت عزمـاً لم يفتـك عداً ... إن الأسـود تمطّـى ثم تعتزم[4]
إن لم أقـم أممـاً للمـدح من فكري ... فشـك فيك يقينـي أنّـك الأمم
إذا طلبتـك لم ألحقـك في أمدٍ ... ما حيلتي ؟ قد تناهـى دونـك الكلم[5]
ومـا علـيٌ إذا ما كنـت ناظمها ... فعطّلـتْ كلٌ ما قالـوا ومـا نظموا

---

(١) الزوابل : الرماح.
(٢) النقع : الغبار.
(٣) الخذم : القاطع.
(٤) تمطّى : تتهيأ.
(٥) أمد : مجال.

وقوله من أخرى [من الطويل] :

أمـرن هوانـا أن يصـحَّ لنسقما فأدمى قلوبـاً صاديات إلـى الدّمى[1]

ومنها :

أرتنـا جنـى العنـاب للـورد ظالماً ومـن أقحـوانٍ مرمضٍ متظلّما[2]

ما أحسن هذا البيت وأظرفه ، وفيه كناية عن حك الوجه بالبنان المخضب وعض اليد بالثغر الأشنب :

طوى البين ديبـاج الخـدود ، ونشّرت يد البين وشياً للخـدود منمنما
تقسّمـت الأهـواء قلبـي كمـا غدا نوال علـيٍّ في العـلا متقسّما
ويومٍ كأجياد العـذارى حليّه فريد ندىً في جيده قد تنظّما[3]
جلونـا به وجهـي عروسٍ وكاعبٍ علـى طفـل زهـر قد بكى وتبسّما[4]
وأخـرس يصبينـا بخمسـة ألسنٍ إلـى أيّهـا مدّ السّنـان تكلّما
لدن غدوة حتـى إذا الشـمس ودّعتْ مغاربهـا واستـأذنتهـا التصرُّما
ثوينـا كأنّـا بعض أبنـاء قيصرٍ غدا فيهـم سيف الأمير محكّما
أطعـت العـلا حتـى كأنّـك عبدها وإن كنـت مولاهـا وكنـت لهـا ابنما
مكارم لا تنفـكّ تتعـب حاسداً يؤخّـره سعـيٌ لهـا قد تقدّما
زكت فكري فيهـا وأينـع هاجسي فَظِلْـتُ علـى أهـل القـريض مقدّما
وولّـد شعـري فيك شعـراً لمعشرٍ فكنـت عليهـم مثـل نعمـاك منعما

---

(١) الصادي : الظامىء ، والدمي : الفتيات.

(٢) مرمضٍ : اشتدت عليه الحرارة.

(٣) الجيد : العنق.

(٤) جلونا : زيّنا.

وقوله من أخرى [من الطويل] :

سلاها لم اسودَّ الهوى في ابيضاضه ؟ وإلا سلاني كيف بيّض مسودّي ؟
كأنّ برأسي عسكرين تحاربا فقد كثر استئمان جندٍ إلى جندِ
وليلٍ له نجمٌ كليلٌ عن السّري تحيّر لا يهدى لقصدٍ ولا يهدي[1]
كأنّي وابن الغمد والطّرف أنجمٌ على قصدها والنجم ليس على قصد
إلى أن رأيت الفجر والنسر خاضبٌ جناحيه ورساً عُلَّ بالعنبرِ الوردي[2]
وحلّت يد الجوزاء عقد وشاحها إزاء الثريا وهي مقطوعة العقدِ
فقلت : أَخَيلُ التغلبي مغيرةٌ أم الفجر يرمي الليل سدّاً على سدٍّ ؟
فتىً قسّم الأيام بين سيوفه وبين طريفات المكارم والتلد[3]
فسوَّد يوماً بالعجاج وبالرّدى وبيَّض يوماً بالفضائل والمجد
ألم تر فرعوناً وموسى تجاريا فغودرت العقبى لذي الحقّ لا الحشد ؟
جهدت فلم أبلغ مداك بمدحةٍ وليس مع التقصير عندي سوى جهدي
يزيد على شأوي زيادٌ وجرولٌ وقد غودر ابن العبد في نظمها عبدي[4]

وقوله من أخرى [من الطويل] :

له سورةٌ في البشر تقرأ في العلا وتثبت في صحف العطاء وتكتبُ[5]
إذا ما عليٌّ أمطرتك سماؤه رأيت العلا أنواؤها تتحلّب[6]
يرجى ويخشى ضرّه وهو نافعٌ كذا البحر في أزّاته متهيّب[7]

---

(١) كليلٌ: متوانٍ والسُّرى : المسير ليلاً.
(٢) الورس : نبات أحمر للصباح وعلٌّ: مزج.
(٣) الطريف والتلد : المال الحديث والموروث .
(٤) زياد : هو النابغة الذبياني، وجرول : هو الحطيئة وابن العبد : هو طرفة بن العبد البكري.
(٥) السورة : السطوة ، والعلاء والمجد.
(٦) تتحلّب : تتصبّب، والنوء: المطر.
(٧) أزاته : تموّجه.

يروع ويبـدو الأنس منـه كأنّـه الـ ... ـهـوى لذعـهُ بين الجوانـح يعذب
وأزهـر يبْيضُّ النّـدى منـه في الرّضى ... وتحمـرُّ أطـراف القنا حين يغضب
أمير الندى ، ما للنـدى عنك مذهبٌ ... ولا عنـك يومـاً للرغائـب مرغب
إذا فاخـرت بالمكرمـات قبيلةٌ ... فتغلـب أبنـاء العـلا بك تغلب
قنـاةٌ من العلياء أنـت سنانها ... وتلك أنـابيبٌ عليهـا وأكعب
وخيلٍ كأمثـال القنـا في لبودها ... فإن صهلـت فهـي اليراع المثقّب[1]
وضـربٍ يريك الخيل مجّ نجيعه ... وأشبهـهـا من لون أشقـر يخضب[2]

وقوله من أخرى [من الخفيف] :

سألـتْ بالفـراق صبّـاً ، ومـا ينـ ... ـبئهـا بالفـراق مثـل خبيرِ
هو بين الحشـا صدوعٌ ، وفـي الأعـ ... ـين ماءٌ ، وجمـرةٌ فـي الصدورِ[3]
نحـن أبنـاء ذا الهـوى تسـكن الأنـ ... ـفس منّـا إلـى الضنّـا والزفيـرِ
نال منـا يوم الفـراق كمـا نا ... ل من النـاكثين سيف الأمير
في خميسٍ للنّصـر فيه لواءٌ ... عقـده من لوائـه المنصور
رجلـه كالدبـا ، وفرسانـه كالأ ... سد بأسـاً ، وخيلـه كالصقور[4]
وسجـاياك يا أبـا الحسـن الغـ ... ـرّ وإتعابهـنّ شكر الشكور
لو غدا الدهـر صافحـاً لي عن الحـ ... ـظّ وأعلـى من جدٍّ حالٍ عثور[5]
لتعطّـرت من غبـار مذاكيـ ... ـك رواحي ، وكان عطري بكوري[6]
ثم صيّرت مـن دمـاء أعاديـ ... ـك خلوقـي ، وكان منـه طهوري[7]

---

(١) اليراع : القصبة التي يزمر بها.
(٢) الأشهب: الذي يميل لونه إلى الحمرة والسّواد .
(٣) صدوع : شروخ.
(٤) الدبا : القرع.
(٥) الجد : الحظ ، والعاثر : السيء.
(٦) المذاكي : جياد الخيل.
(٧) الخلوق : الطيب.

ولقيت المنون تحت عواليـ ـك معداً ذخراً ليوم نشوري
سرْ على السعد تستظلّ من الأيّـام ظلّيْ سلامةٍ وحبور
بين فرضين من جهادٍ وشهرٍ أنت في الناس مثله في الشهور
سمع النصر فيه أمرك لمّا خاطبته الأقدار بالتأمير
أنتم دارة العلا يا بني حمـ ـدان ، سكان بيتها المعمور
وتسيرون في القنا فترى الآ جال مرتابةً بذاك المسير
في شموسٍ من الحديد عليها أنجمٌ يفترون فوق بدور
وعجاجٍ كأنّه من دخان النـ ـدّ يلقى الهواء بالتعطير[1]
عبقٌ من علاكُمُ فكأنّ الـ أرض مسكٌ ، والجوُّ من كافور
فتحيّوا بمدحتي فهي ريحا نةُ حمدٍ تبقى بقاء الدّهور

وقوله من أخرى [من الكامل] :

ومنازلين إذا بدوا في شارقٍ شبّوا ضياء وقوده بوقود[2]
ردّوا على داود صنعة سرده لغناهم بالصّبر عن داود
لا يصبحون إذا انتضوا بيض الظّبا وشبا القنا غير المنايا السّود[3]

وقوله من أخرى [من الطويل] :

ألم تر أعداء الأمير كوفرهِ يظلّ لتوفير العلا غير وافرِ
وحسّاده ممّا تذوب كخيله بلغن مدى أنفاسهنّ الزوافرِ

وقوله من أخرى [من البسيط] :

وصارمٍ مثل لحظ البرق أسلك في مثال جدول ماء فيه منسكبِ

---

(١) العجاج: الغبار، والندّ : نوعٌ من الطيب.
(٢) شبّوا : أوقدوا ، وأسعروا.
(٣) انتضوا : شهروا،وبيض الظبا: ، وبيض الظبا : يقصد بها السيوف، وشبا القنا : رؤوس الرماح.

تنـأى به الهـام عن أجسامهـنّ كما ... تنـأى الخـواتيم عن مقـروءة الكتب

وقوله من أخرى [من البسيط] :

في ناظـر الشـمس إن عنّـت له رمدٌ ... ومسمع الرعـد إن أصغـى له صممُ[1]
يردّهـا ونظـام الملك متّسِقٌ ... والمـوت في خرز الأعنـاق ينتظم
أسعـد بعيدٍ إذا كارمتـه حكمت ... لك المعانـي وأمضـى حكمهـا الكرم
عيدٌ وفتـحٌ وملكٌ والأمير له ... دامـت سلامتـه ما أورق السلم !
الله أعطـاك أقسـام الفخـار ، فما ... خلقٌ يساميك مذ حيزت لك القسم[2]
لو كان يرضـى لك الـدنيا لمـا فنيتْ ... ونلـت فيهـا خلـوداً أنـت والنعم

وقوله في صفة منارة [من الرجز] :

سامية في الجـوّ مثـل الفرقد ... قاعـدةٌ فيه وإن لم تقعد
يكاد عاليهـا ـ وإن لم يبعد ـ ... يغـرف من حوض الغمـام باليـد

وقوله [من الطويل] :

خليلـيَ ، هل للمـزن مقلـة عاشقٍ ؟ ... أم النـار في أحشائهـا وهـي لا تدري
أشـارت إلـى أرض العـراق فأصبحت ... وكاللؤلـؤ المبتـول أدمعهـا تجري[3]
تسربـل وشياً من خروزٍ تطرّزتْ ... مطارفهـا طرزاً من البـرق كالتّبر[4]
سحابٌ حكت ثكلـى أصيبـت بواحدٍ ... فعاجت له نحـو الـرياض علـى قبر[5]
فوشـيٌ بلا رقـمٍ ، ونقشٌ بلا يدٍ ... ودمـعٌ بلا عينٍ ، وضحـكٌ بلا ثغر

---

(١) عنّت : بدت وخطرت، والرمد: وجع يصيب العين، والصميم: فقد السمع.
(٢) حيزت لك القسم : جعلت ملكك.
(٣) المبتول: المقطع المفصول عن غيره.
(٤) المطارف : أوشحة من الحرير، والتبر : الذهب .
(٥) الثكلى : الفاقدة ، ولدها وعاجت ، المّت ونزلت .

ودخل على ناصر الدولة ويده وجعة قد لطخت بلطوخ ، فقال له : هل قلت شيئاً ؟ قال : ما علمت ، قال : فقل ، فقال ارتجالا [من الوافر] :

يدٌ في برئها برءُ الأيادي ووعكٌ للطريف وللتلاد[1]
يد الحسن التي خلقت سماءً موكّلةً بأرزاق العباد

* * *

١٧ ـ أبو الحسين الناشىء الأصغر

أنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني أبو الحسين الناشىء بحلب لنفسه [من الطويل] :

إذا أنا عاتبت الملوك فإنّما أخطُّ بأقلامي على الماء أحرفا
وَهَبْهُ ارعوى بعد العتاب ، ألم يكنْ تودّده طبعاً فصار تكلُّفا ؟[2]

قال : وأنشدني لنفسه [من الكامل] :

ليس الحجاب من آلة الأشراف إنّ الحجاب مجانبُ الإنصاف
ولقلّ من يأتي فيحجب مرةً فيعود ثانيةً بقلبٍ صافي

وله في سيف الدولة يودعه [من الطويل] :

أودّع ، لا أنّي أودّع طائعاً وأعطي بكرهي الدهر ما كنت مانعا
وأرجع لا ألقى سوى الوجد صاحباً لنفسي إن القيت بالنفس راجعا
تحمّلت عنّا بالصنائع والعلا فنستودع الله العلا والصنائعا
رعاك الذي يرعى بسيفك دينه ولقّاك روض العيش أخضر يانعا

---

(١) البرء : الشفاء ، والوعك : المرض .

(٢) ارعوى : تراجع وأتاب .

وله [من المتقارب] :

إذا لم تنل همم الأكرمين ... وسعيهم وادعاً فاغترب
فكم دعةٍ أتعبت أهلها ... وكم راحةٍ نتجت من تعب[1]

[وله أيضاً] [من مجزوء الخفيف] :

يا خليلي وصاحبي ... من لؤي بن غالبِ
حاكم الحبّ جائرٌ ... موجبٌ غير واجبِ
لك صدغٌ كأنّما ... نونه نون كاتبِ
يلذع الناس - إذ تعقـ ... ـرب - لذع العقارب

* * *

١٨ - أبو القاسم الزاهي

وصاف محسن ، كثير الملح والظرف ، ولم يقع إليّ شعره مجموعاً ، وإنما تطرفته من أفواه الرواة ، واستفدته من التعليقات .

أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان فيما أنشدنيه من النتف التي استفادها ببغداد ، وأتحفني به من اللطائف التي استصحبها : منها للزاهي [من الطويل] :

سفرن بدوراً ، وانتقبن أهلّةً ... ومِسْن غصوناً ، والتفتن جآذرا[2]
وأطلعن في الأجياد بالدرّ أنجماً ... جعلن لحبّات القلوب ضرائرا[3]

---

(١) الدعة : الراحة .

(٢) سفرن : أظهرن محاسن وجوههن انتقبن اي لبسن النقاب ومِسن : تمايلن وتَثنّين والجاذر : البقر الوحشي .

(٣) الضرائر : جمع ضرّة وهي الزوجة الثانية مع الأولى في البيت الواحد .

وإنما احتذى في البيت الأول مثال المتنبي في قوله [من الوافر] :

بدت قمراً ، ومالت غصن بانٍ وفاحت عنبراً ، ورنت غزالا

وممن نسج على هذا المنوال أبو عامر إسمعيل بن أحمد الشاشي ، فإنه قال من قصيدة [من الطويل] :

رأيت على أكوارنا كلَّ ماجدٍ يرى كل ما يبقى من المال مغرما
ندوِّم أسيّافاً ، ونعلو قواضباً ، وننقضُّ عقباناً ، ونطلع أنجما[1]

وقال أبو الحسن الجوهري في الخمر إلا أنه قلب التشبيه [من الطويل] :

يقولون : بغداد التي اشتقت برهةً دساكرها والعكبريَّ المقيّرا[2]
إذا فضَّ عنه الختم فاح بنفسجاً ، وأشرق مصباحاً ، ونوّر عصفرا[3]

ولبعض أهل العصر في غلام مغن [من الوافر] :

فديتك يا أتمَّ النّاس ظرفاً وأصلحهم لمتّخذٍ حبيبا
فوجهك نزهة الأبصار حسناً وصوتك متعة الأسماع طيبا
وسائلةٍ تسائل عنك ، قلنا لها في وصفك العجب العجيبا :
رنا ظبياً ، وغنّى عندليباً ، ولاح شقائقاً ، ومشى قضيبا[4]

وللزاهي [من الطويل] :

أرى الليل يمضي والنجوم كأنّها عيون الندامى حين مالت إلى الغمضِ
وقد لاح فجرٌ يغمر الجوَّ نوره كما انفجرت بالماء عينٌ على الأرضِ

---

(١) القواضب : السيوف ، والعقبان : جمع عقاب، وهو نوع من الطيور الجارحة .
(٢) العكبري : الشراب من الخمر ، والمقيّرا : المطلي بالقار.
(٣) فضّ : أزيل ، والعصفر : نبات يصبغ به .
(٤) رنا : نظر وتطلع .

وأنشدني أبو سعد نصر بن يعقوب في كتابه « كتاب روائع التوجيهات ، من بدائع التشبيهات » للزاهي [من البسيط] :

الريح تعصف والأغصان تعتنقُ ... والمزن باكيةٌ والزّهر معتبق[1]
كأنّما الليل جفنٌ والبروق له ... عينٌ من الشمس تبدو ثم تنطبق

ومن مشهور شعر الزاهي قوله [من الكامل] :

لولا عذارك ما خلعت عذاري ... ولكنت في وزرٍ من الأوزارِ[2]
ما كنت أحسب أن أعاين أو أرى ... تخطيط ليلٍ في بياض نهار
حتى نظرت إلى عذارك فاغتدى ... سقم القلوب ونزهة الأبصار
فتركت قولي في الوعيد لأجلهِ ... وعزمت فيك على دخول النّار

ووجدت في كتاب أبي الحسن علي بن أحمد بن عبدان ، في مجموعة المترجم بحاطب الليل ، قصيدة للزاهي أولها [من الكامل] :

الليل من فكري يصير ضياءَ ... والسّيف من نظري يذوب حياءَ
والخيل لو حمّلتها علمي بها ... لتركتها تحت العجاج هباءَ

ومنها :

أحصي على دهري الذنوب بمقلةٍ ... لدموعها لا أملك الإحصاءَ

سرقه من قول ديك الجن [من الخفيف] :

أنا أحصي فيك النجوم ولكنْ ... لذنوب الزمان لست بمحصِ

(١) المُزنْ : السُّحبْ، ومعتبق : أي مليء بالعبق الذكي.
(٢) الوزر : الإثم.

رجع :

عجباً لصرف الدّهـر كيف يخـون من غمـر البـرية نجـدةً ووفاءَ
عدم الصبـاح فنـاب عنـه بفكره وعلـت يداه فطـاول الجوزاء

وأنشدت له بيت معمى ، وما أراه قاله [من الكامل] :

من كان آدم جمّـلاً في سنِّه هجرتـه حواء السـنين من الدمى[1]

آدم في حساب الجمل خمس وأربعون ، وحواء خمسة عشر .

وله في وصف الأترج [من البسيط] :

وذاتِ جسـم من الكافـور في ذهبٍ دارت عليه حواشيه بمقدارِ
كأنّهـا ـ وهـي قدّامـي ممثَّلةً في رأس دوحتهـا ـ تاجٌ من النار

* * *

(١) جمّلاً : حساب الجمل، وهو حساب الأحرف الهجائية المقرونة بأرقام من الواحد الى الألف. والمعنى : أنّ الذي في عمر آدم لابدّ أن تهجره النساءِ .

الباب السابع

١٩ ـ في ذكر أبي الفرج عبد الواحد الببغاء
وغرر نثره ونظمه

هو : أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي ، من أهل نصيبين .

نجم الآفاق ، وشمامة الشام والعراق ، وظرف الظرف ، وينبوع اللطف ، واحد أفراد الدهر ، في النظم والنثر ، له كلام بل مدام ، بل نظام من الياقوت ، بل حب الغمام ، فنثره مستوف أقسام العذوبة ، وشروط الحلاوة والسهولة ، ونظمه كأنه روضة منورة تجمع طيباً ومنظراً حسناً . وقد أخرجت من شعره . ما يشهد بالذي أجريت من ذكره ، وإنما لقب بالببغاء للثغة فيه سيجري وصفها في ذكر ما دار بينه وبين أبي إسحاق الصابي من طرف المكاتبات وملح المجاوبات ، وكان في عنفوان أمره وريعان شبابه متصلاً بسيف الدولة ، مقيماً في جملته ، ثم تنقلت به بعد وفاة صاحبه الأحوال في وروده ا لموصل وبغداد ومنادمته بهما الملوك والرؤساء ، وإخفاقه مرة وإنجاحه أخرى ، وآخر ما بلغني من خبره ما سمعت الأمير أبا الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي يورده من ذكر التقائه معه عند صدره من الحج وحصوله ببغداد في سنة تسعين وثلاثمائة ، ورؤيته بها شيخاً عالي السن ، متطاول الأمد ، نظيف اللبسة ، بهي الركبة ، مليح اللثغة ، ظريف الجملة ، قد أخذت الأيام من جسمه وقوته ، ولم تأخذ من طرفه وأدبه ، وأنه مدح أباه الأمير أبا نصر بقصيدة فريدة أجزل عليها صلته ، ثم السلامي وغيره من شعراء العراق ، ثم عرض على القاضي أبو بشر الفضل بن محمد بجرجان سنة إحدى وتسعين كتاب

أبي الفرج الوارد عليه من بغداد مشتملاً من النظم والنثر على ما أثرت فيه حال من بلغ ساحل الحياة ، ووقف إلى ثنية الوداع ، ولست أدري ما فعل الدهر به ، وأغلب ظني أنه إلى الآن قد لحق باللطيف الخبير ، وأنا أبدأ بسياق قصة له من عبارته وحكايته ، لم أسمع أظرف منها في فنها ، ولا ألطف ولا أعذب ، ولا أخف ؛ وإن كان فيها بعض الطول ، والبديع غير مملول .

قال أبو الفرج : تأخرت بدمشق عن سيف الدولة رحمه الله مكرهاً ، وقد سار عنها في بعض وقائعه ، وكان الخطر شديداً على من أراد اللحاق به من أصحابه ، حتى إن ذلك كان مؤدياً إلى النهب وطول الاعتقال ، واضطررت إلى إعمال الحيلة في التخلص والسلامة ، بخدمة من بها من رؤساء الدولة الإخشيدية ، وكان سني في ذلك الوقت عشرين سنة، وكان انقطاعي منهم إلى أبي بكر علي بن صالح الروزباري لتقدمه في الرياسة ، ومكانه من الفصل والصناعة ، فأحسن تقبلي ، وبالغ في الإحسان بي ، وحصلت تحت الضرورة في المقام، فتوفرت على قصد البقاع الحسنة ، والمتنزهات المطرفة ، تسلياً وتعللاً ، فلما كان في بعض الأيام عملت على قصد دير مران ، وهذا الدير مشهور الموقع في الجلالة وحسن المنظر ، فاستصحبت بعض من كنت آنس به . وتقدمت لحمل ما يصلحنا ، وتوجهنا نحوه ، فلما نزلنا أخذنا في شأننا وقد كنت اخترت من رهبانه لعشرتنا من توسمت فيه رقة الطبع وسجاحة الخلق ، حسبما جرى به الرسم في غشيان الأعمار وطروق الديرة ، ومن التطرف بعشرة أهلها والأنسة بسكانها ، ولم تزل الأقداح دائرة بين مطرب الغناء وزاهر المذاكرة إلى أن فض اللهو ختامه، ولوح السكر لصحبي أعلامه ، وحانت مني نظرة إلى بعض الرهبان فوجدته الى خطابي متوثباً ، ولنظري إليه مترقباً ، فلما أخذته عيني أكب يزعجني بخفي الغمز ووحي الايماء ، فاستوحشت لذلك ، وأنكرته ونهضت عجلان ، واستحضرته ، فأخرج إليَّ رقعة مختومة ، وقال لي : قد لزمم فرض الأمانة فيما تضمنته هذه الرقعة ، وونى وسقط

ذمام كاتبها في سترها بك عني ، ففضضتها ، فإذا فيها بأحسن خط وأملحه وأقرئه وأوضحه :

بسم الله الرحمن الرحيم

لم أزل فيما تؤديه هذه المخاطبة يا مولاي : بين حزم يحث على الانقباض عنك ، وحسن ظن يحض على التسامح بنفيس الحظ منك ، إلى أن استنزلتني الرغبة فيك على حكم الثقة بك من غير خبرة ، ورفعت بيني وبينك سجف الحشمة ، فأطعت بالانبساط أوامر الأنسة ، وانتهزت في التوصل إلى مودتك فائت الفرصة ، والمستماح منك ـ جعلني الله فداك ! ـ زورة أرتجع بها ما اغتصبتنيه الأيام من المسرة مهنأة بالانفراد إلا من غلامك الذي هو مادة مسرتك .

وما ذاك عن خلق يضيق بطارق ، ولكن لأخذي بالاحتياط على حالي ، فإن صادف ما خطبته منك ـ أيدك الله ! ـ قبولاً ، ولديك نفاقاً ، فمنية غفل الدهر عنها ، أو فارق مذهبه فيما أهداه إليَّ منها ، وإن جرى على رسمه في المضايقة فيما أوثره وأهواه ، وأترقبه من قربك وأتمناه ، فذمام المروءة يلزمك رد هذه الوقعة وسترها ، وتناسيها واطراح ذكرها . وإذا بأبيات تتلو الخطاب ، وهي [من المنسرح] :

يا عامر العمر بالفتوة والـ ... ـقصف وحثٍّ الكؤوس والطربِ
هل لك في صاحبٍ تناسب في الـ ... ـغربة أخلاقه وبالأدب
أوحشه الدهر فاستراح إلى ... قربك مستنصراً على النّوب[1]
فإن تقبّلت ما أتاك به ... لم تشن الظنّ فيه بالكذب[2]
وإن أتى الزهد دون رغبتنا ... فكن كمن لم يقل ولم يُجِب

(١) النوب : المصائب والأحداث.
(٢) تُشِنْ : تُعِبْ.

قال أبو الفرج : فورد عليَّ ما حيرني ، واسترد ما كان الشراب حازه من تميزي ، وحصل لي في الجملة أن أغلب الأوصاف على صاحبها الكتابة خطا وترسلا ونظما ، فشاهدته بالفراسة من ألفاظه ، وحمدت أخلاقه قبل الاختبار من رقعته ، وقلت للراهب : ويحك ! من هذا ؟ وكيف السبيل إلى لقائه ؟ فقال : أما ذكر حاله فإليه إذا اجتمعنا ، وأما السبيل إلى لقائه فمتسهل إن شئت قلت : دلني ، قال : تظهر فتوراً ، وتنصب عذراً تفارق به أصحابك منصرفاً ، وإذا حصلت بباب الدير عدلت بك إلى باب خفي تدخل منه ، فرددت الرقعة عليه ، وقلت : ارفعها [إليه] ليتأكد أنسه بي وسكونه إلي ، وعرفه أن التوفر على إعمال الحيلة في المبادرة إلى حضرته على ما آثره من ا لتفرد أولى من التشاغل بإصدار جو اب وقطع وقت بمكاتبته ، ومضى الراهب ، وعدت إلى أصحابي بغير النشاط الذي نهضت به ، فأنكروا ذلك ، فاعتذرت إليهم بشيء عرض لي ، واستدعيت ما أركبه ، وتقدمت إلى من كان معي ممن يخدم بالتوفر على خدمتهم ، وقد كنا عملنا على المبيت ، فأجمعوا على تعجل السكر والانصراف ، وخرجت من باب الدير ومعي صبي كنت آنس به وبخدمته ، وتقدمت إلى الشاكري برد الدابة وستر خبري ومباكرتي ، وتلقاني الراهب ، وعدل بي إلى طريق في مضيق ، وأدخلني إلى الدير من باب غامض ، وصار بي إلى باب قلاية متميز عما يجاوره من الأبواب نظافة وحسناً ، فقرعه بحركات مختلفة كالعلامة ، فابتدرنا منه غلام كأن البدر ركب على أزراره مهفهف الكشح مخطفه[1] ، معتدل القوام أهيفه[2] ، تخال الشمس برقعت غرته ، والليل ناسب أصداغه وطرته ، في غلالة تنم على ما تستره[3] ، وتجفو مع رقتها عما تظهره ، وعلى رأسه مجلسية مصمت فبهر عقلي ، واستوقف نظري ، ثم أجفل كالظبي المذعور ، وتلوته والراهب إلى صحن القلاية ، فإذا أنا ببيت فضي

(١) المخطف : دقيقة وناعمه.
(٢) الهيف : اعتدال القوام.
(٣) الغلالة : الثياب الشفافة.

الحيطان ، رخامي الأركان ، يضم طارقة خيش ، مفروشة بحصير مستعمل ، فوثب إلينا منه مقتبل الشبيبة ، حسن الصورة ، ظاهر النبل والهيئة ، متزي من اللباس بزي غلامه ، فلقيني حافياً يعثر بسراويله ، واعتنقني ، ثم قال : إنما استخدمت هذا الغلام في تلقيك يا سيدي لأجعل ما لعلك استحسنته من وجهه مصانعاً عما ترد عليه من مشاهدتي ، فاستحسنت اختصاره الطريق إلى بسطي ، وارتجاله النادرة على نفسه حرصاً في تأنيسي ، وأفاض في شكري على المسارعة إلى أمره . وأنا أواصل في خلال سكناته المبالغة في الاعتداد به ، ثم قال : يا سيدي أنت مكدود بمن كان معك ، والاستمتاع بمحادثتك لا يتم إلا بالتوصل إلى راحتك ، وقد كان الأمر على ما ذكر ، فاستلقيت يسيراً ثم نهضت ، فخدمت في حالتي النوم واليقظة الخدمة التي ألفتها في دور أكابر ا لملوك وأجلة الرؤساء . وأحضرنا خادم له لم أر أحسن منه وجهاً ولا سواداً طبقاً يضم ما يتخذ للعشاء مما خف ولطف ، فقال : الأكل مني يا سيدي للحاجة ، ومنك للممالحة والمساعدة ، فنلنا شيئاً ، وأقبل الليل فطلع القمر ففتحت مناظر ذلك البيت إلى فضاء أدى إلينا محاسن الغوطة ، وحبانا بذخائر رياضها : من المنظر الجناني ، والنسيم العطري ، وجاءنا الراهب من الأشربة بما وقع اتفاقنا على المختار منه ، ثم اقتعدنا غارب اللذة ، وجرينا في ميدان المفاوضة ، فلم يزل يناهبني نوادر الأخبار ، وملح الأشعار ، ونخلط ذلك من المزح بأظرفه ، ومن التودد بألطفه ، إلى أن توسطنا الشراب فالتفت إلى غلامه ، وقال له : يا مترف ، إن مولاك ما ادخر عنا السرور بحضوره ، وما يجب أن ندخر ممكنا في مسرته ، فامتقع وجه الغلام حياء وخفراً ، فأقسم عليه بحياته وأنا لا أعلم ما يريد ، ومضى فعاد يحمل طنبوراً ، وجلس فقال لي : يا سيدي تأذن لي في خدمتك ؟ فهممت بتقبيل يده لما تداخلني من عظم المسرة بذلك ، فأصلح الغلام الطنبور وضرب وغنى [من المجتث] :

يا مالكي وهو مُلكي وسالبي ثوب نسكي

نــزّه يقيـن الهـوى فيـ ـــك عن تعــرّض شكٍّ
لــولاك ما كنــت أبكي إلــى الصــباح وأبكــي

فنظر إلى الغلام وتبسم ، فعلمت أن الشعر له ، فكدت والله أطير طرباً وفرحاً بملاحة خلقه وجودة ضربه وعذوبة ألفاظه وتكامل حسنه ، فاستدعيت كيزاناً، فأحضرنا الخادم عدة قطع من فاخر البلور وجيد المحكم ، فشربت سروراً بوجهه ، وشرب بمثل ما شربت ، ثم قال لي : أنا والله يا سيدي أحب ترفيهك وأن لا أقطعك عما أنت متوفر عليه ، ولكن إذا عرفت الاسم والنسب والصناعة واللقب فلا بد أن تشي ليلتنا بشيء يكون لها طرازاً ولذكرها معلماً ، فجذبت الدواة وكتبت ارتجالاً وقد أخذ الشراب مني [من المجتث] :

وليلـــةٍ أوسعـتنــي حســناً ولهـواً وأنســا
مــا زلــت ألثم بدراً بهــا وأشــرب شمسا
إذ أطلــع الــدّير سعداً لم يبــق مذْ بان نحسا
فصــار للــروح منّي روحــاً وللنفــس نفسا

فطرب على قولي « ألثم بدراً وأشرب شمسـاً » ، وجـذب غلامـه فقبلـه ، وقال : ما جهلت ما يجب لك يا سيدي من التوقير ، وإنما اعتمدت تصديقك فيما ذكرته ، فبحياتي إلا فعلت مثل ذلك بغلامك ، فاتبعت آثاره خوفاً من احتشامه ، وأخذ الأبيات وجعل يرددها ، ثم أخذ الدواة وكتب إجازة لها [من المجتث] :

ولــم أكــن لغريمـي والله أبــذلُ فلسـا
لــو ارتضــى لي خصمي بديـر مــرّان حبسـا

فقلت : إذاً والله ما كان أحد يؤدي حقاً ولا باطلاً ، وداعبته في هذا المعنى بما حضر، وعرفت في الجملة أنه مستتر من دين قد ركبه ، وقال لي : قد خرج لك أكثر الحديث ، فإن عذرت ، وإلا ذكرت لك الحال لتعرفها على صورتها ، فتبينت ما يؤثره من كتمان أمره ، فقلت له : يا سيدي ، كل ما لا يتعرف بك نكرة . وقد

أغنت المشاهدة عن الاعتذار ، ونابت الخبرة عن الاستخبار ، وجعل يشرب وينخب علىٍّ من غير إكراه ولا حثٍّ ولا استبطاء ، إلى أن رأيت الشراب قد دب فيه ، وأكب على مجاذبة غلامه والفطنة تثنيه في الوقت بعد الوقت ، فأظهرت السكر وحاولت النوم ، وجاء الغلام ببرذعة ففرشها لي بإزاء برذعته ، فنهضت إليها وقام يتفقد أمري بنفسه ، فقلت له : إن لي مذهباً في تقريب غلامي مني ، واعتمدت بذلك تسهيل ما يختاره من هذه الحال في غلامه ، فتبسم وقال لي بسكره ، جمع الله لك شمل المسرة كما جمعه لي بك ، وأظهرت النوم ، وعاد يجاذب غلامه بأعذب لفظ وأحلى معاتبة ، ويخلط ذلك بمواعيد تدل على سعة وانبساط يد ، وغلامه تارة يقبل يده وتارة فمه ، وغلبتني عيناي إلى أن أيقظني هواء السحر ، فانتبهت وهما متعانقان بما كان عليهما من اللباس ، فأردت توديعه وحاذرت إنباهه وإزعاجه ، فخرجت ، ولقيني الخادم يريد إيقاظه وتعريفه انصرافي ، فأقسمت عليه أن لا يفعل ، ووجدت غلامي قد بكر بما أركبه كما كنت أمرته ، فركبت منصرفاً وعاملاً على العود إليه والتوفر على مواصلته وأخذ الحظ من معاشرته ، ومتوهماً أن ما كنت فيه منام لطيبه وقرب أوله من آخره ، واعترضتني أسباب أدت إلى اللحاق بسيف الدولة ، فسرت على أتم حسرة لما فاتني من معاودة لقائه وقلت في ذلك [من الطويل] :

ويومٍ كأنّ الدهر سامحني به ... فصار اسمه ما بيننا هبةَ الدّهرِ
جرت فيه أفراس الصِّبا بارتياحنا ... إلى دير مرّان المعظّم والعمر
بحيث هواء الغوطتين معطر الـ ... ـنّسيم بأنفاس الرياحين والزهر
فمن روضةٍ بالحسن ترفد روضةً ... ومن نَهَرٍ بالفيض يجري إلى نهرِ
وفي الهيكل المعمور منه افترعتها ... وصحبي حلالاً بعد توفية المهرِ[1]
ونزّهت عن غير الدنانير قدرها ... فما زلت منها أشرب التبر بالتبرِ

---

(١) افترع : افتضّ.

وحـلّ لنـا ما كان منهـا محرّماً وهل يحظر المحظور في بلد الكفر[1]

فأهـدت ليَ الأيام فيه مودةً دعتنـيَ في سـترٍ فلبَّيت في سـتر

أتـى من شريف الطبـع أصـدق رغبةٍ تخاطبنـي عن معـدن النظـم والنثر

وكـان جوابـي طاعـةً لا مقالةً ومن ذا الذي لا يستجيب إلى اليسر

فلاقيت ملء العين نبـلاً وهمَّةً محلّـى السّجـايا بالطـلاقـة والبشر

وأحشـمني بالبـرّ حتـى ظننته يريد اختداعي عن جناني ولا أدري[2]

ونـزّه عن غير الصفـاء اجتماعنا فكنـت وإياه كقلبين في صدر

وشـاء السـرور أن يلينـا بثالثٍ فلاطفنـا بالبـدر أو بأخـي البدر

بمعطي عيونٍ ما اشتهـت من جماله ومضنـي قلـوبٍ بالتجنّـب والهجر

جنينـا جنـيَّ الـورد في غير وقته وزهـر الرّبـا من روض خدّيه والثغر

وقـابلنـا مـن وجهـه وشرابه بشمسين في جنحيْ دجى الليل والشعر

وغنّـى فصـار السمـع كالطـرف آخذاً بأوفـر حظٍّ من محاسنـه الزهر

وأمتعنـا من وجنيتـه بمثـل ما تمـزّج كفّـاه من المـاء والخمر

سرورٌ شكرنـا منَّـة الصحـو إذ دعا إليه ولـم نشـكر به منَّـة السكر[3]

كأنَّ الليالـي نمـن عنـه فعندما تنبّهـن نكّبـن الوفـاء إلـى الغدر

مضـى وكأنّـي كنـت فيه مهوّماً يحدث عن طيف الخيال الذي يسري[5]

وهـل يحصـل الإنسـان من كل ما به تسـامحـه الأيام إلاّ علـى الذكر

ولم أزل على أتم قلق وأعظم حسرة ، وأشد تأسف على ما سلبته من فراق الفتى ، لا سيما ولم أحصل منه على حقيقة علم ولا يقين خبر يؤدياني إلى الطمع

---

(١) المحظور : الممنوع .

(٢) الجنان : العقل.

(٣) المنّة : التفضّل.

(٤) نكّبن : حوّلن وغيّرن .

(٥) التهوُّم : النوم القليل، وهوّم : هزّ رأسه لشدّة النعاس.

في لقائه ، إلى أن عاد سيف الدولة إلى دمشق ، وأنا في جملته ، فما بدأت بشيء قبل المصير إلى الراهب ، وقد كنت حفظت اسمه ، فخرج إليَّ مرعوباً ، وهو لا يعرف السبب ، فلما رآني استطار فرحاً ، وأقسم ألا يخاطبني إلا بعد النزول والمقام عنده يومي ذلك ، ففعلت ، فلما جلسنا للمحادثة قال : ما لي لا أراك تسأل عن صديقك ؟ قلت : والله ما لي فكر ينصرف عنه ، ولا أسف يتجاوز ما حرمته منه ، ولا سررت بعودي إلى هذه البلدة إلا من أجله ، ولذلك بدأت بقصدك ، فاذكر لي خبره ، فقال لي : أما الآن فنعم ، هذا فتى من المادرانيين جليل القدر ، عظيم النعمة ، كان ضمن من سلطانه بمصر ضياعاً بمال كثير ، فخاس به ضمانه[1] ، لقعود السعر ، وأشرف على الخروج من نعمته ، فاستتر ولما اشتد البحث عنه خرج متخفياً إلى أن ورد دمشق بزيّ تاجر ، فكان استتاره عند بعض إخوانه ممن أخدمه ، فإني عنده يوماً إذ ظهر لي وقال لصديقه : إني أريد الانتقال إلى هذا الراهب إن كان عليَّ مأموناً فذكر له صديقه مذهبي ، وأظهرت السرور بما رغب فيه من الأنس بي وأنا لا أعرفه ، غير أن صديقي قد أمرني بخدمته ، وحصل في قلايتي ، فواصل الصوم ، فلما كان بعد أيام جاءنا الرسول من عند صديقنا ، ومعه الغلام والخادم ، وقد لحقا به ومعهما سفاتج[2] وعليهما ثياب رثة . فلما نظر إلي الغلام قال : يا راهب ، قد حل الفطر وجاء العيد ،[3] ووثب إليه فاعتنقه ، وجعل يقبل عينيه ويبكي ، ووقف على السفاتج فأنفذها مع درج رقعة منه إلى صديقه فلما كان بعد يومين حمل إليه ألفي دينار ، وقال له : ابتع لنا ما نستخدمه في هذه الضيعة ، فابتاع آلة وفرشاً ، ولم يزل مكباً على ما رأيت إلى أن ورد عليه بالبغال والآلات الحسنة ، وكتب أهله باجتماعهم إلى صاحب مصر وتعريفهم إياه الحال في بعده عن وطنه لضيق ذات يده عما يطالب به والتوقيع

---

(١) خاس : خسر.

(٢) السفاتج : هي أن تدفع أموالاً في بلدٍ معين لرجل معين ويعطيك لقاء ذلك صكاً أو رسالة تستردّ بها مالك من عميلٍ له في بلد آخر.

بحطيطة المال عنه مقترناً بالكتب ، فلما عمل على المسير قال لغلامه : سلم جميع ما بقي معك من نفقتنا إلى الراهب ليصرفه في مصالح الدير إلى أن نواصل تفقده من مستقرنا ، وسار وما له حسرة غيرك ، ولا أسف إلا عليك ، يقطع الأوقات بذكرك ، ولا يشرب إلا على ما يغنيه الغلام من شعرك ، وهو الآن بمصر على أفضل الأحوال وأجلها ، ما يبخل بتفقدي ، ولا يغبّ بري[1] ، فتعجلت بعض السلوة بما عرفت من حقيقة خبره ، وأتممت يومي عند الراهب ، وكان آخر العهد به (انتهى كلامه) .

* * *

في بيان غرر من رسائله الموصولة بمحاسن شعره

كتب إلى سيف الدولة يذكر منصرفه من بعض الغزوات ظافراً إلى الثغر ومقامه على ابن الزيات صاحبه ، وقد عصي ، وأخذه إياه ، وانكفاءه بعد ذلك إلى حلب :

الرياسة ـ أيد الله سيدنا ! ـ حلة موموقة ، ومرتبة مرموقة ، يتفاضل الناس فيها بقدر الهمم ، وينالونها بحسب مراتبها من الكرم ، فما تدرك إلا بالسماح ، ولا تملك إلا بأطراف الرماح . ولا تتقمص إلا بالحمد . ولا تخطب إلا بلسان المجد ، فكل من أدركها طلبا ، واستحقها بأفعاله لقبا، من غير الدخول لسيدنا تحت شرف التعبد ، ورق الإخلاص لا التودد ، فقد حرم نيل الكمال ، وعدل عن الحقيقة إلى المحال [من البسيط] :

لأنّه الغاية القصوى التي عجزتْ ... عن أن تؤمّل إدراكاً لها الهممُ
ما تستحق ملوك الدهر مرتبةً ... في الفضل إلاّ له من فوقها قدمُ

---

(١) لا يغبّ برّي : أي لا تنقطع صلاته عن الوصول إلي.

ذكاؤه إن دجا ليل الشكوك ضحىً ... وظلّه إن خطا صرف الردى حرم[1]
فلو عدا الكرم الموصوف راحته ... عن أن يجاوزها لم يكرم الكرمُ

الشجاعة أقل أدواته ، والبلاغة أصغر صفاته ، يطرق الدهر إذا نطق ، وينطق المجد إذا افتخر . فالآمال موقوفة عليه ، والثناء أجمع مصروف إليه ، نهض بما قعدت همم الملوك عن ثقله ، وضعف الدهر عن معاناة مثله . بهمم سيفية ، وعزائم علوية ، فرد شمل الدين جديداً ، وذميم الأيام حميداً ، بحق أوضحه ، وخلل أصلحه . وهدى أعاده ، وضلال أباده [من الطويل] :

فلا انتزع الله الهدى عزّ بأسه ... ولا انتزع الله الوغى عزّ نصرهِ
وأحسن عن حفظ النبي وآله ... ورعي سوام الدين توفير شكره
فما تدرك المدّاح أدنى حقوقه ... بإغراق منظوم الكلام ونثره

لأن أدنى نعمة تستغرق جماع الشكر ، وأيسر منة تفوت المبالغة في جميل الذكر ، فأما هذا الفتح الشريف خطره ، الحميد أثره ، المشهور بلاؤه ، الواجب ثناؤه ، الباسق فرعه ، العام نفعه ، فأشرف من أن يحد بالصفات ، أو يعد بأفصح العبارات ، لإجراء الله تعالى سيدنا فيه من نيل الإرادة ، على مشكور العرف والعادة ، فيما ابتسم به من ثغر الدين ، وشمل صلاحه كافة المسلمين [من البسيط] :

كأنّما ادّخر الرحمن معظمةً ... دون الملوك لسيف الدولة البطلِ[2]
رآه أكرمهم في الخير إن ذكروا ... وصفاً ، وأفضلهم في القول والعمل
فهزّه وظُبَا الأسياف مغْمَدَةٌ ... واستلّه غير منسوبٍ إلى الفلل[3]

---

(١) دجا : أظلم ، والردى : الموت.
(٢) ادّخر : أبقى ، وجمّع ، ومعظمة : أي أمراً عظيماً.
(٣) الفلل : التقطع والتثلم في حدّ السيف .

حتى غدا الـدين من بعـد العبـوس به   جذلان يرفـل من نعمـاه في حلل
فلـو تكلـم في حالٍ وقيل له: من خير هذا الورى؟ لم يسمِ غير علي

وله من رسالة أخرى :

شهاب ذكاء ، وطود وفاء ، وكعبة فضل ، وغمامة بذل ، وحسـام حق ، ولسان صدق . فالليالي بأفعاله مشرقة ، والأقدار لخوفه مطرقة ، تحمده أولياؤه ، وتشهد له بالفضل أعداؤه [من المتقارب] :

يقابلنـا البـدر من بردهِ   ويشـملنا السعـد من سعدِهِ
ولـو فخـر المجـد لم تلقه   فخـوراً بشيءٍ سوى مجدِهِ

وله من رسالة أخرى :

ثم إن شكري نعمة الله تعالى بما جددت من ملاحظة سيدنا حالي ، وتداركه بطول التطول مرض آمالي ، ما لا أؤمل ـ مع المبالغة والإغراق فيه ـ فكّ نفسي بحال من رق أياديه ، غير أني أحسن لها النظر ، وأجمل عندها الأحدوثة والخبر ، بالدخول في جملة الشاكرين ، والاتسام بفضيلة المخلصين ، إذ كان ـ أدام الله عزه ! ـ قد نصر نباهتي على الخمـول ، واستنقذنـي من التعهـد للتـأميل [مـن البسيط] :

فصـرت أمسـك عن أوصـاف نعمتِهِ   عجـزاً ، وينطـق عن آثارهـا حالي
لمـا تحصّنـت من دهـري بمعقلِهِ   سمـتْ بحملانـه ألحـاظ إقبالي[1]
وواصلتنـي صلاتٌ منـه رحـت بها   أختـال ما بين عزِّ الجـاه والمال
فلينظـر الدهـر عقبـي ما صبـرت له   إذ كان من بعض حسـادي وعذالي[2]
ألـم أكِدْهُ بحسـن الانتظـار الى   أن صنـت حظّـيَ عن حلٍّ وترحال

---

(١) المعقل : الحصن.

(٢) العقبى : العاقبة والنتيجة .

بلغـت ما لا يجـوز السـؤل نائله ... ولا يدافـع عن فضـلٍ وإفضال
يا عارضـاً لم أشـمْ مذ كنـت بارقه ... إلاّ رويت بغيثٍ منـه هطّال[1]
رويد جودك قد ضاقـت به هممي ... وردّ عنـي برغـم الدّهـر إقلالي
لم يبـق لي أمـلٌ أرجـو نداك به ... دهـري لأنـك قد أفنيت آمالي

والله ينهضني من شكر طوله ، والنهوض بحقوق فضله . لما يبلغني رتبة الزيادة ، ونيل السؤل والإرادة ، بمنه وكرمه .

وله من رسالة إليه يلتمس رسمه من الكسوة :

والعادة جارية بإعانتي على ما أوثره من التجمل في الخدمة بمتابعة النظر ومواصلة التفقد [من البسيط] :

فإن رأى ـ لا رأى سوءاً ولا برح الـ ... إقبـال مشتمـلاً أيام دولتِهِ ـ
أن يقتضـي ليَ من إنعامـه خلعاً ... تنـوب عن منطقـي في شكر نعمتِهِ[2]
إذا تأمّلهـا الحسّاد لائحةً ... تيقنـوا أنّهـا عنـوان نيتِهِ

فعل إن شاء الله .

وله من رسالة إلى المهلبي الوزير :

ولما كانت مناقب سيدنا من المعجز الذي لا يتعاطى استطاعة الوصف مطالوته ، ولا إمكان البلاغة مساجلته ، عدلت إلى شكر الله تعالى على ما ألهمنيه من تأميل سيدنا ، والتجمل بحمل منته ، واكتساب الشرف بسمة ذكره . متحققاً أني على البعد منه حاضر بالإخلاص ، لا حق بذوي الحظوة والاختصاص . إذ كانت خدمة مثلي إنما هي بلبه لا بقربه وبفهمه لا بجسمه [من البسيط] :

وفـي الحقيقـة لولا أنّ معتقلي ... عن السُّرى جود سيف الدولـة الملكِ

---

(١) أشم : انظر واتطلع ، والعارض : السحاب .
(٢) الخلع : العطايا والهبات .

لمـا اقتصـرت علـى غير المسير إلى ... من حظّـه في المعالـي غير مشترك
لكنّـه فلك الفضـل المحيط، وما ... من عادة الشمس أن تنـأى عن الفلكِ

وفي هذه الرسالة [من البسيط] :

وإن رأى المتناهـي من سيادته ... إلـى المحـلّ الـذي لم يرقـهُ أحدٌ[1]
أن يقتضـي ليَ حظّـاً من مكارمه ... يغري علـى العـدى من أجلـه الحسدُ
فالشـمس تدنـو ضياءً وهـي نازحةٌ ... والسّحب تروي ومن أوطانهـا البعد[2]

وله من رسالة إلى أبي محمد جعفر بن محمد بن ورقاء :

وقد كنت أوثر أن لا يصدر كتابي هذا إلا بقصيدة في الأمير ، غير أن الوقت لم يتسع لما أوثره فأنفذت هذه الأبيات ، وأرجو أن يكون موقعها باسطاً لي إلى ما أوثره من المواصلـة بأمثالهـا ، ولا والله ما حسبـت فيهـا ، ولا فيمـا تقدمهـا من المنثور ، عنان القلم، وهي [من الخفيف] :

جاد ربعـاً حللتـه يا همامُ ... من ندى كفّـك العـزيز رهامُ[3]
فقبيحٌ إن استـزدت له صو ... ب غمـامٍ وأنـت فيه غمامُ
ما بأرضٍ لم تبـد فيهـا صباحٌ ... ما بدارٍ حللـت فيهـا ظلامُ
وإذا ما حللـت في بلـدٍ فهـ ... ـو جميع الـدنيا وأنـت الأنام
سؤددٌ عنـده التفاخـر ذلٌّ ... ونـدى عنـده الـكرام لئام
وسجـايا كأنّهـا الـروض ، إلاّ ... أنّهـا للعـدوّ موتٌ زؤام[4]
أنتُـمُ أنفسُ العـلا يا بنـي ور ... قاء والنـاس كلّهـم أجسام

---

(١) لم يرقه : لم يصعده ، أو لم يصل اليه.
(٢) النازحة : البعيدة.
(٣) الرهام : بكسر الراء : هو المطر الضعيف الدائم.
(٤) الزؤام : المحتّم القاتل.

سخّط المال من أكفّكمُ ما حمدته السيوف والأقلام

وله من رسالة كتبها بعد وفاة سيف الدولة ، إلى عدة الدولة أبي تغلب بن ناصر الدولة ، يذكر رغبته في قصده وإيثاره الانقطاع إليه ، وذلك في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة :

ومن أبرز لسيدنا صفحة رجائه ، ووفق للانقطاع إلى سعة نعمائه ـ فقد استظهر لما بقي من عمره ، وحكم لنفسه بالفوز على دهره [من المتقارب] :

فما يقدح الفقر في حاله ولا يطمع الدهر في قصدِهِ
وكيف وقد صار ضيف الغمام وهو قريبٌ على بعده ؟
ومن علقت بأبي تغلبٍ يداه احتذى البدر من سعده
همامٌ قضى الله من عرشه له بالإمارة في مهدِهِ
فطود السيادة في دسته وشمس الرياسة في برده[1]

ولما ورد الجواب عن مكتوبه مقروناً بإزاحة العلة في جميع ما يحتاج إليه في سفره ، والتوقيع بالمبادرة في المسير إلى الموصل ، وردها ، ولقي أبا تغلب برسالة طويلة منها :

أفصح دلائل الإقبال ، وأصدق براهين السعادة ـ أطال الله بقاء سيدنا ! ـ ما شهدت العقول بصحته ، ونطقت البصائر بحقيقته ، ونعمة الله تعالى على الدين والدنيا بما أولاهما من اختيار سيدنا لحراستهما بناظر فضله ، وسترهما بظل عدله ، مفصحة بتكامل الإقبال ، مبشرة بتصديق الآمال [من البسيط] :

محروسةٌ ضمن الشكر الوفيُّ لها عن الزيادة نيل السؤل في الدركِ[2]
تحقّق الدهر أنَّ الملك منذ نشا له أبو تغلب اسمٌ غير مشترك

---

(١) الدست : المجلس ، وصدر البيت.
(٢) الدرك : اللحاق وإدراك الحاجة.

واستخلف الفلك الدوّار همّته فلو ونى أغنت الدُّنيا عن الفلك[1]

موفر الحسنات ، مأمون الهفوات ، متناصر الصفات ، ربعي النفاس ، حمداني السياسة ، ناصري الرياسة ، عطاردي الذكاء ، موفق الآراء ، شمسي التأثير ، فلكي التدبير ، قمري التصوير ، للصدق كلامه ، والعدل أحكامه ، وللوفاء ذمامه . وللحسام عناؤه ، وللقدر مضاؤه ، وللسحاب عطاؤه [من البسيط] :

دعوتـهُ فأجابتني مكارمهُ ولو دعوت سوى نعماه لم تُجِبِ
وجدته الغيث مشغوفاً بعادته والروض يجني بما في عادة السّحب
لو فاته النسب الوضّاح كان لهُ من فضله نسبٌ يغني عن النّسب
إذا دعته ملوك الأرض سيّدها طراً دعته المعالي سيد العرب[2]

فأجمل بره ، وتقبله مدة مقامه بحضرته، إلى أن سار عنها إلى مدينة السلام سنة تسعة وخمسين وثلاثمائة، وجعل يعاود الموصل مرة ، ومدينة السلام اخرى .

وله من رسالة شكر :

وكأني أرى عواقب اشتمالك علي ، وتفقدك المتواصل إلي ، من مرآة العقل ، وبصيرة الذكاء والفضل ، إذ كانت امارات الإقبال على حالي بك لائحة ، وشواهد السعادة لدي بعنايتك واضحة [من الوافر] :

فمن نظرٍ يسارع في صلاحي ومن وصفٍ يحثُّ على نفاقي
فإنعامٌ أسرُّ من التداني على عدمٍ أفظّ من الفراقِ[3]

(١) وني : ضعف.
(٢) طراً : قاطبة، جميعاً.
(٣) العدم : الفقر : وأفظّ : أغلظ وأقسى.

وله في مثلها :

من كان جميل رأي سيدنا عدته ، أمن من الدهر شدته ، ومن فزع إلى إحسانه ، استظهر على زمانه ، ومن توجه برغبته إليه ، لم تقدم الأيام عليه [من الكامل] :

وأنا الذي علمت من طلب الغنى ... كيف الطريق إلى الغنى برجائِهِ
فظللت مخصوصاً بحمد عفاتهِ ... وغدوت ممدوحاً بشكر عطائه[1]
وأفدت قدماً معجزات فضائلي ... من نور فطنته ونار ذكائه
فإذا نطقتُ نطقتُ من ألفاظه ... وإذا وهبتُ وهبتُ من نعمائه

* * *

ذكر ما دار بينه وبين أبي إسحاق الصابي

كان كل منهما يتمنى لقاء صاحبه ، ويكاتبه ويراسله ، فاتفق أن أبا الفرج قدم مرة بغداد وأبو إسحاق معتقل منذ مدة بعيدة ، فلم يصبر عنه ، فزاره في محبسه ، ثم انصرف عنه ولم يعاوده ، فكتب إليه أبو إسحاق [من الطويل] :

أبا الفرج اسلم وابق وانعم ولا تزلْ ... يزيدك صرف الدهر حظّاً إذا نقصْ
مضى زمنٌ تستام وصلي غالياً ... فأرخصته ، والبيع غالٍ ومرتخصْ[2]
وآنستني في محبسي بزيارةٍ ... شفت كمداً من صاحب لك قد خلصْ
ولكنّها كانت كحسوة طائرٍ ... فواقاً كما يستفرص السارق الفرصْ[3]
وأحسبك استوحشت من ضيق محبسي ... وأوجست خوفاً من تذكّرك القفصْ
كذا الكرز اللّماح ينجو بنفسهِ ... إذا عاين الأشراك تنصب للقنصْ[4]

---

(١) العفاة : عطائه.
(٢) استام البضاعة : سأل عن ثمنها.
(٣) الحسوة : الجرعة.
(٤) الكرز : البازي.

فحـوشيت يا قسَّ الـطيور فصاحةً ... إذا أنشد المنظوم أو درس القصص[١]
من المنسر الأشغى ومـن حزّة المدى ... ومن بندق الرامي ومن قصّة المقص[٢]
ومـن صعـدةٍ فيهـا من الدبـق لهذمٌ ... لفرسانكم عنـد الطعـان بهـا قعص[٣]
فهـذي دواهـي الـطير وُقِّيت شرَّها ... إذا الدهر من أحداثه جرّع الغصص[٤]

فأجابه أبو الفرج في الحال مع رسوله :

أيا ماجـداً مذ يمّـم المجـد ما نكص ... وبـدر تمـامٍ مذ تكامـل ما نقصْ[٥]
ستخلص من هذا السّـرار ، وأيّما ... هلالٌ توارى بالسّـرار فمـا خلص[٦]
برأفـة تاج الملّـة الملك الذي ... لسؤدده في خطّـة المشتـري خصص
تقنّصت بالألطاف شكري ، ولـم أكنْ ... علمـت بأن الحـرّ بالبـرِّ يُقتنصْ
وصادفـت أدنـى فرصـةٍ فانتهزتها ... بلقياك إذ بالحـزم تنتهـز الفرص
أتتني القوافي الباهـرات تحمـل الـ ... ـبدائع من مستحسن الجـدّ والرخص
فقابلت زهـر الـروض منها ولـم أرعْ ... وأحـرزت درَّ البحـر منهـا ولـم أغُصْ
فإن كنـت بالببغـاء قدمـاً ملقّباً ... فكم لقبٍ بالجور لا العدل مخترص[٧]
وبعـد ، فمـا أخشـى تقنّص جارحٍ ... وقلبـك لي وكرٌ ورأيك لي قفص !

فانتهى الابتداء والجواب إلى عضد الدولة ، فأعجب بهمـا واستظرفهمـا ، وكان ذلك أحد أسباب إطلاق أبي إسحاق من اعتقاله ، ثم اتصلـت بينهمـا المكاتبـة والمودة .

---

(١) قسّ الطيور : يعني أفصحها ، وقسّ: هو قسّ بن ساعدة الايادي .
(٢) المنسر : المنقار والأشغى: الطويل.
(٣) الدبق : غراء تصاد به الطيور، **واللهذم**: الحاد القاطع من السيوف **والقعص** : القتل والإجهاز.
(٤) جرع : شرب.
(٥) يمّم : قصد ، ونكص : ولّى وهرب.
(٦) السِّرار : المحاق ، ماخر أيام الشهر.
(٧) مخترص : مختلق، والتخريص : الكذب.

وكتب أبو إسحاق إلى أبي الفرج أبياتاً في صفة القبج [1] والخطاطيف ، ثم كتب إليه هذه الأرجوزة في صفة الببغاء :

أنعتها صبيحةً مليحة ... ناطقةً باللّغة الفصيحةْ
غدت من الأطيار ، واللسانُ ... يوهمني بأنّها إنسانُ
تنهي إلى صاحبها الأخبارا ... وتكشف الأسرار والأستارا
سكّاء إلا أنّها سميعه ... تعيد ما تسمعه طبيعه [2]
وربّما لُقّنتِ العضيهه ... فتغتدي بذيئةً سفيههْ [3]
زارتك من بلادها البعيده ... واستوطنت عندك كالقعيده
ضيفٌ قراه الجوز والأرزُّ ... والضيف في أبياتنا يعزُّ
تراه في منقارها الخلوقي ... كلؤلؤٍ يلقط بالعقيق
تنظر من عينين كالفصّين ... في النور والظلمة بصّاصين [4]
تميس في حلتها الخضراءِ ... مثل الفتاة الغادة العذراءِ
خريدةٌ خدورها الأقفاصُ ... ليس لها من حبسها خلاص [5]
تحبسها وما لها من ذنبِ ... وإنّما تحبسها للحبِّ
تلك التي قلبي بها مشغوفُ ... كنّيت عنها واسمها معروفُ
نشرك فيها شاعر الزمان ... والكاتب المعروف بالبيانِ
وذاك عبد الواحد بن نصر ... تقيه نفسي عاديات الدهرِ !

فأجابه أبو الفرج بهذه الأرجوزة :

من منصفي من حكم الكتاب ... شمسُ العلوم قمر الآدابِ ؟

---

(١) القبج : هو الحجل.
(٢) السكّاء : أي أذنها صغيرة ، او مقطوعة من أصلها
(٣) العضيهة : الكذب والزور البهتان.
(٤) بصّاصين : مضيئين ، ناظرين.
(٥) الخريدة ، البكر.

أضحى لأوصاف الكلام محرزا — وسام أن يلحق لمّا برّزا
وهل يجاري السابق المقصّرُ؟ — أم هل يساوي المدرك المعذّر؟
ما زال بي عن غرضٍ معرضا — ولي بما يصدره مستنهضا
فتارةً يعتمد الخطافا — ببدعٍ تستغرق الأوصافا
وتارةً يعني بنعت القبجْ — من منطقٍ لفضله محتج[1]
يحوم حول غرضٍ معلومِ — ومقصدٍ في شعره مفهومِ
حتى تجلّت رغوة الصّريح — وسلّم التلويح للتصريح
وصحّ أن البغاء مقصدهْ — بكلّ ما كان قديماً يوردهْ
فلم يدع لقائلٍ مقالا — فيها ولا لخاطرٍ مجالا
أهدى لها من كل نعتٍ أحسنهْ — وصاغ من حلي المعاني أزينهْ
أحال بالريش الأشيب الأخضر — وباحمرار طوّقها والمنسر[2]
على اختلاط الروض بالشقيقِ — وأخضر الميناء بالعقيقِ
تزهى بدوّاجٍ من الزّمرد — ومقلةٍ كسبجٍ في عسجد[3]
وحسن منقارٍ أشمّ قاني — كأنّما صيغ من المرجانِ
صيّرها انفرادها في الحبس — بنطقها من فصحاء الإنسِ
تميّزت في الطير بالبيان — عن كلّ مخلوقٍ سوى الإنسان
تحكي الذي تسمعه بلا كذبْ — من غير تغيير لجدٍّ أو لعبْ
غذاؤها أزكى طعامٍ رغدا — لا تشربَ الماء ولا تخشى الصّدا[4]
ذات شغى تحسبه ياقوتا — لا ترتضي غير الأرز قوتا[5]

---

(١) القبج : الحجل.
(٢) الأشيب : المختلط، والمنسر : المنقار.
(٣) الدوّاج : لحاف يلبس، والسبج : خرزٌ أسود ناعم.
(٤) الصدا : الظمأ.
(٥) الشغى : المنقار، أو السن الزائدة طولاً عن رفيقاتها.

كأنّمـا الحبّـة في منقارها حبابـةٌ تطفـو علـى عقارها[1]

إقدامها بـبأسـهـا الشديـدِ أسكنهـا فـي قفص الحديدِ

فهـي كخـودٍ في لبـاسٍ أخضرِ تأوي إلـى خركاهـةٍ لم تسترِ[2]

ووصفهـا المعجـز ما لا يدركُ ومثلـه في غيرهـا لا يملكُ

لـو لم تكن لي لقبـاً لم أختصرْ لكن خشيت أن يقـال منتصرْ

وإنما تنعـتُ باستحقـاق لوصفهـا حـذق أبـي إسحاقِ

شرّفهـا وزاد في تشريفها بحـكـمٍ أبـدع في تفويفهـا[3]

فـكيف أجـزي بالثنـاء المنتخبْ من صرف المدح إلى اسمي واللّقبْ

وكتب إليه أبو إسحاق بأحسن ما قيل في مدح الألثغ [من الطويل] :

أبـا الفـرج استحققـت نعتـاً لأجله تسـمّيت من بين الخلائـق بَبْغا

بيانـاً منيراً كاللّجين مضمّناً نضـاراً من المعنـى أديبـاً وأفرغا

فلـو لامـرىء القيس انتدبـت مجارياً كبـا أو لقسٍّ في فصاحتـه صغا[4]

متـى ما يرمْ ذا الاسـم غيرك رائمٌ ليبلـغَ من غايات فضـلك مبلغا[5]

فإنّـي أسـميه به ثم أنثني فأسلبـه باءً من الاسـم إذ بغى

إذا أنـا سلّمـت البلاغـة طائعاً إليك فأيُّ النـاس خالفنـي طغى

كفتـك علـى رغـم الحسـود شهادتي بأن كنـت منـه ثم منّـيَ أبلغا

ومـا هجّنـت منـك المحاسـن لثغةً وليس سوى الانسـان تلقـاه ألثغا[6]

---

(١) العقار : الخمرة، والحباب : فقاعٌ يعلو الخمرة حين تصبُّ في الكأس.

(٢) الخود : الفتاة القاعمة.

والخركاهة : إسم مكان فارسي.

(٣) التفويف : التنزيين والتوشية.

(٤) صغا : مالَ.

(٥) يروم : يبتغي.

(٦) اللثغة : تكون في نطق الحرف كالسين ينطق شيناً.

أتعرفها فيما تقدم خالياً لعيرٍ إذا ما صاح أو جمل رغا[1]
فيا لك حرفاً زدت فضلاً بنقصه فأصبحت منه بالكمال مسوّغا
بقيت ولا تعدم بقاءً مرفّهاً وعشت ولا تعدم معاشاً مرفّغا[2]

ولما نقل عز الدولة بختيار ابنته المزوجة بعدة الدولة أبي تغلب إليه بالموصل ـ كتب عنه أبو إسحاق في معناها فصلاً من كتاب استحسنه الناس وتحفظوه وأقر له بالبراعة والبلاغة كل بليغ ، وهو :

قد توجه أبو النجم بدر الحرمي ، وهو الأمين على ما يلحظه ، الوفي بما يحفظه ، نحوك يا سيدي ومولاي ـ أدام الله عزك ! ـ بالوديعة ، وإنما نقلت من وطن إلى سكن ، ومن مغرس إلى معرس . ومن مأوى بر وانعطاف ، إلى مثوى كرامة وإلطاف . ومن منبت درت لها نعماؤه ، إلى منشأ تجود عليها سماؤه . وهي بضعة مني انفصلت إليك ، وثمرة من جنى قلبي حصلت لديك . وما بان عني من وصلت حبله بحبلك ، وتخيرت له بارع فضلك . وبوأته المنزل الرحب من جميل خلائقك ، وأسكنته الكنف الفسيح من كرم شيمك وطرائقك . ولا ضياع على ما تضمه أمانتك ، ويشتمل عليه حفظك ورعايتك . وأرجو أن يقرن الله موردها بالطائر السعيد . والأمر الرشيد . والعز الزائد ، والمجد الصاعد . والنماء في الائتلاف ، والعصمة من الفرقة بالخلاف . حتى تكون عوائد البركة بأحوالها منوطة ، ومن عوادي الأيام وغيرها محوطة .

وإنما ألم أبو إسحاق في تسميته لها بالوديعة بالفصل الذي كتبه جعفر ابن محمد بن ثوابة عن المعتضد إلى ابن طولون في ذكر ابنته قطر الندى المنقولة إليه ، وهو :

وأما الوديعة ـ أعزك الله ! ـ فهي بمنزلة ما انتقل من شمالك إلى يمينك ،

---

(١) رغا : أزبد وهاج.
(٢) الرفاغية : السّعة في العيش.

عناية بها ، وحياطة لها ، ورعاية لموالاتك فيها .

فلما عرضه على الوزير عبد الله بن سليمان ارتضاه جداً واستحسنه ، وقال له : تسميتك إياها بالوديعة نصف البلاغة ، ووقع له بالزيادة في إقطاعه ومشاهرته .

ولما قرىء الفصل من إنشاء الصابي بحضرة أبي تغلب اعتمد في الجواب عنه على أبي الفرج الببغاء ، وكتب كتاباً يشتمل على هذا الفصل الذي هو الجواب عن الفصل المذكور ، وهو :

وأما أبو النجم بدر الحرمي ـ أيده الله ! ـ المستوجب للارتضاء والإحماد ، الموفى بمناصحته على كل مراد ، فقد أدى الأمانة إلى متحملها ، وسلم الذخيرة الجليلة إلى متقبلها ، فحلت من محل العز في وطنها، وأوت من حمى السؤدد إلى مستقرها وسكنها : متنقلة من عطن الفضل والكمال ، إلى كنف السعادة والإقبال . وصادرة عن أنبل ولادة ونسب ، إلى أشرف اتصال وأنبه سبب ، وفي اليسير من لوازم فروضها وواجبات حقوقها ، ما صان رعايتي عن الوصاة بها ، ونزه وفائي عن الاستزادة لها ، وكيف يوصي الناظر بنوره ؟ أم كيف يحض القلب على حفظ سروره ، وإن سببا قرن بإحماد أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ! ـ ذكرى ، ووصل بحبل السيد العم ركن الدولة ـ أدام الله تأييده ! ـ حبلي . ومنح عز الدولة ـ أيده الله ! ـ مكنون ودي ، واختص الأخوة من ولد أبيه السعيد رضي الله عنه وأيدهم بوثيق عهدي ، إلى أن صرت بفضل الجماعة قائلاً ، ودونها بالنية والفعل مناضلاً ، وبمحاسنها المجموعة إلى ناطقاً ، وبمالي عندها من المساهمة والمشاركة واثقاً ـ لحقيق بالتناهي في الإعظام ، وخليق بالمبالغة في الإيجاب والإكرام ، والله يعين على ما اعتقده من ذلك وأخفيه . ويوفقني لما يوفي على المحبة والبغية فيه . بمنه وقدرته ، وحوله وقوته .

* * *

هذا ما أخرج من شعر أبي الفرج الذي يتغنى به

[فمنه قوله] [من الوافر] :

لقــد عزّ العــزاء علــيّ لمّـا ... تصــدّى لي لتقتلني الصــدودُ
إذا بَعُــدَ الحبيب فكلُّ شيءٍ ... من الــدنيا ولذّتهــا بعيــدُ

وقوله [من البسيط] :

يا سادتــي ، هذه نفســي تودِّعكُمْ ... إذ كان لا الصبر يسليها ولا الجزعُ[1]
قد كنــت أطمــع في روح الحياة لها ... فالآن إذ بنتُــمُ لم يبــقَ لي طمعُ
لا عذّب الله روحــي بالبقــاء فما ... أظنّنــي بعــدكم بالعيش أنتفعُ

وقوله [من الوافر] :

حصلــت من الهــوى بك في محلٍّ ... يســاوي بيــن قربــك والفراقِ
فلــو واصلــت ما نقص اشتياقي ... كمــا لــو بنــت ما زاد اشتياقي

وقوله [من البسيط] :

يا مسقمــي بجفــونٍ سقمهــا سببُ ... إلــى مواصلــة الأقســام في جسدي
وحقّ جفنيك لا استعفيت من كمدي ... دهري ، ولو متُّ من همٍّ ومن كمدِ[2]
عذرت من ظلّ في حبِّيك يحسدني ... لأنّــه فيك معــذورٌ علــى حسدي

وقوله [من البسيط] :

يا من تشابــه منــه الخلْــقُ والخُلُقُ ... فمــا تسافــر إلاّ نحــوه الحدقُ
توريدُ دمعــيَ من خدّيك مختلسٌ ... وسقــم جسمــي من جفنيك مسترَقُ[3]

---

(١) الجزع : الخوف واليأس.
(٢) استعفيت : طلبت الخلاص والكمد : الحزن الشديد.
(٣) مختلس : مأخوذ ومسروق.

لم يبـق لي رمـقٌ أشـكو هواك به وإنّمـا يتشـكّى من به رمق[1]

وقوله [من الكامل] :

ومهفهفٍ لمّـا اكتسـت وجناتُهُ حللَ الملاحـة طُرِّزتْ بعذارِهِ
لمّـا انتصـرتُ علـى عظيم جفائه بالثلـب كان القلـب من أنصارِهِ
كملـت محاسـن وجهـه فكأنّمـا اقـ ـتبس الهـلال النّـورَ من أنواره
وإذا ألـحَّ القلـب في هجرانه قال الهـوى : لا بدَّ منـه فدارِهِ[2]

وقوله [من الكامل] :

ما ضرّ من بعـد السـرور ببعدِهِ لو كان يجمـل في صيانـةِ عبدِهِ[3]
يبـدو فأطـرق هيبـةً ومخافةً من أن يؤثّـر ناظـري في خدِّهِ
قد صرت أعجـب أنّ علّـة طرفه ليسـت تؤثّـر علّـةً في ودِّه

وقوله [من الكامل] :

يا طيف من أنـا عبـده من أين لي شكرٌ يقـوم ببعض ما توليْهِ
ينـأى فتـدنيه إلـيَّ علـى النوى فأراه كالتّحقيق في التشبيه
ما كان أحسـن حالتـي لو أن ما أوتيت من كرمٍ وعـطفٍ فيه

وقوله [من البسيط] :

علّمـتْ طيفـك اسعافي فما هجعتْ عينـايَ إلاّ وطيفٌ منـك يطرفني[4]
فكيف أشـكر من إن نمـت واصلني بالـطّيف منـه وإن لم أغف قاطعني

---

(١) الرمق : بقيّة الروح.
(٢) فدارِهِ : من المدارة ، أي التمهّل والتأنّي.
(٣) يجمل : يحسن.
(٤) يطرفني : يسكن طرفي ولا يفارقه فيمنعه النوم.

وقوله [من الوافر] :

خيالك منك أعرفُ بالغرامِ ... وأرأفُ بالمحبٍّ المستهامِ
فلو يستطيع حين حظرت نومي ... عليَّ لزار في غير المنام[1]

وقوله [من البسيط] :

قد كان أحسن شيءٍ بعد بعدهمِ ... بروح مثلك أن تنأى عن الجسدِ
هم بالوصال أعادوها إليك ، فلمْ ... ذخرتها بعدهمْ للصّبر والجلدِ ؟
وعدت بالدمع تعليلاً كأنّك قد ... أظهرت ما ليس موجوداً لدى أحدِ

وقوله [من البسيط] :

يا من إذا خفت فيه العذل آمنني ... جميل إنصافه من عذلِ عذّالي
ما يستحقٌّ زماني ـ وهو سامحني ... بمثل ودّك ـ أن أشكوه في حالِ
رآك غاية آمالي ، فما برحتْ ... تسعى لياليه حتى نلت آمالي

وقوله [من الكامل] :

أو ليس من إحدى العجائب أنّني ... فارقته فحييت بعد فراقه
يا من يحاكي البدر عند تمامهِ ... ارحم فتىً يحكيه عند محاقه[2]

وقوله [من البسيط] :

جاورت بالحبٍّ قلباً لم تذَرْ فكري ... للحبّ مستمتعاً فيه ولم تدعِ[3]
مفرّقاً بين همٍّ غير مفترقٍ ... عنه ، وبين سلوٍّ غير مجتمع

* * *

---

(١) خطرت : منعت.
(٢) يحاكي : يماثل ، والمحاق : القمر في السرار آخر الشهر.
(٣) جاورت : من الجوار ، وهو القرب والجيرة ولم تذر : لم تترك.

وهذه غرر من شعره في الغزل والخمر

أنشدت له في رمد المحبوب ، وهو أحسن ما سمعت في معناه [من الطويل] :

بنفسيَ ما يشكوه من راح طرفه ... ونرجسه ممّا دهى حسنه وردُ
أراقت دمي ظلماً محاسن وجههِ ... فأضحى وفي عينيه آثاره تبدو
غدت عينه كالخدّ حتّى كأنّما ... سقى عينه من ماء توريده الخدُّ
لئن أصبحت رمداء مقلةُ مالكي ... لقد طالما استشفت بها مقلٌ رمدُ[1]

وله في الفصد [من الخفيف] :

بأبي الغائب الذي لم يغبْ عـ ... ـنّي فأشكو إليه همٌّ المغيبِ
باشرته كفّ الطبيب ، فلو نلـ ... ـت الأماني قبّلت كفَّ الطبيبِ
فعلت في ذراعه ظبَّة المبـ ... ـضع أفعال لحظه بالقلوبِ[2]
فأسالت دماً كأنّ جفوني ... عصفرته بدمعها المسكوب[3]
طاب جداً فلو به سمح الدهـ ... ـر لأمسي عطري وأصبح طيبي

وله في غلام خرج غازياً [من البسيط] :

يا غازياً أتت الأحزان غازيةً ... إلى فؤاديَ والأحشاء حين غزا
إن بارزتك كماةُ الرّوم فارمهمُ ... بسهم عينيك تقتلْ كلَّ من برزا

وله في وصف معصرة [من مجزوء الوافر] :

ومعصرةٍ أنخت بها ... وقرن الشمس لم يغبِ
فخلت قزازها بالرّا ... ح بعض معادن الذهب

---

(١) المقلة : العين ، والرّمد : أذى يصيبها.
(٢) ظبَّة المبضع : أي حده القاطع.
(٣) العصفر : نبات أصفر يصبغ به .

وقـد ذرفـت لفقـد الكر م فيهـا أعيـن العنبِ
وجـاش عبـاب واديهـا بمنهـلٍ ومنـسـكـبِ
ويـاقـوت العصيـر بهـا يلاعـب لؤلـؤَ الحبـب[1]
فيا عجبـاً لعاصرهـا ومـا يغنـي بـه عجبي !
وكيف يعيش وهـو يخو ض في بحـرٍ مـن اللّهب ؟

قوله في الخمر والقدح [من المنسرح]:

بـالقفص للقصف منـزل كثبُ ما للتصابـي في غيره أربُ
جـادت به ديمـة السّـرور، وحـــلّ اللهـو فيه ، وعـرّسَ الطّرب[2]
دارت نجـوم السّـرور في فلكٍ منـه لـه مـن فتوّتـي قطبُ[3]
مـن كلّ جسـمٍ كأنّـه عرضٌ يكاد لطفـاً باللّحـظ ينتهب
نـورٌ وإن يغـبْ ، ووهـمٌ وإن صحّ ، ومـاءٌ لو كان ينسكب
لاعيب فيه سوى إذاعتـه الـ سرّ الـذي في حشـاه يحتجب
كأنّمـا صاغـه النّفـاق فمـا يخلص صدقٌ منـه ولا كذبُ
فهـو إلـى لون ما يجاوره علـى اختـلاف الطّبـاع ينتسب
إذا ادعـاه اللّجين أكذبه بالـرّاح في صبـغ جسمـه الذهب
جلـت عروس المـدام حاليةً فيـه علينـا الأوتـار والنخب[4]
فالـراح بدرٌ ، والجـام هالتهُ والأفق كفّي ، والأنجـم الحبب[5]
حـال به المـاء عن طبيعته بالمـزج حتّـى خلنـاه يلتهبُ

---

(١) الحبب : فقاعٌ يعلو الماء والخمر وغيرهما .
(٢) الديمة : السحابة الممطرة، وعرّس : أقام.
(٣) القطب : نجمٌ يهتدي به.
(٤) النخب : أي نخب الشراب.
(٥) الجام : إناء الخمر.

ونحـــن في مجلسٍ تدير به الـ خمـــر علينـــا الأقـــداح لا العلب
ينســى بأوطانــه الحنين إلــى الـ أوطـــان من بالســرور ويغترب
لـولا حفاظي المشهــور ما أمنتْ من بعـــد بغـــداد سلوتـــي حلبُ

وله [من الخفيف]:

ومــدامٍ كأنّهــا في حشــا الدنّ صبــاحٌ مقــارنٌ لمساءِ
فهــي نفسٌ لهــا من الــطّين جسمٌ لم تمتّــع فيه بطــول البقاءِ
ما توهّمــت قبلهــا أن في العا لم ناراً تذكي بقــرع الماءِ[1]
بزلــت والضحــى عن الليل محجو بٌ فلاحــت كالشــمس في الظلماءِ[2]
وتــلاه الفجــر المنير فعنا ه لأنّــا عن نوره في غناء
مازجــت جوهــر الزّجــاج فجاءتْ كشعــاعٍ ممــازجٍ لهواء
وتحلّــت من الحبــاب بدرٍّ يتلاشــى باللحّــظ والإيماء
بينمــا تسكتســي به زرد البلّو ر حتّــى ترفضٌّ مثــل الهباء[3]
فكأنّــا بين الــكؤوس بدورٌ تتهــادى كواكبُ الجوازاءِ
وكأنّ المــدير في الحلّــة البيــــــضــاء منهــا في حلّــةٍ صفراءِ
حبــذا العيش حيث تســري الأماني بين جدّ الغنــا وهــزل الغناء
حيث سكر الشبــاب أقضــى علــى قلــــــبــي وأمضــى من نشــوة الصهباء

وله [وهو] من أبلغ ما قيل في عتق الخمر [من الكامل]:
وعريقــةِ الأنســاب والشّيمِ موجــودةٌ والخلــق في العدمِ
قدُمَــتْ فلا تعــزى إلــى حدثٍ إلاّ إذا عُزِيتْ إلــى الهرمِ[4]

---

(١) تذكي : تسعر.
(٢) بزلت : شُقّت.
(٣) ترفضّ : تزول.
(٤) تعزى : تنسب ، والحدث : الجديد .

هي آدمُ الـكرم المولـدّ في الـــــدنيا وحــوّا الخمــر في القدمِ

كملــت فضائلهــا وقصــرّ عن أوصافهــا الإغــراق في الكلمِ

ظهــرت ونــور الشــمس في فلكٍ من قبــل خلــق الصبــح والظُّلمِ

فانهــلّ جوهرهــا بمنسكبٍ لم يعتصــرْ بيدٍ ولا قدم

واشتــق معنــى اســم السُّلاف لها من كونهــا في سالف الأمم[1]

فكأنّهــا في صفوهــا خلقي وكأنّهــا في عتقهــا كرمي

وله [من الخفيف]:

غادنــي بالصبــوح قبـل الصباحِ واجْــرِ في حلبــة الصَّبــا والمراحِ

واغتنــم زائــر الغــرام فقــد بشّــ ر بالغيث من نسيم الرياحِ

عاطنيهــا كالجلنــار إذا مــا كلّلــت من حبابهــا بالأقاحِ[2]

في اختصاص التفاح بالـطيب والخمـ رة لا في كثافــة التفّاح

غير نكرٍ أن تستمــدّ شعــاع الـ شمس منهــا كواكب الأقداح

فهـي أصــل الأنــوار لطفــاً كمــا كا ساتهــا عنصــر الــزلال القراح[3]

خدمتهــا الأجســام بالطبــع لمّا شاهــدت قربهــا من الأرواح

فتــداركْ بهــا حشاشــة أفرا حي وحــرِّك بهــا سكون ارتياحي

بين وردين من بنــانٍ وخدٍ وشــرابين من رضــابٍ وراح[4]

ونشيدٍ مستنبــطٍ من حديثٍ وغنــاءٍ يُغْنــي عن الأقتراح

فألــذُّ الحياة ما خلــط العا قل فيه فســاده بصلاح

---

(١) السلاف : من اسماء الخمرة ، وسالف الأمم: قديمها .

(٢) كلّلت : أي علاوجهها حباب الخمر والأقاح والجلّنار : من الورود.

(٣) الزلال القراح : العذب الصافي.

(٤) الرضاب : اللعاب.

وله في وصف شراب في قدح أزرق فيه صور [من المنسرح]:

كم منّـةٍ للظـلام في عنقي ... بجمـع شمـلٍ وضـمٍّ معتنق
وكم صبـاحٍ للـراح أسلمني ... من قلـقٍ ساطـعٍ إلـى فلق
فعاطنيهـا بكراً مشعشعةً ... كأنّهـا في صفائهـا خُلُقي
فـي أزرقٍ كالهـواء يخرقـه الـ ... لحـظ وإن كان غير منخرق
كأنّ أجـزاءه مـركّبةٌ ... حسنـاً ولطفـاً من زرقـة الحدق
مـا زلـت منـه منادمـاً لعباً ... مذ أسكرتهـا السُّقـاة لم تفق
تختـال قبـل المـزاج في أزرق الـ ... فجـر وبعـد المـزاج في الشّفق
تغـرق في أبحـر المـدام فيسـ ... تنقذهـا شربنـا من الغرق
فلـو ترى راحتـي وزرقته ... من صبغهـا في معصْفَـرٍ شرِقٍ
لخلـت أنّ الهـواء لاطفني ... بالشـمس في قطعـةٍ من الأفق

وله من قصيدة [من الكامل]:

كم للصبابـة والصبـا من منزلٍ ... ما بين كلـوا ذا إلـى قطربّل
جادتـه من ديم المـدام سحائبٌ ... أغنتـه عن صوت الحيا المتهلّل[1]
غيثٌ إذامـا الـرّاح أو مض برقه ... فـرعـوده حثّ الثقيلِ الأوّلِ
لطفـت مواقـع صوبـه فسجاله ... تهمـي علـى كرب النفـوس فتنجلي
راضعـت فيه الـكأس أهيف ينثني ... نحـوي بجيدِ رشـأ وعينـي مغزل
فأتـى وقـد نقش الشعـاع ثيابه ... بممـزّجٍ من نسجهـا ومثقّل
وكسـا البنـان بهـا خضابـاً ياله ... لو أنّـه من وقتـه لم ينصل[2]
قدح البـزال زنادهـا من دونها ... فتهافتـت مثـل الشـراب المرسل[3]

---

(١) صوب الحيا المتهلّل : أي المطر المنهمر.

(٢) ينصل : يتغيّرلونه.

(٣) البزال : اداةٌ يثقب بها الشيء.

وطغـت لعجـز المـاء عن إطفائها ... حتى ظننت الكأس جذوة مصطلي[1]
فوردت أروي موردٍ وشربـت أحـ ... لى مشـربٍ ونهلـت أعـذب منهلِ
ونزعـت لافي السّكر خنـت تصوّني ... بخناً ولا في الصحو شنت تجملي[2]

وقال في الورد [من الخفيف]:

زمـنُ الـورد أظـرف الأزمانِ ... وأوان الـربيع خـير أوانِ
أدرك النّـرجس الجنـيّ وفزنا ... منهمـا بالخـدود والأجفان
أشـرف الزهـر زار في أشـرف الدهـ ... ـر فصِـلْ فيه أشـرف الإخوان
وأجِـلْ شمس العقـار في يد بدر الـ ... ـحسـن يخدمـك منهمـا النيران
وأدرهـا عذراء وانتهـز الإمـ ... ـكان من قبـل عائـقِ الإمكان
في كؤوسٍ كأنّهـا زهـر الخشـ ... ـخاش ضمّـت شقائـق النعمان
واختدعهـا عنـد البـزال بألفا ... ظِ المثانـي ومطربـات الأغاني
فهـي أولـى من العـرائس إن زفّـ ... ـت بعـزف النـايات والعيـدان

وقال في النرجس [من السريع]:

ونـرجسٍ لم يعـدُ مبيضّـهُ الكأس ... ولا أصفـره الرّاحا
تخـال أقحـاف لجـينٍ حوَتْ ... من أصفـر العسجد اقداحاً[3]
كأنّمـا تهـدي التحـايا بـه ... لطفـاً إلى الأرواح أرواحاً
يلهـي عن الـورد إذا مارنا ... ويخلـف المسـك إذا فـاحا
أحبـبْ بـه من زائـرٍ راحلٍ ... عوّضَ بالأحـزان أفراحـا
فانتهـزِ الفـرصـة فـي قربه ... وكنْ إلى اللّـذات مـرتـاحا

---

(١) الجذوة : النار أو قبسٌ منها.
(٢) الخنا : الفحش، والشين: العيب.
(٣) الأقحاف : جمع قحف، وهو إناء من الخشب مثل قحف الرأس كأنه نصف قدح واللجين : الفضة والعسجد : الذهب.

وهاتها عذراء لم تفترع في الليل إلاّ عاد إصباحاً
كأنّما كلّ بنانٍ حوتْ كاساتها تحمل مصباحا
واجنِ بألحاظك من وجنتيْ مديرها ورداً وتفاحا

* * *

غرر شعره في سائر الفنون

وله من قصيدة [من الوافر]:

صحبت الدّهر في سهلٍ وحزْنِ وجرّبت الأمور وجرّبتني[1]
فلم أر مذ عرفت محلّ نفسي بلوغ غنىً يساوي حمل مَنٍّ[2]
ولم تتضمّن الدّنيا لحظّي منال مسرّةٍ إلاّ بحزن
حملت على السوابق ثقل همّي وشاهدت العواقب صفو ذهني
وشمت بوارق الآمال دهراً فلم أظفر على ظمأ بمزن[3]
ولم أر كالجياد أصح ودّاً إذا عدل الودود إلى التضنّي
نكلّفها عزائمنا فتكفي ونستدني الحظوظ بها فتدني
وهبت لمثل قطع الليل منها أغرّ كمثل ضوء الصبح منّي
وكنت بحيث ظنّ من اعتزامٍ وكان من المضاء بحيث ظنّي
وثالثنا ابن جدٍّ لا يرى أن يصاحب في تصرّفه ابن وهنٍ[4]
حجبت لجفنه الأبصار عنه ومن لي أن يكون الجفن جفني
سقيت نداي ما أسنى محلّ وأرفع همّتي وأعزّ ركني
رسا في تربة العلياء أصلي وأينع في بروج العزّ غصني

(١) الحزن: المصاعب.
(٢) المنّ: ذكر التفضل في كل مناسبة.
(٣) شمت: نظرت.
(٤) ابن وهن: ابن ضعف.

وليس عليّ غير الجد فيما سعيت له لأستغنى وأغني
فإن أحرم فلم أحرم لعجزٍ وإن أبلغ فنفسي بلّغتني

وله من أخرى [من المنسرح]:

ما الذلّ إلاّ تحمل المننِ فكن عزيزاً إن شئت أوْفهنِ
إذا اقتصرنا على اليسير فما الـ علة في عتبنا على الزمن

وله من أخرى [من البسيط]:

جزيت أفضل ما يجزاه ذو كرمٍ أحلافه في دياجي دهره شعلُ
حماه وهو غلامٌ غير مكتهلٍ عن المطامع فضلٌ فيه مكتهل

وله من أخرى [من الوافر]:

أكلٌّ وميضِ بارقةٍ كذوبُ أما في الدّهر شيءٌ لا يريبُ؟
أبى لي أن أقول الهجر قدرٌ بعيدٌ أن تجاور العيوب

وله من أخرى في سعد الدولة بن سيف الدولة [من المنسرح]:

لا غيث نعماه في الورى خلب الـ برقِ ولا ورد جوده وشل[1]
جاد إلى أن لم يبقِ نائله مالاً، ولم يبق للورى أمل

وله [من الكامل]:

واليوم من غسق العجاجة ليلةٌ والكرُّ يخرق سجفها الممدودا[2]
وعلى الصفاح من الكفاح وصدقه روعٌ أحال بياضها توريدا[3]

---

(١) الوشل: الماء القليل.
(٢) السجف: الستائر، وشدّة الظلام.
(٣) الصفاح: السيوف.

والطعـن يغتصب الجياد شياتها | والضـرب يقـدح في التّـريك وقودا
وعلى النفـوس من الحمام طلائعٌ | والخـوف ينشـد صبرهـا المفقودا
وقـد استحـال البُـر بحـراً ، والضّحى | ليلاً ، ومنخـرق الفضـاء حديدا
وأجـلُّ ما عنـد الفـوارس حثّها | في طاعـة الهـرب الجياد القودا[1]
حتـى إذا ما فارق الـرأيُ الهوى | وغـدا اليقـين على الظنـون شهيدا
لم يغـن غـير أبـى شجـاعٍ والعلا | عنـه تناجـي النصر والتأييدا

وله من أخرى [من البسيط] :

من كلّ متسـع الأخـلاق مبتسمٍ | للخطب إن ضاقت الأخلاق والحِيَلُ
يسعـى به البـرق إلاّ أنّـه فرسٌ | في صورة الموت إلاّ أنّـه رجل
يلقـى الرمـاح بصـدرٍ منـه ليس لهُ | ظهـرٌ وهـادى جوادٍ ما له كفل[2]

وله من أخرى [من الكامل] :

في سالـبٍ للشّـمس ثوب ضيائها | بعجاجـةٍ مـلء الفضـاء لهامِ[3]
كالليل إلاّ أنّ ثوب ظلامه | من عثـيرٍ ونجومـه من لامِ[4]
يلقـى الدجـى من بيضـه بضحـى كما | يلقـى الضحـى من نقعـه بظلامِ

وله من أخرى [من الكامل] :

قاد الجياد إلى الجياد عوابساً | شعثـاً ولـولا بأسـه لـم تنقدِ
في جحفـلٍ كالسيل أو كالليل أو | كالقـطر صافـح موج بحـرٍ مزبد
متوقّـدُ الجنبـات يعتنـق القنـا | فيه اعتنـاق تـواصـلٍ وتودُّد

---

(١) حثها : العمل على إسراعها.
(٢) الكفل : الردف أو المؤخرة.
(٣) اللهام : العظيم من الجيش وغيره.
(٤) العثير : الغبار والتراب واللام: الأشخاص والناس.

مثعنجرٌ بظبا الصوارم مبرقٌ   تحت الغبار وبالصواهل مرعد[1]
ردّ الظلام على الضحى فاسترجع الـ   إظلام من ليل العجاج الأربد[2]
وكأنّما نقشت حوافر خيله   للناظرين أهلّةً في الجلمد
وكأنّ طرف الشمس مطروفٌ وقد   جعل الغبار له مكان الإثمد[3]

ما أحسن هذا التشبيه وأوقعه ! وكل هذه الأوصاف مالا مزيد عليه حسنا وبراعة . وله من أخرى [من المنسرح]:

من كلّ مختالةٍ تنقب بالـ   عثير وجه الضحى من الخجل[4]
تضم أحشاءها على أسدٍ   تزأر في غابةٍ من الأسل[5]

وله من أخرى [من الخفيف]:

في خميس كأنّما السمر والأبـ   طال غيلٌ حمته أسودُ[6]
سلب الشمس ضوءها بشموسٍ   طالعاتٍ أفلاكهن حديدُ
عارضٌ كلّما جلته بروق الـ   بيض حثّته بالصهيل الرعودُ

وله من أخرى [من الطويل]:

وموشيةٍ بالبيض والزغف والقنا   محبَّرةِ الأعصاب بالضُّمَّر القبّ[7]
بعيدة ما بين الجناحين في السرى   قريبة ما بين الكميين بالضربِ

---

(١) مُثعنجر : متسلّح ومتمنطق.
(٢) الأربد : الكالح المتجهم .
(٣) مطروفٌ : لحقه بعض الأذى، والإثمد الكحل .
(٤) العثير : الغبار والتراب.
(٥) الأسل : والرماح
(٦) الخميس : الجيش من خمس فرق، والغيل: الشجر الملتف.
(٧) الزغف : الدرع الفضفاضة الواسعة والمحكمة الصنع. والغمر : القبّ الخيل الهزيلة الخصر والبطن.

من السالبات الشمس ثوب ضيائها بثوبٍ تولّىٰ نسجه عثير الترب
يعاتب نشوان القنا صادح الظّبا إذا التقيا فيها على قلّة الشرب
أعادت علينا الليل بالنقع في الضحى وردت إلينا الصبح في الليل بالشهب
تبلّج عن شمسي نزار ويعرب وتفترُّ عن طودي علا تغلب الغلب
موقّرةٌ يقتاد ثني زمامها بصيرٌ بأدواء الكريهة والحرب[1]
أصح اعتزاماً من خؤونٍ على فلا وأنفذ حكماً من غرامٍ على صبٍّ

وله من أخرى [من المتقارب]:

ويومٍ أغصّ اتساع الفضا ء جيشٌ لمن أمَّه مُهولُ
يخيّل أنّ ما له آخرٌ إذا ما تراءى له اوّلُ
ويغصب شمس الضحى نورها من الخيل ما تبعث الأرجل
دجى أنت بدرٌ به والنجو م زرقك والظلمة القسطل[2]

وله من أخرى [من البسيط]:

في عارضٍ ضاقت الأرض الفسيحة عن سراه إذ سال فيها سيله العرمُ
كأنّه الليل لا قربٌ ولا بعدٌ يخفى عليه ولا فجٌّ ولا علَمُ
يهدي الغبار إليه الشمس كاسفةً كأنّها فيه سرٌّ ليس ينكتمُ
شقّ الغضنفر آجام الرماح بهِ والموت يسفر أحياناً ويلتثم
فراسل الدهر في الأعداء عزمته وكاتب النصر عنه السيف لا القلم
وما سمعنا بليثٍ قبل رؤيته إذا سرى صاحبته في السرُّى الأجمُ[3]

---

(١) بصيرٌ : خبير، والكريهة : الحرب.
(٢) الزرق : كناية عن السيوف، والقسطل : الغبار.
(٣) السُّرى : المسير ليلاً ، والأجم : جمع أجمة ، وهي غابة الأسد.

الباذل العرف والأنواء باخلةٌ والمانع الجار والأعمار تخترم[1]
حيث الدجى النقع ،والفجر الصوارم، والأسد الفوارس ،والخطّية الأجم[2]

وله من أخرى [من الطويل]:

وكلّ بعيدٍ قرّب الحين نحوه سلاهبك الجرد الخفاف قريبُ[3]
تباشر أقطار البلاد كأنها رياحٌ لها في الخافقين هبوبُ
تماشي بفتيانٍ كأن جسومهمْ لخفتها فوق السروج قلوب

وله من أخرى [من الطويل]:

أتاهم بألحاظ الجياد ولم تكن لينأى عليها المنزل المتباعدُ
من اللاء يهجرن المياه لدى السرى ويعتضن شمَّ الجوِّ والجوّ راكدُ
مرنٌ على لدغ القنا فكأنما عليهنّ من صبغ الدماء مجاسد[4]
نسجن ملاء النقع ثم حرقنه بكرٌّ لها منه إلى النصر قائد
عليهنّ من نسج الغبار غلائلٌ رقاقٌ ومن نضح الدماء قلائد[5]

وله من قصيدة في وصف فرس [من الكامل]:

إن لاح قلت أدميةٌ أم هيكلُ أو عنَّ قلت أسابحٌ أم أجدلُ[6]
تتخاذل الألحاظ في إدراكه ويحار فيه الناظر المتأمّلُ
فكأنه في اللطف فهمٌ ثاقبٌ وكأنّه في الحسن حظٌّ مقبلُ

---

(١) تخترم : تقتطع.
(٢) الخطيّة : الرماح .
(٣) السلاهب : الطويل من الخيل ، والجرد : القصيرة الشعر.
(٤) لدغ القنا : آثارُ جراحها والمجاسد : جمع مجسد ، وهو الثوب الذي يلامس الجسد .
(٥) نضح الدماء : فيضها.
(٦) السابح : الفرس ، والأجدل : الصقر.

وله من قصيدة يشكر بها بعض إخوانه وقد أهدى إليه بغلة [من البسيط] :

قد جاءت البغلة السفواء يجنب منـ ـها البرد غيث ندىً ينهل ماطرهُ[1]

عريقةٌ ناسبت أخوالها فلها بالعتق من كرم الجنسين فاخرهُ

ملء الحزام وملء اللبد مجفرةً يريك غائبها في الحسن حاضره[2]

أهدى لها الروض من أوصافه شيةً خضراء ناضرةً إذ حال ناضره

ليست بأول حملانٍ شريت به حمدي ، ولا هي ياذا المجد آخره

كم قد تقدمها من سابح بيدي عنانه، وعلى الجوزاء حافره

وله في وصف بركة [من المتقارب] :

وقوراء كالفلك المستدير تروق العيون بلألائها[3]

حبتها البحار بأمواجها وسحب السماء بأنوائها

كأنّ تدفُّق تيارها يداك تفيض بنعمائها

وجودك أغزر من جريها وخلقك أعذب من مائها

* * *

(١) السفواء : السريعة التي تسفّ الغبار خلفها كما تسفّ الريح الرمال والغبار.

(٢) الجفرة : جوف الصدر ، ومن الشيء معظمه.

(٣) القوراء : المجوّفة.



الباب الثامن

٢٠ - في ذكر الخليع الشامي ، والوأواء الدمشقي وأبي طالب الرقي

أما الخليع فكنيته أبو عبد الله ، وقد ذهب عني اسمه وكان شاعراً مفلقاً قد أدرك زمان البحتري وبقي إلى أيام سيف الدولة فانخرط في سلك شعرائه .

فحدثني أبو بكر الخوارزمي قال : رأيت الخليع بحلب شيخا قد أخذت منه السن العالية ، وثقلت عليه الحركة ، فمما أنشدنيه لنفسه قوله [من الكامل] :

جيراننا جار الزمان عليهمُ ... إذا جار حكمهم على الجيرانِ
ما الشأن ويحك في فراق فريقهمْ ... الشأن ويحك في جنون جناني
خذ يا غلام عنان طرفك فاثنهِ ... عنّي ، فقد ملك الشمول عناني[1]
سكران سكر هوىً وسكر مدامةٍ ... أنّى يفيق فتىً به سكْرانِ ؟!

وقوله وهو مما يتغنى به [من المتقارب] :

بأيٍّ المدامين لم أسكر ... بكأسك أم طرفك الأحورِ[2]
سقيت من الشمس مشمولةً ... على غرّةِ القمر الأزهرِ
إذا الماء خالطها جنّحت ... أكاليل درٍّ على جوهر

---

(١) اثنه : اطوه ، والشمول : الخمر .

(٢) الطرف : النظر : والأحور ، الشديد البياض والشديد السواد.

كأنّ علـى الشـرب من لونها ثيابـاً من الذّهـب الأحمرِ

وقوله لسيف الدولة [من الكامل] :

أنـا شاعـرٌ ، أنـا شاكرٌ ، أنـا ناشرٌ ، أنـا راجـلٌ ، أنـا جائـعٌ ، أنـا عاري
هي ستّـةٌ فكن الضـمين لنصفها أكنِ الضـمين لنصفهـا بعيارِ
والنّار عنـدي كالسـؤال فهـل ترى أن لا تكلّفنـي دخـول النارِ

وأنشدني غيره للخليع ، وأنا أشك فيه [من السريع] :

لـو لم تحـل ما سمّيت حالا وكلُّ ما حال فقـد زالا
انظـر إلـى الظـلّ إذا ما انتهى يأخـذ في النقص إذا طالا

* * *

٢١ - أبو الفرج محمد بن أحمد الغسانـي الدمشقـي الملقـب بالوأواء

من حسنات الشام ، وصاغة الكلام ، ومن عجيب شأنه ما أخبرني به أبو بكر الخوارزمي قال : كان الوأواء منادياً في دار البطيخ بدمشق ينادي على الفوكه ، وما زال يشعر حتى جاد شعره وسار كلامه ، ووقع فيه ما يروق ، ويشوق ويفوق ، حتى يعلو العيوق[١] . ثم أخبرني أبو الحسن المصيصي بما يصدقه ، وأنشدني لمعاً يسيرة من شعره ، وذكر أنه سمعها من إنشاده . وأول من حمل ديوانه إلى نيسابور أبو نصر سهل بن المرزبان ، فإنه استصحبه من بغداد في جملة ما حصّله من اللطائف والبدائع التي عنى بها ، وأنفق الرغائب عليها ، وأتحفني بذلك في دفتر صغير الجرم ، خفيف الحجم ، ثم ألحق به ما استملاه من القوال المعروف بعين الزمان . وهو غير ثقة في الرواية والحكاية ، وكنت تأنقت في إخراج ما يفتقر الأديب

(١) العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرّة الأيمن يتلو الثريا ولا يتقدّمها.

إلى فقره ، ولا يستغنى الشاعر عن غرره . من شعر الوأواء في النسخة الأولى من هذا الكتاب ، ولم أزد في هذه المقررة كثير زيادة .

وقرأت في بعض الكتب عن ابن حمدون قال : كان الفتح بن خاقان يأنس بي ، ويطلعني على الخاص من سره ، فقال لي مرة : أشعرت يا أبا عبد الله أني انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين فلما دخلت منزلي استقبلتني فلانة (يعني جارية له) فلم أتمالك أن قبلتها فوجدت فيما بين شفتيها هواء لو رقد المخمور فيه لصحا ، فكان هذا ما يستحسن ويستظرف من كلام الفتح وكأن الوأواء قد سمع ذلك فألم به ونظمه في قوله [من الطويل] :

سقى الله ليلاً طاب إذ زار طيفه فأفنيته حتّى الصّباح عناقا
بطيب نسيمٍ منه يستجلب الكرا ولو رقد المخمور فيه أفاقا
تملّكني لما تملّكت مهجتي وفارقني لمّا أمنت فراقا

ومما أنشدنيه كل من الخوارزمي والمصيصي له ، ووجدته في ديوان شعره والبيت الرابع منه نهاية في الملاحة [من الوافر] :

أتاني زائراً من كان يبدي لِيَ الهجر الطويل ولا يزورُ
فقال الناس لمّا أبصروه : ليهنك ! زارك البدرُ المنيرُ
فقلت لهمْ ودمع العين يجري على خدّي له درٌّ نثير :
متى أرعى بروض الحسن منه وعيني قد تضمّنها غديرُ؟
ولو نَصَبَتْ رحىً بإزاء دمعي لكانت من تحدّره تدور[1]

وأقدر أنه ألم في البيت الرابع بقول ابن المعتز [من الطويل] :

وإنْ تك في خدّيك للحسن روضةٌ فإنّ على خدّي غديراً من الدمعِ

(١) الرّحى : الطاحون.

ومن ملح قوله في وصف الدمع [من الخفيف] :

كلُّ دمعٍ فبالتّكلّف يجري غير دمع المحبّ والمهجورِ
وردُّ البين دمع عيني فأضحى كعقيقٍ أذيب في بلّورِ[1]

ومن ملحه في الخمر[من المنسرح] :

عذّبتها بالمزاج فابتسمت عن بردٍ نابتٍ على لهبِ
كأن أيدي المزاج قد سبكتْ في كأسها فضة على ذهبِ

وقوله [من الكامل] :

فامزجْ بمائك نار كأسك واسقني فلقد مزجت مدامعي بدمائي
واشربْ عغى زهر الرياض مدامةً تنفي الهموم بعاجل السّرّاءِ
لطفت فصارت من لطيف محلّها تجري كمجرى الروح في الأعضاءِ
وكأنَّ مخنقةً عليها جوهرٌ ما بين نارٍ أذكيت وهواءِ[2]
وكأنّها وكأنّ حامل كأسها إذ قام يجلوها على النّدماءِ
شمس الضحى رقصت فنقّط وجهها بدر الدجى بكواكب الجوزاء

وقوله [من الطويل] :

يطوف براحٍ ريحها ومذاقها نسيم الصّبا والعيش في زمن الصّبا

ومن ملحه في الخط[من الطويل] :

وشمسٍ بأعلاه وليلين أسبلا بخدّيه إلاّ أنها ليس تغربُ[3]
ولما حوى نصف الدجى نصف خدّهِ تحيّر حتى ما درى أين يذهبُ

---

(١) البين : الفراق.

(٢) المخنقة : سلك ينظم به الجوهر.

(٣) أسبلا : أرخيا ، وأسبل الستر : أرخاه.

وقوله [من مخلع البسيط] :

زار بليلٍ على صباح | على قضيبٍ على كثيبِ[1]
حتى أتت ألسن الليالي | معتذراتٍ من الذنوبِ
فيا لها زورةٌ أخذنا | بها أماناً من الخطوبِ

وقوله [من الكامل] :

بدرٌ تقنّع بالظلا | م على قضيبٍ في كثيبِ
تدعو محاسنه القلو | ب إلى مشافهةِ الذنوبِ
فعلت به ريح الصّبا | ما ليس تفعل بالقضيبِ
عقلت ركائب حسنه | بعقولنا عند المغيبِ[2]
وتلطّمت وجناتنا | بيد الدموع من النحيبِ
وكأنّما تشويشنا | تشويش ألفاظ المريبِ
يا بدر بالبدر الذي | أطلعت من فلك الجيوبِ
وبعقرب الصدغ الذي | زرفنتَ من حسنٍ وطيبِ[3]
ترعى وما استرعيتها | ثمر القلوب بلا دبيبِ[4]
هبْ لي مزارك في الكرا | كيما أراك بلا رقيبِ

ومن بدائع تشبيهاته قوله [من البسيط] :

قالت وقد فتكت فينا لواحظها | كم ذا ؟ أما لقتيل الحبِّ من قَوَدِ ؟[5]
وأسبلت لؤلؤاً من نرجسٍ ، وسقتْ | ورداً ، وعضّت على العناب بالبردِ[6]

---

(١) الكثيب : التلُّ من الرمل

(٢) عقلت : من العِقال.

(٣) زرفن صدنميه : أدارهما وجعلهما كالحلقه.

(٤) الدبيب : مشي النمال.

(٥) القود: القصاص.

(٦) العنّاب : يقصد بها الشفاه ، والبرد يقصد بها الأسنان.

هذا البيت مما أحسن فيه ، وضمنه خمس تشبيهات بغير أداة التشبيه :

إنسانةٌ لو بدت للشمس ما طلعتْ من بعد رؤيتها يوماً على أحدِ
كأنّما بين غاباتِ الجفون لها أسد الحمام على طرقِ الهوى رصدي

وقوله [من المنسرح] :

قد سترت وجهها عن النظر بساعدٍ حلّ عقد مصطبري
كأنّه والعيون ترمقُهُ عمود نورٍ في دارة القمرِ

وقوله [من الخفيف] :

جعلت تشتكي الفراق وفي أجـ ـفانها عقد لؤلؤٍ منثورِ
فكأنّ الكحل السحيق مع الدمـ ـع على خدّها بقايا سطورِ

وقوله في قوس قزح مع البروق والشمس [من البسيط] :

سقياً ليوم ترى قوس السماء به والشمس مسفرةٌ والبرق خلاّسُ
كأنّها قوسُ رامٍ والبروق له رشق السهام وعين الشمس برجاس(١)

وقوله وهو مما يتغنى به [من الكامل] :

لا تنكري ما بي فليس بمنكرٍ عند التفرُّق دهشة المتحيِّرِ
يا هذه روحي إليك هديةٌ فتجمّلي في أخذها لي واعذري
وتأمّلي غير الزمان فإنّها تحكِي تغيُّر عهدك المتغيِّرِ
ولربَّ ليلٍ ضلَّ عنه صباحهُ وكأنّه بك خطرةُ المتذكِّرِ(٢)
والبدر أوّل ما بدا متلثّماً يبدي الضياء لنا بخدٍّ مسفرِ

---

(١) البرجاس : غرض ينصب في الهواء على رأس رمح أو نحو.

(٢) ضلَّ: لم يهتد ، والخطرة : الفكرة.

فكأنّمـا هو خوذةٌ من فضّةٍ قد ركِّبـت في هامـةٍ من عنبرِ

وقوله في غلام عليل [من مخلع البسيط] :

إبيضّ واصفـرّ لاعتلالْ فصـار كالنّـرجس المضعّفْ
كأنّ نسـريـن وجنتيه بشـعـر أصداغـه مغلّفْ
يرشـح منـه الجبين ماءً كأنّـه لؤلـؤٌ مصنّفْ

وقوله [من الخفيف] :

ليت ليلـي أمـدٌ من نفس العا شق طولاً إذ زار فيه الخليلُ
مـا اعتنقنـا حتـى افترقنـا وخفّا ن الـدجـى عن قميصه محلول[1]
وكأنّ الهـلال تحـت الثريا ملكٌ فوق رأسـه إكليلُ

وقوله [من الخفيف] :

وغـدافُ الظـلام في شرك الفجـ ـر شريكي في قبضـة الارتهانِ[2]
وكأنّ النجـوم أحـداق رومٍ رُكِّبـتْ في محـاجـر السودانِ

وقوله من أبيات [من المنسرح] :

كم حثّ شربـي بكأسـه قمرٌ بقـدِّ غصـنٍ وخصـرِ زنبورِ

وقوله من قصيدة [من الطويل] :

يقمـن لنـا برق الثغـور أدلّةً إذا ما ضللنـا في ظلام الذوائب[3]

---

(١) الخفّان : الجوانب.
(٢) الغداف الغراب الأسود ، وهو لا يبيض أصلا.
(٣) الذوائب : خصلات الشعر في مقدّمة الرأس.

ومما يتغنى به من شعره [من مجزوء الكامل] :

يا من سقام جفونه لسقام عاشقه طبيبُ
حزتَ المودة فاستوى عندي حضورك والمغيبُ
كنْ كيف شئت من البعا د فأنت من قلبي قريبُ

وقوله [من البسيط] :

أستودع الله في بغداد لي قمراً بالكرخ من فلك الأزرار مطلعُهُ
ودّعته وبودّي أن تودّعني روح الحياة وأنّي لا أودِّعُهُ
وكم تشبّث بي يوم الرحيل ضحى وأدمعي مستهلاتٌ وأدمعهُ
وكم تشفّع في أن لا أفارقه وللضرورة حالٌ لا تشفعهُ

وقوله [من البسيط] :

بالله ربّكما عوجا على سكني وعاتباه لعلّ العتب يعطفهُ
وعرِّضا بي وقولا في كلامكما : ما بال عبدك بالهجران تتلفهُ ؟
فإنْ تبسّم قولا عن ملاطفةٍ ما ضرّ لو بوصالٍ منك تسعفهُ
وإن بدا لكما من سيدي غضبٌ فغالطاه وقولا ليس نعرفهُ

وقوله [من المتقارب] :

زمان الرياض زمانٌ أنيقُ وعيش الخلاعة عيشٌ رقيقُ
وقد جمع الوقت حاليهما فمن ذا يفيق ومن يستفيقُ
فيا من هو الفوز لي والمنى ومن هو بالودّ منّي حقيقُ
أدرْ لحظ عينيك وامرجه في مروج الرياض تجدها تشوقُ[1]
ترى مزوج الحسن في مفردٍ جليلُ المحاسن فيه دقيقُ

---

(١) امرجه : ارسله ينظر إليها.

إذا ضاحك الزهر زهر الوجوه ... فكيف الخلاص وأين الطريقُ ؟

بهـارٌ بهيرٌ بـه غيرةٌ ... على نرجسٍ وشقيقٌ شقيقُ[١]

فـذا عاشـقٌ وجـلٌ خائفٌ ... وذا خجـلٌ وكذاك العشيقُ

مداهـن يحملن طلّ النّدى ... فهـاتيك تبـرٌ وهـذِي عقيقُ

تنظّـم أوراقـهـا درّهـا ... وتنثـر منها التـي لا تطيقُ

يميـل النسيم بأغصانها ... فبعضٌ نشـاوى وبعضٌ مفيقُ

ويومٍ ستارتـه غيمـة ... وقـد طرّزت رفرفيهـا البروقُ

جعلنـا البختـور دخانـاً له ... ومـن شرر الـراح فيه حريقُ

تظـلُّ به الشـمس محجوبةٌ ... كأنّ اصطباحـك فيه غبوقُ

على شجـراتٍ رافعـات الذيول ... لمـاء الجـداول منهـا شهيق

سجدنـا لصلبـان منثورها ... وقـد نصرتنـا عليهـا الرحيقُ

وقلنـا بهـا ولضـوء الصّباح ... على عنبـر الفجـر منهـا خلوقُ[٢]

أدِرْ يا غلام كُؤوس المدام ... وإلاّ فيكفيك لحـظٌ وريقُ

أيا من هو الفـوز لي بالمنى ... ومـن هو بالـودّ منّـي حقيقُ

تغنّـم بنـا غفلـة الحادثات ... فوجـه الحـوادث وجـهٌ مفيقُ

وحـثّ الصبـوح لضـوء الصباح ... فمتسـعُ الهـمّ فيه يضيقُ

وقوله [من البسيط] :

وزائـرٍ راع قلـب النـاس منظره ... أحلى من الأمن عند الخائف الوجل[٣]

ألقـى علـى الليل ليلاً من ذوائبه ... فهابـه الصبـح أن يبـدو من الخجل

أراد بالهجـر قتلـي فاستجـرت به ... فاستلّ بالوصل روحي من يديْ أجلي

---

(١) البهار : نباتٌ طيب الرائحة ، والبهير : المنقطع النَّفس من شدّة التعب .

(٢) الخلوق : الطيب.

(٣) راع : أخاف ، والوجل : الخائف.

وصـــرت فيه أمير العاشـــقين فقدْ صارت إمـارة أهـل العشـــق من قبلي

وقوله [من الوافر] :

ومـــا أبقـــى الهـــوى والشـــوق منّي سوى روحٍ تردّد في خيـــالِ
خفيت عن النوائـــب أن تراني كأنّ الـــروح منّي فـــي محـالِ

وقوله [من البسيط] :

ما حكّم البين إلاّ جار محتكماً ولا انتضـــى سيفـــه إلاّ أراق دما
يا دارهـــم خبّرينـــا ما الـــذي فعلوا فربّمـــا جهـــل المشتـــاق ما علما
الله يعلـــم أنّـــي يوم بينهمِ ندمـــت إذا لم أمـــتْ في إثرهـــم ندما
قد سرّني أنّهـــم قد سرّهـــم سقمي فازددت كيمـــا يســـرّوا بالضّنـــا سقما[1]

وقوله [من مجزوء الرجز] :

رمـــاه ريمٌ فأصاب ب القلـــب منـــه إذرمى[2]
واحتـــج في قتلته بأنّـــه مـــا علمـــا
يا معشـــر النـــاس أما ينصفنـــي من ظلمـــا ؟
علّـــم سقـــم طرفه جسمـــي منـــه سقما
فسقـــم جسمـــي في الهوى من طرفـــه تعلّمـــا
لـــو قيل لي ما تشتهي مخيراً محـــكّما
لقلـــت أن ألثمـــه نحـــراً ووجهـــا وفمـــا

وقوله [من المتقارب] :

لـــه مضـــحـــكٌ برقـه خاطـفٌ عقـــول الرجـــال إذا ما ابتسمْ

---

(١) الضنا : المرض والألم.
(٢) الريم : الظبي الخالص البياض.

أقـول لـه إذ بـدا درّه : شهدنـا لصـانعـه بالحـكمْ
أرى الـدرّ يثقبـه الناظمو ن ومـا ثقبـوا ذا فكيف انتظم ؟!

وقوله [من المتقارب] :

تملّـكت يا مهجتـي مهجتي وأسهـرت يا ناظـري ناظري
وفيك تعلّمـت نظـم الكلام فلقّبنـي النـاس بالشاعرِ
ومـا كان ذا أملـي يا ظلوم ولا خطـر الهجـر في خاطري

وقوله [من مجزوء الخفيف] :

وحـديثٍ كأنّه أوبـةٌ من مسافرِ[1]
كان أحلـى مـن الرقا د لدى طرفٍ ساهرِ
بـت ألهـو بطيبه في رياضٍ زواهرِ
بين ساقٍ وسامرٍ ومغـنٍّ وزامـرِ

حدثني أبو بكر الخوارزمي ، قال : حضرت مع الشيخ أبي الحسن النمري دعـوة القاضـي أبي بكر الحميري ، فغنـى بعض القـوالين بهـذه الأبيات [مـن الكامل] :

قـمْ يا غلام إلـى المدامِ قم داونـي منهـا بجامِ
قـم فاسقنـي برق الثغو ر فقـد مضـى برق الغمام
بـادر إلـى صرف الحميّـا سابقـاً صرف الحمامِ[2]
وتغنّـم الغفـلات من دهرٍ يجـور علـى الكرامِ

فاستملحها أبو الحسن ، وسألني عن قائلها ، فأخبرتـه أنهـا لأبـي الفـرج

---

(١) الأوبة : العودة.
(٢) حرف الحميّا : أي الخمر الخالصة والحمام : الموت.

الوأواء ، فاقترح عليّ معارضتها ، فارتجلت أبياتاً ثم أتممتها قصيدة منها [من الكامل] :

لما بدت روح الضيا ء تدبّ في جسم الظلامِ
وغدت نجوم الليل وهي تفرُّ من حدق الأنامِ
والدّيك يتلو دائماً هجو النيام على القيامِ
ناقضت ما قال المؤذّ ن بالفعال وبالكلامِ
هو قال حيّ على الصلا ة وقلت حيّ على المدامِ

ومنها :

لما رأيت الهم يطرق من أتاه بلا سلامِ
ضيفٌ يزور فليس يأ كل غير لحمي أو عظامي
والدّهر قد حمل السلا ح على الكرام عن اللئام
داويته بالرّاح إنَّ الرّاحَ ترياق الكرام[1]

ومن ملح الوأواء وطرفه قوله في جرب معشوقه [من مجزوء الرمل] :

يا صروف الدهر حسبي أي ذنبٍ كان ذنبي ؟
طرقتني نائباتُ الدّهر في إعلال حبّي
علةٌ عمّت وخصّت في حبيبٍ ومحبٍّ
دبّ في كفّيه ما من حبُّه دبَّ بقلبي
فهو يشكو حرَّ حبٍّ واشتكائي حرَّ حبٍّ

وقوله في زرقة عين محبوبه [من البسيط] :

يا من هو الماء في تكوين خلقته ومن هو الخمر في أفعال مقلتهِ[2]

---

(١) الترياق : دواء السموم ، والراح : الخمر .

(٢) طلّ دمي : سفكه.

ومن بزرقة سيف اللحظ طلَّ دمي | والسيف ما فخره إلا بزرقته
علَّمت إنسان عيني أن يعوم فقدْ | جادت سباحته في بحر دمعته[1]

وللسري الموصلي في مثله [من المتقارب] :

وقالوا بمقلته زرقةٌ | تشين فظلَّ لها مطرقا
وهل يقطع السيف يوم الوغى | إذا لم يكن متنه أزرقا ؟[2]

ومن ملح الوأواء [من البسيط] :

يا ذا الذي ورد خدّيه إذا أخذتْ | منه اللواحظ شيئاً ردّه الخجلُ
ماذا يضرُّك أن تجني وقد ضمنتْ | أضعاف ما تجتني من لحظها المقلُ ؟
هذا لعمرك ماعونٌ بخلت به | على العيون، وبئس الخلّة البخل![3]

وله [من السريع] :

رثى له ممّا به نابه | صبٌّ غدا صبّاً بأوصابِهِ[4]
ميتٌ يرى حياً ولكنَّهُ | تربته ما بين أثوابه
أيّ حياة لامرىءٍ قد بلى | بالقرب من فرقة أحبابه ؟

وقوله من قصيدة [من الخفيف] :

قد أطلت الصلاة في قبلة الكأ | س بتسبيح ألسن العيدانِ
كم صلاةٍ على فتىً مات سكراً | قد أقيمت فينا بغير أذان

* * *

---

(١) إنسان العين : بؤبؤها .
(٢) المتن : الحدّ.
(٣) الماعون : كلُّ ما انتفع به من أشياء البيت والخلّة : السجيّة والصفه.
(٤) الأوصاب : الأمراض.

٢٢ - أبو طالب الرقّي

لم أجد ذكره إلا عند أبي بكر الخوارزمي ، وسمعته يقول : إنه أحد المقلين المحسنين ، الذين يطبقون المفصل في أغراضهم ، وينظمون الدر المفصل في معانيهم وألفاظهم ، ثم أنشدني له قوله [من الكامل] :

ولقد ذكرتك في الظلام كأنّه ... يوم النوى وفؤاد من لم يعشقِ
وكأنّ أجرام النجوم لوامعاً ... دررٌ نثرن على زجاجٍ أزرقِ
والفجر فيه كأنّه قطر الندى ... ينهلُّ من سحِّ الغمام المغدق[1]

وقوله [من الكامل] :

ومعيرُ وجه البدر ما في وجههِ ... والغصن ما في قدّه المتأوّد[2]
رمدت جفوني من تورُّد خدِّهِ ... فكحلتها من عارضيه بإثمدِ[3]

وقوله [من الكامل] :

ديباجُ خدِّك بالعذار مطرّزٌ ... وشبيه وجهك في البرايا معوز
وكأنّما إنسانُ عينك شاهرٌ ... سيف اللحاظ يصيح : من ذا يبرُزُ ؟
يا من أعزّ بذلّتي في حبِّه ... مثلي رأيت بذلّةٍ يتعزّزُ ؟

وقوله [من الطويل] :

ومشتملٍ ثوبي عفافٍ وفتنةٍ ... يرى قتل من يهوىٰ إلى النّسك مسلكا
إذا طاف بالأركان طاف به الورى ... فيقضي ولا يقضون للحجِّ منسكا[4]

---

(١) سح الغمام : هطوله .
(٢) المتأوّد : المتثنّي والمتمايل .
(٣) العارض : صفحة الخدّ ، والاثمد : الكحل .
(٤) المنسك : فرض من فروض الحج .

جنـى اللحـظ من خدّيه ورداً مورَّداً ... ومـن عارضيه ياسمينـاً ممسكا[1]
فيا رائحـاً منـه بأوفـر فتنةٍ ... تجهّـزْ لعـامٍ بعـد هـذا لعلّكا

وقوله [من الرجز] :

مصفـرة الظاهـر بيضـاء الحشا ... أبـدع في صنعتهـا ربّ السّما
كأنّهـا كفٌ محـبٍ دنفٍ ... مبعـد يحسِـبُ أيّام الجفا

وقوله [من المنسرح] :

ووردةٍ في بنان معطار ... جئـت بهـا في لطيف أسرارِ
كأنّهـا وجنـة الحبيب وقدْ ... نقّـطهـا عاشـقٌ بدينـار

---

(١) الممسَّك : المشوب بالمسك.



الباب التاسع
في ملح أهل الشام ومصر والمغرب
وطرف أشعارهم ونوادرهم

هذا باب كثرته على غرر تلقفتها من أفواه الرواة ، وتطرفتها من أثناء التعليقات ، ولم أجد لأصحابها أشعاراً مجموعة يتفسح في طريق الاختيار منها ، وإنما هي تفاريق تلتقي أطرافها ، وتجتمع حواشيها ، ولن تعدم القلائد فيها بحمد الله ومشيئته .

أنشدني أبو بكر الخوارزمي للتلعفري ولم يسمه ولم يكنه [من السريع] :

ما أصعب العيش على بائسٍ معاشه في حلب النحوُ
ليس له في بردها جبةٌ ولا قميصٌ لا ولا فروُ

ثم أنشدني له مرة هذين البيتين ومرة لبعضهم وزعم أنهما مما يتغنى بهما [من مخلع البسيط] :

يا راكب العيس قفْ وعرّج واقرأ سلامي على بني طي
وقل لهم ظبيكم جفاني لما رآني وما معي شي

ووجدت للسري والسلامي هجاء في التلعفري يدل على أنه من مذكوري الشعراء بتلك البلاد .

ثم أنشدني محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني أبو الحسن علي بن أحمد

التلعفري بنصيبين لنفسه من قصيدة أولها [من الكامل] :

من ذا يدلّ علـى الرقـاد جفوني قـد ضاع بين صبابتـي وشجوني
أمّـا النجـوم فقـد ألفـن رعايتي والعائـدات فقـد مللـن أنيني

قال : وأنشدني أيضاً علي بن محمد الشاشي بميا فارقين ، قال : أنشدني لنفسه في غلام نصراني [من الوافر] :

غريب الحسن ، مَنْ سمّاك بدرا ؟ وبـدر التـمّ ، في خدّيك خالُ
كتمـت هواك إذ قلبـي سليمٌ فذاب القلـب وانحـلّ العقال
وكنـت كمـودع الحلفـاء ناراً وكتـم النـار في قصـبٍ محالُ[1]

وأنشدني أيضاً [من الخفيف] :

ربَّ ليلٍ سهـرت حتـى تجلّى مغرمـاً في ظلامـه أتقلّى[2]
والثـريّا كأنّهـا رأس طِرفٍ أدهـمٍ زيـن باللّجـام المحلّى[3]

وقوله [من الكامل] :

ومتيّمٍ أبـدى إلـيَّ غرامه فعذلتـه والعـذل فعـل الجاهلِ
حتـى إذا أبصـرت مالك رقه كادت لواحظـه تصيب مقاتلي
إن عدت أعـذل عاشقـاً من بعده فأصابنـي ربّـي بحتفٍ عاجلِ

* * *

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني أبو نصر بن أبي الفتـح بن كشاجـم بصيداء

---

(١) الحلفاء : نبات محدّد الأطراف يصنع من ورقه القفف والحصر والحبال وهي سريعة الاشتعال.
(٢) أتقلّى : أتحرّق.
(٣) الطرف : الحصان.

الشام لنفسه في وصف الكتاب من أبيات [من المنسرح] :

وصاحبٍ مؤنسٍ إذا حضرا ... جالسني بالملوك والكبرا
جسمٌ مواتٌ تحيا النفوس به ... يجلُّ معنىً وإن دنا خطرا
ملكت منه كنزاً غنيت به ... فما أبالي ما قل أو كثرا
أظلّ منه في مجلسٍ حفلٍ ... بالنّاس طرّاً ولا أرى بشرا
وإن أُطفِّلْ بهِ فيا لك من ... مستحسنٍ منظراً ومختبرا[1]
أعجب به جامعاً ولو جعلتْ ... عليه كفّ الجليس لاستترا

وله في شمعة [من المنسرح] :

بركة صفرٍ عمودها شمعٌ ... تفيض ناراً من موضع الماءِ
تبكي إذا ما المقصّ خمّشها ... فرط حياء من الأخلاّءِ
كأنّها عاشقٌ مخايله ... فيه بوادٍ لمقلة الرّائي
صفرة لونٍ ، وذوب معتبةٍ ... ودمع حزنٍ ، ونار أحشاءِ[2]

قلت : شبه أربعة بغير حرف تشبيه ، وقال في بخيل [من الطويل] :

صديقٌ لنا من أبدع الناس في البخل ... وأفضلهم فيه وليس بذي فضلِ
دعاني كما يدعو الصديق صديقه ... فجئت كما يأتي إلى مثله مثلي
فلما جلسنا للطعام رأيته ... يرى أنّه من بعض أعضائه أكلي
ويغتاظ أحياناً ويشتم عبده ... وأعلم أنّ الغيظَ والشتمَ من أجلي
فأقبلت أستلُّ الغذاء مخافةً ... وألحاظ عينيه رقيبٌ على فعلي
أمدّ يدي سرّاً لأسرق لقمةً ... فيلحظني شزراً فأعبث بالبقل[3]

---

(١) أطفّل : أي يبقى حتى الغروب.
(٢) المعتبة : أي عاتبة من العتاب ، أو غاضبة.
(٣) الشزر : النظر بغضب.

إلى أن جنت كفّي لحتفي جنايةً ... وذلك أنّ الجوع أعدمني عقلي
فجرَّتْ يدي للحين رجل دجاجةٍ ... فجرّت كما جرّت يدي رجلها رجلي
وقدّم من بعد الطعام حلاوةً ... فلم أستطع فيها أمرٌّ ولا أحلي
وقمت لو اني كنت بيّت نيّةً ... ربحت ثواب الصوم مع عدم الأكلِ

وكتب على تفاحة حمراء بالذهب إلى الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل ابن الفرات وأنفذها إليه وقد خرج إلى متنزهه بالمقس [من المنجتث] :

إذا الوزير تجلّى ... للنيل في الأوقاتِ
فقد أتاه سميا ... ه جعفر بن الفراتِ

وله في طبيب[من المجتث] :

عيسى الطبيب ترفقْ ... فأنت طوفان نوحِ
يأبى علاجك إلاّ ... فراق جسمٍ لروحِ
شتان ما بين عيسى ... وبين عيسى المسيحِ
فذاك محيي مواتٍ ... وذا مميتُ صحيحِ

وقال في فصد إسحاق بن كيغلغ [من المنسرح] :

يا فاصداً شقّ عرق إسحاق ... أي دمٍ لو علمت مهراقِ ؟[1]
سفكته من يدٍ معودةٍ ... لنيل مالٍ وضرب أعناقِ
لو يوم حرب أصبت من دمه ... إذاً أقام الدّنيا على ساقِ

وأنشدني له يصف جونة الطعام من قصيدة مزدوجة [من الرجز] :

وجونةٍ موصوفةٍ من الجونِ ... قد جمع الطباخ فيها كلّ فنٍّ[2]

---

(١) الفاصد : الذي يخرج الدم من الجسم بآلة حادة .
(٢) الجونة : سلّة مستديرة تكون مع العطارين ويوضع عليها الطيب .

مـن كلٍّ سخـنٍ منضـجٍ وباردِ ... ما بين ألـوانٍ إلـى بوارد
فمـن رقـاقٍ ناعـم رقاق ... يحمـد في المنـظر والمذاق
وأرغف تشـفّ للصفـاء ... كما تشفُّ أوجـه المرائي
ومن مصوصٍ من مخاليف الحجل ... كأنّمـا كانـت ترفُّ في الجبلْ[1]
ومـن فراريج بمـاء الحصرم ... تصلـح للمخمـور أو للمحتمي
قـد شوّشـت أكبادهـا ببيض ... فهـي كمثـل نرجسٍ في روض
وجاءنـا فيهـا ببيضٍ أحمر ... كأنـه العقيق ما لم يقشرِ
حتـى إذا قدّمـه مقشّرا ... أبـرز من تحـت عقيقٍ دررا
حتـى إذا ما قطـع البيض فلقْ ... رأيت منـه ذهبـاً تحـتَ ورقْ
يخـال أنّ الشطـر منـه من لمحْ ... أعـاره تلـونيه قوس قزحْ
مـا بين أوسـاطٍ لطـاف القدِّ ... مقـدودةٍ كمثـل قدِّ الندِّ
مـن صدر درّاج وصـدر حجلهْ ... بملحهـا وبقلهـا متبلّه[2]
فيهـا جبـن صادق الحرافه ... مقطّـعٌ باللـطـف والنظافهْ
قـد ألبسـت قضبـان طلـعٍ غضّه ... كأنّهـا سلاسـل مـن فضهْ[3]
وجـاءنـا فيهـا بباذنجـان ... مثـل قدود أكـر الميدان[4]
قـد قارن الهليـون بالممازجة ... تقـارن الـكـرّات بالصوالجه
ثـم أتـت سكارج الكوامـخ ... كمثـل أنـوارٍ من اللخالخ[5]
مـا بين طرخـونٍ وبين صعتر ... وفيجـنٍ غضٍّ وبين كزبر[6]

---

(١) المصوص : الفراريج الطريّة اللحم.

(٢) الدرّاج : طائر يشبه الحجل.

(٣) الطلع من النخل شيء كالكوز يخرج منه وفيه حب منضود .

(٤) الأكر : جمع أكرة وهي الكُرة.

(٥) السكارج : الآنية التي يؤكل فيها الكوامخ : جمع كامخ نوع من الأدم معرّب اللخالخ : ضرب من الطيب.

(٦) الطرخون : نبات ، والفيجن : الزاب .

وبين بن عدة المشطور كأنّه تعلية النحـور[1]

ثـم أتـى براضـع لم يعتلفْ كأنّ في جنبيه قطنـاً قد ندفْ

وحَمَـل مبزرٍ مشبر كأنّـه مضـمّـخٌ بعنبرِ

يتلـوه جديٌ قارسٌ بخلٍّ كأنّـه بالـزعفـران مطلـي

تخالـه في خلّـه المزعفر مركباً تحـت عقيقٍ أحمر

وقـد عملـت أطـرافـه سلاقهْ عجيبـة الصـنعـة والمذاقـهْ

زيدت من الخـردل والصباغ وكشف القحف عـن الدماغ

وصفّ فيه فلـق الرمان مثـل رصيع خرز المرجانِ

ثـم أتـى بنـاطفٍ هيّاج يحـرُّ طبـع البـارد المـزاج[2]

كأنـه في العين والقياس سبائـكٌ جاءت من الروباس[3]

ثـم أتانـا بعـده لوزينج كأنّـه في الأتحمـي مـدرج[4]

تنشلـه من دهنـه العميق كمـا أخـذت بيد الغريقِ

وجاءنـا الغلمـة بالمـدام ونحـن لم ننهض من الطعامِ

بغير ترتيبٍ ولا صواني وغير أنقـالٍ ولا ريحان[5]

لأنّ في الجونـة أنـواع الأرب وعوضـاً من كلّ شيءٍ يطلبُ

هـذا هو النـوع الـذي أختاره ليس الـذي عذّبنـا انتظاره

* * *

وأنشدني عبد الصمد بن وهب المصري ، قال : أنشدني أبو نصر بن أبي

---

(١) المشطور : الخبز المطلي بالكامخ .

(٢) الناطف : نوع من الحلوى البيضاء.

(٣) الروباس : الفضّة.

(٤) الأتحمي : نوع من البرد .

(٥) الأنقال : ما يقدم مع الخمرة من فستقٍ وغيره.

الفتح كشاجم لنفسه [من الخفيف] :

غبط الناس بالكتابة قوماً ... حرموا حظّهم بحسن الكتابهْ
وإذا أخطأ الكتابة حظٌّ ... سقطت تاؤها فصارت كآبهْ

* * *

وأنشدني الخوارزمي لعبد الرحمن بن جعفر النحوي الرقي [من مجزوء الرمل] :

قل لمن تاب ولم يقـ ... ـض من اللّذات نحبَهْ
توبة الحشويّ لا تعـ ... ـدل عند الله حبّه
أمُّ من تسبقه أنـ ... ـت إلى الجنّة قحبه

* * *

وأنشدني أبو الحسن علي بن مأمون المصيصي ، قال : أنشدني أبو العميد هاشم بن محمد المتيم الاطرابلسي لنفسه [من الهزج] :

مضت للهو أوقات ... وللأوقات لذّاتُ
إليها أنا مشتاق ... وقد فاتت بمن فاتوا
وما لي عوضٌ عنهم ... وأحيا الناس أموات
مضى أهل المروءاتِ ... فلم تبقَ المروءاتُ

* * *

وقرأت في كتاب التحف والظرف لابن لبيب غلام أبي الفرج الببغاء لأبي عمارة الصوفي في ثقيل خفيف على القلب [من الخفيف] :

وثقيلٍ لو كان في حسناتي ... وجميعُ الأنام في سيئاتي
لاستخفّ الذنوب بل كسر الميـ ... ـزان من ثقله على الكفّاتِ

وله في ثقيل [من الطويل] :

ثقيلٌ براه الله أثقــل من برى ففـي كلِّ قلـبٍ بغضــةٌ منــه كامنهْ[1]
مشـى فدعــا من ثقلــه الحــوت ربّه فقال : إلهي زدت في الأرض ثامنه ؟

* * *

وأنشدنا أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقي المتيم في كتاب أشعار الندماء لأبي الحسن الممشوق الشامي ـ ولست أتحقق اسمه ـ في المشمش [من الرجز] :

أمــا ترى المشــمش يا خلّ الأدب مشطّبــاً أكرم بهــاتيك الشّطبْ
مثقّــبُ الهامــات من غير ثقبْ كأنّهــا بنــادقٌ من الذّهب

* قد صاغها صائغها بلا تعبْ *

وله في جام فالوذج [من الكامل] :

إنــي اتخــذت أبــا علــيٍّ ذا العلا معقــودةً لك ذات طعــمٍ طيِّبِ
فقــد اغتــدت في جامهــا وكأنّها شمسٌ علــى بدر أوانِ المغربِ[2]
وتخــال فيهــا اللــوز وهــو منصف أنصــاف درٍّ فوق صحــنٍ مذهبِ
فتعــال نخمش وجههــا بأكفّنا غضبــت علينــا أو غدت لم تغضبِ

وأنشدني غيره للممشوق [من المتقارب] :

فــؤادي كَفَيْكِ إذا ما نطقت وصبــري كخصــرك فــي دقّتهْ
ومــا آس عارضــك المستنيـ ـر كالقلــب منّــيَ في حرقته[3]
وبالجســم منّــي الــذي يشتكيــــــه طرفــك من غير ما علّته

---

(١) براه الله : أنحله .
(٢) الجام : الإناء من فضة .
(٣) الآس : الريحان ، ورقه عطر ، خضرته دائمة .

أشبه وعدك إمّا وعدت بعقرب صدغك في عطفته
وأزداد في كلٍّ يومٍ هوى وحبّيك يزداد في فتنته

وأنشدني محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني أبو الحسن الممشوق صاحب المتنبي لنفسه [من الخفيف] :

ليلةٌ بتّها بقرتمَ أسقي عاتقاً عتّقت مداها الدّهورُ
وكأنّ السماء والبدر والأنجم روضٌ ونرجسٌ وغديرُ

* * *

وأنشدني أيضاً محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني أبو الحسن علي بن محمد الأنطاكي [من الكامل] :

لما تأمّل جودك القطرُ وسما ليدرك صدرك البحرُ
خجلا جميعاً مثل ما خجلا إذ قابلاك الشمس والبدرُ
يا صالح الخيرات ما صلحا إلاّ لك التأييد والأمر

* * *

وأنشدني أيضاً للحسن بن عبد الرحيم الزلالي صاحب كتاب الأسجاع على معنى الحمدوني في طيلسان ابن حرب [من مجزوء الرمل] :

طيلسانٌ كان رسماً ثم قد أصبح وهما[1]
لا تراه العين إلاّ بعد أن يهجع حلما
تتعب المقلة كي تد رك منه أثراً ما
تعب الفكرة في إخـ ـراجها البيت المعمّى

(١) الطيلسان : كساء أخضر لا تفصيل له يلبسه خواص العلماء والمشايخ .

وقوله [من الرمل] :

نظرةٌ كانت لحتفي سببا جلب الحين لها ما جلبا
ضحكت أسماء من ذي لمّةٍ ضاحك الأشيب فيه الأشيبا
إنّما يعرف أيام الصِّبا من صبا في غير أيّام الصبا

* * *

وللأنطاكي في وصف عود [من البسيط] :

وبربطٍ صحب الترنام نغمته أحلى من اليسر وافى بعد إعسارِ[1]
يملي القريض عليه لفظ محسنه فينبري مخبراً عنها بإجهارِ
ما حثّ أوتاره في وجه نائبةٍ إلاّ استفاد بتاراتٍ وأوتار
تحنو عليه أمٌّ تخاطبه سرّاً فيخبر بالنّجوى بإظهار[2]
وإن هفا عركت آذانه شفقاً عليه من وصمة النقصان والعار

* * *

وأنشدني أبو الحسن علي بن مأمون المصيصي وغيره لتميم بن معد أبي تميم صاحب مصر ، وهي مشهورة [من الكامل] :

ما بان عذريَ فيهِ حتّى عذّرا ومشى الدجى في خدّه فتحيّرا
همّت تقبّله عقارب صدغه فاستلّ ناظره عليها خنجرا
والله لولا أن يقال تغيّرا وصَبا وإن كان التصابي أجدرا
لأعدت تفاح الخدود بنفسجاً لثماً وكافور الترائب عنبرا[3]

* * *

---

(١) البربط : آلة موسيقية تشبه العود والترنام : النغم والغناء.

(٢) النجوى : السرّ.

(٣) الترائب : جمع تريبة، وهي موضع القلادة من الصدر.

وأنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان ، قال : أنشدت بمدينة السلام لمعد ابن تميم ويروي للوأواء [من السريع] :

لا تظلموا الناس ولا تطلبوا بثأريَ اليوم أذى مسلمِ
ويا لقومي دونكم شادناً معتدل القامة والمبسمِ
وإنْ أبى إلاّ جحوداً له واكتتم الأمر فلم يعلم
قولوا له يكشف عن وجهه فإنّ فيه نقطةً من دمي

وأنشدني المصيصي له [من المنسرح] :

وَجْنَةُ من شفّني هواه ومن أفنيت فيه دموع آماقي[1]
كأنّما الصيرفيُّ دنَّر ما نجم منها ودرهمَ الباقي[2]

ووجدت له من قصيدة [من الطويل] :

وما بلد الإنسان إلاّ الذي به له سكنٌ يشتاقه وحبيبُ
إلى الله أشكو وشك بينٍ وفرقةٍ لها بين أحشاء المحبّ ندوبُ
ترى عندهم علمٌ وإن شطّت النوى بأنّ لهم قلبي عليّ رقيب[3]

* * *

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي الفقيه لأبي منصور نزار بن معد أبي تميم وقد وافق بعض الأعياد وفاة ابنه وعقد المأتم عليه [من المنسرح] :

نحن بنو المصطفى ذوو محنٍ يجرعها في الحياة كاظمنا[4]

---

(١) شفني : براني وآلمني ، والآماق : عروق الدمع .
(٢) دنّر : أي جعلها كالدنانير.
(٣) شطّت : باعدت .
(٤) الكاظم : المتحمّل للمحن والصابر عليها

عجيبـةً في الأنـام محنتنـا أولّنـا مبتلـى وآخرنـا
يفـرح هذا الـورى بعيدهم طرّاً وأفـراحنـا مآتمنـا

* * *

وأنشدني المصيصي للأمير تميم [من الطويل] :

شربنـا علـى نوح المطوّقـة الورقِ وأردية الـروض المفوفـة البلقِ
معتّقـةً أفنـى الزّمـان وجودها فجاءت كفوت اللحـظ أو رقّـةِ العشق
كأنّ السحـاب الغـرَّ أصبحـن أكؤساً لنـا ، وكأنّ الـراح فيهـا سنـا البرق
فبتنـا نحـثُّ الـكأس فينـا ، وإنّنا لنشربهـا بالحـثِّ صرفـاً ونستسقي[1]
إلـى أنْ رأيت النجـم وهـو مغرِّبٌ وأقبلن رايات الصبـاح من الشرق
كأنّ سواد الليل والفجـر طالعٌ بقية لطـخ الكحـل في الأعين الزرق

أحسن في هذا البيت ما شاء .

* * *

وأنشدت للمرواني في الهلال وأجاد [من الكامل] :

والبـدر في جوِّ السمـاء قد انطوتْ طرفـاه حتـى عاد مثـل الزورقِ
وتـراه من تحـت المحـاق كأنّما غرق الـكثير وبعضـه لم يغرق

وهو من قول ابن المعتز [من الكامل] :

* قد أثقلته حمولةٌ من عنبر *

قال : وسمعت الشيخ الإمام أبا الطيب يحكي أن المرواني صاحب الأندلس كتب إليه صاحب مصر كتاباً يسبه ويهجوه فيه . فكتب إليه « أما بعد فإنك عرفتنا

(۱) الصرف : الصافية الغير ممزوجة.

فهجوتنا ، ولو عرفناك لأجبناك ، والسلام » .

وأنشدني أبو سعيد بن دوست ، قال : أنشدني الوليد بن بكر الأندلسي الفقيه المالكي لأميرهم محمد بن أبي مروان بن أخي المستنصر بالله المدعو الخليفة بالأندلس ، وهو الحكم بن عبد الرحمن المرواني ، من قصيدة كتب بها إلى صاحب مصر يفتخر [من الطويل] :

ألسنا بني مروان كيف تبدَّلتْ بنا الحال أو دارت علينا الدوائرُ ؟
إذا ولد المولود منّا تهلّلت له الأرض واهتزَّت إليه المنابرُ

وذكر أن المستنصر وهو أبو الحسن قتل ابن أخيه خوفاً منه على المملكة .

* * *

قال : وأنشدني لوزير المستنصر وهو أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي [من البسيط] :

يا مَنْ أراني بألحاظٍ يصرّفها عنّي الصبا والهوى رشدي وتوفيقي
جمعت فيك غليل العاشقين كما جمعت ما تشتهي من كلّ معشوقِ

وله أيضاً [من الطويل] :

لعينيك في قلبي عليَّ عيونُ وبين ضلوعي للشجون شجونُ
لئن كان جسمي مخلقاً في يد الهوى فحبُّك غضٌّ في الفؤاد مصونُ
نصيبي من الدّنيا هواك ، وإنه عذابي ولكنّي عليه ضنينُ[1]

وله أيضاً في الخمر [من الكامل] :

صفراء تطرق في الزّجاج فإن سرتْ في الجسم دبّت مثل أيمٍ لاذع[2]

---

(١) ضنين : حريص.
(٢) الأيم : الحيّة، ولدغ : عضّ.

لم يحسن في تشبيه دبيب الخمر في جسم شاربها بدبيب الحية اللادغة ، وقد أحسن في البيت الذي يليه جداً :

خفيت علـى شرَّابهـا فكأنّهـم   يجـدون ريّاً من إنـاءٍ فارغِ

* * *

قال : وأنشدني لعيسى بن وطيس كاتب المستنصر [من البسيط] :

يا سيداً أفرطَـتْ بالعبـد سطوتُهُ   ما كلُّ مالك رقٍّ مغضـبٌ حنقُ
أعتـقْ وإلاّ فبـعْ، كم ذا تعذبني ؟   إنّ العبيد إذا ما عذبـوا أبقوا[1]
وثقـت منّـي بأنَّ الحـبَّ قيَّدني   أجـل وحقـك إنّـي فوق ما تثق

ومعنى بيته الثاني مما يزيفه نقدة الشعـر المتغزلـون ولا يرضونـه . وإنمـا يميلون إلى مثل ما قال أهل العصر [من الخفيف] :

لـي مَولـى أقسـى البـرية قد قا   سيت فيه الهمـوم والأشواقا
قلـت إذ لجَّ في جفائـيَ واحتـ   ـجّ عليه فسـاق نحـوي السّياقا
أيهـذا المليك رأيك في سو   ءِ امتـلاكي فلن أروم الفراقا

* * *

قال : وأنشدني حبيب بن أحمد الأندلسي لنفسه [من الطويل] :

ثلاثـون من عمـري مضين فمـا الذي   أؤمّـلُ من بعـد الثـلاثين من عمري
أطـايب أيامـي مضين حميـدةً   سراعـاً ولـم أشعـر بهـنّ ولـم أدرِ
كأنّ شبـابي والمشيـب يروعـه   دجـى ليلـةٍ قد راعهـا وضـح الفجرِ

---

(١) اعتِقْ : من العتق : وهو التحرير والأبق : الهرب.

وأنشدت لأحمد بن عبد الرحمن المتيم النحوي[1] [من الوافر] :

إذا ما نلتَ من دنياك حظاً فأحسنْ للغنيٍّ وللفقيرِ
ولا تمسك يديك على قليلٍ فإنّ الله يأتي بالكثير

* * *

٢٣ ـ عبد المحسن بن محمد الصوري

أحد المحسنين الفضلاء ، المجيدين الأدباء ، وشعره بديع الألفاظ ، حسن المعاني ، رائق الكلام ، مليح النظام ، من محاسن أهل الشام ، فمن شعره قوله [من الكامل] :

أترى بثأرٍ أم بدينِ علقت محاسنها بعيني
في خصرها وقوامها ولحاظها ما في الرّديني
وبوجهها ماء الشبا ب خليط نار الوجنتينِ
بَكَرتْ عليّ وقالت اخـ ـتر خصلةً من خصلتين[2]
إمّا الصدود أو الفرا ق فليس عندي غير ذين
فأجبتها ومدامعي منهلّةٌ كالمرزمين[3]
يا هذه لا تعجلي إن حان بينك حان حيني[4]
فكأنّما قلت اذهبي فمضت مسارعةً لبيني

قال : وأعطاه بعض الأمراء عمامة حسنة فلبسها أياماً ، ثم باعها ، ولبس عمامة

---

(١) سينشد البيتين فيما يأتي لأحمد بن محمد بن عبد الكريم النحوي.
(٢) بكرت : أتته باكراً.
(٣) المرزم : المطر المصحوب بالرعد.
(٤) الحين : الأجل.

لطيفة ، ومشى ، فقال بعض من رآه : ثقلت عليه العمامة فباعها . فقال ارتجالا [من الكامل] :

قالــوا عســى ثقلــت عليـ ـه فباعهــا من غير عدمِ
والله ما ثقلــت علــــــيَّ عمامتــي بل خفَّ كمي

وقوله [من الطويل] :

وكم آمــرٍ بالصبــر لم يرَ لوعتي وما صنعـت نار الأسـى بين أحشائي
ومــن أين لي صبــرٌ وفــي كلِّ ساعةٍ أرى حسناتــي في موازين أعدائي ؟

وقوله [من الوافر] :

ومعتــذر العــذار إلى فؤادي لجــرمٍ سابــقٍ من مقلتيهِ
وكم أعرضــتُ عنـه فأعرضــتْ بي عن الإعــراض خضــرةُ عارضيهِ
ولمّــا قلــت إنّ الشعــر يسعى لقلبي في الخـلاص سعـى عليهِ

وقوله [من مجزوء الرمل] :

لحــظــاتٌ تتــرامــى بي الــى المرمــى القصيّ
طــرحتني مــن عليٍّ بيــن ألحـاظ عليٍّ
فادّعــى رقــي ومــا رقـــــى بدعـوى المدّعـي
أنــا عبــد المحســن الصو ريّ لا عبــد المسي

وقوله [من مجزوء المتقارب] :

جنــى ما جنــى وانصرفْ وأنــكر ثــمّ اعترفْ
وظــنّ بــأن القصــا ص يمنـع منـه الترف
سلــوا صدْغَـهُ لِمْ جرى ؟ ولمّــا جرى لِمْ وقفْ ؟
وكــان علــى أنّـه يجـوز المـدى فانعطـف

وقوله [من مجزوء الرمل] :

بالذي ألهم تعذيـ ـبي ثناياك العذابا
والذي ألبس خدّيـ ـك من الورد نقابا
والذي صيّر حظي منك هجراً واجتنابا
يا غزالاً صاد باللّحـ ـظ فؤادي فأصابا
ما الذي قالته عينا ك لقلبي فأجابا ؟

وقوله [من السريع] :

تعلّمت وجنته رِقيةً لعقرب الصدغ فما تلسعُ
صمّت عن العاذل في حبِّهِ أذني فما لي مسمعٌ يسمعُ

وقوله في صبي اسمه عمر [من السريع] :

نادمني من وجهه روضةٌ مشرقةٌ يمرح فيها النّظر
فانظر معي تنظر إلى معجزٍ سيف عليٍّ بين جفني عمرْ

وقوله [من الطويل] :

زففت إلى نبهان من عفو فكرتي عروساً غدا بطن الكتاب لها خدرا[1]
فقبّلها عشراً وهام بذكرها فلمّا ذكرت المهر طلّقها عشرا

وأنشدني له وقد مر بقبر صديق له [من الخفيف] :

عجباً لي وقد مررت بآثا رك أنّي اهتديت قصد الطريقِ
أتراني نسيت عهدك يوماً صدقوا ما لميّتٍ من صديق

---

(١) الخدر : الستر والخباء .

وقوله [من الخفيف] :

أمنــون بدت لنــا أم جفونُ حركاتٌ للسّقــم فيهــا سكونُ
بعتهــا ما حييت طول هجوعي بدمــوعي فأيّنــا المغبون ؟[1]

وقوله [من الطويل] :

تعلّقتــه سكران من خمــرة الصبا به غفلــةٌ عــن لوعتــي ولهيبي
وشاركنــي في حبّــه كلُّ أغيدٍ يشاركنــي في مهجتــي بنصيبِ
فلا تلزمونــي غيرةً ما عرفتها فإنّ حبيبــي مَنْ أحــبَّ حبيبي

وقوله [من السريع] :

قلــت وقــد أوردنــي حبُّهُ مواردا ليس لهــا مصدرُ
أفســدت دنياي ولا دين لي تفســده فاصــدعْ بمــا تؤمرُ[2]

وقوله [من الطويل] :

أتابعــت أهــل البيعــة اليوم في دمي غلبــت فخــذ أخطارهــم وتقدّمِ
ولا تورثــنْ عينيك سقمي فإنّهُ حرامٌ علــى الذّمــيٍّ ميراثُ مسلمِ

وقوله [من السريع] :

رأيت ما لم يره رائي ماءً غدا يسبــح في ماءِ
أومــأت باللحــظ إلــى جسمه فكاد أنْ يدميه إيمائي

وقوله [من مجزوء الكامل] :

ظبــيٌ أقــامَ قيامتي من قبــل أنْ تأتــي القيامهْ

---

(١) المغبون : المنتقص حقّه.
(٢) اصدعْ : امتثل.

عــطــب القلــوب جفونـه فعـلام سمّـوه سلامـهْ ؟

وقوله [من الخفيف] :

ولئــن كنــت قد رحلــت بقلبي فاعلمــي أن سرّ حبــك فيهِ
لا تقــولي ضيّعتــه بعــد بين ضيعيه إن شئـت أو فاحفظيه

وقوله [من مجزوء الكامل] :

رقّــت فكادت لا تـرى فـي كأســهـا إلاّ التّماسا
لــولا الحبـاب لخالهــا شرّابهــا فـي الـكأس كاسا

وقوله [من المنسرح] :

لمّــا تبيَّنــتُ أنَّ حبّكمْ يحســن عنـدي وليس يحســن بي
بشّــرت طرفــي بحســن عاقبتي فيكم وقلبــي بســوءِ منقلبي

وقوله [من الخفيف] :

يا مطيع العــذول في عصياني ومذيقــي حـرارة الهجـران
اتــق الله لا ترعنــي بالصـــــدّ وجــازِ الإحسـان بالإحسان(١)
كيف أبقى علـى الزمــان وهجرا نك ممّــا جنــت صروف الزمان
صرت أجفوك مكرهـاً وعلـى الحــــبّ دليلٌ من ناظـري ولساني
فــإذا عدت بالتجلُّــد عنكمْ كذّبتنــي نواظـر الأجفان
كيف تجنــي ولا تخــاف عقاباً وفــؤادي معاقــبٌ غير جاني
خــلِّ ما بين مقلتيك وقلبي فعلينــا يدٌ من السلطـانِ
لا تكونـن ثالثــاً لقويّــ ـن فلــو كان واحــدٌ لكفاني
لك والله في صميم فؤادي لذّةُ المــاء في فم العطشان

---

(١) ترعني : تخفني ، والصدّ : الإعراض.

وقال يهجو بعض من أضافه [من الخفيف] :

وأخٍ مسَّه نزولي بقرحٍ مثل ما مسّني من الجوع قرحُ(1)
قيل لي إنّه جوادٌ كريمٌ والفتى يعتريه بخلٌ وشحٌّ
بت ضيفاً له كما حكم الدهر وفي حكمه على الحرِّ قبحُ
قال لي إذ نزلت وهو من السكرة والهمّ طافحٌ ليس يصحو
لِمْ تغرَّبت قلت قال رسول اللـه والقول منه نصحٌ ونجحُ
سافروا تغنموا فقال وقد قا ل تمام الحديث صوموا تصحّوا

وقوله [من الخفيف] :

بدر تمٍّ يثنيه دعصٌ وخوطُ عذري في عذاره مبسوطُ
أيّ درٍّ للثقب أيٌّ كتابٍ لو تأتَّتْ بصفحتيه الخطوط
وإذا اغترّ قلت ظبيٌ غريرٌ وإذا افترَّ قلت درٌّ سقيط(2)

وقوله [من الرجز] :

يستوجب العفو الفتى إذا اعترفْ وتاب مما قد جناه واقترفْ
لقوله قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلفْ

وقوله [من المنسرح] :

طرَّةُ مسكٍ وشاربٌ أخضرْ وثغرُ درٍّ ومقلتا جؤذرْ(3)
ريمٌ إذا رمت أن أكلِّمه كلّمني من جفونه خنجرْ
وإن تعوّضت من عوارضه لثماً تجنّى عليَّ واستكبرْ(4)

---

(1) القرح : الجرح ، والمرض.
(2) افتر : ضحك وتبسّم.
(3) الجؤذر : البقر الوحشي.
(4) تعوّض : استبدل.

كأنّ خيلانه ووجنته سماء حسنٍ نجومها تزهرْ
سبحان من صاغه على قدرٍ فذلك الله خير من قدَّرْ

وقوله[من السريع] :

يا حار إنّ الركب قد حاروا فاذهب تجسّس لمن النّارُ
تبدو وتخبو إنْ خبت وقفوا وإن أضاءت لهم ساروا[1]
قام عليها موقِدٌ مرشدٌ له بفضل الزّاد إيثار
فلا تلوموني إذا مسكم أو مسّها من قربكم عار
وسائلٍ يسأل عن حالتي قلت كما تهوى وتختار
وأين ما أسررت في لحظه ممّا أسرّ الطين والقار[2]
ما نظرةٌ إلاّ لها سكرةٌ كأنّما طرفك خمّارُ
هذا هوىً يصدر عنه جوىً تتلوه لوعاتٌ وأفكارُ
وهذه أفعالها هذه ما بعد رأي العين إخبار
ولست أعتدُّ عليك الضّنا ألست من جفنيك أمتار ![3]

وقوله [من الطويل] :

هواي الذي أبدى وأضمره يحيى وسؤليَ في دار الخلود وفي الدُّنيا
وعيني التي أرعى بها من يودّني وكفّي التي أرمي الأعادي بها رميا
أأصبر عن يحيى وأطوي وصاله إذاً فطواني عنه صرف الرّدى طيّا
كتمت الهوى جهدي ونفّيت طاقتي وقد زاد حتى ما أطيق له نفيا
يودُّ أناسٌ لو عميت عن الصبّا إذاً فأراني الله أعينهم عميا

---

(١) خبت : انطفأت أو ضعفت.
(٢) القار: القطران.
(٣) أمتار : أجمع الطعام والمونة ، أتغذى.

فمـا بالهـم لا قدّس الله بالهم ... ولا حاط ميتـاً منهـمُ لا ولا حيّا
يلومـون في يحيى ولـو أنّ لائماً ... رأى وجهـه لاستقبح اللـوم واستحيا
فيا منيتـي كم فيك عاصيت عاذلاً ... أرى غيّهـم رشـداً ورشدهـم غيّا
وكم جاءنـي ما قالـه فيك كاشحٌ ... فزدتـك حبّـاً كلّمـا زادنـي نعيا[1]
أأسمـع فيك العـذل ممّـن يلومني ... فلا سمعـت أذنـي إذاً بعدهـم شيّا
فمـا أحسـن الـدنيا إذا كنـت جانبي ... وإن غبت عن عيني فمـا أقبح الدّنيا

وله يهجو [من مجزوء الرجز] :

حـديثـه كـالحـدث ... يرفـث كـلّ الرفـث[2]
يـودُّ مـن يسمعه ... لـو أنّـه فـي جـدث[3]

وله يرثي [من الكامل] :

قالـوا ألـم تحضـر علياً بعـد ما ... دفنـوه قلـت هنـاك بئس المحضرُ
لا أستـطيع أرى المعالـي بينكم ... محمولـةً وأرى المـكارم تقبرُ
لم يمض قبلك من أراه أسوةً ... فأقـول هذا مثـل ذاك فأصبرُ
قد كنـت جزءاً والأكارم كلُّهم ... جزءٌ ، ولـكنّ الأقـل الأكثر
ما كان أكثرهـم وأنـت جليسهم ... وأقلّهـم إذ شيّعـوك ، وكبّروا

ومما يتغنى به من شعره قوله [من الخفيف] :

ما عليهـا سهـرت أم بتّ نائمْ ... بعـد أن لا يلـمّ بي طيف حالمْ
تسأل النـاس كيف حالي ومـن أعـ ... ـلـم منهـا ؟ وفاعـل الشـيء عالمْ
وغـزالٍ أغـنّ أغيد ساجـي الطـ ... ـرف مستحسـن الخلائـق ناعم[4]

---

(١) الكاشح : المبغض.
(٢) الحدث : ما يخرجه المرء من فضلات وريح والرفث: الجماع والفحش.
(٣) الجدث : القبر.
(٤) الأغن : الذي في صوته غنّة ، وساجى الطرف : ساكنه .

لم يصلني ولم يعدني وقال اكتم فماذا أسرّ حتّى أكاتمْ

وقوله [من المنسرح] :

قبلتها أشتفي بقبلتها فزادني ذلك اللّمى ألما[1]
وساءلتني عن مبتدا سقمي مسقم جفنيك مسقمي بهما

وقوله [من السريع] :

يا علّة الأجفان كفّي كفّي ما حملت منك وما استوثقتْ
وساعدينا واعلمي أنّها قد نذرت قتلي وما أعتقتْ

وقوله [من البسيط] :

أرى الليالي إذا عاتبتها جعلتْ تمنٌّ أن جعلتني من ذوي الأدبِ
وليس عند الليالي أنَّ أقبح ما صنعن بي أنْ جعلن الشعر مكتسبي
إن كان لا بدّ من مدحٍ فها أنا ذا بحيث آمن في قولي من الكذب

وقوله [من الطويل] :

إذا كسدت سوق الثناء فجوده طلوبٌ لأسباب الثناء كسوبُ
تضيق بما تحوي يداه ، وصدرهُ بتفريق ما تحوي يداه رحيبُ

وقوله [من الخفيف] :

وغزالٍ مثل الغزالة يحكيـ ـها كمالاً إلاّ بقلب وودٌ
رقّ جسماً فرقّ دمعي عليه فجرى مثل خدّه فوق خدّيَ

وقوله [من السريع] :

والله ما عورضتُ في مهجتي إلاّ لأن أرفع عنها يدي

---

(١) اللّمى : السمرة في الشفة .

الأهيف الأغيد والنفس ما آلفهــا للأهيـف الأغيـدِ[1]
يعجبهــا أن ترتــدي حسنه والحســن قد يُردى به المرتدي[2]
طوفــان نوحٍ طبّــق الأرض لا يبــرح منهــا آخــر المسند
طـاف علينــا فاستوينــا علــى الــــجــودِيِّ من جود أبــي أحمد[3]
أبــو العــلا إذْ ذكرتْ وابنها يا ذا المــكانين من السؤدد
غيِّر من حالــي ومــن نيّتي في غيره كم مصلــحٍ مفسد
لــو كان من أحبتــه بعض ما في يده زارت بلا موعد

وقوله من قصيدة [من الطويل] :

فتــىً كلّمــا قالــوا تناهــى صعوده إلــى كلّ مجــدٍ خالف القــول صاعدا
ترى كلَّ ملقــى المقــاليد في الوغى إليه إذا لاقــاه ألقــى المقالدا[4]
ولسـت ترى بيتــاً من المجــد أو ترى من الجــود أركانــاً له وقواعدا
لقــد شرّفــتْ أبيات عوفٍ وطهِّرتْ من الــرّجس حتــى خلتهــن معابدا[5]
وكلٌّ يعــاف الــورد من بعــد ربّه وأرمــاح عوفٍ لا تعــاف المواردا[6]
ترى منهــم يوم الوغــى كلّ ناشرٍ من النقــع فوق الــدار عــينٌ مطاردا
ينالــون ما أمسى بعيداً مناله كأنّهــم طالــوا الرمــاح سواعدا
وقلّبــت الهيجــاء أعيان خلقهمْ فقــد وثبــوا أســداً ودبّــوا أساودا[7]

---

(١) الأغيد : الجميل ، وآلفها : من الألفة ، وهي الصحبة والمحبة .
(٢) يردي : يقتل .
(٣) الجودي : جبل في العراق ، استوت عليه سفينة نوح عليه السلام بعد الطوفان .
(٤) المقالد : القيادة ، أي أوكله بالأمور .
(٥) الرجس : الاثم .
(٦) يعاف : يملّ .
(٧) الأساود : الحيّات ، واحدها أسود .

على أنَّ من لاقيتَ منهم مسالماً لقيت به نوء السِّماك مجاودا[1]

وقوله [من البسيط] :

وقد حسدتَ على ما بي فواعجبي حتّى على الموت لا أخلو من الحسد
ما بعتكم مهجتي إلاّ بوصلكمُ ولا أُسلِّمها إلاّ يداً بيدٍ

ومن قصيدة يقول في مدحها [من الخفيف] :

طالما جاد لي وظنٌ بأنّ الـ ـجود يبلي في كلِّ يومٍ مجدَّدْ
بيمينٍ طالت فكم تضرب الأيـ ـام عنّي بها وكم تتجلّدْ
أحسن الفعل بي فأحسنت قولاً فاشتبهنا فقيل جادٌ وجوّدْ

وقوله [من الكامل] :

وغريرةٍ مغرورةٌ بجمالها وتظنٌّ أنّ المنتهى كالمبتدي
ظلت تناكرني الهوى من بعد ما اعـ ـترفت به زمناً فقلت تقلّدي
ليكن عقابك لي بقدر تجلّدي لا بالنوى فضعيفةٌ عنها يدي

وقوله في أبي الجيش حامد بن سلهم [من الكامل] :

ما زال ينحلني أبو الجيش اسمهُ فيما يجدّ وكلُّ يومٍ جودا
حتى غدوت أنا المسمى حامداً وغدا يسمى حامداً محمودا

وقوله [من البسيط] :

نام الخليون من حولي فقلت لهمْ : ما كلُّ عينٍ لها عينٌ تسهِّدها
لا تنكروا عقلتي عامين في يده فإن صيداء معروف تصيُّدها[2]

---

(١) نوء السماك : نجم السِّماك المضيء ومجاودا : متكرّماً.

(٢) عقلتي : عِقالي وأسري.

كأنّما أهلها أهل المقيم بها فذلك الزهد في الأوطان يبعدها

وقال يهجو أخاه عبد الصمد [من الرمل] :

قال لي : أنت أخو الكلب ، وفي ظنّه أنْ قد تناهى واجتهدْ
أحمد الله كثيراً أنَّهُ ما درى أني أخو عبد الصمدْ

وقوله من قصيدة أولها [من السريع] :

لا بتماديك على هجري ولا بإكثارك من ذكري
عهدتكم من حيث عاهدتكمْ لم تعرفوا شيئاً سوى الغدر
فما لكم لمّا نذرتم دمي صرتم من الموفين بالنذر
جاءت عطاياك موفّرةً فلم يكن عندي سوى النشر[1]
مقرونةً بالعذر إنّي لفي التـ ـقصير أولى منك بالعذر

وقوله من قصيدة أولها [من المنسرح] :

حتّى متى كلّ مشتكٍ زاجرْ واللوم مثل الهوى بلا آخرْ
كم عاذلٍ عاشقٍ وكنت أرى أنّ الذي جرّب الهوى عاذرْ
يا نافراً نفرة الغزال وكا ن الحزم لو أنني أنا النافرْ
يبيت ما تستعدّ مقلته من خمرها فوق ثغره قاطرْ
فطرفه عاصرٌ وليس به خمرٌ وفوه خمرٌ بلا عاصرْ
وشادنٍ طائفٌ على نفرٍ شخص الكرى من يمينه دائرْ
صرّعهم حوله وأوجسهم بما اشتكى نائبٌ له ساهر[2]
فحثني ساعةً فلم ترني في أثر القوم بعدهم سائر
فقال أوصيك بي وأسلمه الـ ـصبر على رغمه إلى الصابر

---

(١) في الأصول: «جاءت عطاياك موفورة » وغيرّناها لإقامة الوزن.
(٢) أوجس : شعر وأحسّ.

فبتٌّ في روضه ألفٌ على الـغادة طرفي وأمرح الناظر

يقول في مدحه بالكتابة وأجاد :

لا يخطر الفكر في كتابته كأنَّ أقلامه لها خاطر
القول والفضل يجريان معاً لا أوَّل فيهما ولا آخر

وقوله [من مجزوء الكامل] :

وأغنّ أغيد، ودُّه مستأنسٌ بي، وهو نافرْ
إن قلت زرني قال نمْ فالطيف ليس يزور ساهر
ويقول لي فيما يقو ل نعم وما للقول آخر
حتّى أشاور قلت لكنّي هويت ولم أشاور !

وقوله [من الخفيف] :

سهلت عنده المسالك حتّى أوصلته إلى العلا وهي وعرَهْ
ثم هامت به المعالي فصارتْ تتقي صدّه وتحذر هجرَهْ

وقوله من قصيدة يقول فيها [من المتقارب] :

هلموا اسألوا عن سلوٍّ يباعْ أو استخبروا عن كرىً يكترى[1]
هل الناس مثلي ؟ وإلاّ فما أشدّ القلوب وما أصبرا
وصفراء تنفذ من كأسها فتترك ما حولها أصفرا
بمدٍّ إذا شعشعت كالهباء لمن كان قدّامها أو ورا[2]
وفي القوم من لم يكن عنده إذا سكر القوم أن يسكرا

---

(١) الكرى : النعاس : ويكتري : يشتري.
(٢) شعشعت : أضاءت ، والهباء : غبارٌ دقيق يظهر مع نور الشمس إذا دخلت من كوّة بيت مظلم.

سقاني وشدّ معي مئزراً فلما شدّ من بعدها مئزرا

وقوله [من البسيط] :

عندي حدائق شكرٍ غرسِ جودكم قد مسّها عطشٌ فليسقِ من غرسا
تداركوها وفي أغصانها رمقٌ فلن يعود اخضر العود إنْ يبسا

وقوله من قصيدة يقول في مدحها [من الكامل] :

بئس السياسة والرياسة منزلٌ أصبحت وحدك في ذراه مقيما
وجعلت تفعل مثل ما فعل الألى فيه وتتخذ الخطوب خصوما
ولو اختصرت على القديم كفى العلا إنّ القديم ليوجب التّقديما
للحادثات معي حديثٌ مبهمٌ أضحى النّهار عليّ منه بهيما
وصناعتي عربيّةٌ وكأنّني ألقى بأكثر ما حفظت الرّوما
فلمن أقول وما أقول فأين بي فأسير أولا أين بي فأقيما
وإذا اشتكيت إلى امرىءٍ ما حلّ بي فأقول يرحمني أراه حليما

وقوله من قصيدة يقول فيها [من الطويل] :

يروح إلى كسب الثناء ويغتدي إذا كان همّ الناس كسبُ الدراهمِ
وإن جلس الأقوام عن واجب الندى وحق العطايا كان أوّل قائمِ
يزيد ابتهاجا كلما جاء قاصدٌ كأنّ به شوقاً إلى كلّ قادمِ

وقوله [من السريع] :

إنّ لها من لوعةٍ شانا أضرمت الأحشاء نيرانا
وحالفت دمعي فلم يطفها وقد جرى سحّاً وتهتانا[1]

---

(١) سحّاً : متصبباً، والتهتان : المطر الذي يتقطع ثم يعود فيهطل.

وآل ما زال عدواً لها مذ كانت النار ومذ كانا[1]
لكنّ في حيني وفي شقوتي ما يجعل الأعداء خلاّنا[2]
وغادةٍ قمت لتوديعها أسعى إلى التفريق عجلانا
فغاض دمعي وجرى دمعها زوراً على الحبِّ وبهتانا
ثم انثنت قائلةً : ما له لم يبكه البين وأبكانا ؟
فقلت : جار الدمع في حكمه ففاض من أجفان أجفانا[3]

وقوله [من السريع] :

ما زال يبني كعبةً للعلا ويجعل الجود لها ركنا
حتى أتى الناس فطافوا بها وقبّلوا راحته اليمنى

وقوله في أبي الجيش حامد بن سلهم [من الطويل] :

أبا الجيش ، حسب الشعر ما أنت صانعٌ فقد عجزت عن وصف ذاك القصائدُ
أما انصلحت للمال منك طويّةٌ فتصلحه حتى متى أنت حاقدُ[4]
سبقتَ بني الدنيا فما هبٌّ قائمٌ سواك إلى جودٍ ولا قام قاعدُ

وقوله [من السريع] :

ومن بني القواد من بغته عن سيفه سيوف أجفانهِ[5]
سلطان عينيه له سطوةٌ أشدّ من سطوة سلطانهِ

(١) آل : أقسم .
(٢) الحين : الموت والخلاّن : الأصحاب .
(٣) جار : ظلم ، وأجفانا : أكثرنا جفاءً وهجراً .
(٤) الطوية : دخيلة النفس ، وما تضمره .
(٥) في الأصول : «عن سيفه سيف أجفانه » وغيرّناه لإقامة الوزن .

وقوله [من الكامل] :

يا ذا الـذي في خدّه جيشـان من زنـجٍ ورومِ
هـذا يغـير على القلو ب وذا يغـير على الجسومِ
إنّـي وقفـت من الهوى في موقفٍ ضنـكٍ عظيـم
كوقـوف عارضـك الـذي قد حار في ماء النعيم

وقوله [من الخفيف] :

غنّنـي يا أعـزّ ذا الخلـق عندي حيٌّ نجـداً ومـن بأكنـاف نجد[1]
واسقنـي ما يصـير ذو البخـل منه حاتمـاً والجبـان عمـرو بن معدي
لي ومـا فوق وجنتيك من الو رد مدامٌ كالمسـك في لون ورد
فاسقينهـا ملأى فقـد فضـحَ الليـ ـلَ هلالٌ كأنّـه فتـرُ رندِ[2]
والثـريا خفّاقـةٌ بجنـاح الـ ـغـرب تهـوي كأنهـا رأس فهد
في أوان الشبّـاب عاجلنـي الشّيـ ـب فهـذا من أوّل الـدنّ دردي[3]

وقوله [من السريع] :

إنّ خيالاً زارنـا وهنا من عنـدكم هاج لنـا حزنا
أحبابنـا ، لا بلغـتْ منكم أيدي النّـوى ما بلغـت منّا
فلـم يغـبْ عنـكم على بعدكم ما فعلـت غيبتـكم عنّا
أيسر ما في عهـدكم أنّنا لمّا حفظنـا عهـدكم ضعنا

* * *

(١) الكناف : الجنبات .
(٢) الفتر : ما بين الخنصر والابهام والرند : عودٌ طيب الرائحة .
(٣) دردي : أي الكدر الذي يبقى في أسفل الإناء راسباً .

٢٤ ـ أحمد بن سليمان الفجري

شاعر ماهر ، كتب إلى عبد المحسن الصوري هذه الأبيات [من الوافر] :

أعبدَ المحسن الصوريّ لم قدْ ... جثمت جثوم منهاضٍ كسيرٍ ؟[١]
فإن قلت العبالة أقعدتني ... على مضضٍ وعاقت عن مسيري[٢]
فهذا البحر يحمل هضب رضوى ... ويستثني بركنٍ من ثبير[٣]
وإن حاولت سير البرّ يوماً ... فلست بمثقلٍ ظهر البعير
إذا استحلى أخوك قلاك يوماً ... فمثل أخيك موجودُ النظير[٤]
تحرّك عَلَّ أن تلقى كريماً ... تزول بقربه إحن الصدور[٥]
فما كلُّ البرية من تراه ... ولا كلُّ البلاد بلاد صور

فأجابه عبد المحسن [من الوافر] :

جزاك الله عن ذا النصح خيراً ... ولكنْ جاء في الزمن الأخيرِ
وقد حدَّتْ لي السّبعون حدّاً ... نهى عما أمرت من المسير
ومذ صارت نفوس الناس حولي ... قصاراً عدت بالأمل القصير

* * *

٢٥ ـ أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي المعروف بأبي الرقعمق

نادرة الزمان، وجملة الإحسان ، وممن تصرف بالشعر الجزل ، في أنواع الجد

---

(١) المنهاض : المقعد.
(٢) العبالة : الضخامة : والمضض : الألم والإرغام.
(٣) رضوى : إسم جبل معروف ، وثبير إسم جبل.
(٤) قلاك : أبغضك.
(٥) إحن الصدور : أحقادها.

والهزل ، وأحرز قصب الفضل ، وهو أحد المداح المجيدين ، والفضلاء المحسنين ، وهو بالشام كابن حجاج بالعراق ، فمن غرر محاسنه قوله يمدح من قصيدة أولها [من الخفيف] :

قد سمعنا مقاله واعتذارهْ ... وأقلناه ذنبه وعثاره[1]
والمعاني لمن عنيت ، ولكن ... بك عرَّضتُ فاسمعي يا جاره
من مراديه أنه أبد الدهـ ... ـر تراه محلّلاً أزراره
عالمٌ أنّه عذابٌ من اللـ ... ـه مباحٌ لأعين النظّاره
هتك الله ستره فلكم هتّـ ... ـك من ذي تستّرٍ أستاره
سحرتني ألحاظه وكذا كـ ... ـلّ مليحٍ لحاظه سحّاره
ما على مؤثر التباعد والإعـ ... ـراض لو آثر الرضى والزياره
وعلى أنّني وإن كان قد عذّ ... ب بالهجر مؤثرٌ إيثاره
لم أزل لا عدمته من حبيبٍ ... أشتهي قربه وآبى نفاره

يقول في مدحها :

لم يدع للعزيز في سائر الأر ... ض عدوّاً إلاّ وأخمد ناره
فلهذا اجتباه دون سواه ... واصطفاه لنفسه واختاره
لم تشيِّدْ له الوزارة مجداً ... لا ولا قيل رفَّعتْ مقداره
بل كساها وقد تخرّمها الدهـ ... ـر جلالاً وبهجةً ونضاره[2]
كلُّ يومٍ له على نُوَبِ الدهـ ... ـر وكرِّ الخطوب بالبذل غاره[3]
ذو يدٍ شأنها الفرار من البخـ ... ـل وفي حومة الوغى كرّاره

---

(1) أقلناه : أعفيناه : والعثار : من التعثر أي السقوط في الخطأ وغيره.
(2) تخرّمها الدهر : ترك بها خروماً.
(3) كرِّ الخطوب : تجدّدها واستمرارها.

هـي فلّتْ عن العـزيز عداه بالعطـايا وكثّـرت أنصاره[1]
هـكذا كلُّ فاضـلٍ يده تمـسي وتضحـي نفّاعـةً ضرّاره
فاستجـره فليس يأمـن إلاّ من تفيًّا بظلّـه واستجاره
فـإذا ما رأيتـه مطرقـاً يُعـمِـل فيما يريده أفكاره
لـم يدع بالـذكاء والذهـن شيئاً في ضمـير الغيوب إلاّ أناره
لا ولا موضعـاً من الأرض إلاّ كان بالـرأي مدركاً أقطاره
زاده الله بسطـةً وكفاه خوفـه من زمانـه وحـذاره[2]

وقوله من أخرى أولها [من الخفيف] :

إنّ ربعـاً عرفتـه مألوفا كان للبيض مربعـاً ومصيفا
غيّرت آيةُ صروف الليالي وغـدا عنـه حسنـه مصروفا
مـا مررنـا عليه إلا وقفنا وأطلنـا شوقـاً إليه الوقوفا
آلفـاً فيه للبـكاء كأنّي لم أكن فيه للغوانـي ألوفا
حاسـداً للجفـون لمّا أزالت في مغـانيه دمعهـا المذروفا
إنّ يعقـوب قد أفـاد وأقنى وأعـاد النـدى وأغنـى الضعيفا[3]
سـلّ سيفـاً من البصيرة والرأ ي فأغنـاه أن يسـلّ السيوفا
بـاذلاً للعـزيز دون حمـاه مهجـةً حرّةً ورأيا حصيفا
لـم تزل دونـه تخـوض المنـايا وتـردُّ الـردى وتلقـى الصفوفا
ناصحـاً مشفقـاً محبّـاً ودوداً قائمـاً في رضـاه صعبـاً عسوفا
ليس يخشـى فساد أمـرٍ تولاه وأضحـى برأيه مكنوفا[4]

---

(١) فلّت : قطّعت.
(٢) البسطة : القوة والهيبة .
(٣) أقنى : أملك واعطى.
(٤) مكنوناً : محاطاً .

مـا رأينـاه قطُّ إلاّ رأينا ... خلقاً طاهـراً وفعـلاً شريفا

ورأينـا قرمـاً كبيراً همـاماً ... منعمـاً مفضـلاً رحيمـاً رؤوفا[1]

لـذّ طعـم العطـاء وهـو إذا جا ... د وأعطـى يرى الـكثير طفيفا[2]

خلـقٌ منـه ـ منـذ كان ـ كريمٌ ... يستلـذُّ النّـدى ويقـري الضيوفا

ويريش الفقير بالبـذل والجو ... د ويعطـي ويسـعف الملهوفا[3]

فأرانـا الإلـه صرف الليالي ... أبـداً عن فنائـه مصروفا

وقوله من أخرى [من المجتث] :

حـيّ الخيام فإنّي ... مغـرى بأهـل الخيامِ

بالـراميـات فؤادي ... بصـائبـات السّهامِ

أسقمتنـي وتألّيـ ... ـن لأشـفين سقامي[4]

أيام وصلـي حرامٌ ... والهجـر غير حـرام

لا عذب الله قلبي ... إلاّ بطـول الغرام

سـقياً لدهـر تولّى ... بشـرّتـي وغـرامي[5]

كأنّمـا ذلك العيـ ... ـش كان في الأحلام

لـم يبـق مـن نرتجيـه ... لـحـادث الأيـام

إلاّ ابـن أحمـد ذو الطو ... ل والأيادي الجسامِ

كفـاه أغـدق جوداً ... من واكفـات الغمامِ

يلقـى العفـاة بوجهٍ ... مستبشـرٍ بسّامِ

---

(١) القرم : السيّد.

(٢) الطفيف : القليل.

(٣) يريش : يقوّي ويغني.

(٤) تألّين : أقسمن ودعون الله.

(٥) الشرّة : حدّة الشباب ونشاطه.

معظّماً ترتجيه للنائبات العظامِ
يرمي الخطوب برأيٍ أمضى من الصمصام
قرمٌ له عزماتٌ تفلُّ حدّ الحسام

وله من أخرى [من المتقارب] :

توهّمت أمراً فلم أنبسِ بحرفٍ وناديت بالأكؤسِ
حميّا كأنَّ سنا نورها سنا بارقٍ لاح في الحندسِ[1]
يعاطيكها رشأٌ طرفُهُ سريعٌ إلى تلف الأنفس
بخدٍّ يروقك توريده وعينٍ تنوب عن النرجسِ

يقول في مدحها :

له قلمٌ أبداً ناطقٌ بأسعد قومٍ وبالأنحسِ
إذا ما انتضاه لأمرٍ رمى به الدّهر عن صائبات القسي[2]
رآه الوزير على غايةٍ من الفضل تعلو على الخنّسِ[3]

ومن أخرى [من الوافر] :

أظنّ ودادها من غير نيّة وهل هي فيه إلاّ مدّعيّهْ
فتاةٌ لا تملُّ عذاب قلبي ولا تخليه وقتاً من أذيّهْ
ولا ذنبٌ له إلا التوافي لمن في الحبٌ ليست بالوفيّهْ
ويعجبني التمنّع والتشاجي من الخود الممنّعة الشجيّه[4]
فوا أسفاً على حرٍّ يعزّي أخا رزءٍ على عظم الرزيهْ[5]

---

(١) الحميّا : الخمر ، والحندس : الظلام.
(٢) انتضاه : استلّه وشهره ، والقسيّ : جمع قوس .
(٣) الخنّس : الكواكب .
(٤) التشاجي : شدّة الشوق والتذكرّ والخود : الفتاة الناعمة .
(٥) الرزية : المصاب.

ومنها[1] :

وذلك أنّ إيري فيه رطلٌ وما في حرّها إلاّ وقيّهْ
ومن بعث المدام فليس بدٌّ ولاتك غير بكرٍ بابليّهْ
فثمّ هناك حرٌّ شافعيٌّ عظيم الشأن واستٌ مالكيّهْ
ونفسي غير مائلةٍ إليها لأحوالٍ مقبّحةٍ بذيّهْ
أحبُّ دنوّها وتحبُّ قربي وهذا لا يكون بلا بليّهْ
وما لاقيتها إلاّ تلاقى مبالانا بإسقاط التقيّهْ
وهذا الرأي لا رأيٌ سواهُ فلا تحفل بأقوال الرعيّهْ
ولا عيشٌ سوى تقليب بظرٍ وثقبٍ من صبيٍّ أو صبيّهْ
على أنّي أقول بكلّ شيءٍ سوى نيك العجوز القذمليّهْ[2]
ولا ألوي على أحدٍ يراني بعين النقص والحال الدنيّهْ
ومن نال العلاء حجاً ومجداً وأفعالاً مهذّبةً سنيّهْ[3]
تشابه خلقه والخلق حسناً وحسبك بالنّفاسة والسجيّهْ
تشاهد منه طوداً مشمخرّاً وأفعال الملوك الكسرويه
له الأقلام كيف يشاء تجري بتأييد القضاء بالمشيّة
كأنّ اللفظ في القرطاس زهرٌ تفتّح عن معانٍ معنويّهْ

ومن أخرى [من البسيط] :

كفّي ملامك يا ذات الملاماتِ فما أريد بديلاً بالرّقاعاتِ

---

(١) لم نشأ أن نحذف شيئاً ممّا في هذا الكتاب من المجون ـ كما يفعل بعض الناشرين ، تحرّجاً منهم وتأثماً كما يزعمون، وحرصاً على مكارم الأخلاق لأنّا لا نؤلّف ، وإنّما نحقق نصاً قيدّه صاحبه في زمنٍ كان الناس فيه أشدّ تحرّجاً من هذا الزمن الذي نعيش فيه ، ولأنّا نرى من حقنا ان نتصرّف في كتب الناس ثم نبقيها منسوبة إليهم . . .

(٢) القذملية : الواسعة .

(٣) الحجى : العقل والرأي .

كأننـي وجنـود الصفـع تتبعني ... وقـد تولـت مزامير الرطانات[1]
قسيس دير تلا مزمـاره سحراً ... علـى القسـوس بتـرجيع ورنّات
وقـد مجنتُ وعلّمـت المجـون فما ... أدعـي بشـيء سوى ربُّ المجانات
وذاك أنـي رأيت العقـل مطّرحاً ... فجئـت أهـل زمانـي بالحمـاقات
إنـي سأدخـل عذّالـي علـى عذل ... في الحـبّ أن عذلوني في الحرامات
أفـدي الـذين نأوا والـدار دانيةٌ ... وشتّتـوا بالجفـا شمـل المودات
كم قد نتفـت سبالـي في صدودهم ... والصـدّ أصعـب من نتف السبالات[2]
سقياً ورعياً لأيّام لنـا سلفتْ ... بالقفص قصّرهـا طيب اللذاذات
إذا لا أروح ولا أغـدو إلـى وطن ... إلاّ إلـى ربـع خمّـار وحانات
أيام أسحـب أذيال الهـوى مرحاً ... مصرّعـاً بين سكرات ونشوات
عوّضـت منهـن أحزانـا تؤرّقني ... بعـد السـرور وفرحـات بترحات
لولا عذارٌ تعالـى كيف صوّره ... ربُّ العبـاد لتعذيبـي وحسراتي
كأنّـه مِشقـةٌ من خدٍّ من شقيت ... روحـي بهجرانـه أو عطف نونات[3]
لمـا حللـت بدارٍ مالهـا أحدٌ ... إلاّ أنـاسٌ تواصـوا بالخساسات
لو كنـت بين كرام ما تهضّمني ... دهـرٌ أناخ علـى أهـل المروءات[4]

ومنها :

لو نيل بالمجـد في العلياء منزلةٌ ... لنـال بالمجـد أعنـان السموات
يرمـي الخطـوب برأيٍ يستضـاء به ... إذا دجـا الـرأي من أهـل البصيرات
فليس تلقـاه إلاّ عنـد عارفةٍ ... أو واقفـاً في صدور السّمهريّات[5]

---

(١) الرطانة : الكلام الأعجمي.
(٢) السبال : الشارب.
(٣) المشقة : طول ورقّة في الخد.
(٤) تهضّمني : أنقصني حقوقي ـ ظلمني.
(٥) السمهري : الرمح.

يا من غدت أوجـه الأيام مشرقةً بجـوده مستهلاتٍ منيراتِ
مالـي بلا سبـب غودرت مطّرحاً وقـد حرمـت عطـاياك الجزيلاتِ
ولـي مدائـح قدمـاً فيك سائرةٌ مستطرفـاتٌ بألفـاظٍ طريفاتِ

ومن أخرى [من البسيط] :

كلٌّ بشعـريَ مفتـونٌ ومشغوفُ وجيّد الشعـر منعـوتٌ وموصوفُ
كلفـت من أمرهـم ما لا أقـوم به ومـن يقـوم بأمـرٍ فيه تكليفُ
لأنتفـن سبالـي طاعـةً لهمُ والذّقـن إن دام ذا الإعـراض منتوفُ
أمسي وأصبـح مجفـوّاً ومطّرحاً هذا ورأسـي ومـا والاه مكشوفُ
وبي وعنـدي وفي ملـكي ولا رزقوا رزقي قذالٌ أصـمٌّ السمـع مكفوفُ[1]
من تلك أقفية القـوم الكشاخنـة الـ ـفـدم الـذين لهـم منهـا مجاديفُ[2]
مفوّقـات بتنفيـشٍ وأطبعها لا شكّ ما فيه تنفيشٌ وتفويفُ
معطوفـةٌ وبنفسـي يا ابـن أمّ قفا علـى الأخـادع مثنـيٌّ ومعطوفُ
كـم قاتـلٍ ويداه في أطايبه وطيِّب الشـيء مجنـيٌّ ومقطوفُ
فإن يكن ذا فلا غروٌ ولا حرجٌ فللّيالـي ولـلأيّام تصريفُ
هذا الـذي من رآه دون ملمسه لم يأكل اللحـم إلاّ وهـو معلوف
ولـم يمـدّ إلـى رأسٍ علـى طربٍ يديه إلاّ وفـي اليمنـى تطاريفُ[3]
بينـا يرى الشـوب منشـوراً بلا سببٍ حتـى يرى وهـو بعـد النشـر ملفوفُ
فكم ألام ؟ وكم ألحى ؟ وهل حمقي إلاّ نتيجـة رأسٍ فيه تخفيف ؟[4]
ألِفتـهُ حسـب مالـي من محبّته دون البـرية والمحبـوب مألوفُ

---

(١) القذال: القفا.
(٢) الكشاخنة : الفسدة والفسقة والفـدم الأحمق الغليظ.
(٣) التطاريف : من الأطراف.
(٤) ألحى : ألام .

إلف المكارم والجدوى فتىً أسدٌ		محمدٌ خير من ناداه ملهوفُ
حرٌّ إذا ذكر الأحرار مشتملٌ		على السّماح ببذل العرف معروفُ
بمثله يدفع الخطب الجليل إذا		تصرّفت ببني الدّنيا تصاريفُ
ندبٌ نماه كرام سادةٌ نجبٌ		شمّ الأنوف بها ليلٌ غطاريفُ[1]
تحصى النجوم ولا تحصى فضائله		ولا يحيط بها وصفٌ وتكييفُ

ومن أخرى [من الهزج] :

لمن أمدح بالشعرِ ؟		لمن أقصد ؟ لا أدري !
إلى من إنْ دجا خطبٌ		ونابت نوب الدّهرِ
فقد والشفع والوتر		ومن أقسم بالفجرِ
تحيّرت فما أدري الـ		ـذي أصنع في أمري
على أنّيَ بالدّهـ		ـر وبالأيام ذو خبرِ
ولكنّيَ للحير		ة سكرانٌ بلا سكرِ
كأني لست مخلوقاً		لغير الجهد والضرّ
ومذ كنت فمدفوعٌ		إلى الفاقة والفقرِ
فما أصنع في مصر		إذا لم أحظ في مصرِ؟
وفي الآفاق أقوامٌ		يميلون إلى شعري
ونبّئت بأنّ القو		م لا يخلون من ذكري
ففيم الترك للسير؟		وهل في ذاك من عذرِ؟
وقد قدّمت أثقالي		وسيري غرّة الشهرِ
فأمّا أكثر الحمقِ		فقد سيّرت في البحر
وباقيه معي يذهـ		ـب في البرّ على ظهري

(١) الندب : السريع الى الفضائل والبهاليل : جمع بهلول، وهو السيد المحبّ للخير وكثيرة والغطاريف : جمع غطريف وهو الفتى الجميل.

ولا أتــرك في مصر لذكر الحمــق من أثرِ
فمــن بعــدي ليطبيــه في النظم وفـي النثر؟[1]
ومــن يلعــب في الرأس من العصــر إلــى العصر؟
ومَــنْ مِنْ شدّة الصفع له رأسٌ بلا شعر؟
ومــن هامتُــهُ أقوى علـى الصّفـع من الصخرِ؟
ومــن يضــرطُ في الذّقن بلا كيلٍ ولا حزر؟[2]
ومــن ينتف بالدّبق سبــالاتِ بنــي البظر؟[3]
ولكنّــيَ لا كنت لمــا فيَّ من الكبرِ
إذا أمْرانــيَ الصّفع تجشّــأت من الدّبرِ[4]
وهيهــات ترى صفعاً لغيري أبــداً يمري

ومنها :

ألا يا منتهــى الجود ويا ذا المجــد والفخر
ويا ابــن السّــادة الغر ويا ابــن الأنجــم الزهر
ويا أبهــى من الشمس ضياءً ومــن البدرِ
لمــاذا أنــت لا تعدي علــى الأيّام والدّهر؟
همــامٌ طاهــر الذّيلِ سليل السّــادة الغرِّ
كريم الأصــل والخيم رحيب البــاع والصدر[5]
جــوادٌ غير مدفوعٍ عن الإفضــال والبرِّ

(١) أطباه : دعاه .
(٢) الخرر : المقدار والمعرفة.
(٣) سبالات بني البظر : أي شعر العانة.
(٤) أمراني : يقال أمري الدَم: استخرجه وربما الصفع أمرى دموعه.
(٥) الخيم : السجايا.

ومـــا زال إلـــى كلٍّ له عارفـــةٌ تسري[1]
لقـــد عمّـــت أياديه جميع البـــدو والحضر

ومن أخرى [من المديد] :

عجـــبٌ ما مثلـــه عجبُ فعلـــوا بي غير ما يجبُ
قرقـــرت بطنـــي فواحزني ذقن من بالسّلح يختضب[2]
هربـــاً من شرّهـــا هرباً فعســـى أن ينفـــع الهَرَبُ
ذهـــب النّـــاس فمـــا أحدٌ يشتهـــي أن تنفـــخ القربُ
حزَنـــي أنّـــيَ مذْ زمنٍ ما لعبنـــاه ولا لعبوا
ولـــكم بتنـــا علـــى طربٍ ورؤوس القـــوم تستلب
وكؤوس الصفـــع دائرةٌ ملؤهـــا اللّـــذات والطّربُ
وانتخبناهـــا وهامهمُ وأكفٌّ القـــوم تصطخبُ
وكأنّ الصفـــع بينهمُ شعـــلُ النّيران تلتهبُ
والعمـــى منهـــم وإن شغلوا عنـــه باللّـــذات مقتربُ
ســـوف يدرون أيمـــا رجلٍ ضيّعـــوا منـــي إذا طربوا
بسيوفٍ شركهـــا أدمٌ مرهفـــاتٍ للعمـــى سببٌ[3]
وعجيبٌ والحسين له راحـــةٌ بالجـــود تنسكب
أنّ شربـــي عنـــده رنقٌ ولـــديه مربعـــي جدب[4]
ولـــه الـــورْدُ المعـــاذ به والجناب الممرع الخصب

---

(١) العارفة : النوال والفضل.
(٢) القرقرة : أصوات الريح في البطن.
(٣) الشرك : ما ينصب من الحبال ليصطاد به.
(٤) الرنق : الكدر.

وهـو الغيث الملـثّ إذا أعوزتنـا درّهـا السُّحب[1]
وإلـى الرسّـيّ ملجؤنا من صروف الدهـر والهربُ
سيدٌ شادت علاه له في العـلا آبـاؤه النجبُ
ولـه بيتٌ تمـدّ له فوق مجرى الأنجم الطنب[2]
حسبـه بالمصطفـى شرفاً وعلـيٍّ حين ينتسبُ
رتبـةٌ في العـزّ شامخةٌ قصّـرت عن نيلهـا الرتبُ
ذاك فخـرٌ ليس تنكره لكُمُ عجْـمٌ ولا عرب
ولأنتـم من بفضلهمِ جاءت الأخبـار والكتب
وإليكم كلّ منقبةٍ في الورى تعزي وتنتسب[3]
وبـكمْ في كلّ معركةٍ تفخـر الهنـديّةُ القُضُبُ[4]
وبـكمْ في كلّ عارفةٍ ترفـع الأستـار والحجب
وإذا سمـر القنـا اشتجرت فبـكم تستـكشف الكُرَبُ[5]

وقوله من قصيدة في الرسّي أولها [من مجزوء الرمل] :

بـاح وجـداً بهواه حين لم يعـط مناهُ
مغـرمٌ أغـرى به السّقـم فمـا يرجـى شفاهُ
كاد يخفيه نحـول الـ ـجسـم حتـى لا تراهُ
لـو ضنـاً يخفـى عن العيـنِ لأخفـاه ضناهُ

ومنها :

حبّـذا الرسّـيُّ مولىً رضـيَ النّـاس ولاهُ

---

(١) الغيث الملثّ: المطر الهاطل والدرّ : يعني به مطر السحاب.
(٢) الطنب : الحبال .
(٣) المنقبة : المأثرة.
(٤) الهنديّة القضب : السيوف القاطعة المنسوبة الى الهند.
(٥) اشتجرت : تداخلت وتشابكت في العراك.

جعـل الله أعاديـــــه من الســوء فداهُ
فلقــد أيقــن بالثر وة من حلّ ذراهُ
مــن رقــى حتــى تناهى في المعالــي مرتقاه
فــات أن يبلــغ في السؤ دد والمجــد مداهُ
ملكٌ مذ كان بالسطـــــوة ممنــوعٌ حماهُ
بحــر جودٍ ليس يُدْرَى أين منــه منتهاهُ
لــم يضــع من كان إبرا هيمُ في النــاس رجاهُ
لا ولا يفــرق من صر ف زمــان إن عراه[1]
مـن به استكفــى أذى الأيّـــــام والدّهــرِ كفاهُ
كيف لا أمــدح من لم يخــلُ خلــقٌ من نداهُ

وقوله من أخرى يقول فيها [من مجزوء الرمل] :

لــو برجلــي ما برأسي لم أبــت إلاّ بنجدِ
خفّــةٌ ليســت لغيري لا أرانــي الله فقدي
ومحــالٌ أن يرى مثــــلــيَ أو يبصــرَ بعدي
رجــلٌ لا يضــرط الضّر طة إلاّ بعــد جهدِ
فلــذا الأمــر تــراه يأكل التّمــر بزبدِ
غير أنّــي قيل عنّي إنّنــي مغــرىً بدعدِ
وبليلــي وبسلمي وبســعــدى وبهندِ
ثــم لا أملك شيئاً غير سنّــورٍ وخلدِ[2]
وحماقــاتٍ وعمري إنّ لي رأســاً مرندي[3]

---

(١) يفرق : يخاف ، وعراه : أصابه وحلّ به .
(٢) السنّور : الهرّ ، والخلد : حيوان يشبه الجردون يعيش داخل الأرض ويتخذ له فيها طرقاً عدّة .
(٣) المرندي : الصلب والقوي التحمُّل .

أصبـر الأرؤس في صفـــعٍ بلا حزرٍ وعدّ

ومنها :

خلقـت كفّـاه من جو دٍ لراجيه ورفدِ
مـوردٌ يورِد راجيــــه إلـى أعـذب وِردِ
لا خلا من منَّـةٍ منــــه إلـى الأحـرار يسدي[1]
فهـو القائـم بالحـــقّ وموفـي كلّ عهدِ

ومن أخرى [من البسيط] :

قلبـي لك الخير بالأفـراح معمورُ مستبشـرٌ جذلٌ بالفتـح مسرورُ

يقول فيها :

خذ في هناتـك ممّـا قد عرفـت به ممّـا به أنـت معـروفٌ ومشهور[2]

واحـك العصـافير صي صي صي صصي صصصي
إذا تجاوبـن في الصبـح العصافير
ففيك ما شئت من حمقٍ ومـن هوسٍ قليلـهُ لكثيرِ الحمـق إكسير[3]
كم رام إدراكه قومٌ فأعجزهمْ وكيـف يُدْرَكُ ما فيه قناطيرُ
لا تنـكرنّ حماقاتـي لأنَّ بها لواء حمقـيَ في الآفـاق منشورُ
ولسـت أبغـي بهـا خلاً ولا بدلاً هيهـات غيري بتـرك الحمـق معذور
لا عيب فيَّ سوى إنّـي إذا طربوا وقـد حضـرت يرى في الـرأس تفجير

---

(١) يسري : يقدّم ويتكرّم.
(٢) الهناة : الدّهاء .
(٣) الإكسير : ما يلقى على الفضة أو نحوه فيحوّله إلى ذهب خالص ، وذلك من خرافات أصحاب الكيمياء القديمة .

والأخدعــانِ فمــا زالا يُرى بهما لكثـرة المـزح توريمٌ وتحمير[1]
وذا الفعــال مع الإعــراض مطّردٌ صفـعٌ ونقـعٌ وتيسيرٌ وتعسير
فذا وذاك وهــذا ثم ذاك وذا كذا الليالــي لهــا صفــوٌ وتكدير
أستغفــر الله ممّــا قلتــه عبثاً لغير شيءٍ وما في الصّــحف مسطور
أقــول للنفس لمــا استشْعَــرَتْ جزعاً وبــات يردعها خوفٌ وتحذير
إنّ الإمــام نزاراً مدحــه فثقي ذخــرٌ لمثلك عنــد الله مذخور
هو الــذي ليس بعــد الله من أحدٍ سواه في النــاس محمــودٌ ومشكور
مشمــرٌ في المعالــي ذيل مجتهدٍ ومالــه في سوى العلياء تشمير[2]

ومن أخرى [من الوافر]:

أترضــى بالتخلّف والتــواني على ضربِ اللّجاجــة والحــرانِ؟[3]
ومــا أنــا والأحــاديث اللواتي تزهــد في المثالــث والمثاني ؟
ألا طربــت إلــى النشــوات نفسي وتقــت إلــى معتّقــةِ الــدّنان[4]
كمــا طربــت أبــاريق النــدامى إلــى أصــوات قهقهــة القناني
ويومــك إذ تطــوف بــه فتاةٌ علــى الخدّين منهــا وردتــان
مهفهفــة القــوامِ إذا تثنّــتْ تثنّــتْ كــالقضيب الخيزران[5]
ولــم أر قبلهــا شمســاً تبدّت ولا قمــراً بــأعلــى غصــن بــان
لحــاه الله من شيخٍ ضــروطٍ ضجيجُ ضــراطــه بالنهروان
ولــكن رأســه جــلْــدٌ جليدٌ صبــورٌ عنــد مختلف الطعــان

---

(١) الأخدعان : عرقان في العنق .
(٢) مشمّر : متأهّب .
(٣) الحران : العناد .
(٤) تقــت : اشتقت .
(٥) تثنّت : تمايلت .

ولم أر قبله رأساً سواه   غدا وقفاً على حربٍ عوان[1]
ولا سيْما إذا الأيدي توالتْ   عليه والتقت حلق البطان[2]

ومنها :

إلى من راحتهاه ندىً وجودٌ   علينا بالمواهب ثرّتان[3]
كريمٌ لا يدافع عن سماحٍ   جوادٌ ماله في الجود ثان
تناهت عنده الآمال لمّا   غدا أقصى النهاية في الأماني

ومن أخرى [من مجزء الرمل]

كلُّ يومٍ أنا من إيري   في أمرٍ عجاب
ليس يخليني من همٍّ   وحزنٍ واكتئاب
لم يدعْ لي ذهباً إلاّ   رماه بالذهاب
وابتدى المشؤوم أن يعـ   مل في امر التّباب[4]
هل مجيرٌ ليَ منهُ   أهلَ ودّي وصحابي
أو وإلاّ تبت والرحـ   من من لعب الكعاب
أنا مبلي من بلايا   هُ بنصبٍ وعذاب
أنا لولاه لألفيـ   ت قليل الاضطرابِ
وتجزّيت بنزرٍ   من طعام وشرابِ
ولما طال انتزاحي   عن بلادي واغترابي[5]
لعنة اللّهِ عليه   وبراغيثُ الكلاب

---

(١) الحرب العوان : الحرب الضّروس المتابعة .
(٢) حلق البطان : أي بطون الأكف .
(٣) الثرّة : المنعمة بالخير الكثير .
(٤) التباب : الهلاك والخسران .
(٥) الانتزاح : الابتعاد .

فَلَكَمْ أوقفني موقف خزيٍ واكتئاب
ولكم أغلقت باباً من هواه دون باب
ربٌّ قد أبليتني منه بمعتوهٍ مصاب
عينه في كلٍّ من دبٍّ على وجه التراب
ثم لا يرضيه منه غير دبرٍ مستطاب

ومنها :

وبإحسان تميمٍ عُذْتُ من عُظْمِ مصابي[1]
بالأمير السيِّد الماجد والقرم اللّباب[2]
والهمام المنعم المفضل والبحر العباب
والذي لا فرق ما بين جداهُ والسّحاب[3]
تنثني منه الى ذي كَرَمٍ رحبِ الجناب
رافعٍ دون بني الآمال أستار الحجاب
لم أزره قطُّ إلاَّ بتُّ محمود الإياب
ذكره أعذب في الانفس من ذكر الشباب
ولقد رقَّ عن الماء وعن طبع الشراب
أكثمٌ في الرأي والفضل وقسٌّ في الخطاب[4]

وقوله [من الكامل]:

كتب الحصير إلى السريرِ أنّ الفصيل ابن البعيرِ

---

(١) عذتُ : احتميت .
(٢) القرم : السيد ، واللّباب : الخالص من كلّ شيء .
(٣) جداه : تفضّله وكرمه .
(٤) أكثم : هو أكثم بن صيفي حكيم العرب وقس : هو قسّ بن ساعدة خطيبهم .

فلمثلهـا طرب الأميـــر إلـى طباهجــةِ بقيرِ[1]
فلأمنعــنَّ حمــارتي سنتين من علف الشعيرِ
لا همَّ إلاّ أن تطيـــر من الهـزال مع الطيورِ
فلأخبرنّــك قصّتي فلقـد وقعـت علـى الخبير
إنّ الـذين تصافعوا بالقـرع في زمـنِ القشور
أسفـوا علـيَّ لأنّهمُ حضـروا ولـم أكُ في الحَضورِ
لـو كنـت ثمَّ لقيل : هلْ من آخـذٍ بيد الضّريرِ؟
ولقـد دخلـت علـى الصديـــق البيت في اليوم المطير
متشمّـراً متبختراً للصفـع بالـدّلـو الكبيرِ
فـأدرت حين تبادروا دلـوي فكان عمـى المدير
ياللـرجـال تصـافعـوا فالصفـع مفتـاح السـرور
لا تغفـلـوه فإنّهُ يستـلُّ أحقـاد الصدور
هـو في المجـالس كالبخو ر فـلا تملّـوا من بخور
ولأذكرنّ إذا ذكـر ت أحبتّـي وقـت السحور
ولأحـزنـنّ لأنّهـمْ لمّـا دنا نَضْـجُ القدور
رحلـوا وقـد خبـزوا الفطيـــر ففاتهـم أكلُ الفطير
لا والـذي نطـق النبـــيُّ بفضلـه يوم الغدير
مـا للإمـام أبـي علــــيٍّ في البـرّية من نظير

وله من أخرى أولها [من المتقارب]:

سـلامٌ على الربـع ربـع الجدا سلامٌ علـى تمـره واللّبا[2]

---

(١) طباهجة : اللحم المشرّح ، بقير : مقطّع ومشقّق .
(٢) اللّبا : أوّل اللبن عند الولادة .

سـلامٌ عليه سلام امرىءٍ ... معنًّـى بتـذكار ما قد مضى[1]
سـلامٌ عليه فكمْ موقفٍ ... وقفنـاه فيه نذير الدّلا
لعهـديَ فيه شيوخٌ لنا ... غلاظ الرّقـاب عراض اللحى
إذا ما قبضـت علـى لحيةٍ ... ونـاديت بطنـي أجـاب الخرا
وكنّـا من الظّـرف لو أنّنا ... أقمنـا نصافـع شهـراً ولا
نعيب الوفـاء ولهفـي على ... أخـادع من لا يعيب الوفا
ولا عذر ألاّ أدير اللّطام ... إذا الصفـع دار وكلّـي قفا
وقـد كنـت تبـت ولكنّني ... إذا الصفـع دار أتانـي الجشا
فـلا تتـرك الصفـع جهـلاً به ... فمـا أطيب الصّفـع لولا العمى
ومالـي أكاتمـكمْ قصّتي ... رأضـرب بالطبـل تحـت الكسا
إذا كان في الصيف لي جنّةٌ ... لأيّةِ حالٍ أذمُّ الفِرا[2]
ولـم أكسـبِ الحمـق لكنّني ... خلقـت رقيعـاً كمـا قد ترى
لقـد فقـت فيه كمـا الفارسـيُّ في الرّمـي فاق جميع الورى
كأنّ البنـادق طوعٌ لهُ ... فهـنّ يصبـن له ما اشتهى
إذا ما رمـى طائـراً حطّهُ ... ولـو أنّـه بمـكان السُّها[3]
فيالك من موقفٍ مبهجٍ ... عجيبٍ ومـن منظـرٍ مُشتهى
فعيد الـطيور به مأتمٌ ... وأضيافـه عنـده في القِرى

ومن أخرى [من مخلع البسيط]:

عـاذلِ كمْ فيه تعذليني ... وكمْ إلـى كم تؤنبيني
لـو بك ما بي من التصابي ... لكنـت لاشـك تعذريني

---

(١) معنّى : مولعٌ ومغرم ومُشقى .
(٢) الفرا : يعني الفراء .
(٣) السّها : النجوم .

إنّ الـــذي قد أذاب جسمي ... بالثّغــر والجيد والجفونِ
بـــدر تمـــامٍ علـــى قضيبٍ ... ركّبَ من نغمـــةٍ ولين
مـــا شئـــت من نرجسٍ جنيٍّ ... غضٍ وورد وياسمين
عينـــاه تسطـــو علـــى فؤادي ... والمـــوت في سطـــوة العيون

ومنها :

فـــأطيب العيش كان عندي ... أيّام للفســـق قلّدوني
وكنـــت طبّـــاً به بصيراً ... وأقـــودُ النّـــاس في سكونِ[1]
فـــكم غزالٍ أخـــذت قسراً ... وكم مليحٍ حوت يميني
والنـــاس يسعـــون نحـــو داري ... من كلٍّ أرضٍ ويقصدوني
فـــذا يوافـــي بثـــوب خزٍّ ... وذا يوافـــي بثـــوب توني[2]
وذا يفـــدّي وذاك يهدي ... وذاك يمضـــي وذا يجيني
وكلٌّ علـــقٍ الـــى مراحي ... أهـــدى من الـــطير للوكون[3]
وكان خلقـــي لهـــم رضيّاً ... أصفعهـــم ثم يصفعوني
قـــد أجمـــع النـــاس أنّ حمقي ... أحســـن من عفتـــي وديني
قـــد عشـــت دهـــراً أعـــول عقلي ... والنّـــاس إذ ذاك يبعدوني
فمـــذ تحامقـــت قد كساني ... حمقـــي وقـــد عالنـــي جنوني
ومـــن بلائـــي أبـــو عميرٍ ... معـــرّضٌ لي إلـــى المنون
منتصـــبٌ ما ينـــام وقتاً ... وليس يهـــدى من الرنين
مـــن كان ذا زوجـــةٍ فإنّي ... لشقوتـــي زوجتـــي يميني
عميرةٌ قد جلـــدت حتى ... خشيت والله يجلدوني

---

(١) طبّاً : عالماً .
(٢) التوني : نوع من الحرير .
(٣) الوكون : أعشاش الطيور .

فراقبـوا الله في أموري فطلقوهـا وزوجوني

ومن أخرى [من السريع]:

يا أهـل ذا المنـزل هل حيلةٌ تنجـي فمـن ظبيكمْ مُعطبي
عقـرب صدغيه فقلبـي إذا همّ توقّى لـدغـة العقرب
وكلّمـا لاحظنـي طرفه لاحظنـي عن مقلـة الرّبرب
يبسـم إنّ ناولنـي ثغرَهُ عن ذي غروبٍ واضـح أشنب[1]
أنجبـت في الحمـق وهـل فاضلٌ كنـاقصٍ في الحمـق لم ينجبِ
لو علمـوا مالـيَ من لذّةٍ لم ألـحَ في الحمـق ولـم أعتب[2]
أعتبنـي الدهـر ولـولا الذي عمّ الـورى بالبـذل لم يعتب
لمـا رأى الآمـال مصروفةً إلـى السّـديد ابـن أبـي الطيب
فارقنـي من شرّه صاحبٌ كان لعمـري شرٌّ مستصْحَبِ
هنـاك لـو تبصرنـي تائهاً علـى بنـي الدهـر تعلّقـت بي
تطلـب منّـي نائـلاً بعـد أن كنـت أرى الـرّزق مع الكوكب
كذاك من صاحـبٍ من لم يزلْ ربّ جنـابٍ ممـرعٍ مخصب
أكرمُ مـن جـاد فمـا بعدَهُ لطالبـيْ جدواه من مطلب
أوّل من يثنـي به خنصرٌ وأصفـح النفس عن المذنب
مهـذب الآراء محمودها مفضّـلٌ في الشـرق والمغرب
لا فرق عنـدي بين أقلامه وبين فعـل الصـارم المقضب
ما استلّهـا إلاّ أذلّـتْ لهُ من الأعـادي كلٌّ مستصعب

---

(١) عن ذي غروب أشنب : يقصد الرضابَ البارد .
(٢) ألحى : ألام .

ومن أخرى [من المجتث] :

إنّي ليرتاح قلبي إلى اصطحاب المثاني
بحيث تنفي همومي معتّقاتُ الدِّنان
مع شادنٍ ذي دلالٍ مهفهفٍ فتّانِ
يرنو إليَّ بطرفٍ وناظرٍ وسْنان[1]
أعار حسن التثنّي تثنّي الأغصان
إذا تبسّم تيهاً يفترُّ عن أقحوان
لأسخطنَّ عذولي فيه بخلع العنان
فقمْ رفيقي فاحثثْ كؤوسنا غير واني[2]
وهاتها كسنا البر ق لاح من نعمان
صفراء ممّا اقتناها كسرى أنو شروان
صفت ورقّت ففاتت إدراكها بالعيان
فليس تدرك بالحسِّ لا ولا الأذهان
روحٌ من الراح لكنّها بلا جثمان
فالريحُ للمسك منها واللون للزعفرانِ[3]

يقول في مدحها :

من قال من غير خيْرٍ بأن في الناس ثاني
لسؤدد ابني عليٍّ قد جاء بالبهتان[4]
يداهما بالعطايا وبالنّدى ثرّتان

---

(١) يرنو : ينظر ، والوسنان : الناعس .

(٢) فاحثث : أسرع وعجّل ، والواني : المبطىء .

(٣) الزعفران : نبات له أصل كالبصل زهره أحمر إلى الصفرة .

(٤) البهتان : الزور والكذب .

ومن أخرى [من مجزوء الرومل :

ربَّ يومٍ قد قطعنا ه حديثاً وعتابا
وجمعنا بين خمرين مداماً ورضابا
وشفينا غلَّة النَّفس دنوّاً واقترابا
وترشّفت على شو ق ثناياه العذابا
وسألنا ذلك الشي ء جهاراً فأجابا

يقول في مدحها :

ورحلنا نطلب السّيد والقرم اللبابا[1]
فرأينا العزّ والثر وة والبحر والعبابا
ورأينا أفضل النا س وأحلامهم خطابا
يقظاً يدرك بالفطنة ما فات وغابا
هذّبته فطنةُ العلم فما يخشى معابا
عرف اللّذة للبذ ل فأعطى وأثابا
وإذا ما كَرُمَ الأصل زكا الفرع وطابا

ومن أخرى يقول فيها [من مجزوء الرجز]:

كأنّما عذاره سطرا سوادٍ في يققْ[2]
كأنّما رضابه خمرٌ بمسكٍ قد فتِقْ

ومنها :

إنّ نكته فاستمعنْ نصحك من خلٍّ شفقْ

(١) اللباب : الخالص من كلّ شيء .
(٢) اليقق : الشديد البياض .

كنْ حذراً كن حذراً كن حذراً من الغرق
لأنّـه من سعةٍ يصلـح للبحـر طبق
انْ قلـت إنّـي حسنٌ والحسـن منّـي مسترق
قلنـا مقـالاً بيِّناً لا كـذبـاً ولا خـرق[1]
كلُّ امـرءٍ صوَّره خـالقـه كمـا اتفـق
كنْ غُصُنـاً كـن قمراً كن شمس دجـنٍ في الأفق[2]
كن يوسف الحسـن الذي من طينـة الحسـن خلق
هـل أنـت إلاّ خلقٌ زدت علـى كلٍّ خلق
يا أيهـا العلـق الذي فقحتـه بلا غلق[3]
خانـك في الـودّ الذي بودِّه كنـت تثق

ومن أخرى [من المتقارب]:

خليلـيَّ من عامـرٍ اسعدا علـى الشّـوق خلاًّ بلا مسعدِ
قفـا وقفـةً بربـوع الحمى فلـولا الوفـا لهـوى الخرَّدِ[4]
لمـا عجـتُ بالـركب مستنجداً دموعـي علـى الـطلل الملبد
معاهـدُ لهـوٍ كأنّ الهوى بهـا بعـد زينـب لم يعهد
فسبحـان من جعـل المكرمات جميعـا بكفٍّ أبـي أحمد
وقـال له كن كمـا تشتهي فكان النهـاية في السؤدد
وهـل غيره أحـدٌ يرتجى ويعـدى علـى الزمـن المعتدي

(١) الخرق : الجهل والطيش .
(٢) الدجن : الغيم الكثير المظلم .
(٣) العِلق : المخنّث ، والفقحة : فتحة المخرج .
(٤) الخرّد : الناعمات من النساء .

ومن اخرى [من مجزوء الرمل]:

عدِّ عن قالٍ وقيلٍ وصعودٍ ونزولِ
حصحص الحق فما [ذا] شئتِ من قولٍ فقولي
غير أنّي أقبل النا س لشيء مستحيل
فاسمعن منّي ودعني من كثيرٍ وقليل
وصغيرٍ وكبيرٍ ودقيقٍ وجليل
قد ربحنا بالحماقا ت على اهل العقول
فرعى الله ويبقى كلُّ ذي عقلٍ قليل
ما له في الحمق والخفّة مثلي من عديل[1]
فمتى أذكر قالوا شيخنا طبلُ الطبول
شيخنا شيخٌ ولكنْ ليس بالشّيخ النبيل
طالما نادى نداما ه إلى شرب الشمول[2]
قائلاً بالشادن الأغيد ذي الطّرف الكحيل
أطرب الناس إذا غنّى على ثاني الثقيل
قفْ على المنزل بالنحتين فالرسم المحيل
وقفةَ الواله للتسآل ما بين الطلول
أهملنْ دمعك فالرا حة في الدمع المهمول
عدِّ عما أنت فيه من محالٍ وفضول[3]
واصرف المدح إلى ذي الطّول والفعل الجميل[4]

---

(١) العديل : المثيل .

(٢) الشمول : الراح .

(٣) عدِّ : تجاوز .

(٤) ذي الطول : ذي القوّة والبأس .

الـذي ذكراه في كـــل محـلٍّ وقبيلِ[1]
ذي يدٍ بالجـود أندى من ندى الغيث الهطولِ
لـم يكنْ قطّ لراجيــــه سوى سمحٍ منيل
أسمـح الأمّة بالما ل وبالنَّيل الجزيل
وإذا ما سيل الفي بالنّـدى غير بخيل
لـم يزلْ يذخـر للحا دث والخطب الجليل
نـاهضٌ إذْ عجـز الأقــوام بالعـبء الثقيل
ليس يصغي في المقالا تِ إلـى عذل العذول
وإذا ما قال قولاً لم يكنْ غير فعول
ولقـد عزّت به الآ داب من بعـد الخمول

ومن أخرى في الرثاء [من الوافر] :

لعمـرك إنّـه رزءٌ عظيم وخطـبٌ أمـره جللٌ جسيم
رزئنـا من صلاة الله تترى عليه ما دجـا ليلٌ بهيم
ومـا أطّـت إلـى البيت المطايا وما طلعت على الأرض النجوم[2]
لعمـرك ما المصـاب به خصوصٌ ولـكنّ المصـاب به عموم
سقـى جدثـاً به حمّـاد أضحى من الوسمـيّ هطـالٌ سجوم[3]
ففيه المجـد أمسـى والمعالي وفيه العـزّ والفخـر القديم
أبعـد وفاتـه يدعـى همامٌ لخطـبٍ أو يقـال بقـي كريم
كأنّـا يوم مَنْعَـاهُ إلينا وقـد فتـكت بأنفسنـا الهموم[4]

(١) القبيل : الجماعة .
(٢) أطّت : سارت وشقت الأرض .
(٣) الجدث : القبر ، والوسمي : مطر الربيع والساجم : اللامنقطع .
(٤) منعاه : من النعي ، وهو نبأ الوفاة .

ثـواكل حزنهـنّ علـى الليالي ... وإن قدم المـدى حزنٌ مقيم
وكان ربيعنـا في كلِّ محلٍ ... إذا ضنَّـت بوابلهـا الغيوم
جميل الفعـل محمـود السجايا ... يزين فعالـه كرمٌ وخِيْمُ[1]

ومن أخرى [من البسيط] :

هل من سبيلٍ إلـى بيتـي وجاريتي ... أنّـى ؟ وكيف ومـا داري بدانية ؟!
أم هل سبيلٌ إلى البيت الـذي سكنتْ ... فيه التـي بفراقـي غير راضيةِ
لا أحمـد البعـد عنهـا بعـد معرفتي ... بأنّهـا لبعـادي غير حامدة
أشـكو إلـى الله دهـراً غير متّئدٍ ... من قبـح ما لجَّ فيه من معاندتي[2]
ما زدت فيه اجتهـاداً في معاتبةٍ ... إلاّ وزاد اجتهـاداً في مغايظتي
أقـول والدهـر لا يألـو مراغمةً ... وليس يثنيه شيءٌ عن مراغمتي[3]
يا واحـداً ليس إلاّ من يؤمّله ... ويرتجـى عفـوه جدْ لي بواحدة[4]
وامنـن عليَّ علـى أنّـي وإن نزحت ... عنّـي فمـا هي عن قلبـي بنازحة
ناشدتـك الله فيمـا أشـرت به ... إلاّ قبلـت ولا تهمـل مناشدتي
واستعمل السخف واترك ما سواه فما ... لذاذة العيش إلاّ في المساخفة
والصفـع إيّاك منـه فالعمـى أبداً ... بغير شكٍّ منـوطٌ بالمصافعة

ومنها :

لكن مدحـت حميداً فامتدحـت فتىً ... وقفـاً علـى منّـةٍ تسـدى وعارفةِ
رأيتـه فرأيت البـدر في أفقٍ ... والشـمسَ طالعـةً من كلِّ شارقة
والبحـر معترضـاً والغيث منبجساً ... برائـحٍ لمـرجّيـهِ وغاديـة[5]

(١) السجايا : الصفات ، والخيم : المآثر والمزايا الحميدة .
(٢) اتئد : توافق وامتنع وتمهّل .
(٣) يألو : يترك ويمتنع ، ويقصّر .
(٤) جدْ : تكرّم .
(٥) انبجس الغيث : هطل ، وانبجس الماء : تفجّر .

ساس الأمور بآراءٍ مهذّبةٍ صوادرٍ بين أفكارٍ وبادرة
مستحسن اللفظ في القرطاس موجزه موفَّقُ الرأي محمود المخاطبة
ذو أنملٍ ما انتضت في حادثٍ قلماً إلاّ وفلّ شباه كلَّ حادثة[1]
في كلّ يومٍ له نعمى مجدَّدةٌ ليست إذا طلعت عنّا بآفلة
ما زال يتبع معروفاً بعارفةٍ جوداً ويجهد نفساً في معاونتي
حتى رأيت صروف الدهر عائذةً من بعد ضربي وحربي بالمسالمة

ومن أخرى [من الوافر] :

نشدتك أن تحول عن الوداد وعن حال الصلاح إلى الفسادِ
ولو عاينت ما لك في ضميري ولو شاهدت ما لك في فؤادي
إذاً لعلمت أنّك منه تُمسي وتصبح دون غيرك في السّواد
فما آلوك نصحاً في ودادٍ ولا آلوك جهداً في اجتهاد[2]
وليس سوى المودّة والتصافي أبا عبد الإلّه لك اعتقادي
ولو في ذاك حاولت ازدياداً إذاً ما اسطعت فيه على ازدياد
ولم أعهدك في طلب المعالي وكسب الحمد غير فتىً جواد
ومن ألف المكارم والعطايا كالفك جاد عن غير اعتداد
ويوشك أن يجود بما حواه وأن يهب الطّريف مع التلاد[3]
ووعدك في الحياة له مرادي ولست أريده يوم التناد[4]

ومنها :

فكم منن قرنت بهنَّ شكراً كشكر الروض منهلُ الغوادي

---

(١) انتضت : استلّت وحملت ، فلّ شباه كلّ حادثة : أي قصمها وقطّعها وأعان من أصابته عليها .

(٢) آلوك : أقصرّ في نصحك .

(٣) الطريف والتلاد : المال المكتسب والموروث .

(٤) يوم التنادي : يوم القيامة .

وكم لك يا محمَّد من أيادٍ   لديَّ ومن جميلٍ وافتقاد

ومن أخرى [من البسيط] :

ليلي بتنّيس ليلُ الخائف العاني   تفنى الليالي وليلي ليس بالفاني[1]
أقول إذ لجَّ ليلي في تطاوله   يا ليل أنت وطول الدهر سيّان
لم يكف أنّي في تنّيس مطرَّحٌ   مخيِّمٌ بين أشجان وأحزان
حتى بليت بفقدان المنام فما   للنوم إذ بعدوا عهدٌ بأجفاني
ما صاعد البرق من تلقاء أرضهمِ   إلاّ تذكرت أيّامي بنعمان
ولا حننت إلى نجرانَ من طربٍ   إلاّ تكنّفني شوقٌ لنجران[2]
لا تكذبنَّ فما مصرٌ وإن بعدتْ   إلاّ مواطنُ أطرابي وأشجاني
ليالي النّيل لا أنساك ما هتفتْ   ورق الحمام على دوحٍ وأغصانِ
أصبو إلى هنواتٍ فيك لي سلفتْ   قطَّعتهنَّ وعين الدهر ترعاني[3]
مع سادةٍ نجبٍ غرٍّ غطارفةٍ   في ذروة المجد من ذهلِ بن شيبان[4]
وذي دلالٍ إذا ما شئت أنشدني   وإن أردت غناءً منه غنّاني
سقيته وسقاني فضل ريقته   وجاد لي طرفه عفواً ومنّاني
ما زلت أجني بلحظي ورد وجنته   وأستغير على تفّاح لبنان
ما زال يأخذها صفراء صافيةً   حتى توسَّد يسراه وخلاّني
الله يعلم ما بي من صبابته   وما عليَّ جناه طرفه الجاني
كم بالجزيرة من يومٍ نعمت بهِ   على تصاخب نايات وعيدان
سقياً لليلتنا بالدّير بين رباً   باتت تجود عليها سحب نيسان[5]

---

(1) العاني : الشاكي والقلق .
(2) تكنّفني : أحاط بي ، وشملني .
(3) الهنوات : أوقات جمع هنو .
(4) الغطارفة : جمع غطريف وهو الشاب الفتي الجميل .
(5) سقياً : دعا له بالمطر والخير .

والطلُّ منحدرٌ والروض مبتسمٌ عن أصفرٍ فاقعٍ أو أحمرٍ قانِ[1]
والنَّرجس الغضُّ منهلٌّ مدامعه كأنَّ أجفانه أجفان وسنان

ومنها :

أستغفر الله من عقلٍ نطقتُ بهِ ما لي وللعقل ليس العقل من شاني !؟
لا والذي دون هذا الخلق صيَّرني أحدوثةً وبحبُّ الحمق أغراني
ما للشذائيِّ من مثْلٍ يقاس بهِ ولا له في اصطناع العرف من ثان
مهذَّبُ الرأي محمودُ خلائقه رحبُ المكارم سمحٌ غير منَّان
من كان في الجود والإفضال لذَّته لم يخله الجود من فضلٍ وإحسان
وجملة الأمر فيه أنَّه رجلٌ يراقب الله في سرٍّ وإعلان
إن كنت قلت سوى ما فيه أعرِفُهُ إذاً كفرت بمعبودي وديَّاني
إذا جرت يده في الطِّرس كاتبةً تبلَّج الطرس عن درٍّ وعقيانِ[2]
وإن تكلم جاءته براعته بكلٍّ ما شاء من فهمٍ وتبيان

٢٦ - أبو القاسم الحسين بن الحسين بن واسانة بن محمد المعروف بالواساني

أعجوبة الزمان ونادرته ، وفريد عصره وباقعته[1] ، وهو أحد الفضلاء المجيدين في الهجاء ، وكان في زمانه ، كابن الرومي في أوانه : فمن شعره قوله يهجو ابن أبي أسامة [من الكامل] :

يا ساكني حلب العوا صم جادها صوب الغمامهْ
أنا في مدينتكم غريـ ـبٌ لست من أهل الإقامهْ

(١) الباقع : الخالص الصافي من الألوان .
(٢) الطرس :الصحيفة ، تبلّج : أشرق

والخـان يحـدث للغريـــــب إذا أبـنّ به سآمهْ[٢]
فقرضـتُ من طول المقا م بهـا وأعـوزت المدامه
وخرجـتُ في بعض الليا لي قاصـداً باب السلامه
وشربـتُ من بئـرٍ بها من يأتهـا ينقـعْ أوامه[٣]
ورتعـتُ فـي فلواتـه وعلـوت مرتقياً أكامـه[٤]
فلمحـت في بعض الوها د وقد قعدت سواد هامـه[٥]
فسـعيت أحسـبها غـرا باً أو حداةً أو حمامه[٦]
وإذا بأسـود كالفنيـــــق يقـلُّ إيراً كالدّعامه[٧]
وإذا بشيـخٍ تحتـه حسـن الوسـامة والقسامـه
والشيـخ يعصـر تحتـه قد بلَّ من عرقٍ حزامه
فزجـرتُ نايكـه فقا ل له ألســت ترى مقامـه
انهـض فديتـك علّنـا نقضـي بنهضـتنـا ذمامـه
ونعـود بعـد عزوبـه عنّـا وتربحنـا خصامـه
فسطـا عليه وقـال نكْ لا كان ذاك ولا كرامه
هـذا الـرقيـع بعينـه ليَ في رقاعتـه علامـه
لـولا فضـولٌ فيه لم يصرف إلـى دبـري اهتمامهْ
وبـكى وقـال ليَ امْضِ ويـــــحـك واسـأل الله السلامه

---

(١) الباقعة : الرجل الذكيّ الدّاهية .
(٢) أبنّ : أقام بالمكان .
(٣) الأوام : العطش .
(٤) الأكام : القمّة والمرتفع .
(٥) الهامه : طائرٌ كان العرب يعتقدون أنه يخرج من رأس القتيل ويطلب الثأر .
(٦) الحدأة : طائرٌ كبير من الجوارح يصطاد الجرذان والحيوانات الداجنة .
(٧) الفنيق : الفحل من الإبل .

واشكره لما صار سر ... مك لا يريد له صمامه[1]
واعلم بأنّي كنت من ... أهل الرّياسة والزّعامه
يُومي إليَّ إذا عبر ... ت يقال ذا ابن أبي أسامه
حتى ابتليت بمبعري ... فحصلت بين الناس شامه
فعجبت من تلك الفصا ... حة وهو يعفج والعرامه[2]
شيخٌ له سمةٌ تخا ... طبني بألفاظٍ مقامه
والأير يغرق في استه ... قد غاب في مفساه قامه
فتضاحك الحبشيُّ منـ ... ـه وقال لا تسمع كلامه
هذا وعيشك دأبه ... من قبل مبلغه احتلامه
أبدا يباري باسته ... بين الورى صوب الغمامه
واستلّه من دبره ... وكأنّه عنق النعامه

وقال يهجو منشا بن إبراهيم القزاز [من المنسرح] :

قال منشا يوماً لسعدانه ... وهي سحور العينين فتّانه
من بعد أن غلّف العوارض بالـ ... ـطّيب وغلا بالمسك أسنانه[3]
وامتص من خمرةٍ معتّقةٍ ... تحول بين الدنّان في الحانه
وكان خشفٌ قد باسها بفمٍ ... وهي من البوس بعد شبعانه
هل لك في قبلةٍ وهاك خذي ... خمسين حمراً وحلّ همیانه[4]
قالت له هاتها ودونك فاسـ ... ـطعني بجعصٍ وعجّل الآنه
فباسها ثم قال قد بقيتْ ... أخرى فقالت وعظّمت شانه

---

(١) الصمامة : السدّة .

(٢) يعفج : يلاط ، والعرامة : الشدّة والقوّة .

(٣) العوارض : الأسنان .

(٤) الهميان : حزام من الجلد توضع فيه الدراهم .

مــا هي قل لي ألــم أبس شرجاً ... جمّشــت أعفاجــه ومصرانـه[1]
ألــم أقــدمٌ فمــا أضــنّ به ... إلــى كنيف أطــرت ذبانه ؟
فقــال أن تدخلــي لسانــك في ... فيَّ فردت مردًّ حردانه
يا ألف كشخــان وابــن زانيةٍ ... نعــم ويا زوج ألف كشخانه[2]
لــم ترض أنّــي قبّلــت مقعدةً ... تحــت سبــالٍ كأنّهــا عانه
حتـى تنــاهيت في الهــوان فشبّهـ ... ـت لسانــيَ ببنــت وردانه[3]

وقوله فيه [من المنسرح] :

إن منشــا قد زاد في التّيه ... وزاد في شامنــا تعدّيهِ
فـلا ابنُ هنـدٍ ولا ابــن ذي يزنٍ ... ولا ابــنُ ماء السما يدانيهِ
وهــو مغيظٌ عليّ الــوصّي ومنْ ... يعــزى إليه من يواليهِ
يذكر أيّام خيبــرٍ بهمٍ ... وهــم قذىً جال في أماقيهِ
وقــد حكى أن فاه أطيب من ... سرمــي وأنّي ممّــن يعاديهِ
ومــن يقــول القبيح فيه ومن ... أصبــح بالمعضــلات يرميهِ
فســوكوه بكلّ طيّبــة الر ... يح تعفــي على مساويهِ[4]
ومضمضــوه بالخــلّ واجتهدوا ... معــاً بكلّ اجتهــادكم فيهِ
وأطعمــوه من الجــوارش ما ... يعمــل بالمســك والأفاويهِ[5]
واسقــوه من خمــرةٍ معتّقةٍ ... قد صانهــا القسُّ في خوابيهِ
واستفقحونــي واستنكهــوه فإنْ ... كان لسرمــي فضــلٌ على فيهِ

---

(١) الشرج : المخرج ، وجمّش : داعب وقبّل .
(٢) الكشخان : الفاسد والفاسق .
(٣) بنت وردان : بنت آوى .
(٤) سوكوه : من السواك ، وهو عود تخلّل به الأسنان من بقايا الأطعمة .
(٥) الجوارش : نوع من الحلاوات .

فحمّلوا الكلب والحمار على عياله واصفعوا محبّيه

وقوله فيه [من السريع] :

يا راكباً يقطع عرض الفلا على أمونٍ جسرةٍ حرف[1]
أبلغ أبا سهلٍ إذا جئته رسالةً عن عبده المنفي
وقل له عرنين ذاك الفتى في حالةٍ جلّت عن الوصفِ[2]
قد ذاب مذ ليلةٍ ساررته وصار للسقم على النصفِ
يبكي فما ترقا له عبرةٌ ويسهر اللّيل فما يغفي
حزناً على أرنبةٍ غودرت تقطر قطراً من دمٍ صرفِ
فهو بسرم الكلب يا سيدي من داء أنفاسك يستشفي
مَنْ عاذري مِنْ رجلٍ زرته للحين والإدبار والحرفِ
فقال عندي لك أحدوثةٌ مليحةٌ تكتب في الصحفِ
فادنُ لكي تسمعها واحتفظْ بالسر في مكنون ما تخفي
فقمت للغفلة مستعجلاً أمشي برجلي إلى حتفي
ففاه عن أنتنٍ مَنْ جعسه يعدُّ بين البخر بالألفِ[3]
وشاربٌ فيه دمٌ فارثٌ ولثّةٌ تشخب كالخلف[4]
تحوم ذبانُ الخلا حوله مثل حمامٍ طار من كفٍّ
كشعر زقِّ الدّبس أو شعرة الـ ـحائض أو مكنسة الكنفِ[5]
وشكٌّ خيشومي بنشّابةٍ من يد حرٍّ طامشٍ وجْفِ[6]

---

(١) أمونٍ : الناقة ، الحرف : الناقة القوية .
(٢) العرنين : الأنف .
(٣) الجعس : الرجيع مولّد ، أو اسم الموضع الذي يقع فيه الجعموس .
(٤) الفارث : من الفرث وهو بقايا الطعام في الكرش، والدم الفارث : المتجمّد .
(٥) الكنف : المرحاض .
(٦) الوجف : المضطرب .

تصمـى العرانـين ولـو أنهّا في الـدلص الموضونـة الزغف[1]
وتـدرك الهـارب منهـا ولا ينجـو ولـو كان على طرفِ[2]
فانغمـرت روحـي وناديته يا أيهُّـا الثعبـان بالكهفِ
بحـق من كلّـم موسى على الطـــور فدكٌّ الطـور بالرَّجفِ
هـبْ ليَ ما أبقيت منِّـي فقدْ أشفـى على مثـل شفـا الجرفِ[3]
ولـم أزل أدفعـه جاهداً وقـد تقاعسـت إلى خلفِ
فانقدٌّ بعض الثـوب في كفِّهِ وقـال أفلـتٌ فيالهفي
وكان للحـين على موضعٍ مسـتشرفٍ مرتفـعٍ السَّقفِ
فانـكسرت ساقي وهيْضَـتْ يدي وانـدقٌّ صدري ووهـى كتفي[4]
وقمـت أجـري بعدهـا هارباً أسعـى على رجلي كالخشفِ[5]
يا معشر النـاس اسمعـوا ما أنا قائلـه واسـمعـوا وصفي
إذا أردتـم سرم أستاذنا فلتـكن الآنـافُ في غلف[6]
ثـم اغسلـوا شعـر اللحـى بعدها غسـل الـدرابيك أو القطفِ
وبخِّروهـا بعـد تطيبيها بكلٍّ شيءٍ طيِّب العرف
ومـا أرى سائـر ما قلته يغنـي ولا أحسبـه يكفي
أو فانتفوهـا واستريحـوا فما ينجيكم شيءٌ سوى النتف
وسـوِّكوه بخّـروا أمّه في رأس كرنـاف من الرّعفِ[7]

(١) تصمي : تقتل ، والدلص : الدروع ، والموضونة : المنسوجة ، والزغف : الدرع الفضفاضة الطويلة .
(٢) الطرف : الجواد السريع .
(٣) شفا الجرف : شفير الهاوية .
(٤) هيضت يدي : ضعضعت ورضرضت ، ووهى : ضعف .
(٥) الخشف : صغير الغزال ، غلف : أي في غلاف .
(٦) الكرناف : أصول قضبان النخل التي تبقى في الجذع بعد قطع القضبان .

فــإنّ جالينــوس ما عالــج الـ ـبخــرة إلاّ بخـرا القلف[1]

وقال في الغزل ، ويعرض بابن بسطام في الهجاء ، ويذكر أنها لميسر [من الكامل]:

ومهفهفٍ يزهــو عليّ بجيدهِ وبخصره وبــردفــه وبساقهِ
وافى إليّ وقلبُــهُ متخوِّفٌ كتخــوّف المعشــوق من عشّاقهِ
حتــى إذا مدّدتــه وحللــت عن كفــلٍ مبــاح الحــلّ بعــد وثاقهِ
وافــت إليّ أصنَّــةٌ من دبره بخــلاف ما قد فاح من أطواقهِ[2]
فأجبتــه ماذا فقــال بحرقةٍ ودموعــه تنهــلُّ من آماقهِ
هــذا ابــن بسطــامٍ أتانــي طارقاً بلــطيف حيلتــه وحســن نفاقهِ
وعــلا على كفلي وبلغــم مثقبي بريالــه المنهــلّ من أشداقهِ[3]
فبقــى صنــان رضابــه في مثقبي زمنــاً لحــاه الله بعــد فراقهِ
فــالله يحرمــه معيشتــه كما قد سدّ مكســب مثقبــي ببصاقه

وقال يصف ما جرى عليه في الدعوة التي عملها في قرية حرايا من أعمال دمشق [من الخفيف] :

مــن لعيــنٍ تجــود بالهملان ولقلــبٍ مدلَّــهٍ حيرانِ ؟[4]
يا خليليّ أقصرا عن ملامي وارثيا لي من نكبتــي وارحماني
ومتــى ما ذكرت دعــوة أولا د البغــايا والعاهــرات الزّواني
فانتفــا لحيتــي وجــزّا سبالي وبنعــل الــكنيف فاستقبلاني[5]
مــا الــذي ساقني لحينــي إلى حتـ ـفي ؟ وما غالني ؟ ومــاذا دهاني ؟

---

(١) القلف : الذي لم يختن .
(٢) الأصنّة : الرائحة الكريهة من البول .
(٣) الكفل : المؤخّرة .
(٤) المدلّه : المعذّب من العشق .
(٥) السِّبال : الشارب .

مَن عذيري من دعوةٍ أوهنت عظـ ـمي وهـدَّت بهولهـا أركاني ؟

كنـت في منظـرٍ ومستمتـعٍ عنـ ـهـا ومـن ذا يغتـرُّ بالحدثانِ[1]

فنـزت بطنتـي وهاجـت على نفـ ـسي بلاءً ما كان في حسباني[2]

كان عيشي صافٍ فكدَّره أهـ ـل صفائـي بنـو أبـي صفوانِ

فارثوا لي يا معـاشر النّـاس من ضـ ـرّي ومـن طول عطلتـي وامتحاني

ضرب البـوق في دمشـق ونادوا لشقائـي في سائـر البلدانِ

النفـيرَ النفـيرَ بالخيل والرجـ ـل إلى فقـر ذا الفتـى الواساني

جمعوا ليَ الجمـوع من خيل جيلا ن وفرغانـةٍ إلى ديلمانِ

ومـن الـرّوم والصقالـب والتّر ك وخلقـاً من بلغـرٍ واللاّنِ

ومـن الهنـد والطماطـم والبر بر والكيلجـوح والبيلقانِ

لـم يبقّـوا ممّـن عددت من الآ فاق من مسلـمٍ ولا نصراني

والبـوادي من الحجـاز إلى نجـ ـدٍ معدّيهـا مع القحطاني

كلّ ضربٍ فمـن طوالٍ ومـن حُد بٍ قصـارٍ والحـول والعورانِ

وشيوخٍ مثـل الفـراخ وشبّا نٍ رحـاب الأشـداق والمصرانِ

مِعَـدٌ جوِّعـتْ ثلاثـين يوماً بسـلاحٍ شاكٍ من الأسنانِ

مـن مرنـدٍ ومـن تكينَ وطرخا ن وكسرى وخـردٍّ وطعانِ

وخمـارٍ وزيركٍ وعجيبـبٍ وبـديعٍ وفـارسٍ وجوانِ

وجـريحٍ ونـار قسطـا ويونا ن وبـرحفشيا يوحنانِ

وطـرادٍ وَجَهْيلٍ وزيادٍ وشهـابٍ وعامـرٍ وسنانِ

قمّسٌ جمِّعـوا بغـير عقولٍ ردعتهـم عنـي ولا أديانِ[3]

---

(١) الحدثان : الليل والنهار .

(٢) فزت : وثبت ، والبطنة : كثرة الأكل .

(٣) القمس : رتبة كنهوتية عند الأقباط

هــل سمعتــم بمعشرٍ جمعــوا الخيـ ـل وســاروا في الرجــل والفرسانِ
رحلــوا من بيوتهــم ليلــة المر فع من أجــل أكلــةٍ مجّانِ
يركضــون البــريد تسعــة أميا لٍ بنصٍّ الــوجيف والذملان[1]
شرةٌ باردٌ وحــرصٌ على الأكـ ـل بأنّــا قومٌ من المجّانِ
مــا شعرنــا ونحــن من آمــن العا لم إلاّ بصرخــة الديدبانِ[2]
أدركونــي فهــذه غرر الخيـ ـل وسمــرٌ يعســلن كالأشطانِ[3]
لســت أنسى مصيبتــي ويوم جاءو ني وقــد غصٌ منهــم الواديانِ
وردوا ليلــة الخميس علينا في خميسٍ ملء الرُّبــا والمحاني[4]
متلئــبٍ كالسّيل لا يلتقــي منـ ـه لفــرط انتشــاره الطرفانِ[5]
شزرونــي بأعــينٍ تقــدح النـ ـيران خوصٍ إلى العــدوّ زواني[6]
أشرفــوا لي على زروعٍ وأحطا بٍ وبيتٍ من خــيره ملآنِ
لبــنٌ قارسٌ وخبــزٌ كثيرٌ وقــدورٌ تغلي على الدادكانِ[7]
وشــواءٌ من الجــداء ومعلو فُ دجــاجٍ وفائــق الحملانِ
وشرابٌ ألــذُّ من زورة المعـ ـشــوق بعــد الصّــدود والهجرانِ
يخجل الــورد في الروائــح والطعـ ـم ويحــكي شقائــق النعمانِ
أذكرتنــي جيوشهــم يوم جاءو ني جيوش العــدو في رغبانِ
بقــدم القــوم هاشمــيٌّ هريت الشّــــدق رحب المعــيّ طويل اللسانِ[8]

---

(١) الوجيف : الاضطراب والخفقان ، والذملان : الإسراع .
(٢) الديدبان : الحارس والرقيب .
(٣) الأشطان : الحبال .
(٤) الخميس : الجيش ، والمحاني : الأرض المنحنية كالأودية .
(٥) متلئب : مندفع .
(٦) الشزر : النظر بغضب ، والخوص : الضيقة .
(٧) الدادكان : المواقد .
(٨) الهريت : الواسع .

هـو نمسُ الدَّجـاج والبـطّ والأو زّ وذئـب النعـاج والخرفان[1]

والشريفـان أشرفـا في خلال الـ ـخيل في موكبٍ من الحبشان

وسوادٍ من عظمـه طبّـق الأرض وخيلٍ تهـوين كالظلمان[2]

وأبـو القاسـم الكبـير على طِر فٍ كميتٍ أقـبُّ كالسرّحان[3]

وأخـوه الصغـير يعتـرض الخيـ ـل على قارحٍ عريض اللّبان[4]

وهما يهـويان بالسـوط والرجـ ـل إلى ما يسوءنـي مسرعان

أيُّ قلـبٍ يطيق شتـم بنـي خيـ ـر البـرايا وأكرم النسوان ؟

غـير أنّـي يوم القيامـة أشكو هم إلى الحـرّة الحصـان الرزان[5]

وأنـادي يا بنـت خـير النبييـ ـن ويا أمّ أكرم الفتيان

أيّ شيءٍ صنعـت بابنيك حتّى غزوانـي في الزّنـج والسودان ؟

والسرّيُّ الـذي سرى في جيوشٍ أضعفتنـي وقصرّت من عناني

بفـمٍ أشـوهٍ وشـدقٍ رحيبٍ وبـكفٍّ يجـول كالصولجان

وأخـوه الفضـل الـذي بان للعا لم من فضـل أكلـه نقصاني

والشمـوليُّ خلقـه خلـق ترّا سٍ عريض الأكتاف عبل الحران[6]

لسـت أنسـاه جاثياً جاحـظ العيـ ـن عبوسـاً في صورة الغضبان

كالعقـاب الغرثـان يقتنص اللحـ ـم ويهـوي إلى طيور الخوان

والأديب الـذي به كنـت أعتـ ـدُّ غزانـي للحـين فيمـن غزاني

---

(١) النمس : حيوان قصير اليدين والرجلين .

(٢) الظلمان : ذكور النعام .

(٣) الطرف : الجواد ، والكميت : الذي لونه أحمر مائل إلى السواد ، والأقب : الضامر الخصر والسرحان : الذئب .

(٤) القارح : القوي من الخيل ، واللبان : الصدر .

(٥) الحصان الرزان : العفيفة الراجحة العقل .

(٦) ترّاس : صانع التروس ، عبل الحران : ضخم .

وكذا الكاتب الذي كان جاري وصديقي ومُشتكى أحزاني
غيرَّته الأيام حتى أتاني جائعاً للشقاء مذْ سنتان
وصديق الأشراف أخنى على خمـ ـري وأفنى بالكرع ما في دناني[1]
كلّما شقّق الفراريج شقّقـ ـت لغيظي من فعله قمصاني
وهو في أمره مجدٌ رخيُّ الـ ـبال لم يعنه الذي قد عناني
مجرهدٍ كالسوس في الصوف في الصيـ ـف بقلبٍ خالٍ من الإيمان[2]
قلت قل لي يا ابن المبشرّ ما شأ نك من بين من غزاني وشاني
ليس هذا من شهوة الأكل هذا من طريق البغضاء والشنآن
قلت للفيلسوف لما غدا في الـ أكل أعني فتى أبي عدنان
واستحثَّ الكؤوس صرفاً بلا مز جٍ مكبًّا كالهائم العطشان[3]
ليت شعري أمن رسائل بقرا ط تعلّمت ذا وسمع الكيان
أنت تزداد يا خليلي بهذا الـ ـفعل علماً بالعالم الروحاني
ثم لا تنس ما لقيت وما مرَّ لشؤمي من عسكر الفرغاني
أعجمي اللسان أفصح من قـ ـسٍّ إذا ما نشا ومن سحبان
قال قم فأتنا بخبزٍ ولحمٍ ونبيذٍ في حمرةِ الأرجوان
وغلامٍ مقينٍ حسن الوجـ ـه يحاكي بقدّه غصن بان[4]
لم توكلْ فرغان إلا بتفريـ ـغ دناني وصبّها في الجفان
إنّ من أعظم المصائب يا قو م بلائي بذلك الطرمذان[5]
رجلٌ كالفنيق فدمٌ بلا لـ ـبٍّ طويلٌ في صورة الشيطان[6]

---

(١) أخنى : جثم وأفحش في الشراب .
(٢) المجرهد : المشتغل والعابث .
(٣) استحث الكؤوس : أكثر منها .
(٤) المقيّن : المؤدب من القيان .
(٥) الطرمذان : الأبله .
(٦) الفنيق : الفحل من الإبل ، والفدم : الأحمق .

يققاً كالعمود يستعذب الصفـ ـع ورأسٌ أصمٌّ كالسندان [1]
زائد الخلق ناقص العقل والديـ ـن غليظ القذال كالقلّتان [2]
يبلع الطيبات بلعاً بلا مضـ ـغٍ ويحسو النبيذ كالثعبان
لا تمتني حتى أراه وقد قصّـ ـر من فضل طوله شبران
وأتوني بزامرٍ زمره يحـ ـكي ضراط العبيد والرّعيان
ومغنٍ غناؤه يطلق البطـ ـن ويأتي بالقيء والغثيان
قصدت هذه الطوائف حمرا يا لهتكي وذلّتي وامتحاني
قلت ما شأنكم قالوا أغثنا ما طعمنا الطعام منذ ثمان
وأناخوا بنا فيا لك من يو مٍ عبوسٍ عصبصبٍ أرونان [3]
نزلوا حجرتي وأطلقت الأفرا س بين الرطبان والقصلان [4]
لم يكن مربعاً سوى ساعة حـ ـتى رأيت الزروع كالفلحان
أفقروني وغادروني بلا دا رٍ ولا ضيعةٍ ولا بستان
حيرّوني ودلّهوني فقد صر ت بليداً كالذاهل السكرانِ
أسمع اللفظ كالطنين لسهوي وهو لفظٌ يجري لغير معاني
تركوني يا قوم أفقر من فر خٍ وأعرى ظهراً من الأفعوان
أكلوا لي من الجرادق ألفيـ ـن ببسنٍّ تشتاقه العارضان [5]
أكلوا لي أضعافها غير مسطو رٍ ومالوا إلى سميد الفران
أكلوا لي من الجداء ثلاثين قريضاً بالخلّ والزعفران [6]

---

(١) اليقق : الشديد البياض .
(٢) القذال : القفا حيث يكون الصفع .
(٣) عصبصب : أي عصيب شديد ، والأرونان : الصعب من الأيام .
(٤) الرطبان والقصلان : العلف الطري والناضج .
(٥) الجرداق : الأرغفة .
(٦) الجداء : جمع جدي ، وهو الحمل الصغير ، والقريص : ضربٌ من الأدم .

أكلــوا ضعفهـــا شواءً وضعفيـ ـهـــا طبيخـــاً من سائـــر الألوان
أكلـــوا لي تبالـــةً تبّلـــت عقـ ـلي بعشرٍ من الدجـــاج السّمان
أكلـــوا لي مضـــيرةٍ ضاعفـــت ضرّ ي بروس الجـــداء والعصبان
أكلـــوا لي كشـــكيّةً فرّحـــت قلـ ـبـــي وهاجـــت لفقدهـــا أشجاني
أكلـوا لي سبعـــين حوتـــاً من النهـ ـر طريّاً من أعظـــم الحيتان
أكلـــوا لي عدلاً من المالح المشـ ـويّ ملقـــى في الخـــلّ والأنجدان
أكلـــوا لي من القريشـــاء والبر ني والمعقـــلي والصـــرفان
ألف عدلٍ سوى المصقـــر والبر دي واللؤلـــؤي والصيحاني
أكلـــوا لي من الكوامـــخ والجو ز معـــاً والخـــلاط والأجبان
ومـــن البيض والمخلّل ما تعـ ـجـــز عن جمعـــه قرى حوران
فتّتـــوا لي من السفرجـــل والتـّ ـفـــاح والرازقـــيّ والرّمان
والرياحـــين ما رهنـــت عليه جبّتـــي عنـــد أحمـــد الفاكهاني
درســـوا لي من البنفســـج والنر جس ما ليس مثلـــه في الجنان
ذبحـــوا لي بالرغـــم يا معشر النا س ثمانـــين من معـــينٍ وضان
مـــا كفاهـــم ما مرّ من غنـــم القر ية حتـــى أثخنـــوا على الثيران[1]
ذبحوهـــا والدمـــع يجـــري على خدّ ي انسيابـــاً مثـــل انسياب الجمان
أكلـــوا كل ما حوتـــه يميني وشمالي ومـــا حوى جيراني
ثـــم قالـــوا هلـــمّ شيئـــاً فناديـ ـت غلامي قم ويك فاخبأ حصاني
لـــم تدع لي بطونـــكم يا بنـــي البظـ ـر سواه وذا شطـــوبٌ يماني[2]
فتمالـــوا عليّ شتماً ولعناً واستباحـــوا عرضي بكلّ لسان
مـــن له قدرةٌ على الشعـــر يهجو ني ومـــن كان مفحماً يلحاني[3]

---

(١) أثخنوا : أفحشوا بقتلها وذبحها .
(٢) شطوب يماني : سيف يماني .
(٣) مفحماً : عاجزاً .

وكأنّي أنا الّذي عشت في الخيـ   ـر وغيرّت صورة الحيوان

ثم جاء المعقِّبون من السّا   سة والشاكريّ والعبدان

فرأيت النخاع واللطم والدفـ   ـع وكدم الأنوف والآذان

وتفانوا صفعاً وفاح من القو   م غبارٌ من الفسا والصِّنان

ثم لمّا أتوا على كلّ شيءٍ   ختموا محنتي بكسر الأواني

ثم قاموا إلى الجلاهق والبا   شق والمحدقات والزربطان(1)

فرأيت الحمام بعضاً على بعـ   ـضٍ وبعضاً ملقى على الأغصان

ورأيت الدّجاج في وسط القر   ية ملقى مكسرّ السّيقان

أكلوا ما ذكرت واستعملوا لي   يا ثقاتي كرّاً من الأشنان(2)

ومن المحلب المطيب بالبا   ن وماء الكافور سبع براني

شربوا لي عشرين ظرفا من الرا   ح لذيذ المذاق أحمر قان

فأقاموا سواسهم والمكاريـ   ـن إلى أن سمعت صوت الأذان

ينقلون الأحطاب من حيث وافو   ها فبالطير مرّ لي غيضتان

جوزةٌ كان حملها أحسن الحمـ   ـل وكانت ظليلة الأفنان

كان لي في فنائها منزلٌ رحـ   ـبٌ أنيقٌ يحفّه نهران

ورياضٌ مثل البرود علاها الـ   ـطلُّ بين البهار والأقحوان

وطيورٌ ما بينها تتغنّى   بجميع اللّغات والألحان

هي كهفي ومستظليّ من الحـ   ـر وذخري لنائبات الزّمانِ

أحرقوها يا قوم في ساعة القفـ   ـز وضرب الأحطاب بالنيرانِ

كسروا السّكر فاختلطت فقالوا   كيف تبقى بغير شاذروانِ(3)

قطعوا اللوز والسفرجل أحطا   باً ومالوا بها على غلماني

---

(1) الجلاهق : القوس التي يرمى بها البندق .

(2) الأشنان : حمض تغسل به الأيدي والثياب .

(3) الشاذوران : نوع من الحلوى .

والنواطـير مدّدوا وعلوهم حنقـاً بالعصِّي والقضبانِ
طالبونـي بالنيك في آخـر الليـ ـل وجمـع النسـاء والمردانِ
قـم فأسرع فبعضنـا يطلـب المر د وبعضٌ مستهتـرٌ بالغواني
فتوهّمتـه مزاحـاً فجدّوا قلـت هذا ضربٌ من الهذيانِ
ليس يبقـي على أرامـل حمرا يـا سوى بذهـنّ للضيفانِ
لـو سمعتـم يا قوم في غسـق الليـ ـل بكاء النِّسـاء والولـدان
يتنـادون بالعـويل والويـ ـل وراء الأبـواب والجدرانِ
ويقولـون ويلنـا من أبـي القا سم هذا المطرمـذ المخـرقاني[1]
قصدتـه الأعـداء فاستملـكونا فحصلنـا أسـرى بغيـر أمان
أوجرونـي النبيذ بالرطـل حتى صرت أمشي كمشية الفرزان[2]
فجعونـي لـمّـا سكرت بهميا ني وشقّـوا عصائـب الطيلسانِ
كان في أوّل النهـار على رأ سي فأمسى على رءوس القيان
ثـم راحـوا بعـد الهـدوء إلى دا ري فلـم يتـركوا سوى الحيطان
كان لي مفـرشٌ وكلٌّ مليحٍ فوقـه مطـرحٌ من الميساني
وبسـاطٌ مـن أحسـن البسـط مـذخـــــور لعرسٍ او دعـوةٍ أو ختان[3]
غرّقـوه بالـزّيت والبـول والقـ ـيء فأضحـى وقـدره بعرتان
أوقـدوا زيتنـا جزافـاً بلا كيـ ـلٍ يكيلونـه ولا ميزانِ
خلت داري يا إخوتي المسجد الجا مع ليلاً للنصف من رمضان
سرقـوا جبّتـي وسيفِـي وسكيـــــني وخفّـى وجوربـي ورّاني

(١) المطرمذ : الأبله . والمخرقان : الكاذب المختلق .
(٢) الفرزان : من حجارة الشطرنج .
(٣) الختان : طهور الطفل الذكر .

ثم لمـا انتهت بهم شدّة الـكظّـــة خرّوا صرعـى علـى الأذقان[١]
هوّمـوا ساعـةً كتهويمـة الخا ئف في غير ارضـه الفزعان
ثـم قامـوا ليلاً وقـد جنـح النسـر ومـال السّمـاك والفرقدان
يصرخون الصبوح يا صاحب البيـت فأبكوا عيني وراعـوا جناني
سحبوني من جوف بيتي علـى وجـهي كأنّي أدعـى إلـى السلطان
بقلـوبٍ أشـدُّ حرّاً من الجمـر وأقسـى من الصفـا الصوان
قلـت رقّـوا لذلك الطفـل ميمو نْ ولا تؤتمـوه يا إخواني[٢]
مـا تفـي أكلـةٌ بقتـل غريبٍ ذي عيالٍ ناءٍ عن الأوطان
علّقوني بفرد رجـلٍ إلـى السّقـف وعذّبـت ليلتـي بالدخان
لو رآنـي أبـي وأمي على رأسـي ورجـلاي بالعصـا تنقران
بـكيا لي من ذاك واشتريانـي من يديهـم بكلّ ما يملكان
وقع الضـرب ياخليلي علـى جسـمٍ من السّـوط والعصـا قرحان[٣]
قلـت للفضـل والسـريّ غثاني ومماتـي قد حلّ بي خلّصاني
واذكرا عشرتـي وودّي وإخلا صي وحنّـا علـيّ واستبقياني
أنتمـا إن قتلتماني وحقّ اللـه من أجـل أكلـةٍ تندمان
أيّ شيءٍ تركتمـاه لضعفي قد مضـى لي بالأمس ما قد كفاني
أحلفانـي أن ليس عنـدي مشرو بٌ ولا في خزانتـي لقمتان
فاستشاطا علـيّ غيظـاً وقـال الـفضـل قلّ لي بأيّ عينٍ تراني
نحـن من أجهـل البـرية طرّاً إن حصلنا منـكم علـى الأيمان
قطعـوا الحبـل فانقلبـت علـى رأسي وظهـري فانـدقّ لي ضلعان

---

(١) الكظّة : التخمة .
(٢) تؤتموه : أي تجعلوه يتيماً .
(٣) قرحان : سريض .

ثـم لمّـا تمـكّن اليأس خلّو ني ومالـوا حشـواً علـى الأتبان[1]
وأجـيري مسـخّرٌ ينقـل الأتـبان بالذل عـارياً والهوان
وهو يبكي فقلـت ويحـك ما تصـ نع بالتبـن بعـد موتـة الفدّان
سرقـوا السُّرج والقنـاديل والزيـ ت وأقداحنـا وكلَّ القناني
والنبيذ استقـوه واغتنموه آخـر الليل كاستقـاء السواني[2]
زوّدوه سواسهـم والمكاريـ ن معـاً بالجـرارِ والكيزان
لو ترى الفضل وهو يحمل في السر ج قميصـاً مخيَّط الأردان
قـد حشـاه لحمـاً وطيراً وسبعيـ ن رغيفـاً من أعظـم الرغفان
سرقـوا الـراح في الزقـاق وراحوا بطعـامٍ منضّـدٍ في الصّواني
ميزّوا خيلهـم بكلِّ كسيرٍ وعقـيرٍ مدبَّـرٍ جربان
خلّفـوه يرعـى بقيَّة زرعي رعـيَ لا خائفٍ ولا متوان
ما رثـى لي سوى المبارك من ضـرّي وذاك القصير الدحدحاني
رفّهانـي وخفّفـا الثقـل عني فهمـا من ملامتـي سالمان
والسـري السـرى حقـاً كمـا سـ مى أيضـاً من بطنـه أعفاني
هـل سمعتـم فيمـا سمعتـم بإنسا نٍ عراه في دعـوةٍ ما عراني
أسعدونـي يا إخوتـي وثقاتي بدمـوعٍ تجـري من الأجفان
إخوتـي من لواكف الدمع محزو نٍ كئيبٍ مدلّـهٍ حيران
هائـم الفـكر ساهـر الليل باكي الـ ـعين واهي القـوى ضعيف الجنان
لـم يكن ذا القـران إلاّ علـى شؤ مي فويلـي من نحس ذاك القران

قد أحسن في هذه القصيدة غاية الإحسان، وأبان فيها عن مغـزاه أحسـن بيان . وتصرف فيها وأطال، وأمكنه القول فقال. وإذا تخلص الشاعر عند الإطالة

---

(١) الأتبان : قصب القمح والشعير وغيره اليابس ، يطحن ويستعمل علفاً للحيوانات .
(٢) السواني : البُهم .

والوصف هذا التخلص، وسلم مما يؤديه الى التكلف والتلصص . فهو الذي لا يدرك غوره ، ولا يخاض بحره .

وقال أيضاً يهجو أبا الفضل يوسف بن علي، ويعرض فيها بمنشأ بن إبراهيم ابن القزاز ، ويقال : إن هذه القصيدة كانت سبب عزله من عمله ، وقد تصرف فيها كل التصرف ، وهي سالمة عن التكلف، ولم يقل في معناها مثلها ، وهي [من المنسرح]:

يا أهــل جيرون هل لسامركم إذا استقلّــت كواكب الحمل
في ملــحٍ كالــرّياض باكرها نوء الثــريّا بعــارضٍ هطلَ
أو مثـل نظـم العقــود بالشــذر والـ درٍّ وَوَشــي البــرود والـكلـلِ[1]
يلــذُّ للسامع الغنــاء بهــا علــى خفيف الثقيل والـرمل
كنــت علــى باب منزلــي سحراً أنتظــر الشــاكريّ يســرج لي
وطــال ليلــي لحاجــةٍ عرضت باكرتهــا والنجــوم لم تمل
فمــرّ بي في الظــلام أســود كالـ فيل عريض الأكتــاف ذو عضـل
أشغــى له منخــرٌ كـكوّة تنــ ورٍ وعينٌ سجــراءَ كالشّعل[2]
ومشفــرٌ مسبــلٌ كخــبٍّ رحىً علــى نيوبٍ مثــل المــدى عُصُل[3]
مشقَّــق الكعــب أفــدع اليد والر جل طويل الســاقين في سمل[4]
فأهــدت الــريح منــه لي أرجاً مثل جني الروض في النــدى الخضل
مســكاً وقفصيّةً معتّقةً شيبــا ببــانٍ وعنبــرٍ شمل[5]
فقلــت ما هكذا يكون إذا راح الندامــى روائــح السفل

---

(١) الشذر : العقد ، والكلل : جمع إكليل .

(٢) الأشغى : الطويل المنقر المعقوف ، والمسجور : المحمّى والمستعر .

(٣) العصل : المعقوفة .

(٤) أفدع : أعوج ، والسمل : البالي الرث من الثياب .

(٥) شيبا : مزجا .

أسود غادٍ من الأتون له عرف أميرٍ نشوان في فضل
هذا وربّ السّماء أعجب من حمار وحشٍ في البرّ منتعل
اردده يانصر كي أسائله فشأنه عضلةٌ من العضل
فقال يخشى فوات حاجتنا وليس هذا من أكبر الشغل
فقلت ترك الفضول يا ناقص الـ ـهمّة عين الإدبار والكسلِ
بادره من قبل ان يفوتك في سلوكه بين هذه السُّبلِ
فصدّ عنّي تغافلاً ومضى يعجب من عقله ومن خللي
وصاح من خلفه رويدك يا أسود مالي بالعدوّ من قِبَلِ
ارجعْ إلي ذلك الرّقيع وإن أطال في خطبه فلا تطل
أجبْ إذا ما سئلت مقتصداً في اللفظ واسكتْ إن أنت لم تسل
وهو بترك الفضول أجدر لو يسلم من خفّةٍ ومن خطل[1]
فكرّ نحوي عجلان يعثر في مرطٍ كساءٍ مبرغثٍ قمل[2]
وقد مذى والمذي يقطر من غرموله في الذيول كالوشل[3]
وظنّ أنّي صيدٌ فأبرز لي فيشلةً مثل ركبة الجمل[4]
سوداء قد طوّقت بطوق خرا أصفر تزهى به على الحجل
وقال لجْ داركم لأولجها فيك وإن كنت لم تبل فبل
فطالما أسهلتْ طبيعة من ليس لأمثالها بمحتمل
هذا على أنّها مؤدّبةٌ من الفياشي المروضة الذلل
وطال والله ما خدمت بها الـ ـملوك خلف السّتور والكلل
وكنت أغشاهم على فرش الـ ـخزّ بلا سقطةٍ ولا زلل

(١) الخطل : فساد الرأي .
(٢) المرط : الثوب الطويل المذيل .
(٣) المذى : ما يخرج من القضيب عند تهيّجه ، والوشل : الماء القليل .
(٤) الفيشلة : عنق القضيب الضخم .

لأنهـا صنعتـي وصنعـة آ بائـي قديمـاً في الأعصـر الأول
وزاد في دولـة اليهـود بها شرطـي علـى ما مضـى من الدّول
حتّـى لقـد فتّقـتْ فروشهم وطـرّيت بالغـدوّ والأصـل
فانظـر إليهـا فإن رأيت لها شبهـاً فلا تدعنـي أبـا الجعل
وخـذ عمـوداً أغلافـه شرجٌ لم يمتهـنْ ساعـةً ولـم يذل[1]
قلـت له لا عدمـت برّك قد بذلـت ما لم يكن بمبتذل
وجـدت عفـواً من غير مسألةٍ بدرّةٍ لا تبـاع بالجمـل
لكنّنـي والـذي يمـدُّ لك الـ ـعمـر ويعـطيك غاية الأمـل
ما شقّ دبـري مذ قطّ فيشلةٌ ولا انتخـاب الأيور من عملي
ولا لهـذا دعيت فاطلـب لميـ لوخـك من يستلـذّهُ بدلي
وهـاتِ قل لي بالله من أين أقـ بلـت ودعنـي من هذه العلل
فقـال لي بتٌّ عنـد عاملكم هذا أبـي الفضـل يوسف بن علي
فصـاك بي طيبـه وصـاك به منّـي صنـانٌ في حدّة البصل[2]
تركتـه بالنهـار اخفش لا ينظـر في خدمـةٍ ولا عمـل
قلـت تزيّدت وادّعيت علـى شيخٍ نبيـلٍ ينمـى إلـى نبل
أبـوه سمـحٌ وجـدّه ملكٌ يدعـى حنينـاً وعمُّـهُ الصملي
لعـلّ ذا غيره فصفـهُ فما يخـدع مثلـي بهـذه الحيـل
فإن تكن صادقـاً نجـوت وأنـــحيت عليه باللـوم والعذل
وإن تكن كاذبـاً صفعتـك بالنـــعـل فإن كنـت قائـلاً فقل
فقـال يا سيدي عجلـت بمكـــر وهـي وكان الإنسـان من عجل
هذا الـذي بتٌّ عنـده نصفٌ دون مسـنٍّ وفـوق مكتهل

---

(١) الشرج : نهاية المعيّ .
(٢) صاك : لزق .

في فيه نتنٌ وتحت عصعصه عينٌ تمجُّ الصديد في دغل[1]
آدر رخو العجان منخرق الـ مبعر ألحى مهيّج السفل[2]
حيضة باسوره إذا اختلطت بالسّلح كالسمن شيب بالعسل
له إذا ما علوته نفسٌ أمضى من السيف في يد البطل
يصرع طير السماء في الأفق الـ أعلى ويوهي مخارم القلل
أنتن من كلٍّ ما يقال إذا بالغ في الوصف ضارب المثل
وهو على ذاك مولعٌ أبداً لشؤم بختي بالعضٍّ والقبل
نعم وفي باب سرمه وضحٌ أبيت ليلي منه على وجل
أخاف يعدى أيري ببرصته فأغتدى مثلةً من المثل
أسود كالليل بين أكرعه عمود صبحٍ ينجاب عن طفل[3]
فقلت هذى صفاته ولقد شغلت قلبي بذلك الرجل
فقال أمّا إذ اهتممت به فإنّه في نهاية الجذل
قد طاب عيشاً وقد أصاب من الـ لذة ما لم يصب ولم ينل
يكون مثل العروس مفترشاً طوراً وطوراً كالفحر في الإبل
فيجمع اللذّتين مغتبطاً ذي دبره تارةً وفي قبل
وهو عوانٌ لم يخش من ألم الـ حمل عقيمٌ لم يخش من حبل[4]
وأنت يا ابن الخراء محتفلٌ بأمره وهو غير محتفل
فقلت قل لي من أين تعرفه فقال ذرني من هذه العقل
كنت أجيراً بيدٍّ معصرةٍ بصور كانت لكاتب البجل
وكنت أضحى النهار في ظاهر الـ يد إذا ما انصرفت من شغلي

---

(١) الدغل : في خفاء .

(٢) آدر : فاسق ، والعجان : الإست .

(٣) الطفل : وقت مغيب الشمس .

(٤) العوان : نصف المرأة ، لا بكر ولا متزوجة .

فنمت يوماً وكنت من سهر الـ ... ـليل وقيذاً كالشارب الثمل[1]
وهبّت الريح فانكشفت ولم ... أشعر وطار الشراع عن قبلي
واجتاز للحين والقضاء الذي ... حمّ منشا في موكبٍ زجل
حف بّصفر البنود والخيل والر ... جل وبيض الصفيح والأسل
علي كميتٍ أقبّ كالصّخرة الـ ... صماء قدت من قنّة الجبل[2]
ليس بأشغى ولا أجش ولا ... أهضم طاوي الحشى ولا شغل[3]
وهو أمام الصفوف تقدمه ... جرد الهوادي شوازبُ المقل[4]
مجنّباتٌ كأنهنّ سرا ... حين قطاءٍ أو كالقنا الذّبل[5]
وحان منه التفاتة فرأى ... ذيل قميصي قد قدّ من قبل
فاشتدّ تحديقه إليّ كما ... حدّق ذئبٌ طاوٍ إلى حمل
ولم أبت ليلتي وعيشك يا ... مولاي حتّى دعيت بالرسل
فجئته خائفاً كما يلج الـ ... ـعصفور مستكرهاً على الورل[6]
فارتعت لما رأيت لحيته ... وكدت أخرى من شدّة الوهل
وظنّ أني استحييته فغدا ... يبسطني بالمزاح والغزل
وقال هذا الحياء - يا بأبي ... أنت - بريد النكول والفشل[7]
فاطرّح الهيبة المضرة بي ... واعتزل الخوف أيّ معتزل
إن كنت أكرمتني لترفع من ... قدري فبعض الهوان أنفع لي

---

(١) الوقيذ : المحزون والثقيل والشديد المرض ، والثمل : السكران .
(٢) قنّة الجبل : قمّة الجبل .
(٣) طاوي الحشى : جائعه وضامره ، والشازب : الضامر والخشن .
(٤) الجرد : الخيل ، والشازب : الضامر والخشن .
(٥) السّراحين : الذئاب .
(٦) الورل : دابة تشبه الضبّ تكون في الصحارى والرمال .
(٧) النكول : النكوص والهرب .

انتف سبالي واصفع قفاي ولا / تنظر إلى قدرتي ولا خولي
ولا عبيدي ولا فروشي ولا / طيبي ولا حليتي ولا حللي
إن يشقَ أعلاي باللطام فقد / يسعد بالرهز بعده سفلي[1]
وليس بعد المزاح يا بأبي / في الرأس من حشمةٍ ولا خجل
ولم يزل دائباً يشمرخ شا / قولي ويختال لي على مهل[2]
فحين أدليت كالحمار بدا / يرفع أجلاله عن الكفل
وخرّ للوجه والجبين وقد / رطّب حول خصييه بالبلل
طعنته طعنةً بصدق الأنا / بيب أصمّ الكعوب معتدل
فقال : أوجعت جوف مقعدتي / وظلّ يدعو بالويل والهبل
وقرقرت بطنه وربّتما / حذّرت من مثلها ولم أبل
ثم رماني بسلحة خطمت / أنفي فزاولتها على ميل[3]
فقلت: يا سيدي ويا أملي / أظن ذا السرم من بني ثعل
فقال: أخطأت إذ أسلت دمي / فقلت: كلا والله لم يسل
أين النجيع القاني ؟ فديتك من / لطخٍ رجيعٍ كالورس منسحل[4]
ألا تبرّزت لا أبالك أو / شددت من باب سرمك النغل ؟[5]
فقال لما أنشأت تعفجني / في استي برمحٍ لم يعتصم سفلي[6]
ألم تكن عالماً بأنّ سلا / ح استي سلاحي في كلّ منتضل[7]

---

(١) الرهز : النهز والإدخال .
(٢) يشمرخ : ينتصب ، والشاقول : القضيب .
(٣) خطمت : أصابت وقطعت .
(٤) النجيع : الدم ، ومنسحل : مطحون .
(٥) تبرّزت : خرجت ، والنغل : الفاسد .
(٦) تعفج : تعالج وتعرك .
(٧) منتضل : معترك .

خذ آبنوساً حلّيته ذهباً ... فالحلي أولى به من العطل[1]

ولا تلمني فكيف أصنع في ... سرمٍ شديد الحكاك مؤتكل

تمنعه اللّذة الحياء فتسـ ... ـترخي حواشي مثقّفٍ نغل

نعم وعاجلتني بجانفةٍ ... أصمت ومرّت في موضع العلل[2]

عاجلت قلبي عن التحفّظ في ... أمري برهزٍ كالبرق مشتعل

وخاض جعسي أيرٌ به هوجٌ ... يجوز حدّ الجنون والخبل[3]

يا سيدي ما اسمه فقلت أبو الـ ... أسود يكنى وليس بالدؤلي

فقال: يا حبذا أبو الأسود الزا ... هد فينا بسلحةٍ قبلي

هل رابه غيرها وقد جعل الـ ... ـماء طهوراً لكلّ مغتسل

فامض وعد بعدها لترويني ... من بعد نومي علاً على نهل

ولاتخف بعدها وصاح بفرّا ... شٍ قصير السّربال معتمل

فقال ذاك الفرّاش: مالك قد ... متّ كذا فاغتسل ولا تبل

فهذه عادةٌ لسيّدنا ... موروثةٌ عن أبيه لم تزل

ولم أزل في خزانة الفرش أيّاماً مخلّى في زيّ معتقل

حتى انثنت صعدتي وبان له ... فيّ اناة الفتور والكسل[4]

ثم تغنّي والأير في يده ... قد خفّ بعد العتوّ والثقل

يا دار هندٍ بالخيف من ملل ... حييت من دمنةٍ ومن طلل

وقال لي ويك في دمشق أخٌ ... للوقف والخرج والضياع بلى

وهو بحبّ السودان أعرفه ... وليس عن رأيه بمنتقل

فخذ كتابي وسر إليه ولا ... تترك مقالاً مذ قطّ لم يقل

---

(١) الجيد العطِل : الخالي من الحليّ .

(٢) الجانفة : الجالفة ، جلف وجنف بمعنى كشط الجلد .

(٣) الخبل : فساد العقل .

(٤) الصعدة : القوّة ، أي ضعفت شهوته وفتر قضيبه .

وقـلَّ سرتْ بي في الليل ذعلبةٌ　تهـدي صدور المهـريّة البزل[1]
تمطـو جماحـاً إذا المطـيُّ ونتْ　حتـى تراخـى لهـا من الجذل[2]
أهـوى بطـون الأقطـار في غسق الـ　لميل وآوي مناهـل الـوعل
وليس لي شافـعٌ إليك سوى　فيشلـةٍ أسهلـت أبـا سهل
فإنّـه سوف يلتقيهـا ويحـ　بوهـا إذا أقبلـت بحيهل[3]
وتغتـدي عنـده أعـزّ من الـ　أهلين والأقـربين والخول
فجئتـه واثقـاً بقـول أبي　سهـلٍ ومـن يسمـع المنـى يخل
فمـا حصلنـا إلا علـى سهرٍ　يعمـي ورهـزٍ يوهـي القـوى نكل
وكان هذا ابتـداء معرفتي　به ، فحسبـي فاقطـعْ ولا تصل
وقـد مضـى يومنـا بلا عملٍ　ترجـى لـه أجـرةٌ ولا أمل
ظننـت للنيك قد دعيت، ولم　أدري بأنـيّ دعيت للجدل

صرف عنه بعض الأدباء وهو ابن خيران العبد لأنه أصال ولم يصرفه صرف عنه بعض الأدباء وهو ابن خيران العبد لأنه أطال ولم يصرفه بعد منثور يتقدم ذلك :

قلـت له : اذهـب مصاحبـاً فلقد　حدثّـت عنـه بحـادثٍ جللِ
فمـرّ يسعـى كأنّـه ثملٌ　من سهـرٍ كدّه ومـن ملل[4]
يقـول في سيره وقـد وضـح الـ　صبـح : ألا ربّ واثـقٍ خجل
كان نكاح إبليس زوّره　بلا شهـودٍ ولا حضـور ولي
لا بارك الله فيهمـا فلقد　جاءا بمـا لا يجـوز في الملل

(١) الذعبلة : الناقة السريعة ، البزل : النوق والجمال .
(٢) تمطو جماحاً : أي تسرع في مشيتها ، والونى : الضعف .
(٣) بحيهل : كلمة منحوتة ، من حيّ أي أقبل ، وأهلاً وسهلاً .
(٤) كدّه : أرهقه .

وعـدت بالله أستعيذ من الـ سوء ومـن كلّ موقفٍ رذل
والحمـد للواهـب السلامـة من جرحٍ يداوي بهـذه الفُتُل[1]

وإن اتفق وجود المنثور ألحقته بعون الله وقدرته .

٢٧ ـ أحمد بن محمد الطائي الدمشقي

قال [من الخفيف] :

قـد غدونـا إلـى صلاة الغداة ثم ملنا منهـا إلـى الحاناتِ
فشربنـا مدامـةً كدم الخشـ ـف عقـاراً تضـيء في الكاساتِ
فـإذا شجّهـا السقـاة بمـاءٍ أبـرزت مثـل ألسـن الحيّات[2]
وكأنّ الأنـامـل اعتصرتهـا من شقيق الخـدود والوجناتِ

* * *

٢٨ ـ أبو محمد الموصلي

قال يرثي أم الأمير أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان ، وقد رثاها الناس على طبقاتهم [من الخفيف] :

يا أميراً علا عـلـى النّجـم همّه مثل ما قد زرى على الخلـق عزمهْ[3]
أكثـر النـاس في التعـازي وقـالوا كلّ معنـىً ينسـي أخـا الهـمّ همّهْ
فاختصـرت العـزاء في نصف بيتٍ كلّ خطـب إذا تعـدّاك نعمهْ

* * *

---

(١) الفتل : جمع فتيل ، وهو ما يداوى به الجرح ويستخرج به قيحه .
(٢) شجّها : مزجها وشقها .
(٣) زرى : عمّ .

٢٩ ـ أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي

شاعر بارع . وعالم جامع . قد برع في إبانه ، على أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحد في أوانه . وله كل بديعة تسحر الأوهام ، وتستعبد الأفهام . فمن ملح شعره وغرائبه قوله من قصيدة مربعة [من الرجز] :

رسالـةٌ من كلفٍ عميد حياتـه في قبضـةِ الصّدودِ
بلَّغـه الشّـوق مدى المجهود ما فوق ما يلقـاه من مزيدِ

* * *

جـار عليه حاكمُ الغـرام فدقَّ أن يُدرك بالأوهام
فلـو أتـاه طارقُ الحمـام لم يرده من شدَّة السقام

* * *

لـه اهتـزازٌ وارتياحٌ وطربْ لوجـه من أورثـه طول الكربْ
فهل سمعتـم في أحـاديث العجبْ بمـن منـاهُ قُرْبُ مَنْ منـه العَطَبْ

* * *

مـا غاب عنـه الحـزم في الأمور لكنّ مقـدار الهـوى ضروري
صاحبـه يخبـط في ديجور منفسـد التّقـديـر بالمقدور

* * *

إذا التقـى في مسـمعيه العذلُ وقيل من دون المـراد القتلُ
قـال لهـم لوم المحـبِّ جهلُ إنّ الهـوى يغلـب فيه العقلُ

* * *

مـا العـذر في السلـوة عن غزالِ منقطـع الأقـران والأشكالِ

تستخلف الشمس لدى الزوال ضياء خدَّيه على الليالي

* * *

بخفة الروح احتوى صلاحي فصرت لا أرغب في الفلاحِ
والشكل والخفّة في الأرواح أملح ما يعشق في الملاحِ

* * *

من عشق الفدم وإن دقّ البصرْ فليقصد البيعة وليهوَ الصُّور[1]
من كان يهوي منظراً بلا خبر فما له أوفق من عشق القمر

* * *

ظبيٌ سلويّ عنه مثل جودهْ خياله أكذب من موعودهْ
أجفانه أسقم من عهوده أردافه أثقل من صدودهْ

* * *

يا وصله صل مثل وصل صدّه يا حكمه كن في اعتدال قدّه
يا قلبه كن رقةً كخدّه يا خصره كن مثل ضعف عهده

* * *

أمّا وخصر ضعفه كصبري له ووجه حسنه كشعري
له عذارٌ قام لي بعذري لا تِبْتُ من شوقي إليه دهري

* * *

أضحى لإبليس به استقدار على بني آدم واستبشارُ
وقال : في ذا تستطاب النار ما لهم عن مثل ذا اصطبارُ

* * *

(١) الفدم : الغليظ الأحمق .

تمّــت لي الحيلــة في العباد أدركت من صالحهــم مرادي
بمثــل ذا أمكنننــي إفسادي لأنفــس العبّــاد والزّهادِ

* * *

والهفتــي من خدّه الأسيلِ إذا انجلى عن صفحتــيْ صقيلِ[1]
واحربــي من طرفــه الكحيلِ مَنْ منصفــي منــه ومَــنْ مديلي ؟[2]

* * *

مــن مقلــةٍ كالصّــارم البتّار ألحاظهــا أمضــى من المقدار[3]
تحـكم في لبِّــي وفــي اصطباري نظيرَ حكم الدّهــر في الأحرار

* * *

حــلّ قواي العقــد من زنّاره ألهــب قلبــي خدُّهُ بنارهِ
عــذّر صبــري مبتــدا عذاره حيّرنــي بالطــرف واحوراره[4]

* * *

جــاء بوجــهٍ حسنــه محبوبُ تطيب في أمثالــه الذّنوبُ
وقامــةٍ ذلّ لهــا القضيبُ والقــدُّ تنقــدُّ به القلوبُ

* * *

هفــا بقلبــي منــه إفــراطُ الهيَفْ فقلــت لمــا أن تثنّــى وانعطف :[5]
يا سيدي من دون ذا الميل التلفْ وشرط من كان ظريفاً في القطف[6]

* * *

(١) الأسيل : الأملس الناعم ، والصقيل : السيف المصقول .
(٢) الحرَب : الأسف والحزن ، والمديل : المعين والمغلّب .
(٣) البتّار : القاطع .
(٤) الحور : شدّة سواد العين وشدّة بياضها .
(٥) هفا : حنّ ومال ، والإفراط : الإكثار .
(٦) التلف : الهلاك .

مــا قِصَــرُ القامــة مثــل الطول ولا البــدين الجســم كالمهزول
عشــق الــرشيق الأهيف المجدول شأن ذوي الأفهــام والعقول

* * *

لا يعشــق الضخــم الغليظ الجسمِ غير غليظ الطبــع جافٍ فدمِ
مــكدّر الحسّ ركــود الفهم يقــول في الحســن بغير علمِ

* * *

قد صحــت لمــا خفـت منـه القتْلا وكدت من فرط السقــام أبلى :
يا حاكمــاً جانَــبَ فيَّ العـدلا مهـلاً بمـن يهـواك مهــلاً مهلا [1]

* * *

يا ظالمــاً يقتلــني مجاهره قد منــع الوجــد من المساتره
هلــم إن شئــت إلى المناظره واستعمــل الإنصــاف لا المكابره

* * *

فــي أيِّ دينٍ حلَّ قتــل الروح وهــل لمــا تفعــل من مبيحِ
إن قلــت ذا جاء عن المسيح فليس مــا تـزعـم بالصحيحِ

* * *

مُـرْقُصُ ما أخبرنــا بذا الخبرْ عنــه ولا لوقــا حكاه في الأثرْ
وقــد نهــى عن ذا يوحنــا وزجر ولا ارتضــى متّــى به ولا أمرْ

* * *

أربعــةٌ ليس لهــم عديلُ ولا لهــم فــي أمرهـم كفيلُ

---

(١) جانبَ : ابتعد وفارق .

مـا فيهـمُ مـن قـال مـا تقولُ فهـل سوى إنجيلهـم إنجيلُ

* * *

فـإن زعمـت أن ذا موجود في زبـرٍ جاء بهـا داودُ
فمـا الزّبـور بيننا مفقود فكيف لـم تعلـم بـه اليهودُ

* * *

ولـم يخبّـر أحـدٌ سواكا من النصـارى كلّهـمْ بذاكا
لا تتقـوّل غـير ما أتاكا وغلّـبِ الحـقَّ علـى هواكا[1]

* * *

سفـك دمـي يحظـر في الأديانِ فدع حجاجـاً ظـاهـر البطلانِ
لا تجمـع الإثـم مع البهتانِ وكن علـى خوفٍ من العدوانِ[2]

* * *

واعلم بأنـي إن تمـادى بي الهوى وخفـت أن أتلف من فرط الضّنى
ودمـت في هجـرك لي كمـا أرى ولـم أجـدْ منـك لمـا بي مشتكى

* * *

شـكوت ما تلقـاه نفسـي البائسهْ من خطـراتٍ للهمـوم هاجسهْ
عفـت رسـوم الصبـر فهـيَ دارسهْ إلـى جميع عصبـةِ الشمامسهْ

* * *

فـإنْ هُمُ لم يرحمـوا أنيني وخيّبـوا في قصدهـمْ ظنوني

---

(١) لا تتقوّل : لا تختلق الأقوال .
(٢) البهتان : الزور وعدم الحقيقة .

ولــم أجــد في القــوم من معين ينصفنــي منـك ولا يعديني

* * *

شــكوت ما يلقـى من الأحزان قلبــي إلــى مشيخــةِ الرُّهبانِ
عســاك تستحــي من الشّيخان وإن تهاونــت بهـم في شاني

* * *

فــلا أراك مغضبــاً عبوسا إذا أتيت أســأل القسّيسا
معونــةً أرجــو لهــا التّنفيسا عن مهجــةٍ قاربــت النسيسا[1]

* * *

واعلــمْ بأنــي إن رددت شافعي هذا ولـم يرجــع بأمرٍ نافعِ
فليس ذا بحــاسـمٍ مطـامعي كم طالــب جدٍّ بجــدٍّ مانعِ

* * *

لـو كنــت مبــذولاً لنــا لم تطلبِ وإنمـا نـرغــب إذ لـم ترغبِ
وكلّــت النّفس بتــرك الأقرب وشدّةُ الحـرص علـى المستصعبِ

* * *

وإن تمــاديت علــى جفائكا ودمــت بالقلّـة من حبائكا[2]
فــي هجرنــا عل قبيحِ رأيـكا واســتيأس الرهبــان من إصفائكا

* * *

(١) النسيس : آخر الرمق والروح .
(٢) الحباء : العطاء والتكرّم بالوصل .

فـلا تلمنـي إن قصـدت الأسقفا　　من برَّحَ السُّقـم بهِ رامَ الشفّا[1]
فـلا تقـل أبـديت مكنـون الخفا　　أنـت الـذي أحوجتنـي أن أكشفا

* * *

سوف إلـى المطـران أنهـي قصّتي　　إن دام ما تؤثـره من هجرتي
فـإن رثـى لي طالبـاً معونتي　　ولـم تشفّعـه بكشف كربتي

* * *

شـكوت ما يلقـاه من فرط السقمْ　　قلبي إلى البطـرك والحبـر العلم[2]
عسـاك إن حالفتـه فيمـا حكمْ　　يدخلك الحـرم فويلُ من حرم

* * *

هنـاك تأتـي مسـتقيلاً ظلمي　　تسألنـي عطف الـرضى بالرغم
ترضـى بمـا ينفـذ فيك حكمي　　إذا بك اشتـدّ عذاب الحرم

* * *

دع ذا فهـذا كلّـه تهديدُ　　أرجـو به قربـك يا بعيـدُ
هيهـاتَ سرّي أبـداً جحود　　فيـك وقولـي كلّمـا تريـدُ

* * *

مـولاي قد ضاقـت بيَ الأمورُ　　فقلـت ما قلـت وقولـي زورُ
قلبـيَ إلاّ في الهـوى جسورُ　　فلا تلـم أن ينفـث المصدورُ[3]

* * *

---

(١) برّح : آلم وعذّب .
(٢) الحبر : العالم النحرير ، وهو رئيس الأساقفة .
(٣) المصدور : المسلول ، مريض الصدر .

مـولاي بالرحمـن أحـيِ مغرما		يخـاف أن تغضـب إن تظلّمـا
إليك أشـكو فعسـى أن تنعما		مهـلاً قليلاً قد قتلـت المسلما

* * *

يا جرجس ارفـق بفـؤادٍ هائمِ		يا سيدي خفْ سوء عقبي الظالمِ
وقـد رضينـا بك في التّحاكمِ		والجـور لا يشبـه فعـل الحاكمِ

* * *

أقصـى رجائـي منـك نيل الودِّ		وقبلـةٍ تشفـي غليل الوجـدِ
يا جائـراً أفـرط في التعدّي		منـك إليك في الهـوى أستْعـدي

* * *

وقال في أزمنة السنة مزدوجة [من الرجز] :

يا سائلـي عن أطيب الدّهور		وقعـت في ذاك علـى الخبير
سألتنـي أيّ الزمـان أحلى		وأيّهُ بالقصف عنـديَ أولى
عنديَ في وصف الفصـول الأربعة		مقـالـةٌ تغنـي اللبيب مقنعه

فصل الصيف :

أمـا المصيف فاستمـعْ ما فيهِ		من فطـنٍ يفهـم سامعيه
فصـلٌ من الدّهـر إذا قيل حضرْ		أذكرنـا بحـرِّه نار سقر[1]
تبصـر فيه النبـت مقشعرا		والأرض تشـكو حرَّه المضرّا
نهـاره مقسّـمٌ بين قِسَمْ		جميعهـا يعـاب عنـدي ويذمْ
أولّـه فيه ندىً مبغضُ		كأنّـه علـى القلـوب يقبضُ
يلصـق منـه الجسـم بالثّياب		وتعلـق الأذيال بالترابِ

---

(١) سقر : جهنّم .

حتى تراهـا مثـل منـديل الغمرْ فيهـنَّ تخـطيطٌ كتخـطيط الحبرْ[1]

حتـى إذا ما طردتـه الشمسُ وفرحـت بأن يزول النفس

فتحـت النّـار لـه أبوابهـا وشـبّ فيهـا مالكٌ شهابهـا

حـرٌّ يحيـل الأوجـه الغرّانا حتـى ترى الـروم بهـا حبشانا[2]

يعلـو به الـكرب . ويشتـد القلقْ وتنضـج الأبـدان منـه بالعرق

تبصـره فوق القميص قد علا حتـى ترى مبيضّـهُ مصندلا[3]

إن كان رثّـاً زاد في تمزيقه أو مستجـداً حلّ حبـل زيقه[4]

ثـم يعيد المـاء ناراً حامية تزيد في كرب قلـوب الضاويه[5]

شاربـه يكرع فـي حميمِ كأنّـه من ساكنـي الجحيم

ينسيه ما يلقـى من التّهابه أن يحمـد الله علـى شرابه

حتـى إذا عنّـا انقضـى نهـاره وأرخيـت مـن ليلـه أستاره

تحـرّكتْ في جنحـه دواهي ساريةً وأنـت عنهـا ساهي

من عقـربٍ يسعـى كسعـيِ اللّصِ سلاحهـا في إبـرٍ كالشّصً[6]

وحيّةٍ تنفـث سمّـاً قاتلا تزود الملـدوغ حتفـاً عاجلا

تبصـر ما في جلدهـا من الرقشْ كوجنـةٍ مصفـرّةٍ فيهـا نمشْ

لـو نهشـت بالنّاب منهـا الخضرا لبتـرت منـه الحياة بترا[7]

فـإن أردت الشـرب في إبانهْ علـى الـذي وصفتـه من شانهْ

أبشـر بمـا شئـت من الصراعِ فضـلاً عن التهـويس والصّداعِ

---

(١) الحبرة : الملاءة .

(٢) يحيل : يجعل ويحوّل ، والغران : البيضاء .

(٣) الصندل : شجر هندي أبيض الزهر خشبه طيّب الرائحة .

(٤) الزيق : من القميص ما أحاط بالعنق .

(٥) الضاوية : الملتهبة .

(٦) الشّص : حديدة معكوفة الرأس تشدّ بها حبال الرحل .

(٧) بترت : قطعت .

وعللٍ تعجز إحصاء العددْ | من جربٍ ومن دُوارٍ ورمَدْ
وبعد حمّى الكبد لا تنساه | لأنّه أوّلُ ما تلقاه
ولا تقل إن جاء يوماً أهلا | فلعنة الله عليه فصلا

فصل الخريف :

حتى إذا زال أتى الخريفُ | فصلٌ بكلٍّ سوءةٍ معروفُ
أهويةٌ تسرع في كلِّ الجسدْ | وهو كطبع الموت يبساً وبردْ
يخشى على الأجسام من آفاته | فأرضه قرعاء من نباتهِ[1]
لا يمكن الناس اتقاء شرِّهِ | من اختلاف بَرْدِهِ وحرِّهِ
تبصره مثل الصبيِّ الأرعنِ | في كثرة التغيير والتلوُّنِ[2]
فإن أردت الشرب للعقارِ | في حينه بالليّل والنهارِ
فأنت منه خائفٌ على حذرْ | لأنه يمزجُ بالصَّفْوِ الكدرْ
أحسن ما يهدي لك النسيما | يقلِّبُهُ في ساعةٍ سموما[3]
وهو على المعدود من ذنوبه | خيرٌ من الصنيف على عيوبه

فصل الشتاء :

حتى إذا ما أقبل الشتاءُ | جاءتك منه غمّةٌ غمّاءُ[4]
أقبل منه أسدٌ مزيرُ | له وعيدٌ وله تحذيرُ
لو أنّه روحٌ لكان فدما | أو أنّه شخص لكان جهما[5]
يأتيك في إبانه رياحُ | ليس على لاعنها جُناح[6]

---

(١) قرعاء : جرداء .
(٢) الأرعن : الطائش .
(٣) السّموم : الريح اللافحة تهب صيفاً فتشوي الوجوه شيّاً .
(٤) الغمّة : الكرب .
(٥) الجهم : العابس المقطّب .
(٦) جناح : إثم أو ذنب أو ملامة .

حراكهـا ليس إلى سكونِ ... تضرُّ بالأسماع والعيونِ
يحـدث من أفعالهـا الزكام ... هذا إذا ما فاتـك الصدامُ
ثـم يليهـا مطـرٌ مداومُ ... كأنّـه خصـمٌ لنـا ملازمُ
يقطعنـا بغضـاً عن الطّريقِ ... وعـن قضـاء الحـقّ للصديق
وربّمـا خرَّ عليك السَّقْفُ ... وإن عفـا عنـك أتـاك الوكفُ[1]
هـذا وكم فيه من المغارمِ ... وكثـرة الإنفـاق للدّراهمِ
في ملبسٍ يدفـع شرَّ بردِهِ ... يكفُّ عنّـا منـه غِرْبَ حدِّهِ[2]
مـلابسُ تعيي الجليد حملا ... كأنّمـا يحمـل منهـا ثقلا
يحكي بها المنحوف أصحاب السِّمَنْ ... لكن تراه سمنـاً غـير حَسَنْ
فـإن أردتَ بالنّهـار الشرُّبا ... فيه فقـد قاسيت خطبـاً صعبا
واحتجـت أن توقـد فيه النارا ... تطـير نحـو الحـدق الشرّارا
تتـرك مبيضَّ الثيابِ أرقطا ... تحـكي السـعيديّ لك المنقّطا[3]
وبعـد ذا تسـدُّدُ الثّقابا ... من خوفـه وتغلـق الأبوابا[4]
نعـمْ وترخـي نحـوه الستورا ... حتـى ترى صاحبـه ديجورا
فحسـنُ لون الـراح فيه لا يُرى ... لأنّـه صار سواءً والدُّجى
تشرب فيه إن شربـت الخمرا ... ليس لأنْ تلهـوَ أو تسرّا
لـكن لتحمـي خضر الأعضاء ... فشربهـا ضربٌ من الدواء[5]
وإن أردت الشرب في الظلام ... عاقـك عن تنـاول المدام
حسبـك أن تنـدسّ في اللحاف ... وخشيةَ البـرد على الأطرافِ

---

(١) الوكف : الانحراف والثقل والضعف .

(٢) الغرب : السهم .

(٣) الأرقط : المنقّط .

(٤) الثقابا : الكوى والفتحات والثقوب .

(٥) خضر الأعضاء : كسلها وفتورها .

ورعـدةٍ تشغـل عن كلّ عملْ وتؤثـر النـوم وتسـتحلي الكسل
حتـى إذا ملـت إلى الرّقاد نمـت على فرشٍ من القتاد[1]
إنّ البـراغيث عذابٌ مزعج لكلٍّ ما قلـبٍ وجلـدٍ تنضج
لا يستلـذّ جنبـه المضاجعا كأنّمـا أفرشتـه مباضعا[2]
قبِّـح فصـلاً فوق ما ذممتهُ لو أنّـه يظهـرُ لي قتلتهُ
حتّـى إذا ما هو عنّـا بانا وزال عنّـا بعضـه لا كانا

فصل الربيع :

جـاء إلينـا زمـنٌ الربيعِ فجـاء فصـلٌ حسـن الجميعِ
لبـرده وحـرِّه مقـدارُ لم يكتنف حدّهمـا الإكثار
عـدِّل في أوزانـه حتـى اعتدلْ وحمـد التّفصيل منـه والجملْ
نهـاره من أحسـن النّهارِ في غاية الإشـراق والإسفارِ
تضحك فيه الشمس من غير حُجُبْ كأنّهـا في الأفـق جامٌ من ذهبْ
وليلـهُ مستلـطـف النّسيمِ مقـوَّمٌ في أحسـن التّقويمِ
لبـدره فضـلٌ علـى البـدورِ في حسـن إشـراقٍ وفـرط نورِ
كجامـة البلّـور في صفائهـا أو غرَّةِ الحسنـاء في نقابها
كأنّهـا إذا دنـت من نحرِهِ جوزاؤه قبـل طلـوع فجره
روميةٌ حلّتُهـا زرقاءُ في الجيد منهـا درَّةٌ بيضاءُ
هـذا وكم يجمـع من أمور إسـراف مطريهـا من التقصير
فيه تظـلُّ الـطير في ترنُّمِ حاذقـةً باللحـن لم تعـلَّمِ
غناؤهـا ذو عجمـةٍ لا يفهمُهْ سامعـه ،-وهـو علـى ذا يقرمه[3]

---

(١) القتاد : الشوك الحاد .

(٢) المباضع : جمع مبضع ، يستعمل في الجراحة والشقّ .

(٣) يقرمه : يقضمه ، والقرم : شدّة الشهوة .

مـن كلِّ دبســيٍّ له رنينُ وكلِّ قمـريٍّ له حنين[1]

فـي قرطـقٍ أعجـل أن يورّدا خاط له الخياط طوقـاً أسودا[2]

هــذا وفيه للــرياض منظـر يفشـي الثّرى من سرّهـا ما يضمرُ

ســرّ نبـاتٍ حسنـه إعلانهُ إذا سواه زانـه كتمانهُ

فيه ضروبٌ للنّبـات الغضِّ يحـكي لبـاس الجنـد يوم العرض

مـن نرجسٍ أبيضَ كالثّغور كأنّـه مخـانـقُ الكافور

وروضــةٍ تزهـر من بنفسج كأنّهـا أرضٌ من الفيروزجِ

قـد لبســت غلالـةً زرقاءَ فكايدت بلـونهـا السماءَ[3]

تبصرهـا كثـاكلٍ أولادها قد لبســت من حزنٍ حدادها

يضحـك فيهـا زهـر الشّقيقِ كأنّـه مداهـنُ العقيقِ

مضمّنّـاتٌ قطعـاً من السّبجْ فأشرفـت بين احمـرارٍ ودعجْ[4]

كأنّمـا المحمـرُّ في المسود منـه إذا لاح عيون الرمد

أمـا ترى أترجـهُ ما أحسنهْ يختـال في غلائـلٍ مبيّنهْ

وانظـر إلـى الخشخـاش إن نظرتا يحـكي كراتٍ ظوهـرت كيمختا[5]

وارم بعينيك إلـى البهـار فإنّـه من أحســن الأنوار[6]

كأنّـه مداهـنٌ من عسجدِ قد سمِّـرتْ في قضـب الزّبرجدِ

فـانهضْ إلـى اللهـو ولا تخلفِ فلسـت في ذلك بالمعنّفِ

واشـرب عقـاراً طال فينـا كونها يصفـرُّ من خوف المـزاج لونها

(١) الدبسي : طائر أدكن يقرقر .

(٢) القرطق : نوع من الأردية .

(٣) الغلالة : الثياب الرقيقة ، وكايدت : ماثلت .

(٤) السّبج : خرز أسود ، والدعج : سعة العين مع شدّة بياضها وشدّة سوادها .

(٥) كيمخت : رفعت رأسها تكبراً .

(٦) البهار : نبتٌ طيّب الرائحة .

مـن كفٍّ ظبـيٍ من بنـي النصارى ... ألبابنـا فـي حسنـه حيارى
إذا بدا جمالـه لذي النظرْ ... قال : تعالـى الله ما هذا بشرْ
يبـدي جمـالاً جلّ عن أن يوصفا ... لو أنّـه رزقُ حريصٍ لاكتفى
تزينُـهُ أحشـاءُ كشـحٍ طاويهْ ... وسـرّةٍ محشـوّةٍ بالغاليهْ[1]
لاسيمـا مع مسمـعٍ وزامرِ ... قد سلمـا من وحشـة التّنافرِ

* * *

دونـك هذي صفـة الزمـان ... مشروحـةً في أحسـن التبيان
فأَصغ ِ نحـو شرحهـا كي تسمعا ... ولا تكـن لحقّهـا مضيِّعا
وارض بتقليـديَ فيمـا قلتُهُ ... فإنّنـي أدرى بمـا وصفتهُ
ولا تعارضنـيَ في هذا العمل ... فإنّنـي شيخُ الملاهـي والغزل

وقال أيضاً [من الرجز] :

باعثـاً لدعوتـي غـلامهْ ... وعاتبـا من تركنـا إلمامه[2]
إذا أردت أن تزار في غدٍ ... فلا تغـال في الطعـام واقصدِ
واعْمـدْ إلـى ما أنـا منـه واصفُ ... فإنّنـي بالطيِّـاتِ عارفُ
ابعـث فخـذ عشـراً من الرِّقاقِ ... تلذُّهـا نواظـرُ الأحـداقِ
تـكاد ممـا رقّ من حرسائها ... تشف للأعين من صفائها[3]
أَرَقْهـا الصّانـع حتّـى خفّتِ ... ولطَفـتْ أجسامهـا ومدَّتِ
تـكاد لولا حذقـه في صنعته ... تطيرهـا أنفاسـه من راحتهْ
حتـى أتـت في صورة البدورِ ... أو مثـل جامـاتٍ من البلّورِ

---

(١) الغالية : أنواع الطيب .
(٢) الإلمام : الزيارة ، والقصد .
(٣) الحرساء : الغلاف والجلد الحافظ للشيء .

حتـى إذا فرغـت منهـا متقناً ولـم ير العائـب فيهـا مطعنا[1]
فاعمـد إلـى مدوّرٍ من البصلْ فإنّـه أكبـر أعـوان العملْ
يحـكي لعينيك اخضـرار قشره إذا رمـاه ناظـرٌ بفكرهِ
غلائـلاً خضـرا علـى جسومِ بيضٍ رطـابٍ من بنـات الرّوم
حتـى إذا أحكمتـه تقطيعا وقلـت قد جوّدتـه صنيعا
خلطتـه باللّحـم خلطـاً جيّدا ولـم تزلْ تخلـطه مردّدا
حتـى إذا أنـت أجـدت فعلهُ ثم جمعـت في الرِّقـاق شملهُ
صيَّرتـه يا ذا العـلا السنيَّهْ شابـورةً ليسـت لهـا سميَّهْ[2]
ثمّـت أغـل الشبـرق المقشّرا من فوقـه حتـى تراه أحمراْ[3]
مـكتسياً حلّتـه الخمريَّهْ من بعدمـا عهدتهـا فضيَّهْ
ثـم أدِرْ كأس الشمـول منعما أكرم بهـذا مشربـاً ومطعما
فلسـت في فعلك ذا مبذّرا كلاّ ولا في حقّنـا مقصرًا

وله في الروض [من الرجز] :

أسفـر عن بهجتـه الدّهـر الأغرْ وابتسـم الـروض لنـا عن الزهرْ
أبـدى لنـا فصـل الـربيع منظراً بمثلـه تفتـن ألبـاب البشرْ
وشياً ولـكن حاكـه صانعه لا لابتـذال اللبس لكنْ للنّظرْ
عاينـه طرف السمـاء فانثنى عشقـاً له يبـكي بأجفـان المطرْ
فـالأرض في زيٍّ عروسٍ فوقها من أدمـع القطـر نثـارٌ من دررْ[4]
وشـيٌ طواه في الثّـرى صوانه حتـى إذا ملّ من الطـي نشرْ[5]

---

(١) المطعن : الانتقاص .
(٢) شابورة : ملكة (شاه بور) .
(٣) الشبرق : نبات رطب .
(٤) نثار : ما ينثر من الماء والمال وغيره .
(٥) نشر : فاح وعرّض لأشعة الشمس .

أمـا ترى الـورد كخـدّيْ كاعبٍ ... راودهـا فامتنعـت منـه ذكرْ
كأنّمـا الخمـر عليه نفَّضتْ ... صباغهـا أو هي منـه تعتصرْ
أخجلـه النـرجس إذ جاد له ... فاحمـرّ من فرطِ حياءٍ وخفرْ[1]
قـال له العين ومـا الخـدُّ لها ... موازنـاً في عُظْـمِ قدرٍ وخطر
مـاذا الـذي يرجـى لخـدٍّ بَهِجٍ ... مستحسـنٍ صاحبه أعمـى البصر
فاحمـرّ من حجّتـه إذ ظهرتْ ... والحـقُّ لا يدفـع يومـاً إنْ ظهر
وانظـر إلـى النارنـج في بهجته ... يلـوح في أفنـان هاتيك الشجر
مثـل دنـانير نضـارٍ أحمرٍ ... أو كعقيقٍ خرِّطـت منـه أُكَر[2]
وانظـر إلـى المنثـور في ميدانه ... يرنـو إلـى الناظـر من حيث نظر
كجوهـرٍ مختلفٍ ألوانه ... أسلمـه سلكُ نظـامٍ فانتثر
كأنّ نور الباقـلا إذا بدا ... لناظـريه أعينٌ فيهـا حور
كمثـل ألحـاظ اليعافيـر إذا ... روّعهـا مـن قانصٍ فـرطُ الحـذر[3]
كأنّـه مداهـنٌ من فضّةٍ ... أوساطهـا بهـا من المسـك أثر
كأنّهـا سوالفُ من خرّدٍ ... قد زيَّنـت بياضهـا سود الطُّرر[4]
وانظـر إلـى الأطيار في أرجائهِ ... إذا دعـا الشـاكل منهـا وصفر
كأنّهـا تصفـر في رياضها ... سرب قيانٍ فوق بسـطٍ من حبر
فانهض إلـى اللهـو ولـذات الصبّا ... لامـك من يعـذل فيهـا أو عذر
فقلَّمـا يغنيك من يعـذل فيـ ... ـمـا تشتهي حتـى تواريك الحفرْ
فـكيف هجـران اللـذاذاتِ ولمْ ... يبـدِ نهـار الشّيب في ليلِ الشَّعَرْ
والنُّسـك في عصـر الصبّـا كأنّه ... من قبحـه خلـعُ عذارٍ في الكِبَرْ

---

(١) الخفر : الحياء .

(٢) الأكر : الكتل .

(٣) اليعافير : جمع يعفور ، وهو ظبيٌ بلون التراب .

(٤) الطرّر : خصال الشعر في مقدمة الرأس .

يا لائمـاً يعـذلنـي في طربي حسبك قد أكثرت من هذا الهذر[1]

أعـرف فضـل العقـل إلاّ أنّهُ لعيش من آثـره عين الكدر

الجهل ينبـوع مسـرّاتِ الفتى والعقـل ينبـوع الهمـوم والفكر

فاجسـر علـى ما تشتهـي جهالةً ما فاز باللّـذّاتِ إلاّ من جسر[2]

واشـرب عقـاراً لو أصابـت حجراً لطـار من خفّتـه ذاك الحجر

عـدوّةُ الحـزن الـذي ما ظفرت قطُّ به إلا أسـاءت في الظّفر

لـو رام أن يجيره من كيدها صرف الزمـان الحتـم يومـاً ما قدر

أرَقّهـا الدّهـر إلـى أن شاكلت من رقّـةٍ شعـر جميلٍ وعمر

خفية الحيلـة في جسـم الفتى تحدث في الجسـم دبيبـاً وخَدَرْ[3]

كأنّمـا الأوطـار فيهـا جمعت فليس في العيش لجافيهـا وطر[4]

لاسيّمـا من كفٍّ ظبـي لم يشنْ بفـرط طولٍ لا ولا فرط قصرْ

لـه سهـامٌ من لحـاظ صيّبٍ كأنّمـا يرمين عن قوس القدر

مزنّـرٌ شكّكنـي في دينهِ حتى أحلـت الكفـر فيمـن قد كفر

لأنّـه كالحُـوْرِ في تصويره والحـور لا يسكنهـا الله سقر[5]

لـو لم يكن زنّـاره في وسطهِ يمسـك ضعف الخصـر منـه لانبتر

وبـان منـه نصفـه عن نصفه لكنّـه جاء لهُ علـى قدر

إن قلـت يحـكي قمـراً عنّفني عقـلٌ له أعدمـه عنـد القمر

أنـى يوازيه وهـذا ناطقٌ وذاك إن خوطبَ لم ينطقْ حَصَرْ[6]

---

(١) الهذر : الهذيان والكلام الذي لا طائل وراءه .

(٢) جسر : تجرأ .

(٣) الدبيب : المشي ، والخدر : الضعف والفتور .

(٤) الوطر : الحاجة .

(٥) سقر : جهنّم .

(٦) حصراً : إعياءً .

يا لك منه منظراً أشهى إلى ... قلبيَ من جنّةِ عدنٍ أو أسرّ
يا طيب ذي الدنيا لنا منزلةً ... لو لم نكن نزعج منها بسفر

وقال أيضاً [من البسيط] :

علِّلْ فؤادك والدنيا أعاليلُ ... لا يشغلنْكَ عن اللّهو الأباطيلُ
ولا يصدنّنْكَ عن أمرٍ هممت بهِ ... من العواذل لا قالٌ ولا قيلُ
فخير يوميك يومٌ أنت فيه إذا ... ميّزت في الناس محمودٌ ومعذولُ
وإن أتوك فقالوا كن خليفتنا ... فقل لهم إنّني عن ذاك مشغولُ
فإن ذلك أمرٌ معْ نفاستهِ ... ونبله بفناء العمر موصولُ
وارض الخمول فلا يحظى بلذّتهِ ... إلا امرؤٌ خاملٌ في الناس مجهولُ
ولا تبع عاجل الدنيا بآجل ما ... ترجو فذلك أمرٌ شأنه الطولُ
واسفك دم القهوة الصهباء تحي به ... روحي فإنّ دم الصهباء مطلول[1]
يا خائف الإثم فيها حين تشربها ... لا تقنطن فعفو الله مأمولُ
قم فاسقني النضّ ممّا حرموه ، ولا ... تعرض لما كثرت فيه الأقاويل[2]
من قهوةٍ عتقتْ في دنّها حقباً ... كأنّها في سواد الليل قنديلُ[3]
عروس كرم أتت تختال في حللٍ ... صفرٍ على رأسها للمزج إكليلُ
كأنّها بأكفّ القوم إذ جليتْ ... ذوبٌ من الذّهب الإبريز محلولُ
في فتيةٍ جعلوا للهو طاعتهمْ ... فما لهم عن طريق اللهو معدولُ
جليسهم ليس يُروى من حديثهم ... يوماً وبعض حديث القوم مملولُ
لا كالذين إذا ما كنت حاضرهم ... ففي سكوتهم المأمول والسولُ
ترى مجالسهم مملوءةً لجباً ... وكلّ ذاك فضولٌ عنك معزولُ[4]

---

(١) المطلول : مباحٌ سفكه .
(٢) نضّ الماء : سال قليلاً ، أو خرج رشحاً ، والناض : الزائد .
(٣) الحقب : مفردها حقبة وهي مدّة طويلة من الزمن .
(٤) اللجب : الصخب .

وقال أيضا [من مخلع البسيط] :

اشــرب فقــد طابــت العقارُ وابتســم الــورد والبهارُ
مــن قهــوةٍ ما انبــرت لهمُ إلاّ وولّــى له انشمارُ[1]
لهــا جيوشٌ من الملاهي للهــمّ قــدّامها الفرارُ
لألاؤهــا في الدّجــى نهارٌ يظلــم من نوره النّهارُ
إذا استقــرت حشــا لبيبٍ رأيتــه ما له قرارُ
لــم يرهــا ناظــرٌ حــديدٌ إلا ثنــى لحظــه انكسارُ
خيالهــا جســمــه لجينٌ وجسمهــا شخصــه نضار[2]
كأنّهــا تحتــه كميتٌ عليــه من فضّــةٍ عذارُ
لهــا لدى حزن شاربيها ثأرٌ وعنــد الحلــوم ثار
فالحــزن عن أهلهــا مُطارٌ والحلــم في إثــره مطارُ
فــلا انتصــار لذا عليها ولا عليهــا لــذا انتصارُ
يسعــى بهــا جؤذرٌ غريرٌ في لحــظ أجفانــه احورار
يحســن منــي الــوقار إلاّ فيــه فمــا يحســن الوقارُ
أغــار منّــي عليه حتّى عليه مــن نفســه أغارُ
كلّ جمــالٍ ترى فمنــهُ إذا تأمّلــت مستعارُ
كأنّ صدغــاً له تراه وهــوَ علــى خدّهِ مدارُ
ميدان آسٍ بدا جنياً ألهــب في جانبيه نارُ[3]
بيتٌ من الحســن لي إليه حجٌّ مدى الدّهــر واعتمارُ
زيارة البيت كلّ عامٍ ودهــر ذا كلّــه يزارُ

---

(١) ولّى : ذهب ، وانشمار : انقباض .
(٢) اللجين : الفضة ، والنضار : الذهب .
(٣) الآس : الريحان .

قلــت له إذ بدا وقلبي من لاعــج الشــوق مستطارُ[1]
يا جامــع الحســن كلّ حسنٍ للنــاس من شرطــك اختصارُ
مــا فضّــل الغــانيات عندي عليك إلاّ امــرؤٌ حمارُ

وقوله أيضا [من مخلع البسيط] :

اشــرب فقــد طابــت المدامُ وافتــرّ عن ثغــره الغمامُ[2]
مــن قهــوةٍ حُرِّمــت علينا والصّبــر عن مثلهــا حرامُ
جلّــتْ عن الــوصف فهــي شيء يدقّ شأنهــا الكلامُ
إذا استــذمّ الأســى إليها فمــا له عندهــا ذمامُ
طــوّقها المــاء سمــط درٍّ ليس لمنثــوره نظامُ[3]
كأنّهــا تحتــه كميتٌ عليــه من فضّــةٍ لجامُ
إذا بدت للهمــوم ظلّت وهــي لإعظامهــا قيامُ
تلــوذ منهــا فلا لواذٌ ينفــع منهــا ولا اعتصامُ
فــي فتيةٍ كلُّهــمْ كريمٌ وخير مَنْ يُصحــب الكرامُ
يكســد سوق الفتــاة فيهمْ ظرفــاً ولا يكســد الغلامُ
أئمّــةٌ كلُّهــمْ عليمٌ بكلّ ما فعلــه أثامُ
لكننــي فيهــمْ علــى مــا وصفــت من فضلهــم إمامُ
وعندنــا شادنٌ غريرٌ في لحــظ أجفانــه سقامُ
للحســن قدّامــه جيوشٌ للصبــر قدامها انهزام
يخفّ في حبّــه التصابي كمثــل ما يثقــل الملامُ
ذا العيش فافطــنْ له وبادرْ من قبــل أن يفطــنَ الحمامُ

---

(١) لاعج الشوق : حرّة وشدّته ، ومستطار : أي شرر يتطاير .
(٢) افترّ : تبسّم .
(٣) السمط : العقد .

وانعـم فغـام السـرور عندي يومٌ ،ويوم الهمـوم عامُ

وقال أيضاً [من الكامل] :

جانبـت بعـدك عفَّتـي ووقاري وخلعـت في طرق المجـون عذاري
ورأيت إيثـار الصبابـة في الذي تهـوى النفـوس ممحّق الأعمارِ[1]
لا تأمرنّـي بالتّستُّـرِ فـي الهوى فالعيش أجمـع في ركوب العار
إنّ التوقّـر للحياة مكدِّرٌ والعيش فهـو تهتُّـكُ الأستارِ
من تابعـت أمـر المـروءة نفسه فنيت من الحسـراتِ والأفكار ؟
لا تكثـرنّ علـيّ إنّ أخـا الحجا بَرِمٌ بقـرب الصّاحـب المهذارِ[2]
خوّفتنـي بالنـار جهـدك دائباً ولججـت في الإرهـاب والإنذارِ
خوفـي كخوفـك غير أنّـي واثقٌ بجميل عفـو الـواحـد القهّارِ
أقـرَرْتُ أنّـي مذنـبٌ ومجرمٌ تعـذيب ذي جرمٍ علـى الإقرارِ[3]
انظـر إلـى زهـر الـربيع ومـا جلتْ فيه عليك طرائف الأنوارِ
أبـدت لنـا الأمطـار فيه بدائعاً شهـدت بحـكمـة منزل الأمطارِ
ما شئـت للأزهـار في صحرائه من درهـم بهـجٍ ومـن دينارِ
وجواهـرِ لولا تغيُّرُ حسنها جلَّـتْ عن الأثمـان والأخطار
من أبيضٍ يقـقٍ وأصفـر فاقعٍ مثـل الشمـوس قرنّ بالأقمارِ
ناحـت لنـا الأطيار فيه فأرهجت عرس السـرور ومأتـم الأطيارِ[4]
دارٌ له اتصـل البقـاء لأهلها لم يحفلـوا بنعيم تلك الدّارِ
فانهضْ بنـا نحـو السّـرور فإنّهُ ما زال يسـكن حانـة الخمّارِ

---

(١) ممحـق الأعمار : متلفها .
(٢) برم : ضجِزٌ وملّ .
(٣) الجرم : الذنب .
(٤) أرهجت : أقامت .

فاشــرب معتَّقــةً كأنَّ نسيمها مســكٌ تضوّعــه يدُ العطارِ[1]
أَخْفَــى دبيبــاً في مفاصــل شربها وأدقَّ ألطافــاً من المقدارِ
أحكامهـا في العقــل إنْ هي حكّمتْ أحــكام صرف الدهــر في الأحرارِ
يرضى علـى الأقـدار شاربهـا الذي ما زال ذا سخــطٍ علــى الأقدارِ
وكأنّهــا والــكأس ساطعــةٌ بها ذوبٌ تحلّل في عقيقٍ جاري
لا سيّمــا من أغيد شادنٍ يسبــي العقــول بطرفــه السحَّارِ
فضــل الغصــون لأنّهــا من غرسنا عنــد التأمُّــل وهــو غرسُ الباري
قد غيَّب الزّنــار دقّــةَ خصره حتّــى ظنناه بــلا زنّارِ
متنصــرٌ قويت علــى إسلامنا بالحســن منــه حجّــةُ الكفارِ
قالــوا أيصنــع مثــل هذا ربكم ويرى فســاد صنيعــه بالنارِ؟
مع مسمــعٍ حلفــتْ له أوتاره أنْ لا تنافــر رنّــة المزمارِ[2]
فطــنٌ يحــرِّك كلّ عضــوٍ ساكنٍ تحــريكه لســواكن الأوتارِ
شدوٌ إذا الحلمــاء زار حلومَهَمْ باعــوا بطيب السّــخف كلَّ وقارِ
والشــدو أحسنــه الــذي لم يستمعْ إلاّ أطــار العقــل كلَّ مطارِ
ذا العيش، لا نعــتْ المهامــه والفلا وســؤال رســم الــدّار والأحجارِ[3]
لا فرَّجَ الرحمــن كربــةَ جاهلٍ يبــكي علــى الأطــلال والآثارِ

وقال أيضا [من الخفيف]:

قد رضينــا من الغــزال الكحيل بغــرورِ العـــدات والتعليلِ[4]
وهجرنــا ســواه وهــو منيلٌ وهوينــاه وهــو غــير منيلِ

---

(١) تضوّعه: تنشر عبقه.
(٢) المسمع: اسم فاعل من مصدر أسمع، وأراد به المغنّى.
(٣) نعت: وصف، والمهامه: القفار.
(٤) العدات: جمع عدة، وهي الوعد.

فكثير البغيض غير كثيرٍ وقليل الحبيب غيرُ قليلِ
يا عذولي زعمت صبري صواباً وطريق الصواب غير محيلِ
هلك العزم بين شوقٍ صحيحٍ أنا فيه ، وبين صبرٍ عليلِ
لا تعِبْ من هويتَ بالبخل ، إنّي لا أحبُّ الحبيب غير بخيلِ
يجمل البخل بالملاح وإن كا ن بغير الملاح غير جميلِ
كلّ من سرَّه حبيبٌ جوادٌ فلتطبْ نفسه بقرنٍ طويلِ

وقال أيضا [من الطويل] :

ألست ترى وشيَ الرّبيع المنمنما وما رصّع الربعي فيه ونظّما[1]
فقد حكت الأرض السماء بنورها فلم أدرِ في التّشبيه أيُّهما السّما
فخضرتها كالجوّ في حسن لونه وأنوارها تحكي لعينيك أنجما
فمن نرجسٍ لما رأى حسن نفسه تداخله عجبٌ بها فتبسّما
وأبدى على الورد الجنيّ تطاولاً فأظهر غيظ الورد في خدّه دما
وزهر شقيقٍ نازعَ الورد فضلَهُ فزاد عليه الورد فضلاً وقدّما
وظلَّ لفرط الحزن يلطم خدَّه فأظهر فيه اللّطم جمراً مضرّما[2]
ومن سوسنٍ لمّا رأى الصبغ كلّهُ على كلِّ أنوار الرياض تقسّما
تجلبب من زرق اليواقيت حلّةً فأغربَ في الملبوس منه وأعلما[3]
وألوان منثورٍ تخالف شكلها فظلَّ بها شكل الربيع متمّما
جواهر لو قد طال فينا بقاؤها رأيت بها كلّ الملوك مختما
فقم فاسقني ما حرّموه ، فما أرى من العيش حلواً غير ما قيل حرّما

---

(١) الربعي : مطر الربيع .
(٢) المضرَّمْ : المتّقدّ .
(٣) تجلبب : أي لبس ، وأعلم : أي صار معروفاً عن غيره .

وقال أيضاً [من البسيط]:

قالـوا عشقـت كثير البخـل ممتنعا فقلـت هيهـات عنـكم غاب أطيبهُ
لو جاد هانٍ وقيل الجـود عادته وإنّمـا عزٌ لمّـا عزٌ مطلبهُ

وقال [من الطويل]:

أُرجّي دنـوٌ الوصـل من بعـد بعده كما قد ترجّى في الجـدوب السحائب
وأكثـر في الهجـر العتـاب كأنّني لدهـريَ من ظلـم الـكرام أعاتب
وأهـوى مواعيد المنـى عنك بالرضى وقـد تمنـع الآمـال وهـي كواذب

وقال [من الرمل]:

حبـذا زورٌ أتـاني طارقـاً بعـد اجتنابهْ
شـقَّ جنـح الليل بدرٌ لاح من ثنـي نقابهْ
طربـتْ نفسـي إليـهِ وإلـى طيبِ اقترابهِ
طَـرَبَ الشيّخ إذا ذُكِّـرَ أيّام شبابهْ

وقال [من مخلع البسيط]:

خلعـت في حبِّـه عذاري وطـاب لي العيش باشتهاري
وذقـت طعـم الجنـون فيهِ فـكان أحـلـى من العقار[1]
إنْ أُبـدِ في حبِّـهِ خضوعاً فليس ذلّ الهـوى بعارِ
لـو كان في الحـبِّ لي اختيارٌ لكان تركي له اختياري
مـن روحـه في يديْ سواه فهـو حقيقٌ بأن يداري
لا تحمدونـي علـى احتمالي هـوانـه واحمـدوا اصطباري

---

(١) العقار : الخمر .

وقال [من البسيط] :

متى وعدتك في ترك الهوى عدةً — فاشهدْ على عدتي بالزّور والكذبِ
أما ترى الليل قد ولّت عساكرهُ — وأقبل الصبح في جيشٍ له لجبِ[1]
وجدّ في أثر الجوزاء يطلبها — في الجوّ ركض هلالٍ دائم الطّلب
كصولجان لجينٍ في يديْ ملكٍ — أدناه من كرةٍ صيغتْ من الذّهبِ
فم بنا نصطبح صفراء صافيةً — كالنّار لكنها نارٌ بلا لهب
عروس كرمٍ أتت تختال في حللٍ — صفرٍ على رأسها تاجٌ من الحبب

وقال [من المنسرح] :

قم فاسقني والخليج مضطرب — والرّيح تثنى ذوائب القضبِ
كأنّها والرّياح تعطفها — صفٌ قنا سندسية العذبِ[2]
والجوّ في حلّةٍ ممسكةٍ — قد طرّزتها البروق بالذهبِ

وقال [من الخفيف] :

وسحابٍ إذا همى الماء فيه — ألقت الرّعد في حشاه البروقا
مثل ماء العيون لم تجرِ إلاّ — ظلّ يذكي على القلوب حريقا

وقال [من الخفيف] :

جوهريٌّ الأوصاف يقصر عنهُ — كلّ وصفٍ لكلّ ذهنٍ دقيقِ
شاربٌ من زبرجدٍ وثنايا — لؤلؤٍ فوقها فمٌ من عقيقِ

وقال [من السريع] :

صوّره خالقه جامعاً — لكلّ شيءٍ حسنٍ بارعِ

---

(١) اللجب : الكثير العدد والصخب .
(٢) العذب : أطراف الرماح .

وكلّ حســنٍ من جميع الورى مختصـرٌ مـن ذلك الجامعِ

وقال [من المنسرح]:

عشقــت من لا ألام فيه ومـا يخلـو من اللّوم كلُّ مَنْ عشقا
رأيُ الــورى في سواه مختلفٌ وأنــت تلقــاه فيـه متّفقا
وكل قلــبٍ إليـه منصرفٌ كـأنّـه من جميعهـا خُلِقا

ألمّ فيه بقول إسحاق بن إبراهيم الموصلي : «خلق من كل قلب ، فهو يغني كلا ما يشتهيه ».

وقال [من الخفيف]:

زارنــي في دجـا الظـلام البهيمِ قمـرٌ بات مؤنسـي ونديمي
بحــديثٍ كأنّــه عودة الصّحَــــــة في الجسـم بعـد يأسِ السّقيمِ
تتلقّــى القلــوب منــه قبولاً كتلقّـي المخمـورِ برد النسيم

وقال [من الوافر]:

ظفــرتُ بقبلــةٍ منــه اختلاساً وكنــت من الــرقيب علــى حذارِ
ألــذُّ من الصّبــوح علــى غمامٍ ومــن برد النسيم علــى خمار[1]

وقال [من الكامل]:

لا تــلفينَّ مقــارنـاً من لا يزين من الصّحابِ
فــالثـوب ينفـذ صبغـه فيمــا يليــه من الثّيـاب

وقال [من السريع]:

ريقٌ إذا ما ازددت من شربه ريّاً ثنـانــي الـريُّ ظمآنـا

---

(١) الصبوح : شرب الخمر صباحاً .

كالخمـر أروى مـا يـكون الفتى   مـن شربهـا أعـطش مـا كانا

وقال [من الخفيف]:

حملـتْ كـأسُـهُ إلـى شفتيه   كفُّـهُ والظـلام مرخـي الإزار
فالتقـى لؤلـؤا حبـابٍ وثغـرٍ   وعقيقـان مـن فمٍ وعقارِ

وقال [من الطويل]:

وصفـرا من ماء الـكروم كأنّها   فراقُ عدوٍّ أو لقـاء صديقِ
كأنّ الحبـاب المستـدير بطوقها   كواكب درٍّ في سماء عقيقِ
صبيـت عليهـا الماء حتّـى تعوّضت   قميص بهـارٍ من قميص شقيقِ

وقال [من الوافر]:

سلا عن حبّـك القلـبُ المشوقُ   فما يصبـو إليـك ولا يتوقُ[1]
جفـاؤك كان عنـك لنـا عزاءً   وقـد يسلى عن الـولـد العقوقِ

وقال [من المجتث]:

كأنّ أوراق زهـرٍ   للبـاقـلاء بهيّـه
خواتـمُ من لجيـنٍ   فصوصـهـا حبشيّـه

وقال [من الكامل]:

أسنـى الأمانـي كلّها   وأجـلّ منهـا ما ينالُ
كأسٌ ومسمعـةٌ وإخـــوان تحادثهـم ومالُ

وقال [من مخلع البسيط]:

أبصـره عـاذلي عليـه   ولـم يكن قبـل ذا رآهُ

---

(١) سلا : من السلوّ ، وهو التجمّـل والنسيان ، ويتوق : يشتاق .

فقال لي لو هويت هذا ما لامك الناس في هواهُ
قل لي إلى إلى من عدلت عَنه فليس أهل الهوى سواهُ[1]
فظلَّ من حيث ليس يدري يأمر بالحبّ من نهاهُ

وقال في ثقيل [من البسيط] :

ما السّقم في سفرٍ والدّين مع عدمٍ يوماً بأثقل منه حين يلقاني
مالي عليه معينٌ حين أبصرهُ غير الصّدود وتغميضي لأجفاني

وقال [من الكامل] :

إن كان قد بعد اللقاء فودُّنا دانٍ ونحن على النوى أحبابُ
كم قاطعٍ للوصل يؤمن ودّه ومواصلٍ بوداده يرتابُ

وقال [من الرمل] :

لا ووعد الوصل باللحظ على رغم الرقيبِ
واختلاسِ القبلة الحلوة من خدٍّ الحبيبِ
وسماعٍ مستطابٍ جاء في لفظٍ مصيبِ
ما سوى الراح لداء الهمِّ عندي من طبيبِ

وقال [من الكامل] :

يا من إذا لاحت محاسن وجههِ غفرت بدائعها جميع ذنوبِهِ
النّجم يعلم أنّ عيني في الدّجا معقودةٌ بطلوعه وغروبه
إنْ كان في تعذيب قلبي راحةٌ لك فاجتهد بالله في تعذيبِهِ
لو كان سفك دمي إليك محبباً لرأيتني متضرّجاً بصبيبه[2]

---

(١) عدلت : ملت وغيّرت .

(٢) متضرّجاً بصبيبه : أي مصبوغاً بما يسيل منه من الدماء .

وقال [من الكامل]:

ازهــدْ إذا الــدنيا أنــالتك المنى　　فهنــاك زهــدك من شروط الدِّين
فالزّهــد في الــدنيا إذا ما رمتها　　فأبــت عليك كـعفّــة العنِّينِ[1]

وقال [من المجتث]:

لا تحسـدنّ صديقــاً　　على تزايد نِعْمَهْ
فــإن ذلك عنـدي　　سقــوط نفسٍ وهمّهْ

وقال [من المجتث]:

وجلنــارٍ بهيٍّ　　ضرامــه يتـوقّـد
بـدا لنــا في غصونٍ　　خضرٍ من الــرىً ميِّدْ[2]
يحـكى فصــوص عقيقٍ　　في قبّـةٍ من زبرجدْ

وقال [من السريع]:

أقبــل والعـذال يلحونني　　فكلُّهــم قالَ : مَنِ البدرُ ؟
فقلــت: ذا من طال في حبِّهِ　　منـكم لي التعنيفُ والزجرُ
قالــوا: جهلنــا فاغتفــرجهلنا　　فليس عن ذا لامــرىءٍ صبرُ
عــذرك في الحــبّ له واضحٌ　　ومــا لنــا في لومنــا عذرُ

وقال [من مخلع البسيط]:

بمــا بعينيك من فتونٍ　　ومــن فتــورٍ بهــا وسحرِ
وبالعــذار الــذي تولى　　خلــع عذاري وبســط عذري

---

(١) العنّين : الفاقد الفحولة .
(٢) ميّدٍ : متمايلة .

ومضحــكٍ منــك لؤلؤيٌّ ممتــزجٌ مســكــه بخمر
جــدْ لي بالصّفــح عن ذنوبي أولا فعاقــبْ بغــير هجرِ

وقال [من مخلع البسيط] :

عــدت إلى الغــيّ بعــد نسكي ولــذّ لي فيك طعــم محكي[1]
أضحــك للكاشحــين جهراً ولي ضمــيرٌ عليك يبكي
تمنعنــي أن أبــوحَ نفسٌ تأنفُ من ذلّــةِ التّشكّي
عينــي التــي أوقعــت فؤادي يا عــين ماذا لقيت منكِ

وقال [من مخلع البسيط] :

واحــربــي من جفــون ظبيٍ أقــام عذري بــه عــذارهْ
أسقــم جسمــي بسقــم طرفٍ حيرنــي في الهـــوى احوراره
عجبــت من جمــر وجنتيه يحرقنــي دونــه استعاره
هـــذا اختياري فأبصروهُ شاهــد عقــل الفتــى اختياره

وقال [من الكامل] :

لا تقبلن من الــرشيد كلامَهُ وإذا دعــاك أخــو الغــواية فاقبلِ
ودع التزمُّــت والتجمُّــل للورى فالعيش ليس يطيب بالمتجمّلِ[2]
واشرب مزعفــرةَ القميص سلافةً من صبغــة البــردان أو قطربُّلِ[3]
كأسٌ إذا رمــت الهمــوم بسهمها لم يخــطِ نافــذه سواء المقتل
تحلــو وتعــذب في النفــوس كأنّها كبْــتُ العــدو ورغــم أنف العذَّلِ

---

(١) الغيّ : الضلال ، والمحك : من المماحكة .
(٢) التزمّت : التضييق والتشدّد .
(٣) المزعفرة : المصبوغة بالزعفران ، وهو نبات زهره أحمر إلى صفرة ، له أصل كالبصل .

حمراء يرحُبُ كلّ صدرٍ ضيّقٍ   معها ويُفتح كلّ بابٍ مقفل
تحكى ضرام النار إلاّ أنها   نارٌ لعمرك ليس تؤذي المصطلي[1]
لا سيما من كفّ طاوية الحشا   ترنو بناظرتي خذولٍ مطفل[2]

وقال [من الوافر]:

كتبت وفرط شوقي قد عناني   وقد بعد اللقاء على التداني
وما في البيت لي ثانٍ فكن لي   جعلت فداك يا مولاي ثاني
فعندي ما يجاوز كلّ وصفٍ   وما يرضى الخليل إذا أتاني
خروفٌ أظهر الشُّوّاء فيه   تأنُّقه فليس له مداني
غلالة باطنٍ منه لجينٌ   وظاهره غلالة زعفران
وكأسٌ مثل عين الديك صرفٌ   لها حببٌ كمنظوم الجمان
لها في كفّ شاربها شعاعٌ   تطرّف منه مبيضٌ البنان[3]
يطوف بشمسها قمرٌ منيرٌ   تمكّن طالعاً في غصن بانِ
وإنْ أحببت مسمعةً أتتنا   محذّقةً بأصناف الأغاني
تطلّق همَّ سامعها ثلاثا   بتحريك المثالث والمثاني
فهذا عندنا، ولدون هذا   لعمرك ما كفاك وما كفاني
فزرنا لاعدمتك من صديقٍ   تتمّ لنا بزورته الأماني

وقال [من الخفيف]:

فَحْمُ شبَّهُ الغلام وأدلى   في كوانينه حياة النفوسِ[4]

---

(١) ضرام النار : إيقادها .
(٢) الخذول : الكثيرة الخذل وهي التي تتخلف عن القطيع وتنفرد ، والمطفل : التي تربّي أطفالها .
(٣) تطرّف : تزيّن وتوشّح .
(٤) شبّه : أوقده .

كان كالآبنوس غير محلٍ فغدا وهو مذهب الآبنوسِ
لقي النار في ثياب حدادٍ فكسته مصبّغاتُ عروسِ

وقال [من الخفيف] :

بتُّ ضيفاً لسيّد يمنيٍّ فقراني والجود قدماً يماني
وأتت عرسه تغازل إيري قلت لا تفعلي فلستُ بزاني
ولو أني فعلت ما كنت ممّن يتصدّى لنسوةِ الإخوان
فأتاني وقال نكْها بعيشي فهي موقوفةٌ على الضّيفان
قلت قد زدت في الضيافة معنىً ما عرفناه في قديم الزّمان
قال من أجل ذاك طار لي اسمٌ وألحّ الضيوف في غشياني[1]
فمتى يدعى مع اسمي ضيوفٌ قيل مرعى وليس كالسّعْدَان

* * *

٣٠ ـ القاضي أبو الحسن علي بن النعمان

أنشدني له ابن وهب [من المنسرح] :

ولي صديقٌ ما مسّني عدمٌ مذ وقعت عينه على عدمي
أغنى وأقنى فما يكلّفني تقبيلَ كفٍّ له ولا قدَمِ
قام بأمري لمّا قعدت به ونمت عن حاجتي ولم ينمِ

وأنشدني له أيضاً [من مجزوء الوافر] :

صديق لي له أدبُ صداقة مثله نسبُ
رعى لي فوق ما يرعى وأوجب فوق ما يجبُ

---

(١) الغشيان : الأمّ والقصد والنزول .

فلــو نقــدت خلائقــه لبهــرج عندهــا الذّهب[1]

* * *

٣١ ـ إسحاق بن أحمد بن المارديني

أنشدني له ابن وهب يصف الثريا [من السريع] :

أرّقنــي الشــوق فلــم أكتحلْ بلــذّةِ الغمض إلى الفجرِ
تسري همومــي فأراعــي بها كواكبــاً دائبــةً تسري
حتــى كأنّ البــدر إذ أشرقتْ على الثّــريا غـرّة البـدرِ
صفحــة مرآةٍ وقــد أذهبتْ بمقبضٍ رصّــع بالــدرّ

وله في الليل والنجوم [من البسيط] :

كم مجهــلٍ بســواد الليل ملتبسٍ باتــت تقمّــه العيسُ المراسيلُ
ليلٌ قد اختلفــت أشــكال أنجمه كأنّهــنّ عيونٌ للدّجــى حولُ
تبــدو الثــريا ككفٍّ للدعــاء بها قد مدّهــا الصبــح والجــوزاء إكليلُ
تلــوى رقــاب المطــايا من تطاوله وينهض الفجــر فيه وهــو مشكول

* * *

٣٢ ـ القاضي أبو عبد الله محمد بن النعمان

أنشدني له عبد الصمد بن وهب هذه الأبيات وهي مما يتغنى بها [من الرمل] :

ربَّ ليلٍ لم أذقْ فيه الكرى حظُّ عينــي فيه دمــعٌ وسَهَرْ
طال حتــى خلتــه لا ينقضي ونــأى الصّبــح فمــا منــهُ أثرْ

---

(١) نقدت : أي جعلت نقوداً ، وبهرج الذهب : زيّفه ، أو أصبح رديئاً .

غاب عــنّي قمرٌ أحببته ... فتعلّلــت بأنــوارِ القمــرْ
كلّما هيّـج شوقــي حزَني ... صحــت ياليلي أمـا فيك سَحَرْ

وقال [من الخفيف]:

ربّ خودٍ عرفــتُ في عرفاتِ ... سلبتنــي في حسنهــا حسناتي
حرّمــت يوم أحْرَمــت نوم عيني ... واستباحــت حماي باللّحظــاتِ[1]
وأفاضــت مع الحجيج ففاضت ... من جنونــي سواكب العبراتِ
ولقــد أضرمــت بقلبــي جمراً ... حــين راحــت للرمــي بالجمراتِ[2]
لم أنــل من منــى منــى النّفس حتّى ... خفــت بالخيف أن تكون وفاتي[3]

وقال يصف الهلال [من المنسرح]:

انظــرْ الى حســن ذا الهــلال وقدْ ... بدا لســتٍّ مضــينَ مِنْ عُمُرهْ
وقــد أطافــت بــه كواكبهُ ... حســناً فبيّنتــهُ لمعتــبرهْ
مثــل زنــادٍ قد صيغ من ذهبِ ... يقــدح ناراً وهــن من شررهْ
ثم تولى يــريد مغربهُ ... في شفــق الشّــمس وهــي في أثرهْ
فخلتــه غائصــاً ببحــر دمٍ ... يقــذف بالرائعــات من دررهْ
فلــم أزل ليلتــي أراجعــهُ ... لحظــي وأبكي للوقــت من قِصرِهْ
حتــى تبدّى الصبــاح منتبهاً ... قبل انتبــاه المخمــور من سكَرِهْ

وقوله في مليح بعمامة حرير حمراء [من الكامل]:

يا من يمــرُّ ولا تمــــرُّ به القلــوب من الحُرَقْ

---

(١) استباحت الحمى : أي جعلته مباحاً لها تدخله ساعة تشاء .
(٢) أضرمت : أشعلت ، والجمرات : من مناسك الحج ، وهو مكان يرمى به بالحصى .
(٣) منى والخيف : أماكن فيها بعض مناسك الحج .

بعمامـةٍ من خدِّهِ أو خدّه منهـا سرق
فكأنّهـا وكـأنّه قمـرٌ أحـاط به شَفَقْ
فـإذا مشى وإذا انثنى وإذا رنـا وإذا نطقْ
شغـل الجـوارح والخوا طر والمسامـع والحدقْ

* * *

٣٣ ـ صالح بن مؤنس

أنشدني له ابن وهب في ابن رشدين صالح [من السريع] :

يفـديك بالمهجـة يا صالحُ من كلّ ما يكرهـه صالحُ
فأنـت غصـنٌ صيغ من درّةٍ علـى ذراه قمـرٌ لائحُ

وله فيه بديها [من الهزج] :

شربنـا مثـل ماء الور د في الـطّيب علـى الوردِ
ونادمـت ابـن رشدين فمـا حدت عن الرُّشدِ
فتـىً كالبـدر في الرفعـة والإشـراق والسعدِ
كأنّـي منـه في الجـنّـة لو أظفـر بالخلدِ

وله فيه [من مجزوء الرمل] :

بـك يا صالـح أرضى عن زمانـي حين أسخطْ
فـأدم لي الوصـل إنّي بك في العالـم أغبطْ
أنـت والرحمـن مذ كنـت علـى قلبـيَ مسلَطْ
ومصيبٌ أنـا في الـحبّ ومـن بعـدي يغلط
يا جواداً في لهاه بنـداه أتبسّـط[1]

---

(١) لهاه : عطاياه ، واتبسّط : أتكرّم وأتوسّع في العيش .

أسقـط الحشمـة في العشـــــرة فالحشمــة تسقط

وله جارية اسمها خمرة وأضمره [من الكامل] :

ما اســم إذا صحَّفتــهُ وعكسته ونقصــت حرفــا منــه كان سلاحا[1]
وإذا قام ولــم يحــلْ عن حاله عادى العقــول وصالــح الأرواحا

وله في بعض آل الفرات [من المجتث] :

قــد مرَّ عيدٌ وعيدُ ما اخضــرَّ لي فيه عودُ
وكيف يخضــرُّ عودي والمــاء منــه بعيد ؟
يا من له عُدَدُ المجــــــد كلّهــا والعديدُ
آل الفــرات نداهمُ عـلــىَ الفُــراتِ يزيدُ
وأنــت فضــلك فيهمْ عليك منــه شهودُ
وكلّ يومٍ لغيري من راحتيــك مدودُ
هــل لي إلى الــرزق ذنبُ إن كان منــه صدود ؟
مــا النّــاس إلاّ شقيٌّ في دهرنــا وسعيدُ

وقال في صفة جدي [من الرجز] :

جـدْ لي بجـديٍ نعتــه من اسمه لم يلــج التنــور مثــل جسمه
كأن بين جلــده ولحمه لفّـات قطـنٍ بسطــت من شحمه
* يؤكل من نعمته بعظمه *

وله يصف رءوسا [من الخفيف] :

قد غدونــا عــلــى رءوسٍ سمانِ ناعمــاتٍ من أرؤس الخرفانِ

---

(1) « خمرة » إذا صحَّفته صار « حمرة » فإذا عكسته بعد حذف حرفٍ منه صار « رمح » وهو من أدوات القتال .

وارمـــات الخـــدود من غير سوءٍ شحمـــاتِ العيون والآذانِ
تتداعـــى بالوهـــم من قبـــل أن تلـ ـمسهـــا كفٌّ آكلٍ ببنانِ
ولأصـــل اللســـان طيبٌ ينسيـ ـك من الـــطيب مصّ طرف اللسانِ
ورقـــاقٍ ذي نعمـــةٍ وبياضٍ كوجـــوه المخـــدّرات الحسانِ
وبقـــولٍ تغنيك عن زهـــرة الرو ض وتنسيك خضـــرة البستانِ
وأتـــت راحنـــا التـــي هي في الأر واح مثـــل الأرواح في الأبدانِ
ثـــم وافـــى بنفســـجٌ في حدادٍ فرأينـــا الســـرور فـــي الأحزانِ
عنـــد حرٍّ يستنفـــد الـــوصف مدحاً وهـــو عبـــدٌ لسائـــر الإخوانْ
أحكمتـــك الأيام يا ابـــن حكيمٍ فأريت الزّمـــان حـــكم الزمانِ

وقال أيضا [من الطويل] :

سأدمِـــنُ شرب الـــراح ما دمـــتُ باقياً وأمـــدح من شرّابهـــا كلَّ مدمنِ[1]
فمـــا تـــكمـــل الأوقـات إلاّ بقهوةٍ ولا تحســـن الأيـــام إلاَّ لمحسنِ

وقال [من السريع] :

إذا هجـــا الشاعـــر في خفيـــةٍ وخفض الصّـــوت عن الرفعِ
ولاذ بالجحـــد لمـــا قاله فإنّمـــا خاف مـــن الصّفعِ[2]

وقال في يوم شديد البرد [من البسيط] :

هذا لعمـــرك يومٌ يستـــطير له من قرِّهِ شَعَـــرُ الهامـــات بالرّعد
لو شئـــت لا خائفـــاً لذعـــاً ولا ألماً قبضت فيه على جمـــر الغضـــا بيدي[3]

---

(١) أدمن الشراب : أي أصبح الشراب عنده عادة لا يستطيع مفارقتها .
(٢) الجحد : الإنكار .
(٣) الغضا : شجر فحمه أو حطبه شديد التوقّد والحرارة .

وله في غلام صوفي [من السريع] :

عشقت صوفياً له شاهدٌ يقيم عذري عند عذّالي
قد قصد الله بأحواله فليته يقصد في حالي[1]

وقال يهجو عبيد الله بن أبي الجوع من قصيدة أولها [من السريع] :

هاجيك فيما قاله مادحٌ فأنت في صفقتك الرّابحُ
وما يقوت الفيل من بقّةٍ أمثالها في فمه طائحُ
وربّ من ترفعه خزيةٌ ميسمها في وجهه لائحُ[2]
ففخر عبد الله في النّاس أن يقول قد ناقضني صالحُ
يا ابن أبي الجوع قدحْتَ امرءاً من فكره يحترق القادح
لقد تعرّضت على غرّةٍ قريحةٍ صاحبها قارحُ[3]
فاركب ذلول الأمر أوْ صعبهِ فيّ فقد جدَّ بك المازح
وعِقّ من أهلك من شئته فإنّما أنت له فاضحُ[4]
واغد بما تهوى وروح إنّني غادٍ بما تكرهه رائحُ
يا أيُّها الصعو الذي لم يزل يرقص حتى دقّه الجارح[5]

ومنها :

إن زأر الليث على ما أرى وهاج يوماً ضرط النابحُ
وودّ أن يفلت من بعدما أنحى على أوداجه الذابحُ

---

(١) أحواله : طرائقه بالعبادة .

(٢) الميسم : الأثر والعلامة .

(٣) الغرّة : الجهل ، والقارح : من ذي الحافر : ما شقّت نابه وطلعت ، يقصد أنه قادر على مواجهته وليس صغيراً .

(٤) عقّ : من العقوق ، وهو نكران الجميل وجحود الفضل .

(٥) الصعو : العصفور الصغير .

إنّ الـــذي تطمـــع في قربهِ ... نجـــمٌ لمـــن يرمقـــه لائحُ

يا شاربـــاً في يده حتفه ... لم تَدرِ ما خاض لك الجارحُ

أراك قد لججـــت في غمرةٍ ... يغـــرق في تيارهـــا السابحُ

فقـــد تمرّســـت بمـــن شعره ... كالبحـــر لا ينزفـــهُ الماتحُ[1]

كم جامـــحٍ قبلك ألجمته ... بالـــذلّ حتـــى سكن الجامح[2]

وقوله فيه [من السريع] :

يا ذا الـــذي عن رشـــده قد عمي ... لو كنت جلداً حدت عن أسهمي

لـو كنـــت شهمـــاً حازمـــا ضابطاً ... لمـــا تقلبـــت عـــلى الشّيهمِ[3]

مـــا أنـــت في فعلك إلاَّ كمنْ ... تطعَّـــمَ الـــرِّيـــق مـــن الأرقمِ[4]

كيف يخـــوض البحـــر من مثله ... يغـــرق في دائـــرة الدرهمِ

فاثبـــتْ أوِ أجـــزعْ كلّ ذا واحدٌ ... لا عاصـــم اليوم لمستعصمِ

استقـــدر الله عـــلى كلّ ما ... ألصـــق منـــك الأنف بالمـــرغـــم

تجاســـر الجـــوع عـــلى صالحٍ ... تجاسر الكلـــب عـــلى الضيغمِ[5]

وفـــاه باسمـــي مفصحـــاً بعدما ... تركتـــه أســـكت من أبكمِ[6]

وقـــال قومٌ قد غدا شاعراً ... والشّعـــر لا يعـــرف للمفحمِ

فقلـــت لا لومَ عـــلى مثله ... من أخـــذ الصّفـــع قفـــاه حمي

أنـــا الـــذي ألبستـــه حسرةً ... بمـــا جرى من ذكره في فمي

والله لا يجهـــل من بعدها ... وفـــي قفـــاه للـــرّدى ميسمي

---

(١) الماتح : الغارِف منه وينزفه : يقنيه .

(٢) الجامح : الشرود .

(٣) الشيهم : الدلدل ، وذكر القنفذ ، أو ما عظم شوكه من ذكرانها .

(٤) الأرقم : الأفعى السامة .

(٥) الضيغم : الحيوان المفترس .

(٦) الأبكم : الأخرس .

أَبْيِن به من ميسمٍ واضحٍ يضيء كالغرَّة في الأدهم[1]
فليت شعري كيف رام العلا وهمٌ أن يرقى بلا سلم ؟!

ومنها :

ثم أتت بالصَّعو مستبشراً يروم أن يلحق بالقشعم[2]
في الثمر المرّ دليلٌ على رداءة الأصل لمستطعم

وله فيه [من البسيط] :

لا تعجبي لسكوتي بعد أشجاني فالعذر عن كلٍّ ما أهواه أسلاني
قد أرقأ الله دمعي بعد جريته وأنقذ القلب من همٍّ وأحزانِ[3]
فما أرى أحداً يُصفي الهوى أحداً وجود هذا رعاك الله أعياني
لم يبق بين الورى إلاّ مكاشرةً تبدو لنا عن صدورٍ ذات أضغانِ
أقول لابن أبي الجوع المنافق إذْ لم ينهه الحلم عنّي وهو ينهاني
أراك تقرعني سراً وتعجمني فهل وجدت صفاتي غير صوّان[4]
تردّ في جبهة النّقار معوله إذا تضعضع عنها كلّ كدّان[5]
العزُّ داري وظهر العزم راحلتي والوحش أنسي وجنُّ الأرض إخواني

وله في العناق ، وأحسن ما شاء [من السريع] :

لي سيِّدٌ ما مثله سيِّدُ تصدَّتِ الحمّى له فاشتكى
عانقته عند موافاتها والأفق بالليل قد احلولكا

---

(1) الميسم : الأثر والعلامة . والغرّة : بياض في رأس الفرس ، والأدهم ، من الخيل : ما كان لونه مائلاً إلى الحمرة والسّواد .
(2) القشعم : النّسر المسنّ .
(3) أرقأ : كفّ .
(4) تقرع : تطرق ، وتعجم : تحك وتتفحّص .
(5) الكدّان : القوي الكثير الشحم واللحم .

فجاءت الحمى كعاداتها فلم تجدْ ما بيننا مسلكا

وقوله يصف برادة على حامل نحاس [من الكامل] :

أمٌّ الحياةِ على سرير نحاسٍ عريانةٌ أبداً بغير لباسِ
هي في الموات لدى الورى معدودة لكنّها ضمنتْ حياة النّاسِ

وقوله [من الوافر] :

بعين الله أنت فإنَّ عيني إذا ما غبت دامية الجفون
كأنّكَ مهجتي فإذا تدانى فراقك حمَّ لي ريبُ المنون[1]

وقال يصف البنفسج والورد [من مخلع البسيط] :

بنفسجٌ جاء في حدادِ ووردنا في معصفراتِ
فاشرب على مأتمٍ وعرسٍ جلا جميعاً عن الصّفاتِ

وسأله ابن رشدين المسير معه إلى القاش فقال مرتجلاً [من المنسرح] :

يا آمري بالمسير في لجج النيل كأنْ سخّرتْ ليَ الريح
ما جمّد الماء لي فأركبهُ كلاّ ، ولا صامتِ التماسيح

* * *

٣٤ ـ محمد بن الحسن اليمني

أنشدت له في صالح [من المجتث] :

يا قاطعي بعد وصل تسوم ما لا أسومُكْ[2]

---

(١) حمّ : نزل ، وحمّ القضاء : أي نزل .
(٢) الوصل : من الوصال وهو القرب ، وتسوم : من سام : أي عرض البضاعة وغيرها للبيع وذكر ثمنها ، وسامه الخسف : أذلّه .

يا ليت أنّيَ يوماً من الزّمان نديمُكْ
فالشوق عندي غريمٌ كما السّلوُّ غريمُكْ

وقوله [من مجزوء الرمل] :

فاضحَ الغصنِ النضيرِ كاسفَ البدر المنيرِ
أنت عذري في حياتي ومماتي ونشوري
ما سرورٌ غاب عنه صالحٌ لي بسرورِ

٣٥ - محمد بن هرون بن الأكتمي

أنشدت له في بعض الوزراء يهجوه [من مجزوء الخفيف] :

يا وزيراً إلى المكا ييل والبيع ينسب
من يرُمْ حبّك يتعبْ وأمانيه تكذّب
وإذا ما رجوته قلت ما مات أشعب
يا وضيعا ترجّل الـ ـمجد مذ صار يركب[1]

وله يهجو ابني كشاجم أبا النصر وأبا الفرج [من الكامل] :

يا ابنيْ كشاجم أنتما مستعملان مجرّبانِ
مات المشوم أبوكما فخلفتماه على المكانِ[2]
وقرنتما في عصرنا ففعلتما فعل القرانِ
لغلاء أسعار الطعا م وميتة الملك الهجان

وقوله في عزاء [من الوافر] :

بقاؤكما يعيد الميت حيّاً وإن غطّاه دونكما الترابُ

---

(١) ترجّل : أي أصبح يمشي على رجليه .
(٢) المشوم : من المشؤم خفّفت الهمزة للضرورة الشعرية .

فلا تستشعرا حزناً عليه فيذهب لاعدمتكما الثوابُ

وله في غلامه راشد [من مخلع البسيط] :

يا قمر الليل كن شهيدي فأنت من أعدل الشهودِ
هل نمت أو ذقت طعم غمضٍ مذ هجعت أعين الرّقودِ
وكيف يلتذّ باغتماضٍ من لجَّ مولاه في الصّدودِ
فكن شفيعي إلى حبيبٍ قد زاد في كثرة الجحّودِ

وقال رحمه الله [من المتقارب] :

كأنّ الأباريق مملوءةٌ ظباءٌ وقوفٌ على ساحلِ
رماها بأسهمه قانصٌ فخضّبها بالدّمِ السائلِ

وقوله في شمعة [من مجزوء الرجز] :

باكيةٌ ضاحكةٌ خدّامها جلاّسها
مظهرةٌ أنوارها إن جُزَّ منها رأسها
كأنّها عاشقةٌ تذيبها أنفاسها

وقال [من السريع] :

لو أنصفتْ عطفتْ أو رقّتِ ما أضنت الجسم ولا سلّتِ
أفدي التي إن أقبلتْ أقبلتْ دنيايَ أو غنَّتْ لنا أغنتِ

وقال [من مخلع البسيط] :

يا أيّها ذا أْستمعْ مقالي فليس في قصتي ضلالُ
ثلاثةٌ مالها مثالٌ السّجن والجوع والعيالُ
إن دام هذا عليَّ منهمْ صحّحت ما شنّعوا وقالوا
أليس إن متّ مات شعري أفنى وما قلته يقالُ

وقوله [من مجزوء الرمل] :

أكثـر العـذال لومي يا ابـن رشـدين وزادوا
وبقلبـي منـك وجدٌ مالـه الدّهـر نفادُ
قـد تجافـى عن جفوني مذ تجـافيتُ الرّقادُ
فيك يا صالـح للقلـب صلاحٌ وفسادُ
أنـا من حبّـك مولا ي عليلٌ لا أعاد[1]

وقوله [من السريع] :

دافعـت أيّامـي بأيامي حتّـى مضـى أكثـر أعوامي
وإنّمـا عمـر الفتـى كلّه كأنّـه طارقُ أحلامِ
يا ويح من أمسـى علـى غرّةٍ وأنفـه من حتفـه دامي[2]
يرمـى بسهـمٍ للـردى صائبٍ من حيث لا يشعـر بالرامي

* * *

٣٦ ـ عبيد الله بن محمد بن أبي الجوع

أحد رواه المتنبي الأدباء ، وأصحابه العلماء ، وممن تمهر في لغات العرب وأجاد أنواع الأدب ، فمن شعره قوله رحمه الله تعالى [من المتقارب] :

أظنّـك يا سيدي إذْ جفوت توهّمـت بي نبـوة الغادرِ[3]
وخلـتَ بأنـي ملالاً سلوتُ ولسـت بسـالٍ ولا صابرِ
وقـد علـم الله أنّـي عليـ ـك أشفـق منّـي علـى ناظري

---

(١) أعاد : أزار .

(٢) الغرّة : الغفلة ، والحتف : الموت والهلاك .

(٣) النبوة : الجفوة والبعد .

وقال [من السريع] :

صالح يا مشبه بدر الدجى ... بالحسن والإشراق والرفعةِ
وجهك في الليل كشمس الضُّحى ... نوراً فما تصنع بالشمعةِ

وقال [من المجتث] :

يا أطيب الناس ريحاً ... وأطيب الناس راحا
وما به أتصدى الـ ... أطراب والأفراحا
هات اسقني أو تراني ... لا أعرف الأقداحا
واحفظ عليَّ فؤادي ... من أن يطير ارتياحا
لو كنت كاسمك يا صا ... لح اعتمدت الصّلاحا
لكن أبى الله إلاّ ... أن تفسد الأرواحا

قال : وكتب إلى بعض إخوانه يستدعيه بهذه الأبيات [من المجتث] :

شعبان قد صار نضواً ... ولم نفد فيه لهوا ؟![1]
وليس ذلك منّا ... جهلاً ولا كان سهوا
فبالمودّة إلاّ ... بكّرت للقصف عدوا[2]
حتى نقوم فنرفوا ... ما خرق الدهر رفوا[3]
من بعد تقديم جديٍ ... مسمّنٍ ظلّ يشوى
له ثلاثون يوماً ... يحبو إلى الضّرع حبوا[4]
وأوفر الزّور في الخـ ... ـلِّ قد تبوّأ مثوى

(١) النضو : الهزيل ، أي أنّ قمر شعبان أصبح في لياليه الأخيرة وهذا دليل على انتهائه .
(٢) القصف : اللهو ، والعدو : الإسراع في السير .
(٣) نرفوا : أي نصلح عيب الثوب أو ما تمزّق منه .
(٤) الضّرع : الثدي .

لما انتزعت حشاه عوّضته البقل حشوا
وقد عنيت بجامٍ ملأته لك حلوى
وقهوةٍ بنت كرمٍ صفت من الذمّ صفوا
ما شعشعت قطُّ إلاّ سطت على الهمّ سطوا
جنّبتها كلّ وغدٍ يمحو المحاسن محوا
إلاّ إذا ما اقتنصنا عذب الخلائق حلوا
وشادنٍ ذي دلالٍ يشدو فيلهيك شدوا
إمّا غناءً وإمّا عجائباً عنه تروى
حتى تظلّ بما فيه من وقارك خلوا
وعندنا لك وردٌ يحدو المسرّة حدوا[1]
ريحانه لا يوازي لوناً وعطراً وسروا
فما اعتذارك في أن تُفني زمانك صحوا
وأنت بعد قليلٍ بالصّوم والله تطوى
أبا عليٍّ ألا اسمعْ نصيحةً ليس تزوى[2]
فإنّما نحن سَفْرٌ على محجّةٍ بلوى
ولا تعرِّج ذميماً على معاهد حزوى

وله في أبخر [من الخفيف]:

لا تنفّسْ في مجلسٍ أنا فيه وتنفّسْ سرّاً وراء البابِ
ثم لا تعترض لسرِّ صديقٍ إنّ ذاك السّراء سوطُ عذاب
إنّما فوك فقحةٌ كلّ وقتٍ تتصدى الأنوف كالنّشاب

---

(١) الورد : المنهل ، ويحدو : يسوق .
(٢) تزوى : تبعد ولا يعمل بها .

تصرع الطائر المحلّق في الجـــــوِّ ولو غاب في سواء السّحاب

وقوله [من الوافر]:

أرى اللذاتِ تعبر بي يميناً   على رغمي وتعبر بي شمالاً
فأجرعُ دونها غصصاً لأنّي   أشاهدها وما اعطيت مالاً

وقوله [من مجزوء الخفيف]:

وعذارٍ مجعّدِ   فوق خدٍّ مورّدِ
كلّما رمتُ فرصةً   لسعتْ عقربٌ يدي

* * *

٣٧ ـ الحسن بن محمد الشهواجي

كتب إلى صالح بن رشدين يستهديه مشورباً في يوم نيروز [من السريع]:

اليوم يا صالح ما تبصرُ   وصحو مثلي فيه مستنكرُ
وقد مضى الوعد وحصّلته   وصفوه من مطله يكدر[1]
فهات ما يحضر إنّي امرؤٌ   يقنعه منك الذي يحضرُ

وله [من المنسرح]:

قوليَ ماضٍ على العباد فما   يُردُّ في جدّه ولا لعبهِ
ولي لسانٌ كأنّه ظبّةُ الـ   ـسّيف طويلٌ أكاد أعثرْ بهِ[2]

وقوله [من البسيط]:

وقهوةٍ كشعاع الشّمس صافيةٍ   شربتها مَعَ شَرْبٍ سادةٍ كرما

---

(١) المطل : التسويف بالوعد وعدم الوفاء به .
(٢) ظبّة السيف : شفرته .

إذا ثنوا أرؤس الفرسان في رهجٍ حازو الفخار وأجروا بالسيوف دما[1]

إذا رأيتهم أيقنت أنّهمُ نجومُ كلّ فخارٍ لا نجوم سما

وقوله [من الطويل]:

تضيق بي الدنيا إذا كنت غائباً وأسرح في أقطارها حين تقربِ

وأنت جناحي كلّما طرت للعلا وسيفي الذي أسطو به حين أضربُ

وقوله [من الرجز]:

وقهوةٍ في كأسها ترمي الندامى بالشَّررْ

قد جمعت نشر الرُّبا وبرد انفاس السّحرْ[2]

أطيب ما شربتها على غناءٍ ووتر

طوبى لمن حجَّ إلى كعبتها ثم اعتمر

وقوله [كن الكامل]:

وعلوُ قدرك وهو أبعد غايةً في كلِّ حالٍ من علوِّ الكوكبِ

لأسيِّرنَّ مديحك الحسن الذي ألبسته ثوب الثناء الطّيبِ

حتى يحدّث مَنَ بأرض المشرق الـ أقصى حديثك من بأرض المغربِ

وقوله [من الكامل]:

ومهفهفٍ ساقٍ أغنّ سقيته قبل الصبوح سلافةً عذراءَ

ما صاح ديك الصبح إلّا صيحةً حتّى توسّد كفَّه اغفاءَ

جعلته قبل رقاده كاسلتُهُ لمّا استقلّ لسانه فأفاءَ[3]

---

(١) الرهج : غبار الحرب .

(٢) نشر الرّبا : عبقها الطيّب .

(٣) الفأفاء : الذي يفأفيء في كلامه فيخرج الكلام من بين شفتيه كثير الفاء .

٣٨ ـ أبو علي صالح بن رشدين الكاتب

أحد أئمة الكتاب ، المهرة في سائر الآداب ، صحب المتنبي وروى شعره ، وكان جيد المعاني ، أنشدني له محمد بن عمر الزاهر [من مجزوء الخفيف]:

قلْ لمولاي منعماً لم صَرَمْتَ المتيَّما[1]
أنت أعطشتني إليك وأبكيتني دما
فإذا شئت أن ترى عاشقاً ميتاً ظما
فأدر في ناظريك تجدني توهّما

وقوله [من المُجتث]:

أَجَنَّةٌ نحن فيها أم نحن في المرزجوش[2]
ما بين آسٍ وماءٍ ينساب بين العروش
وقهوةٍ ذات حسنٍ وطاجنٍ ذي نشيش[3]
وسيّدٍ رشت منه لما تطاير ريشي[4]

وزاره ابن أبي الزلازل في منزله ، فلم يره، فطرح له رقعة من طاق في المنزل ، وكتب اسمه على الباب . فلما أتى صالح ورأى اسمه على الباب ووجد الرقعة فقرأهافوجده يعتبه فيها على انقطاعه عنه ، فذهب صالح في

---

(١) صرمت : هجرت وقطعت .

(٢) المرزجوش : معرّب مرزنكوش ، ويسمّى أيضاً مردقوش ، وعربيته السمق وهو نبات الياسمين ، ويطلق على الزعفران .

(٣) الطاجن : ما يقلى فيه ، والنشيش : الغليان وصوته .

(٤) رشت : تقوّيت واستغنيت .

الوقت إلى منزل ابن أبي الزلازل فلم يجده . فكتب اسمه على بابه وترك رقعة فيها [من الخفيف]:

قد ، ومن خصّني بودّك، أذكى طول شوقي إليك في القلب نارا[1]
سرت فيه تلقاء داريَ قصداً فإذا النور قد تغشّى الدِّيارا
فتعجبت أن أرى الأفق ليلاً مدلهماً وجوف داري نهارا
وإذا خطّك البديع على البا ب يبثُّ الضياء والأنوارا
فتمنّيت أنّ خدِّي نعلا أخمصيك اللذين نحويَ سارا
غير مستنكر لمثلك أن يسبق فضلاً وأن يفوت فخارا
ثم أصبحت أشتكي عثر السكر وعزمي زيارتيك ابتكارا
فإذا رقعةٌ تمرُّ بها الريح يميناً طوراً وطوراً يسارا
فتأمّلتها وكانت من اللا ئي تروق القلوب والأبصارا
ما توهّمت أنّني قبلها أقرأ خطّاً يزيل عنّي الخمارا
قابلتني منها سهامٌ عتابٌ جعلت درعيَ الحصين اعتذارا
وأحاشيك أن تكون خليلاً مذق الودّ للصديق معارا[2]

فلما رأى ابن ابي الزلازل الرقعة كتب إليه بهذه الأبيات [من الخفيف]:

بأبي أنت سابقٌ لا يجارى قاده نحويَ اشتياقٌ فزارا
عاقني الحظّ أن أراه وأن نقـ ضي عند اجتماعنا الأوطارا
يا ابن رشدين قد أفدت بك الرشـ د وبدّلت بعد عسرٍ يسارا
كنت بالأمس عند إخوان صدقٍ أدباءٍ نُدير كأساً عقارا
قد جعلنا محمود ذكرك نقلاً وشربنا من قبله تذكارا[3]

---

(١) أذكى : أوقد .

(٢) المذق : المداهن .

(٣) النقل : ما يؤكل مع الخمر كالفستق وغيره .

ثم إني انصرفت سكران أعتسُّ طريقي تمايلاً وعثارا[1]

والدّجى كالهموم في قلب من فا رقَ عشقاً وغربةً وادّكارا

أخبط الليل مفرداً إذ تراءى لي نورٌ أضاء ثمّ استطارا

فهنيئاً إنّي أودّك ودّاً ترتضيه مغيَّباً وجهارا

ثم أخبرتني بشكواك فيها فوقاني الإلٓه فيك الحذارا

لم أزل دائباً أكرِّر قولي كان لي فيك حافظ الجار جارا

* * *

٤٠ ـ أحمد بن محمد العوفي

أنشدني له محمد بن عمر الزاهر قوله [من المجتث]:

يا حسرةً في نفوسٍ ويا شجىً في حلوقِ[2]

يا فضّةً بين ثنييْ غلالةٍ من عقيقِ

عليّ لا زلت همّي في صبحتي وغبوقي

ودون سلوة وجدي وجدان بيض الأنوقِ[3]

وأنشدني أيضاً [من المجتث]:

يا موقظاً طرف همّي من بعد ما كان أغفى

تظنّ ما بتُّ أخفيه من جوىً بك يخفي

ولي لسان دموعٍ ما يكتم النّاس حرفا

إذا تظلّم طرفي وقعت بالطّرف تُكفى

---

(١) عسّ : طاف بالليل .

(٢) الشجى : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه .

(٣) الأَنوق : العقاب ، أو طائر أسود يحرز بيضه فلا يكاد يوصل إليه .

وأنشدني له [من المجتث]:

قد عابني برقادي ... خياله حين زارا
ولا وحبّيه ما إنْ ... فعلت ذاك اختيارا
طمعت في أن أراهُ ... طوعاً فنمت اضطرارا
فتلك علّةُ نومي ... يا ملزمي فيه عارا

* * *

٤١ - القائد أبو تميم سليمان بن جعفر

كتب إلى صالح بن رشدين رسالة يستدعيه فيها إلى الشراب ، فامتنع عليه وكتب له هذه الأبيات [من المنسرح]:

يا أيها القائد الجليل ومنْ ... أصبح بالمكرماتِ يفتخرُ
آليت لا أشرب المدام ، وإن ... كانت ذنوب المدام تغتفرُ
يكفي أخا العقل أنّ سورتها ... تجني على عقله ويعتذر[1]

فكتب إليه القائد ابو تميم [من المنسرح] :

أبا عليٍّ حاشاك يا أملي ... من أن أراك الغداة تعتذرُ
قلبي إذا غبت ساعةً قلقٌ ... يكاد شوقاً إليك يستعرُ
فسرْ إلينا فوقتنا حسنٌ ... ساعد فيه السّحاب والمطر

قال ابن رشدين : حضرت عند القائد أبي تميم في ضيعة له ، فلما عمل فينا الشراب نظرت إلى جارية له تسمى عبدة ذاهبة وجائية ، فحملني

---

(١) سورة الخمر : حدّتها .

النبيذ أن أخذت رقعة وكتبت فيها إليه [من الخفيف]:

صالحٌ لا يزال يطلب عبْدَهْ ... من كريمٍ يصفي الأخلاء ودّهْ
قد بثث الغداة وجدي وحبي ... من ولي يولي لمولاه مجده
فإذا شئت أن أرى لك عبداً ... فتفضّل أبا تميم بعبدَهْ

فقرأها وأمسك ، فارتعت وخفته ، وتماديت في الشرب معه ، ثم نهضت الى منزل أنزلني فيه بقربه ، فلما استقر بي انفذ لي الجارية ومعها درجٌ فيه طيب كثير، وعليها ثياب رفيعة حسنة ، ورقعة فيها شعر [من الخفيف]:

قد بعثنا أبا عليٍّ بعبده ... وقضينا بذاك حقّ المودَّهْ
وحمدناك إذ خطبت إلينا ... أسأل الله أن يهنّيك حمده
فخذنها فأنت أكرم كفءٍ ... وهي ما عشت كاسمها لك عبده

وقال الخادم الذي جاء بها : يقول لك مولاي : لا تخرج غدا من منزلك او يأتيك رسولي . فلما أصبحت جاءني القائد أبو تميم بجواريه المغنيات وطباخه ، معه طعام كثير قد أعده وشراب، فمازلنا نأكل ونشرب إلى الليل وانصرف فرحا مسروراً .

٤٢ ـ أبو هريرة أحمد بن عبد الله بن أبي العصام

أنشدني له ابن وهب [من الطويل]:

لئِنْ ذهبتْ أيام لذّتنا الأولى ... بذي الأسل ما وجدي عليها بذاهبِ
ألاليت أياماً مضت لم تكن مضتْ ... ففقدي لها يا صاحِ إحدى المصائب
رعى الله ايام السرور فإنّها ... تمر سريعاتٍ كَمرِّ السّحائب

وقوله في رثاء صالح [من السريع]:

قد أفسد الموت على صالح ... كلَّ الذي اصلحه صالحُ
وانصرف البوّاب عن بابه ... وصاح في مجلسه الصائحُ
خلّوه في دار البلى مفرداً ... وناح في اوطانه النائح
يا ليت شعري ما الذي قاله ... إذ راح في حفرته الرائح
يا أيُّها الناس ألا فاسمعوا ... قولي فإنّي مشفقٌ ناصحُ
لا تؤثروا الدنيا على غيرها ... ففرْقُ ما بينهما واضح
فالحمد لله وشكرٌ لهُ ... كلّ امرىءٍ عن أهله نازحُ

وقوله [من الخفيف]:

مَنَ رسولي إليك أو من شفيعي ... ياشبيه الهلال عند الطلوعِ ؟
أنت في القلب شاهدٌ ليس يخلو ... من ضميري وأنت بين ضلوعي

وقوله [من البسيط]:

أما ترى الغيم كالباكي بأربعةٍ ... والأرض تضحك كالجذلان من فرحِ
فقمْ فديتك نشكو ما نكابدهُ ... من الزمان وما نَلقى إلى القدحِ

وقوله [من المنسرح]:

كم لي بدير القصير من قصفِ ... مع كل ذي نشوةٍ وذي ظُرْفِ[١]
لهوت فيه بشادنٍ غنجٍ ... تقصر عنه بدائع الوصفِ

وقوله [من السريع]:

أذكرتني يا ديرُ مَنْ قد مضى ... من أهل ودّي ومصافاتي

---

(١) القصف : المجون .

كم كان لي فيكَ وفيهمْ معاً ... من طيب أيامٍ وليلاتِ
أشكو إلى الله مصاباتهم ... وفقدنا أهلَ المروءاتِ

وقوله [من البسيط]:

كتمتُ حّبك في قلبي فما وسعهْ ... هذا وليس له شغلٌ سواه مَعَهْ
يا من إذا ما بدت للناس صورتهُ ... رأيت فيها فنون الحسن مجتمِعَهْ
والله ما حلتُ عّما قد عهدت ولا ... أصغيت أذناً إلى العذّال مستمعه[1]
رفقاً بمن لو تسلّى عنك يا أملي ... بكلِّ شيءٍ على الدّنيا لَمَا نفعهْ

* * *

٤٣ ـ أبو القاسم بن علي بن بشر الكاتب

أنشدني له محمد بن عمر الزاهر يصف العذار [من الخفيف]:

مَنْ عذيري إلى العذار الجديدِ ؟ ... مَنْ رسولي إلى القريب البعيدِ ؟
دبَّ في خدِّه العذار فحاكى ... ظلمة النّحس في بياض السّعودِ

وقوله [من السريع]:

أما ترى لي ناظراً شاهداً ... بالحبِّ والأعينُ رسْلُ القلوبْ
ودون إلحاح جفوني به ... تخبر عمّا في فؤادي الكئيبْ
وأنت لا شك به عالمٌ ... لأن عند المِرْدِ علمُ الغيوبْ

وقوله [من المنسرح]:

ضممته ضمّ مفرط الضّمِ ... لا كأبٍ مشفقٍ ولا أُمِّ
ولم نزل والظلام حارسنا ... جسمين مستودعين في جسمِ

---

(١) حلت : تحولّت وتغيّرت .

ألثمه في الدُّجا وبرق ثنا ... ياه يريني مواقع اللثم
ثم افترقنا عند الصّباح وقد ... أثّرت فيه كهيئة الختم

وقوله [من البسيط]:

إذا ذكرت أياديك التي سلفتْ ... مع قبح فعلي وزلّاتي ومجترمي
أكاد أقتل نفسي ثم يدركني ... علمٌ بأنّك مجبولٌ على الكرم

وقوله [من الخفيف]:

أنت مني بحيث مأوى الغرام ... وبحيث افتقاد طيب المنامِ
في فؤادي وناظري وهما منـ ... ـك قرينا صبابةٍ وانسجامِ

وقوله [من الوافر]:

لحى الله امرءاً يوعيك سرّاً ... لتكتمه وفضّ الله فاهُ[1]
فإنّك بالذي استودعت منهُ ... أنمُّ من الزُّجاج بما حواهُ[2]

وقوله [من الكامل]:

بيضاء جنح جبينها ... في ليل طرّتها البهيمْ
ضدّان ما اجتمعا لغيـ ... ـرتشتُّتِ الصَّبر المقيمْ
ولَذِكْرُها أندى على الـ ... أكباد من برد النّسيم
ووصفت نعمة حسنها ... فنعمت في صفة النعيمْ

وقوله [من المتقارب]:

ديون المكارم لا تُقتضى ... كما تقتضى واجباتُ الديونْ

---

(١) لحى الله : لَعَنَ الله ، يوعيك : يكتمك ويأتمنك ، وفضّ : فتح وشقّ .
(٢) أنمّ : أدل .

ولـكـنّـهـا فـي قـلوب الـكـرامْ تجـول مجال القـذى في العيونْ

وقوله [من المنسرح]:

طـرفي على ما عهـدت في أرقِـهْ فيـك وقلبي يـزداد من حُـرَقِـهْ
ولـي حـبيـبٌ أقـام مـعـتـنـقـي كمـا أقام الشّهـاب في غسقـه[1]
وجـمـلة الأمـر أنّـنـي رجـلٌ قـدمُتُّ قبل الفـراق من فـرقـه[2]
هـذا حـديثي والشمـل مجتمـعٌ فما حديثي في عقب مفتـرقه ؟!

قال لي الزاهر : أخبرني ابن بشـر أنه كـان له جـد لأم يعرف بكـولان ، وكان هو من أهـل الأدب والكتابـة، وحسن الشعر والخـطابة قـال لي حججت سنـة من السنين، وجاورت بمكـة حرسهـا الله ، فـاعتللت علة تـطاولت بي ، وضـاق معهـا خلقي ، ثم صلحت منهـا بعض الصـلاح ، ففكـرت في أنني عملت في أهل البيت تسعا وأربعين قصيدة مدحا ، فقلت : أكملها خمسين . ثم ابتدأت فقلت :

* بني أحمد يا بني أحمد *

ثم ارتـج علي[3] فلم أقدر على زيـادة ، فعظم ذلـك عليَّ ، واجتهدت في أن أكمل البيت فـلم أقدر ، فحدث لي من الغم بهذه الحـالة مـا زاد على غمي بإضاقتي وعلتي ، فنمت اهتماماً بالحال، فـرأيت النبي ﷺ ، فجئت إليه فشكوت إليه ما أنا فيه من الإضاقة وما أجده من العلة وأخرى من القلة ، فقال لي : تصدق يوسع عليك، وصم يصـح جسمك ، فقلت لـه : يا رسـول الله، وأعـظم مما شكـوته إليـك أنني رجل شـاعر اتشيـع ، وأخص بالمحبـة ولـدك

(١) الغسق : الظلام .

(٢) الفرَق : الخوف .

(٣) أرتج عليه : استغلق عليه الكلام .

الحسين وتداخلني له رحمة لما جرى عليه من القتل، وكنت قد عملت في أهل بيتك تسعاً وأربعين قصيدة ، فلما خلوت بنفسي في هذا الموضع حاولت أن أكملها خمسين، فبدأت قصيدة قلت فيها مصراعاً وأرتج عليَّ إجازته ، ونفر عني كل ما كنت أعرفه فما أقدر على قول حرف ، قال : فقال لي قولا نحا فيه إلى أنه ليس هذا إليّ ، لقول الله تعالى :﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾[1] ثم قال لي : اذهب الى صاحبك، وأومأ بيده الشريفة إلى ناحية من نواحي المسجد ، وأمر رسولا أن يمضي بي إلى حيث أومأ ، فمضى بي الرسول على ناس معهم عليٌّ ابن أبي طالب رضي الله عنه . فقال له الرسول : أخوك وجه إليك بهذا الرجل ، فاسمع ما يقوله، قال : فسلمت عليه ، وقصصت عليه قصتي كما قصصت على النبي ﷺ، فقال لي : فما المصراع ؟ قلت [من المتقارب]:

* بني أحمد يا بني أحمدِ *

فقال للوقت قل :

	بكتْ لكم عُمُدِ المسجدِ
بيثربَ، واهتزّ قبر النبي	أبي القاسم السيِّد الأصيدِ[2]
وأظلمت الأفق أفق البلاد	وذرَّ على الأرض كالإثمد[3]
ومكّة مادتْ ببطحائها	لإعظام فعل بني الأعبد
ومال الحطيم بأركانه	وما بالبنية من جلمد
وكان وليُّكُمُ خاذلاً	ولو شاء كان طويل اليد

(١) من الآية ٦٩ من سورة يس .

(٢) يثرب : المدينة المنوّرة ، والأصيد : الكريم العظيم .

(٣) ذرّ : نثر ، والإثمد : الكحل .

قال: ورددها عليَّ ثلاث مرات ، فانتبهت وقد حفظتها :

* * *

٤٤ ـ الحسن بن خلاد رحمه الله تعالى

أنشدني الزاهر له [من مجزوء الوافر]:

وَمُنْهَتِكٍ لَه نَظَرٌ يصون مواقع النظر[١]
هلالٌ لو بدا للسَّفْرِ ألهاهُمْ عنِ السَّفَرِ
فوا ويلاه من قمرٍ يريك مساويَ القمرِ
لقد أصبحتُ من كلفي بغرَّتهِ على غرر[٢]

وقوله [من مجزوء الرمل]:

يا مريداً منِّي الوصل ووصلي في يديهِ
أنا لا اعرف من لا يعرف الحقَّ عليهِ

وقوله من أبياتِ [من مجزوء الكامل]:

نختال في حلل الصَّبا كالبدر في حلل الغيومِ
وإذا تثنَّت جال في أعطافها ماءُ النعيمِ
ينسيك طيب نسيمها بعد الكرى برد النسيمِ

وله أول قصيدة [من الطويل]:

هو السيف لا يكسوك ما لم يُجَرَّدِ فجرِّده واسترفدْ بِغربيهِ تُرفدِ[٣]

* * *

---

(١) ومنهتك : غير محجوب ،
(٢) الكلف : العشق ، والغرر : الطيش .
(٣) الغرب : الحدّ ، واسترفد : أي اطلب الرزق بحدّه .

٤٥ ـ أبو الحسن اللطيم

أنشدني ابن وهب قوله [من مخلع البسيط]:

لا تنكري سرعة اختلاسي   لذّاتِ أيّامي القصارْ
فإنّ علمي بغدر دهري   صيّرني خالع العذارْ

وقوله [من السريع]:

أهديت لي تذكرةً خاتماً   اسمك منقوشٌ على فَصِّهِ
فما اعترتني زفرات الهوى   إلّا تروّحت إلى مَصِّهِ

٤٦ ـ سليمان بن حسان النصبي رحمه الله

أنشدني ابن وهب له [من الخفيف]:

وهتوفٍ ورقاءَ أرَّقتِ العينَ، وزادت خبلَ الفؤاد خبالا[١]
ذات طوقٍ من الزبرجد يحكي   صفو عيشٍ عنّي تولّى وزالا
أيقظتني والصبح قد خالط الليلَ كما خالط الصدود الوصالا
وتراها كأنّما بدموعي   خضّبوها أو خاضت الجريالا[٢]

وقوله يصف الراي المقلي وهو ضرب من السمك [من مجزوء الرمل]:

ما رأينا مثل هذا الراي حسناً ، ما رأينا
صار تبراً بعد أن كا   ن عقيقاً ولجينا

وقوله في شمعة [من المتقارب]:

ومجدولةٍ مثل صدر القناة   تعرّت وباطنها مكتسي

---

(١) الخبال : فساد العقل والرأي .
(٢) الجريال : صبغٌ أحمر .

لـهـا مـقـلـةٌ هـي روحٌ لـهـا ... وتـاجٌ على الـرأس كـالـبـرنس
إذا رنَّـقـتْ لـنـعـاس عـرا ... وقُـطِّت من الـرأس لم تنعس[1]
وإن غـازلتهـا الصَّبـا حـرَّكَتْ ... لـسـانـاً من الـذّهـب الأمـلس
وتـنـتـج فـي وقـت تـلقـيحـهـا ... ضيـاءً يجلّي دجـا الجنـدس[2]
فـنـحـن من الـنـور في أسـعُـدٍ ... وتـلك مـن الـنـار في أنـحس
وقـد نـاب وجهـك عن ضـوئهـا ... وعـن ذا البـنـفـسـج والـنـرجس
ولـكـنـهـا آلـةٌ لـلـنـدام ... ونـجـمٌ تـأـلّـق فـي الـمـجـلس
تـوقُّـدُهـا نـزهـةٌ لـلـعـيـون ... ورؤ يـتـهـا مـنـيـةُ الأنـفس
تـكـيـد الـظلام كـمـا كـادهـا ... فـتـفـنـى وتُـفـنـيـه فـي مـجـلس
فـيـا ربّـة الـعـود حـثّي الـغـنـاءَ ... ويـا حـامـل الـكأس لا تحـبس
ويـا صـالـح انعم وعش سـالـمـاً ... على الـدهر في عـزّك الاقعس[3]

وله يصف روضة [من الرجز]:

وروضـةٍ ذاتِ غـديـرٍ مـتـئـقِ ... وَزَهَـرٍ مثـل عشـور المهـرقِ[4]
ونـرجـسٍ مثـل العيـون الـرمَّق ... أجـفـانهـا مـن لؤلـؤٍ مفـلّقِ[5]
بـاهتـةٍ قـد فتحت لـم تـطبقِ ... وسـوسنٍ غضّ النّبات مـونقِ[6]
يشفُّ فيـه كـالـزّجـاج الأزرق ... وقـد حكـاه في ضيـاء الـرونق
بنفسـجٌ مثـل اللجينِ المحـرقِ ... يـا حسنهـا من روضـةٍ لم تـطرق

---

(١) رنّقت : انكسر طرفها ، وخفقت ، عرا : حلّ ، وقطّتْ : أي قطعت .
(٢) الحندس : الظلام الشديد .
(٣) الأقعس : المنيع الثابت .
(٤) متئق : المملوء من كلّ شيء بما يناسبه ، والعشور : المختلطة ، والمهرق : الصحيفة البيضاء .
(٥) الرمّق : المتطلعة من رمق : أي نظر .
(٦) المونق : المعجب والجميل المنظر .

كـأنّهـا سـافـرةٌ عـن خـلقـي   أو حسْنِ مـا ألفتـه عن منـطقي
بـاكـرتهـا مثـل انفـلاق الفلق   وشـهـبُـهُ حـائـرةٌ فـي الأفـق
فـي عصبـةٍ غـرٍّ كـرامٍ سُبَّـقِ   يخطـرن فيهـا بقسيِّ البُنـدقِ[1]
كـلّ فـتىً فـي قـصـده مـوفَّـقِ   كـأنّـه مـن نـفسـه فـي فيـلقِ
مـقـرطسٍ فـي رمـيـه مـؤنّـقِ   وهـو يـراعيهـا بـطرفٍ شيِّقِ[2]
خـوفـاً عليهـا وهـو عين المحنق   فـصـاد مـا شـاء بـلا تـعـوُّقِ

* وراح من نجيعه في يلمق *

وقوله في الحمام [من مجزوء الرمل]:

أنت في الحمـام مـوقـو   فُ عـلى قلبـي وسـمـعـي
فـتـأمـلّهـا تجـدهـا   كُـوِّنتْ من بـعض طبـعي
جـرَّهـا مـن حـرٍّ أنـفـا   سي وفيض الـمـاء دمعي

وله يصف ناعورة [من السريع]:

كم نَعَرَتْ بالحيِّ نـاعـورةٌ   حنينها كالبـر بطِ النّاعـرِ[3]
فـتـارةً تحـسبـهـا قـينـةً   تـردِّد الـزَّمْـرَ على الـزامـرِ
وتـارةً ثكلى جـرى دمعها   في مستهلٍّ واكفٍ ماطـرِ[4]
كـأنّمـا كيـزانهـا أنجـمٌ   دائـرةٌ فـي فـلكٍ دائـرِ

* * *

---

(١) البندق : ما يرمى بالقسيّ ليصطاد به .
(٢) مقرطسٍ : الذي يكتب في القرطاس ، مؤنّق : متمهل ومتقن أي الصحيفة
(٣) اليربط : آلة موسيقية تشبه العود .
(٤) الواكف : السحاب الممطر .

٤٧ ـ الحسن بن علي الأسدي كاتب السر

كتب إليه أحمد بن محمد بن إسماعيل الرسي يطلب منه الكتاب الذي عمله المعروف بالأنيس ، فأنفذ إليه الجزء الأول منه وكتب إليه [من الخفيف]:

قد بعثنا بمؤنسٍ لك في الوحـشة خلٌ يدعى كتاب الأنيسِ
فيه ما يشتهي الأديب من العـلم، وفيه جلاء همٍّ النّفوسِ
فيه ما شئت من بدور معانٍ ضاحكاتٍ إلى وجوه شموسِ
والنّفيس البهيُّ ما زال يُهدى كلَّ حينٍ إلى البهيِّ النفيسِ

فلما قرأ رقعته كتب على ظهرها ارتجالاً [من الخفيف]:

قد قرأت الكتاب يا خلَّ نفسي فهو لي مؤنسٌ وأنت الأنيسُ
فهو تأليف ذي ذكاءٍ وفهمٍ وهو وقفٌ على العلوم حبيسُ

وحكى عنه أنه قال : قد كان أبو الحسين جنبك الأخشيدي من كرماء الناس ، وكانت بيني وبينه مودة ، فكنت أغشاه كثيراً للحوائج التي تعرض إليه ، فاستخدم بوابا ، فحجبني غير مرة ، فكتبت إليه [من المنسرح]:

يا عَلَمَ المكرماتِ والسؤددِ إليك أشكو بوّابك الأسودْ
يبعدني كلَّما دنوتُ، وما حقّ كريمِ الوداد أنْ يبعدْ
في كلِّ يومٍ ألقى بطلعته طالع نحسٍ يسوءني أنكدْ
وجهٌ شتيمٌ بكلِّ فاحشةٍ عليه من كلِّ مشهدٍ يشهدْ
كلبٌ يهرُّ الضيوف إنْ طرقوا فناءك الرّحب كالحُ اعقدْ
أبعدْهُ وانفِ الخبيث عنك كما ينفي القذى عنه خالص العسجدْ
أولا ، فلن تستطيع تنظم ما عنك من المكرمات قد بدَّدْ

وما انتفاع الورى ببحر ندى   تذادُ عنه العطاش لا تورِدْ[1]

فما شعرت حتى جاءني خادم له يقال له بشرى ، وكان يحبه ، والبواب الأسود معه ، وقال لي : إن مولاي يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : قد غمني ما جرى من البواب ، وقد قرىء عليّ الشعر . ولو كنت أحسن قوله لأجبتك ، ولكني قد أنفذته اليك ، وأمرت بشرى أن يضربه بين يديك ثلاثين مقرعة ، ونحبسه، فشكرت له ، وقلت لبشرى : قل له ياسيدي ما أحب ان تبلغ به إلى هذا كله ، وسألت بشرى أن لا يضربه، فقال : والله مالي إلى تركه من سبيل ، وقد قال لي : سيقول لك لا تضربه وعليّ لئن رددته إليّ بلا ضرب لأضربنه بين يدي مائة مقرعة، قلت : فإذا كان كذلك فاضربه ضرباً خفيفاً. ولا تحنثه[2]، فضربه بحضرتي ضرباً خفيفاً ، وانصرف به ، ولا والله ما رأيته في داره بعدها .

٤٨ ـ أبو القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن طباطبا الحسني الرسي

أنشدني له ابن وهب قوله [من المنسرح]:

يا بدرُ بادرْ إليَّ بالكاسِ   فربَّ خيرٍ أتى على ياسِ[3]

ولا تقبلْ يدي فإنّ فمي   أولى بها من يدي ومن رأسي

لا عاش في الناس من يلوم على   حبّي وعشقي لأحسنِ الناسِ

وقوله [من البسيط]:

قلْ للذي حسنت منه خلائقُهُ   باكرْ صبوحك واسبقْ من تسابقُهُ

---

(١) تذاد : تمنع وتحجب .

(٢) تحنثه : أي تجعله لا يفي بقسمِهِ .

(٣) بادر : أسرع وتقدّم ، والياس : أي اليأس وهو القنوط .

أما ترى الغيم مجموعاً ومفترقاً يسير هذا الى هذا يعانقُهُ
كعاشقٍ زار معشوقاً يودِّعهُ قبل الفراق فآلى لا يفارقُهُ[1]

وقوله [من البسيط]:

قالت : أراك خضبت الشيب قلت لها: سترته عنكِ ياسمعي ويا بصري
فاستضحكتْ ثم قالت مِنْ تعجُّبها: تكاثر الغشُّ حتى صار في الشَّعَرِ

وقوله [من الخفيف]:

عيَّرتني بالنوم جوراً وظلماً قلت: زدت الفؤاد همّاً وغمّا
اسمعي حجَّتي وإنْ كنت أدري أنّ عذري يكون عندك جرما
لم أنم لذَّةً ولا نمت إلّا طمعاً في خيالك أن يلمّا[2]

وقوله [من الطويل]:

خليليّ، إنّي للثريّا لحاسدُ وإنّي على صرف الزمان لواجدُا
أيبقى جميعاً شملها وهي سبعةٌ وأفقد مَنْ أحببته وهو واحدُ ؟
كذلك من لم تخترمه منيَّةٌ يرى عجباً فيما يرى ويُشاهدُ[3]

وقوله [من الطويل]:

وقوله، وهو مما يتغنى به [من البسيط]:

قالت لطيف خيالٍ زارني ومضى : صفْ لي هواهُ ولا تنقصْ ولا تزدِ[4]
فقال: أبصرته لو مات من ظمأٍ وقلت قفْ عن ورود الماء لم يردِ

---

(١) آلى : أقسم .
(٢) أن يلمّا : أن يحلّ .
(٣) اخترمته المنيّة : قضت عليه .
(٤) تنسب هذه الأبيات لجماعة من الشعراء منهم يزيد بن معاوية مع اختلاف طفيف في الرواية .

قالت : صدقت الوفا في الحبّ عادتُهُ   يـا برد ذاك الـذي قالت على كبـدي

وقوله [من المتقارب] :

سـأعتبهـا حـتّ مـا استعتبتْ   وإن لـم تـكنْ أبـداً مُعتِبَـهْ
وسـوف أجـرّبهـا بـالصّـدود   ومَنْ يشربِ السَّمَّ للتجربه ؟ !

* * *

٤٩ ـ ولده أبو محمد القاسم بن أحمد الرسّي

أنشدني له ابن وهب [من الوافر] :

إذا الكـروان صاح على الـرمـالِ   وحـلّ الـبـدر في بـرج الـكمـالِ
وجـعَّـد وجـه بـركـتـنـا هـبـوبٌ   تمـرُّ بـه الجنـوب مع الشمـالِ[(١)]
وحـرَّكتِ الغـصـون فشـابـهتهـا   قـدودُ سـقـاتـنـا فـي كـلِّ حـالِ
فـهـات الـكـأس مـترعـةً ودعـني   أبـادرُ لـذّتـي قـبـل ارتـحـالـي[(٢)]
فـكـلُّ جـمـاعـةٍ لا شـكَّ يـومـاً   يـفـرِّقُ بـيـنـهـمْ صـرفُ الـليـالـي

وقوله [من المتقارب] :

إذا التحـف الجـوُّ بـالأدكـنِ   وغنّى الحمـائـم بـالأعـنِ[(٣)]
وهبَّ نسيم الـصّبـا سـحـرةً   بـريـح البنفسـج والسـوسن
وحـنَّ الـى الـقـصـف أُلّافَـهُ   فبادر إلى شيخك المنحني[(٤)]
فـنفِّسْ مـن الحـنـقِ أوداجـه   وسقِّ النـدامى ولا تنسـني[(٥)]

---

(١) جعّد : ترك صفحة الماء متموجة ، والجنوب والشمال : كناية عن الريح ومهبّها .
(٢) المترعة : المملوءة .
(٣) الأرعن : مكان بالبحرين ، وربما كانت الأرغن ، وهي آلة موسيقية .
(٤) القصف : المجون ، والألآف : العشاق .
(٥) وسقِّ : أي أسقي .

وقوله يهجو ابن كلس المتطبب [من الطويل]:

تــوقّ معــزّ الــدين شؤم ابن كلّس ... ولا تـقـبـلـنْ مـنـه مـقـال مـدلّسِ
فــإنّــا أردنــاه لـكــافــور شــربـةً ... فــزاد على تقـديـرنـا ألف مجلسِ

* * *

٥٠ ـ أخوه أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد الرسي

أنشدت له [من المتقارب]:

عـرفتُ الـدِّيـار على مـا بهــا ... وأوقفتُ ركـبي عـلى بــابهــا
ونـاديت فيهـا بـأعلى النـداء ... مــراراً بــأسـمــاء أربــابهــا
فلم أر فيهــا سـوى بـومهــا ... تصيــحُ جهــاراً بــأتــرابهــا
فــأعـلمـنـي ذاك أنّ الــزمــا ... ن أخنى عليهـا وأودى بهـا[1]

* * *

٥١ ـ ولده أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم ابن أحمد رحمهما الله تعالى !

أنشدني له الزاهر [من المجتث]:

شُـمَّ الـنـسـيـم لـذيـذاً ... مـن قبـلِ أنْ لا تـشِـمَّـهْ
واصرفْ عن القلب ما اسطــــعت ... بـالـمـسـرّة همّهْ
وغــالطِ الــدّهـر إن كـنــــت ... لست تـملك حُـكْـمَـهْ
وقــد نصحـتــك جهـدي ... فـلا تــصـمّ وتَـكْـمَـهْ[2]

---

(١) أخنى عليها : أهلكها ، وطال ، وأودى بها : أهلكها وذهب بها .
(٢) الأكمه : الأعمى .

وقوله [من مجزوء الرمل]:

صَدَفَتْ عنّا نوار ... ولقد كانت تزورُ[1]
ثم قالت: كيف أودى ... ذلك الغصنُ النضيرُ؟
وشبابٌ يتلالا ... فيه للناظر نورُ
قلت: إنْ أنصفتِ هذا ... لابن خمسين كثيرُ

* * *

٥٢ ـ أبو الحسن العقيلي رحمه الله

أنشدني الزاهر قوله [من السريع]:

لنا أخٌ يحسن أنْ يحسنا ... جناه للجانين عذب الجنى
قد عرفت روضة معروفه ... بأنّها تنبت زهر الغنى
إذا تبدّى وجه إحسانه ... تنزَّهتْ فيه عيون المنى

وقوله [من الكامل]:

الصبح ينشرُ فوق مسـ ... ـك اللّيل كافور الضياءِ
والبرق يُذهب ما تفضّـ ... ـضه الغيوم من السماءِ
فاشربْ على ديباج نبـ ... ـتٍ قد أحاط بشرب ماءِ
فالعيش في زمن الربيـ ... ـع رقيق حاشية الرِّداءِ

وقوله [من المتقارب]:

وراحٍ تتيهُ بأنفاسها ... على ما يفوح من العنبرِ[2]

---

(١) صدفت : امتنعت عن الزيارة ، وهجرت .
(٢) تتيه : تتكبر وتفخر .

كـأنّ زجـاجـاتـهـا دُرَّةٌ تشفُّ عن الـذّهب الأحمرِ(1)

وقوله [من البسيط]:

تـاه الـربيـع بـآذريـونـهِ وزهـا لما بدا منه نشرٌ في الـرُّبا أرِجُ(2)
كـأنّ أغصـانـه فيـروزجٌ بهـجٌ من فوقه ذهبٌ في وسطه سَبَجُ(3)

وقوله [من الكامل]:

اشـربْ على زهر البنفسـج قهـوةً تنفي الأسى عن كـلّ صبٍّ مُكْمَدِ
فكـأنّـه قـرصٌ بخـدٍّ غـريـرةٍ أو أعـينٌ زرقٌ كـحلن بـأثـمـدِ

وقوله [من الطويل]:

ونـارنجـةٍ بين الـريـاض نـظرتهـا على غصـن رطب كـقـامـة أغيـدِ
إذا ميَّلتهـا الـرِّيـح مـالت كأكـرة بـدت ذهبـاً في صـولجـان زمـرُّدِ(4)

وقوله [من الكامل]:

ومـدامـةٍ يبـدو إليـك جنينهـا وعـليـه تـاجٌ لم يـصغْـهُ صـائـغُ
تخفى لفـرطِ صفـائهـا فكـأنّمـا إبـريـقنـا الـمـلآن مـنـهـا فـارغُ

وقوله [من الكامل]:

إن كـنـت تـعـلم أنّ لـي علمـاً بـأسـرار الســرورِ
فـاعمـلْ بحسبِ وصيَّتي لـك في مـلازمـة البكـورِ
ودعِ الـصّغيـر مكـانـه واعـدلْ إلى جهـة الكبيـر

---

(1) تشفّ : تنمّ وتظهر .
(2) آذريون : فارسية الأصل « أزهاره » .
(3) السبج : خرز أسود .
(4) الأكرة : الكرة .

مـا بـين وردٍ كـالـخـدو ... د وأقحـوانٍ كـالـثّـغـور
وعليك بـالـذّهب الـذي ... أجـراه روبـاس العصيـر[1]
مـا زال يسبك بـالـذي ... قـد شبَّ من نـار الهجيـر
حـتّـى صـفـا فكـأنّـهُ ... دمـع الطليق على الأسيـر

وقوله [من المنسرح]:

نـحن أنـاسٌ نـوالـنـا خَـضِـلُ ... يـرتـعُ فينـا الـرجـاء والأمـلُ[2]
كـلُّ فتـىً لـيس في مـودَّتـهِ ... مـذقٌ . ولا في خـلالـه خَلَلُ[3]
لـو أبصـر البحـر فيض أنملنـا ... فـاض على وجـه فيضـه الخجلُ
تـسـبـق أمـوالـنـا مـؤمِّـلنـا ... لا يعتـرينـا مـطلٌ ولا بُخُـلُ[4]
تسمـح قبـل السؤال أنفسنـا ... بخـلاً على ماء وجـه من يسلُ[5]

* * *

٥٣ ـ أبو القاسم بن أبي العفير الأنصاري، رحمه الله !

أنشدت له [من الطويل]:

وروضٍ كحسن العُرفِ يسري وبهجةٍ ... من الزّهر فيها شاكلتْ بهجة الحمدِ
يـريـك عنـاق العـاشقين عنـاقـه ... بثغـرٍ على ثغـرٍ وخـدٍّ عـلى خـدِّ

---

(١) الروباس : الفضة .
(٢) الخضِل : النديّ الناعم .
(٣) المذق : الملل والكدر .
(٤) المطل : التسويف والمماطلة .
(٥) أي أننا نكفّي الناس مذلّة السوّال .

وعارضه المتنبي بحضرة كافور في قصيدته الميمية التي أولها [من لكامل] :

* نظرُ المحبِّ إلى الحبيب غرامُ *

فقال له : العرب لا تقول «إليه غرام» وإنما تقول «له» فقال له الأنصاري : تقول : إليه ، ولديه ، وله ، وحروف الخفض ينوب بعضها عن بعض . والوزير ابو بكر بن صالح الروزباري حاضر. والوزير ابو الفضل جعفر بن الفرات حاضر. فقال الأنصاري [من الكامل] :

أمّا الثناءُ فصادرٌ بك واردُ ... بادٍ بما تسدي إليَّ وعائدُ
لك يا أبا بكرٍ إليَّ صنائعٌ ... أيقظن أحوالي وجدّى راقدُ
أوليتني نعماً متى انكرتها ... شهدتْ عليَّ مواهبٌ وفوائد
نِعَمٌ أقرُّ بها ، وكم من نعمةٍ ... يخفى المقرُّ بها ويحظى الجاحد ؟
ولربَّ ليلٍ قد هجرت رقادَهُ ... لك والرّدى مغفٍ وطرفي ساهدُ
أتحلّل الكلمَ العوانَ تحلُّلا ... فأغافص المعنى كأني صائد[1]
وقصائدٍ لي فيك لولا انها ... كلمٌ شهدت بأنّهنَّ مشاهدُ
ولهنّ في عين الوليّ شواهدُ ... تترى ، وفي عين العدوّ جلامد
لمّا رعيت مودّتي وخلطتني ... ببني أبيك ظننت أنّك والدُ
ولقد علمت ، وأنت خير معلّمٍ ، ... أنَّ الثناء على الليالي خالدُ
لمَّا تعرَّض لي بمقْتٍ حاسدي ... أبدى الملام، وكيف يرضى الحاسد ؟[2]
ما زال ينشد قائماً حتّى إذا ... أنشدت عارضني لأنّي قاعدُ
في مجلسٍ أمّا الوزير فمنكبٌ ... فيه يؤيدّهُ وأنت الساعدُ
ولّى ولا انا شاكرٌ لسؤالِه ... فيه ، ولا هو للإجابة حامد

* * *

(١) أغافص : أفاجيء وأعالج .

(٢) المقت : الكره .

٥٤ ـ أحمد بن محمد الكحال

أنشدني لـه الـزاهـر وقـد كتب إلى بعض إخـوانـه يستهـديـه جـرة نبيـذ [من الكامل]:

لـو قـد سـألتك حسب قـد | رك مـا رضيت بـألف جـرَّهْ
ولـقـلَّ ذاك لـقـدر مـن | لا تحصـر الأوصـاف قـدرَهْ
فـابـعـثْ إلـيَّ بـجـرَّةٍ | وكـفـافِ مـا أبـغـيـه جرَّهْ
وتـوخَّـهـا كـبـر الـجـرا | ر ، فـربَّ وافـيـةٍ كـزكـره[1]
مـن رسـم بـسـطام الـذي | أحيـا بحسن الـرَّسـم ذكـرَهْ
لا بوطسـاً يـؤذي الـنـديـم ، ولا مـذاقـتـه بمـرَّه[2]
واعـلـمْ بـأنَّ مـحـلَّهـا | عنـد الضـرورة مثل صـرَّهْ[3]

وكتب إلى بعض إخوانه يستدعيه [من البسيط]:

لا تـتـركنْ لـغـدٍ مـالاً ولا سبـدا | فلست تقتل علماً هـل تعيش غدا[4]
خـذْ من زمانـك ما جـاد الزمـان بـهِ | فمن جنى بعض ما يهوى فقـد سعدا
أنت ابن وقتـك فـاحـذرْ أنْ تضيِّعـهُ | فليس يـرجـع وقتٌ فـائـتٌ أبـداً
وعنـد عبـدك شيءٌ إن نشـطت لـه | وزرت زدت أيـاديـك الكـرام يـدا
رايٌ طـريٌّ كقـابِ الفتـر تحسبـه | ذوبـاً من الفضّـة البيضـاء او بـردا[5]
كـأنَّ كفّـاً عليـه جرّشتْ قـطعـاً | من اللجين صـغـار الـنـظم او زردا

---

(١) الزكرة : زقّ الخمر .

(٢) البوطس : إسم فارسي (نوع من الخمر) .

(٣) الصرّة : كيس الدراهم .

(٤) السبد : البقيّة من النبات والقليل من الشعر .

(٥) الراي : ضرب من السمك .

كـأنَّ قـالـيَـهُ بـالـقلي ِ ألـبَسَـهُ ... من الشقـائق أثـوابـاً لـه جـددا
كـأنّـه في سعيـر القلي منقليـاً ... صـبٌّ تقلّبـه كفُّ الـهـوى كمـدا
كـأنَّ يـاقـوتـةً حـمـراء هـلّلهـا ... صـوَّاغهـا ذهبـاً للحسن متّحـدا
كـأنّـه كـان في نهـر الحيـاة فمـا ... يكـاد يسلم منـه روحـه الجسـدا
وقهـوةٍ تـذكـر الأفـلاك سـاكنـةً ... مشمـولـةً أفنتِ الايـام والـمـددا
يـديـرهـا قـمـرٌ في كـفّـه قمـرٌ ... من الـرحيق يـزيـل الهمَّ والكمـدا
فـلا تضيع سـروراً جـاء عن كثبٍ ... عجـزاً فتكتسب التـوبيخ والفنـدا[1]

* * *

٥٥ ـ أبو الحسن محمد بن الوزير الحافظ

كتب إلى صديق يستدعيه الاتجالاً [من الهزج] :

لـنـا مـسـمـعـةٌ حـلوه ... ولـونٌ يفتـق الـشّـهـوهْ
فـالـبـارع مـن مـجـدِ ... ك إن لم تجـب الـدّعـوهْ

وأهدى إلى بعض إخوانه مقطّاً وكتب إليه [من البسيط] :

إنّـي بعـثت مـقـطّاً غيـر محتشمٍ ... ولم أجلْ في الغنى فكري ولا العدمِ
ولـو بعثت سـواديْ نـاظـريَّ لمـا ... كـانـا كفـاءً لمـا تـولي من النّعمِ
فـاقبله واجعله ممّـا يستعـان بـه ... فـإنّـه خـادم السّـكيـن والـقـلمِ

وقوله يصف النرجس [من المجتث] :

خـواتـمٌ مـن لـجيـنٍ ... فصـوصهـا كـاربـاءُ[2]
ولـيس تـضـحـك إلاّ ... إذا بـكـتـهـا الـسـمـاءُ

---

(١) الفند : العجز والباطل والكفر بالنعمة .
(٢) الكارباء : نوعٌ من الحجارة الكريمة يستعمل في صنع السبحة أيضاً .

وقوله [من الخفيف]:

منذُ حلَّ السواد زاد البياضُ واعتداءاته طوالٌ عراضُ
وإذا ما طغى المشيب فلا المنـ قاش يقوى به ولا المقراضُ
وكثيراً أرى جساماً صحاحاً لأناسٍ فيها قلوبٌ مراضُ

وأهدى الى الإخشيد خاتماً ، وكتب معه [من مجزوء المتقارب]:

وذي عنقٍ لم يطلْ عليه ولم يقصر
ومتنين قد حصرا على قدر الخِنصر
وقد زاد في ضُمره على الفرس المضمَر[1]
وأسفله فضَّةٌ وأعلاه من جوهر
بعثت به معسراً إلى ملكٍ موسر
ولا غرو أن يهدي الـ ـمقلُّ إلى المكثر

وقوله [من الكامل]:

قد قلت إذ سار السّفين بهمْ والشَّوْقُ ينهب مهجتي نهبا[2]
لو أنّ لي عّزاً أصول به لأخذت كلَّ سفينةٍ غصبا

٥٦ ـ أحمد بن محمد بن عبد الكريم اليتيم النحوي

أنشدت قوله[3] [من الوافر]:

إذا ما نلت من دنياك حظّاً فأحسن للغنّي وللفقيرِ

---

(١) الضمر : الهزال والنحول .
(٢) السفين : القافلة .
(٣) قد أنشدهما قبيل ما اختاره لعبد المحسن الصوري منسوبين إلى أحمد بن عبد الرحيم النحوي

ولا تمسك يديك على قليلٍ فـإنَّ الله يـأتي بـالكثيـر

وقوله [من المنسرح]:

خـاطبت شمس النهـار إذ بـدت وقـلت مـا أنت لـي بمـنصـفـةِ
إنّ الـتـي أشـبـهـتـك مـائـلـةٌ من بعـد ذاك الـوصال قـد جفتِ
فـعـاتبيـهـا فـليس يـقـنـعـني يـا شمس من شبهك الـذي أتتِ
لمـا رأتني على الـوفـاء لـهـا صـدَّت ومـا أنصفتْ ولا وفتِ

* * *

٥٧ ـ أبو محمد بن أبي عمرو الطرازي

أنشدت له من [مجزوء الرجز]:

نـارٌ جرت في غـايـةٍ تـرمى العـلا بـالـشُّـهُـبِ
كـأنّـهـا جـيشُ وغـى فـرسـانـه مـن ذهـبِ

وقوله يصف الفستق [من مجزوء الرجز]:

وفـسـتـق رأيت مـنـه طـرفـاً مـن الـطـرفْ
كـأنّـه لـمـا بـدا والـرّاح فـيـنـا تـخـتـلفْ
زمـرُّدٌ ضـمَّـنـه من خالص العاج الصدفْ

٥٨ ـ أبو الحسن علي بن لؤلؤ الكاتب

أنشدت له [من الخفيف]:

ربَّ صبحٍ كطلعة الوصـل جلّى جنـح ليـلٍ كـطلعـة الهجـرانِ[1]

---

(١) جلّى : أضاء وأزاح .

زار في حلة البزاة فولىّ الليل عنه في حلّة الغربانِ

وقوله [من الطويل]:

يومٌ كأنَّ الروض خاط لضوئهِ قراطقَ من وشيٍ غلائلها الغدرُ
كأنّ صفاء الجوّ ناظر أزرقٍ له الغيم جفنٌ هُدْبُ أجفانه القطرُ
كأنّ أعالى السرو بين رياضه مطارف لفّت في مواكبها خضرُ[1]

* * *

٥٩ ـ أبو القاسم عبد الصمد بن فضالة الصفار

قال يصف الورد [من الكامل]:

لا تصحبِ الدّنيا كئيباً مكمدا من ذا رأيت من البريّة خالدا ؟
قم فاغتنم طيب الربيع وحسنهِ فلقد حباك به الغمام وأسعدا
وردٌ كأنّ أصولَهُ وفروعَهُ سُقيتْ دماً حتى ارتوى فتورّدا
وشقائقٌ شقّ القلوب كأنّه خدٌّ مليحٌ ضمَّ صدغاً أسودا
والماء يجري في الرّياض كأنّهُ سيفٌ صقيل من قرابٍ جُرِّدا[2]
فاشربْ عليه فإنّه وقتٌ إذا ولّى تفاوت أن يُنالَ فيوجدا

وله [من المتقارب]:

فلو زيَّن الحسن في وجههِ بهجر الصدود ووصل الوصالِ
لتمَّ وإن كنت ما إن أرى بديع الجمال جميل الفعالِ

* * *

---

(١) المطارف : أردية من حرير ذات أعلام .
(٢) القراب : الغمد .

٦٠ ـ ابن الزيعي

قال يصف دير القصير من قصيدة يقول فيها [من الرجز] :

يـا حسـرةً في القلب مـا أقتلها ... كـأنّها في القلب اطـرافُ الأسـلْ
فـكـم وكـم مـن لـيـلةٍ طـيِّـبـةٍ ... أحييتهـا في الدّيـر في خيـر محلْ
ديـر القصيـر الفـرد في صفـائـه ... يـا من رأى الجنّة من غيـر عمـل
أشـربهـا راحـاً شمـولاً قـرقفاً ... تـدبُّ في الجسم فمـا تبقي عِلَلْ
يـديـرهـا ذو غنـجٍ بـطرفـه ... يحيي إذا شـاء وإنْ شـاء قتـلْ
كـأنّـه غـصنٌ مـن البـانَ وقـدْ ... زاد عليـه بـالقـوام المعتـدل
ألثـغُ حَتْفُ النفس في لـثغتـه ... تـاه بها على الـورى تيه مـدلّ(١)
إن قـال نـارٌ قـال نـاغٍ أو يقـل ... نـورٌ يقـل نـوغٌ بـدلٍّ وغـزل
فـاحثث كؤوس الراح يـاساقيَنَا ... واغتنـمِ الـدّهـر فللدهـر دُوَلْ
من قبـل أن يـطرقـنـا بيـن فـلا ... ينفـع عنـد البين ليست ولعـلْ

* * *

٦١ ـ محمد بن عباس البصري
المعروف بصاحب الراقوية

قال [من البسيط] :

لا تعـذلـوني فمـا مثلي بمعـذول ... جسمي سقيمٌ وأمـري غيـر مجهـولِ
إن مـلَّ مـولاى وَصْلي بعـد ألفتـه ... فـإنّ مـولاي عنـدي غيـر مملول
ملكت قلبي ولم تعـطف على دنفٍ ... مـا كـلُّ ذاك على قلبي بمعـزول(٢)

---

(١) الألثغ : هو الذي ينطق السين شيناً أي يغيّر في نطق بعض الحروف وتـاه : فخـر ، ومـدلّ : من الدلال .

(٢) المدنف : المريض المشرف على الهلاك .

وقوله [من الرجز]:

يا حاملَ الكأس أدرها واسقني ... قد ذعر الشوق فؤادي فانذعرْ
أما ترى البركة ما أحسنها ... إذا تداعى الطير فيها وصفر
أما ترى نوارها أما ترى ... حسن مسير مائها إذا انحدرْ
كأنّما الجوهر في ألوانه ... نثِّر في تلك النواحي فانتثر

وقوله [من مجزوء الكامل]:

أما طغان فقد طغى ... والطَّرفُ منه قد بغى
شهر السِّلاح بطرفه ... فتكاً وما شهد الوغى
لولا مخافة عقربٍ ... في صدغه أن يلدغا
للثمت منه ممسّكاً ... ومصندلاً ومصبَّغا

وقوله [من الوافر]:

أتاني في قميص اللاذ يسعى ... عدوٌّ لي يلقَّبُ بالحبيبِ[1]
فقلت له لم استحليت هذا ... فقد أصبحت من زيٍ عجيبِ ؟
فقال الشمس أهدت لي قميصاً ... غريب اللون في شفق المغيبِ
فصوبي والمدام ولون خدّي ... قريبٌ من قريبٍ من قريبِ

وقوله [من السريع]:

وشمعةٍ ظِلْتُ أناجيها ... تبيتُ تبكي وأبكيها
كأنّما صفرتها صفرتي ... ومدمعي دمعُ مآقيها
أعارها قلبيَ من ناره ... فمثل ما فيه كذا فيها

* * *

(١) اللاذ : حريرٌ صينيّ أحمر .

٦٢ ـ أبو عبد الله الحسين المعروف بالجمل

له في طبيب [من المنسرح] :

إذا سقـامٌ عـراك نـازلُـهُ فـاندبْ أبـا جعفـرٍ لنـازلـهِ
يعـرف ما يشتكيـه صاحبـه كـأنّمـا جـال في مفـاصله

٦٣ ـ أبو عبد الله بن العرمرم

قدم له صديق سمكا في يوم شديد البرد فقال ارتجالا [من مجزوء الرجز] :

شـيـخٌ وبـردٌ وسـمـك لكـلٍّ مـا يخشى شَـرَكْ[1]
فهـاتهـا صـافـيـةً وضمنٌ الكـأس الـدّرك[2]
ولا تـبـالِ بـعـدهـا مـن لام فـيـهـا وتـرك

وقوله [من الكامل] :

ولَّيتُمُ أمـرَ الخـراج محمّـدا فغدا الخراج بغير جيمٍ يكتبُ
إن كان من عدم الرجال دهيتمُ فالكلب فيكم عن قليلٍ يخطب

وقوله في أبخر [من الوافر] :

أَرَدْتُ لـقـاءه فلقيـت منـهُ كمـا يلقى الخلاء من الفقـاح
وجـالسني فلم أشعـر بـأنّي ولم أبعـد جليس المستراح[3]

---

(١) الشرك : المصيدة .
(٢) الدّرك : الغاية والحاجة .
(٣) المستراح : الكنيف .

٦٤ ـ أحمد بن صدقة الكاتب

كتب إلى ابن رشيد يستدعيه [من السريع] :

بـالله يا صـالح قمْ مسـرعاً إلى عقـارٍ أدركت تبَّعـا[1]
وسـاعد الليلة في شـربهـا وخذ من السكر بها مصرعا
وقـد بـذلنـا لـك أرواحنـا لمّـا رأينـاك لهـا مـوضعـا

* * *

٦٥ ـ أبو الحسن بن أبي ياسر

قال يصف شمعة [من المتقارب] :

وهـيـفـاء مـن نـدمـاء الـمـلوك تـزيـد فـيـنـقـص مـن قـدرهـا
إذا ضحكت جنـح داجـى الـظلام بكتْ فجرى الـدمـع من نحـرهـا
فـإن نـعـسـت لـلـكـرى نـعـسـةً فـإيقـاظهـا القصُّ مـن شعـرهـا

* * *

٦٦ ـ محمد بن عاصم الموقفي

أنشدني له الزاهر في الفصادة [من المتقارب] :

ألاقـل لـعلوان كـيف أجـتـرأت على الأسـد الباسل الخـادرِ ؟[2]
وكـيـف أرقـت دمـاً دونـه يـراق دم الـجحـفـل الثـائـر ؟
تـرفَّـقْ قـليلاً عـلى مرفـقٍ بـه مـرفـق البـدو والحـاضـرِ
فليس الحـديـد على سـاعـدٍ ولكـن من الـدّهـر في النّـاظـرَ

---

(١) تبّع : من ملوك الدولة الحميرية في اليمن ، كناية عن قدم عهدها .
(٢) الخادر : المقيم في أجمة .

وقوله [من الخفيف]:

أسكر الخمر خمر ريقك حتّى ... باتت الخمر من رضابك سكرا
فلهذا أراك تزداد صحواً ... وأراها عليك لا تتجرّا

وقوله [من السريع]:

أشربْ على الجيزة والمقسِ ... من قهوةٍ صفراء كالورسِ [1]
وروِّحِ النّفس بها إنّما ... عيش الفتى في راحة النّفس
وأنسْ بإخوان الصّفا إنّهمْ ... من أكبر النّزهة والأنسِ
فلست تدري أيّما ساعةٍ ... تبيت تحت اللحد والرّمس [2]
والمرء لا يعرف في يومه ... يصبح في دنياه أو يمسي

وقوله [من السريع]:

أقول والليل دجىً مسبلُ ... والأنجم الزّهر به ميَّلُ
يا طول ليلٍ ماله آخرٌ ... فيك وصبحٌ ماله أوّلُ

وقوله [من السريع]:

اشرب ستنسى ويك مع مَنْ نسي ... من قهوةٍ قوصيّة المغرس
في قمرٍ للربع منْ شهره ... كشقّةٍ من درهمٍ أطلس [3]

وقوله [من السريع]:

يا حاديَ اللّذات عرِّس بنا ... ويا مدير الكأس قمْ فاسقنا

---

(١) المقس : موضع على نيل مصر ، والورس : الزعفران .
(٢) الرمس واللحد : أي القبر .
(٣) أطلس : أغبر يميل إلى السّواد .

أمـا تـرى شمس ضحى يـومنا ... قـد لبست مـطرفهـا الأدكنـا[1]
والـروض لـلوسـمـيّ فـي حـلَّةٍ ... أذهـبـهـا مـن بعـد مـالـوّنـا[2]

وقوله [من البسيط]:

اشربْ شمولاً على ريح الشمال فقد ... هبّتْ شمـالاً ولاح الصبح فـاتّضحـا
كـأنّـهـا جنّـةٌ فـي الكـفّ مـائـلةٌ ... تبـدو فيخفي ضيا أنـوارهـا القـدحـا
كـأنّ حـامـلهـا من خـمـر ريقتـه ... وافى بهـا أوْلهـا من خـدّه اقتـدحـا

وقوله [من الوافر]:

وظـبـي زارنـي مـن غـيـر وعـدِ ... نـعمت بـقـربـه بـأتـمّ سـعـدِ
سـقـانـي ثـم نـقّـلني بـلـثـمٍ ... عـلى عـجـلٍ وحـيّـانـي بـوردِ
وشـمـرٌ سـاعـداً فـيـه وشـومٌ ... بقلبي مثلهـا من أجـل صـدّ[3]
فكـان كفضّـةٍ سـكّت عـمـوداً ... عـليهـا أسـطرٌ بـالـلازورد[4]

وقوله في دير القصير من قصيدة أولها [من الخفيف]:

إن ديـر القصيـر هـاج ادكـاري ... لهـو أيـاميَ الحسـان القصـارِ
وزمـانـاً مضى حميـداً سـريعـاً ... وشبـابـاً مثل الـرّداء الـمعـارِ
عـرفتني ربـوعـه بعـد نـكـرٍ ... فـعـرفت الـربـوع بـالإنـكـار
ولـو أنّ الـديـار تشكـو اشتيـاقـاً ... لشكتْ جفـوتـي وبعـد مزاري
ولكـادت نحـوى تسيـر لمـا قـد ... كنت فيهـا سيّـرتُ من أشعـاري
وكـأنّـي إذ زرتـه بعـد هـجـرٍ ... لـم يكـن من منـازلي وديـاري

---

(١) الأدكن : الذي يميل لونه إلى السواد .
(٢) الوسميّ : أول مطر الربيع .
(٣) الوشوم : جمع وشم وهو العلامة .
(٤) سكّت : سبكت وصنعت وضربت .

إذْ صعـودي على الجيـاد إليـه ... وانحداري في المعقباتِ الجواري[١]

بـصقـورٍ إلـى الـدّمـاء سـوارٍ ... وكلابٍ على الوحوش ضواري[٢]

منـزلاً لست محصيـاً مـا لقلبي ... ولـنـفـسـي فـيـه من الأوطـار

مـنـزلاً فـي عـلّوه كسمـاءٍ ... والمصـابيـح حـولـه كـالـدّراري

ومنها :

غـرّدت بينهـا الـطيـور فـطارتْ ... بـفـؤاد الـمـتيَّـمِ الـمـسـتـطارِ

كـم خلعت الـعـذار فـيـه ولـم أر ... عَ مـشـيـبـاً بـمـفـرقـي وعـذاري

كم شـربنـا على التـصـاويـر فيه ... بـصـغـارٍ مـحـشـوثـةٍ وكـبـار

صـورةٌ مـن مـصـوّرٍ فـيـه ظلّت ... فـتـنـةً لـلقلوب والأبـصـار

أطـربتنـا من غيـر شـدوٍ فـأغنتْ ... عـن سماع الـعيـدان والـمزمـار

لا وحسن العينين والشفـة اللمـيـاء منها وخـدّهـا الجلنّـاري[٣]

لا تـخـلّفـت عـن مزاريَ ديـراً ... هـي فـيـه ولـو نـأى بـي مـزاري

فـسقـى الله أرض حـلوان فـالـنـخـ ... ـل فـديـر القصيـر صـوب العشـار[٤]

كـم تـنـبـهّـتُ من لـذاذة نـومـي ... بنعيـر الـرُّهبـان فـي الاسحـار[٥]

والـنـواقـيسُ صـائـحـاتٌ تـنـادي ... حيّ يـا نـائمـاً عـلى الابـتـكـار

قبـل أن يبليَ الجـديـد الجـديـدا ... ن بـلـيـلٍ مـعـاقـبٍ ونـهـار

إنّـمـا هـذه الـحـيـاة عـوارٍ ... وعـلى المـستـعيـر ردُّ الـعـواري[٦]

---

(١) المعقبات : المتابعات السير .

(٢) سوارٍ : أي سائره .

(٣) اللّمى : سمرة تستعذب في الشفة .

(٤) العشار : الغزير من المطر .

(٥) نعير الرهبان : تراتيلهم ، مأخوذ من صوت الناعورة .

(٦) عوارٍ : أمانات ، وأشياء مستقرضة .

وقوله [من الوافر]:

أأيـامـي بشـاطـى البـركـتيـنِ سـقـاك الله نـوءَ المـرزميـن[١]
لقـد أذكـرتني طـربي ولهـوي ووكّـلت الـفـؤاد بـلوعـتيـن
تُـرى أيـامنـا فيـك المـواضي يعـود وصـالهـا مـن بعـد بين[٢]
سـقى الله البـقـاع ملثَّ قـطرٍ وأعـطش منـزلاً بـالجلهتين[٣]
ودار عـلى المـدار رهـام مـزنٍ تسـير إلى جنـان السـروتين[٤]
فكم من بيعـةٍ عقـدت لقصـفٍ وعـزفٍ في ريـاض البيعتيـن[٥]
وكم من مـدنفٍ قـد حـاز وصـلاً ونـال منـاه وسط المـنيتيـن[٦]

وقوله [من البسيط]:

إشـربْ بطمـوة من صفـراء صـافيـةٍ تـزرى بخمـر قـراهيتٍ وغـايـات[٧]
عـلى ريـاضٍ من الـنّـوار زاهـرةٍ تجـري الجـداول فيهـا بين جنّات
منـازلاً كنت مفتـونـاً بهـا يـفعـاً وكنَّ قـدمـاً مـواخيـري وحـانـاتي[٨]
كـأنّمـا النيـل في مـرِّ النسيم بهـا مـسيـلمٌ فـي دروعٍ سـامـريّـاتِ

* * *

(١) المرزمين : المطر المصحوب بالرعد .
(٢) البين : الفراق .
(٣) ملثٌّ قطرٍ : أي المطر الدائم المقيم .
(٤) الرهام : المطر المتصبِّب برفق .
(٥) البيعة : مكان يُختلى به للشراب .
(٦) المدنف : المريض المشرف على الهلاك وهنا مريض العشق .
(٧) طموة وقراهيت : أسماء بلدان .
(٨) اليفع : الصبا والشباب ، مقتبل العمر .

٦٧ - أبو الفتح البستي الكاتب

أنشدني له محمد بن عمر الزاهر يصف شمعة من أبيات [من البسيط]:

قد شابهتنيَ في لونٍ وفي قصفِ وفي نحولٍ وفي دمعٍ وفي سهر

هذا تشبيه خمسة بخمسة وقد أجاد غاية الجودة وقوله [من الكامل]:

صحتُ السلاح لشدَّة الحربِ والمستغاث لشدّة الكربِ
حتى إذا لبسوا سلاحهمُ وتشدّدوا لوقائع الحربِ
ناولتهم قلبي وقلت لهم: هذا المسىء فقطّعوا قلبي

وقوله [من الطويل]:

لئن صدع الدهر المشتّت شملنا فللدهر حكمٌ في الجموع صدوعُ[1]
وللنجم من بعد الرجوع استقامةٌ وللشمس من بعد الغروب طلوع
وإنْ نعمةٌ زالتْ عن الحبّ وانقضتْ فإن لها بعد الزّوال رجوعُ
وكنْ واثقاً بالله واصبرْ لحكمه فإنّ زوال الشرِّ عنك سريعُ

وقوله [من الكامل]:

وغزالةٍ غازلتها في المقس من أولاد حامِ[2]
نظرت بعينيْ ظبيةٍ ونظرت من عينيْ قطامِ[3]
وتبسّمت وكأنّها برقٌ تألّق في غمامِ
ثم انثنت مثل المهى وتبعتها رتك النّعامِ[4]

---

(١) صدع : فرّق .

(٢) حام : من أبناء نوح ، وهو أبو الزنج .

(٣) قطام : امرأة من العرب يضرب المثل بصواب رأيها وحدّة نظرها وفيها يقول الشاعر :

إذا قالت قطام فصدّقوها لأنّ القول ما قالت قطام

(٤) رتك النعام : مقاربة خطوة .

حتى دخلنا بيتها فحصلت في البيت الحرام
فجعلت أفتح ميمها لما جثوت لها بلامي
وكأنّني إذ ذاك أو لجت الضياء على الظلام
ضدان لم يجمعْهما إلّا المحبّةُ للحرامِ
كانت لعمري عاهة جمعت غراباً مع حمام

* * *

٦٨ ـ أبو سهل بن أسباط الكاتب

قال [من السريع]:

إن كنت يا قلب عزمتَ الهوى فاستخرِ الله إذا قبْلا
ولا تكن يا قلب مثل الذي قدّم رجلاً وثنى رجلا
حتى تلاقي في الهوى أهله وقلّما تلقى له أهلا
لا توردنّي مورداً كلّما قطعت وحلاً ألتقى وحلا

* * *

٦٩ ـ عبد الله الصفري

قال يصف الشيب [من الطويل]:

بد الشيب في رأسي فقالت تعجّباً: لقد شبت من هجري وأنت صغيرُ
فقلت لها: لا غرو إن وصالكم يردّ شباب المرء وهو كبير

٧٠ ـ أبو العباس الكندي

قال يصف الندى على البحر [من الطويل]:

كأنّ الندى في البحر بحران مائعٌ على مائعٍ هذا على ذاك مطبقُ
فهذا لجينٌ سابحٌ مترقرقٌ وذاك لجينٌ في السماء معلّقُ

إذا أبصرته الشمس بعد احتجابها ... لـه سـاعة أبصـرتـهُ يتـمـزّق

وقوله [من المتقارب]:

عـذارك المنقطعُ المسبَلُ ... يقطع عذري عند من يعذلُ
ووجهك المقبل إقبال منْ ... أنت على طلعته مقبلُ
لا عشت أن أعدمه فالذي ... يعدمه يعدم ما يأملُ

وقوله يصف السحاب [من الرجز]:

ساريةٌ في غسق الظلام ... دانيةٌ من قلل الآكام
جاءت مجيء الجحفل اللهام ... فافترقت كالإبل السوامي[1]
كأنّها والبرق ذا ابتسام ... كتيبةٌ مذهبةُ الأعلام
دنت من الأرض بلا احتشام ... ثم بكت بكاء مستهام
وانتشرتْ بسائغ الإنعام ... وثروةٍ تحكم في الإعدام

٧١ ـ أحمد بن بدر المعروف بالبلاط

قال في ولده وقد حم [من الكامل]:

أعزز عليَّ بنيَّ ما تلقى ... سدّت عليَّ شكاتك الطرُقا[2]
قد كنت بالحمىّ أحقُّ فليتني ... ألقى من الحمّى الذي تلقى

٧٢ ـ أبو العباس الزوفي

أنشدت له في الشيب [من المنسرح]:

قد رابني من شبيبتي ريبُ ... وفلّ من غِرب صبوتي الشيبُ

---

(١) الجحفل : الجيش الكثير العدد ، واللهام : العظيم ، والسوامي : المرسلة لترعى .
(٢) شكاتك : ألمك وما تشتكي منه .

وكان ثوب الشباب أحسن ملبوساً بهاءً فأخلق الثوبُ[1]
من عابني بالمشيب قلت له: صدقت فالشيب كلّه عيبُ
طلائع الشيب كلّما طلعتْ شقٌّ على ميت الصِّبا جيبُ

عبد الوهاب بن جعفر الحاجب

أنشدت له [من الكامل]:

هاترْ هتورُ بكثرةِ الفرح واقدحْ زناد اللهو بالقدحِ[2]
وصلِ الغبوق إذا وصلت إلى المسى ، وإن أصبحت فاصطبحِ
أبردْ إلى الندمان رسلك ما بَرَدَ النّسيم وغنٍّ واقترحِ
أصلح فساد العيش مجتهداً ففساد عمرك غير منصلح

* * *

٧٤ ـ أبو بكر الموسوس المعروف بسيبويه

أبو بكر هذا من البصرة . وكان يشبّه ـ في حضور جوابه ، وبيان خطابه . وحسن عبارته ، وكثرة درايته ـ بأبي العيناء، وكان قد تناول البلاذر فعرضت له منه لوثة ، وكان الناس يتبعونه ويكتبون عنه ما يقول. فقال يوماً للمصريين «يا أهل مصر . أصحابنا البغداديون أحزم منكم ، لا يقولون باتخاذ الولد حتى يقتنوا له العقدوالعدد ، فهم أبدا يعزبون . ولا يقولون باتخاذ العقار . خوفاً أن يملكهم شر الجار ، فهم أبداً يكنزون . ولا يقولون بإظهار الغنى في موضع عرفوا فيه بالفقر ، فهم أبداً يسافرون».

ووقف يوماً بالجامع ـ وقد أخذت الحلق مأخذها ـ فقال « يا أهل مصر ،

---

(١) أخلق الثوب : بلِيَ ورثّ .
(٢) الهتور : الاستهتار والعبث .

حيطان المقابر أنفع منكم يُستَنَدُ إليها ويستدرى بها من الريح ، ويستظل بها من الشمس ، والبهائم خير منكم ، تمتطى ظهورها ، وتؤكل لحومها ، وتحتذى جلودها » .

وكان ابن خزابة الوزير ربما رفع أنفه تيهاً ، فقال له سيبويه وقد رآه فعل ذلك : أيشم الوزير رائحة كريهة فيشمر أنفه ؟ فأطرق واستعمل النهوض ، فخرج سيبويه فقال له رجل : من أين أقبلت ، فقال : من عند هذا الزاهي بنفسه ، المدل بعرسه . المستطيل على أبناء جنسه . وكانت زوجته ابنة الإخشيد.

وأخلى الحمام لمفلح ، فجاء سيبويه ليدخل فمنع ، وقيل له : الأمير مفلح داخل ، فقال: لا انقي الله مغسوله ، ولا بلغه رسوله ، ولا وقاه من العذاب مهوله . وجلس حتى خرج من الحمام ، فقال له : إن الحمام لا يخلى إلا لأحد ثلاث مبتلي في قبله ، أو مبتلي في دبره ، أو سلطان يخاف من شره ، فأي الثلاثة أنت ؟ . ومن شعره [من الكامل] :

اعذرْ أخاك على رداءة خطِّهِ ... واغفرْ رداءته لجودة ضبطه
فالخطّ ليس يراد من تحسينه ... وبيانه إلّا إبانة سمطه[1]
فإذا أبان عن المعاني سمطه ... كانتْ ملاحته زيادة شرطه

* * *

أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن يونس المنجم

أنشدت له [من الكامل] :

غنّت فأخفت صوتها في عودها ... فكأنّما الصوتان صوت العودِ
غيداء تأمر عودها فيطيعها ... أبداً ويتبعها اتباعَ ودودِ

---

(١) السمط : ترتيبه ونظمه .

أنــدى من النَّـوار صبحــاً صـوتهــا ... وأرقّ مــن نشـــر الـثنــا الـمـعـهــود
فكــأنّمــا الصــوتــان حين تمــازجــا ... مـــاء الـغـمـــامـــة وابـنـــة العـنـقـــود

وقوله [من الطويل] :

سقى الله أحيــاء اللّوى كلّمــا سقى ... بضربٍ من المزن الكتهور هامـل[1]
إذا نثـــرت ريحٌ جمـــانٌ سحـــابـــةً ... غـدا وهـو حليٌّ للريـاض العـواطـل
بـــه خفق بـرقٍ ليس بين جـــوانـــحٍ ... ووســواس رعـدٍ ليس بين مفــاصـل
إذا كـــاد درّ الـبـــرق يـلمس نـبـتــه ... قلقّــاهُ درُّ النّـور بين الخمـــائـــل[2]

وقوله [من الكامل] :

يجــري النسيم على غـلالــة خــدِّهِ ... وأرقّ مـــنـــه مـــا يـــمـــرُّ عـــلـيـــه
نــاولـتــه الـمــرآة يـنــظر وجـهــهُ ... فعكست فـتـنـة نـاظـريـه إلـيــه

وقوله [من الوافر] :

صــديقٌ قـد نـدمت على اختبـاري ... لــه لــمّــا تــأمــلّه اخــتــبـــاري
يـنـمُّ بـــســـرٍ مـــســـتـوعـيـــه ســـرّاً ... كـــمـــا نـــمَّ الــظّـلام بـــســـرٍّ نـار[3]
أنـــمُّ من الـنـصــول عـلى مـشـيــبٍ ... ومـن صـافي الـزّجـاج عـلى عقـارِ

وقوله [من الوافر] :

وذي حـــرصٍ تـــراه يـلّم وفــراً ... لـوارثـــه ويـدفـــع عـــن حـــمـــاهُ
ككلب الصّـيــد يمســك وهـو طـاوٍ ... فـريـــســـتـــه لـــيـــأكـلـهـــا سـواهُ

وقوله [من السريع] :

لـكــل شيء في الــورى آفـــةٌ ... وآفـــةُ الـــمـــرء مـــن الـــكـــبْـــرِ

---

(١) الكتهور : المتراكم من السحاب ، أو هو قطع منه كالجبال .
(٢) النَّور : الأزهار .
(٣) ينمُّ : يدل ويشير .

يحسب أن الكِبْرَ فخر له ... وليس غير العلم من فخْرِ

* * *

٧٦ ـ أبو القاسم عبد الغفار المصري

أنشدت له [من مجزوء الخفيف]:

إنّما الفضل غرّةٌ ... في وجوه المدائحِ
أريحيٌّ رياحه ... عبقاتُ الروائح
كعبة الجود كفّه ... بين غادٍ ورائح
إنّما تصلح الأمو ... ر برأي ابن صالح

* * *

٧٧ ـ أبو العباس أحمد بن مروان بن حماد النحوي

أنشدني ابن وهب له [من مجزوء الرمل]:

لم يطلْ ليلى ولكنْ ... سهري كان طويلا
وكذا ليس يلذّ الـ ... نوم من كانَ عليلا
يا غزالاً لم أجدْ عنـ ... ـه إلى الصّبر سبيلا
هبْ لعينٍ سهرتْ فيـ ... ـك من الغمض قليلا

* * *

٧٨ ـ محمد بن جعفر الأنصاري الكاتب المعروف بالقصير

من شعره [من السريع]:

قد طال منك المطل في الوعد لي ... وأنت في مطلك لا تخطي[1]

---

(١) ورد عجز البيت في بعض النسخ هكذا : « وأنت في مطلك لي تخطي » .

لـو كنت تعطي مـال مصـر ومـا حـوت مـن الـدور عـلى الـشطّ
ومـا لـدار الـضـرب من عـسجـدٍ لـكـان كـفـراً بـالـذي تـعـطي

* * *

٧٩ ـ أبو علي تميم بن معد صاحب مصر

أنشدني له علي بن مأمون المصيصي [من الكامل]:

يـا دهـر مـا أقسـاك من متلوّنٍ في حـالتيـك ومـا أقلَّك منصفـا
أتـروح للنكس الجهـول ممهـداً وعلى اللبيب الحرّ سيفاً مرهفا ؟
فإذا صفوتَ كـدرت شيمة باخلٍ وإذا وفيتَ نقضت أسبـاب الـوفـا
لا أرتضيـك وإن صفـوت لأنّنـي أدري بـأنـك لا تـدوم على الصّفا
زمـنٌ إذا اعـطى اسـتـردّ عـطاءه وإذا استقـام بـدا لـه فتحـرّفـا
مـا قـام خيـرك يـا زمـان بشـرِّهِ أولى بنـا مـا قـلَّ منك ومـا كفى

وقوله [من الطويل]:

أيـا ديـر مـرخنـا سقتـك رعـود من الغيم تـهمي مـزنهـا وتـجـودُ
فكم واصلتنـا مـن ربـاك او انسٌ يـطفن علينـا بـالمـدامـة غيـدُ
وكم ناب عن نور الضحى فيك مبسمٌ ونـاب عـن الـورد الجني خـدودُ
ومـاست على الكثبان قضبان فضّةٍ فـأثـقلهـا مِـنْ حملهـنّ نـهـودُ[1]
ليـاليَ أغـدو بين ثـوبيْ صبـابـةٍ ولهـوٍ ، وأيّـام الـزمـان هجـود[2]
وإذْ لمتي لم يـوقظِ الشيب ليلهـا وإذْ أثَـري في الغـانيـات حميـدُ

---

(١) ماست : تمايلت بغنج ودلال ، والكثبان : جمع كثيب وهو التلُّ من الرمل .
(٢) هجود : راقدة .

وقوله [من البسيط] :

يا منتهى أملي لا تدن لي أجلي ... ولا تعذِّبْ ظنوني فيك بالظَّنِ
إن كان وجهك وجهاً صيغ من قمرٍ ... فإنّ قدّك قد قدَّ من غُصُنِ

وأنشدني له من قصيدة أولها [من الطويل]:

* سرى البرق فارتاع الفؤاد المعذَّبُ *

يقول فيها :

وبات ضجيعي منه أهيف ناعمٌ ... وأدعجُ نشوانٌ وألعسُ أشنبُ[1]
كأنّ الدّجى في لون صدغيه طالعٌ ... وشمس الضّحى في صحن خدّيه تغربُ
وإني لألقي كلَّ خطبٍ بمهجةٍ ... يهون عليها منه ما يتصعّبُ
وأستصحب الأهوال في كلّ موطنٍ ... ويمزج لي السمّ الذعاف فأشربُ[2]
فما الحرّ إلّا مَنْ تدرَّع عزمه ... ولم يك إلّا بالقنا يتنكّب[3]
وما لي أخاف الحادثات كأنّني ... جهولٌ بأنَّ الموت ما منه مهربُ
خليلي ما في أكؤس الراح راحتي ... ولا في المثاني لذتي حين تضربُ
ولكنّني للمدح أرتاح والعلا ... وللجود والإعطاء أصبو وأطرب
ومن بين جنبيه كنفسي وهمتي ... يروح له فوق الكواكب موكبُ !

وقوله [من الطويل]:

إذا حان من شمس النّهار غروبُ ... تذكَّر مشتاقٌ وحنَّ حبيبُ

---

(١) الأدعج : من الدعج وهو سعة العين مع شدّة سوادها وشدّة بياضها ، والألعس : الذي في شفته سمرة ، والأشنب : البارد الرضاب .

(٢) الذعاف : القاتل .

(٣) تدرّع : جعله درعا ، ويتنكّب : يتكّل ويتكىء .

تُرى عندهم علمٌ وإنْ شطّت النوى بأنَّ لهم قلبي عليَّ رقيبُ
لهم كبدي دوني وقلبي ومهجتي ونفسي التي أدعى بها وأجيبُ
فآية حزني لوعةٌ وصبابةٌ وعنوان شيني زفرة ونحيب
وما بلد الإنسان إلاّ الذي له به سكنٌ يشتاقه وحبيب
إلى الله أشكو وشْكَ بينٍ وفرقةٍ لها بين أحشاء المحبِّ دبيبُ

وقوله [من الطويل]:

أما والذي لا يملك الأمر غيره ومن هو بالسّرّ المكتَّم أعلمُ
لئن كان كتمان المصائب مؤلماً لإعلانها عندي أشدُّ وآلم
وبي كل ما تشكو العيون أقلّه وإن كنت منه دائماً أتبسّمُ

وقوله ، وهو مما يتغنى به [من البسيط]:

قالت وقد نالها للبين أوجعه والبين صعبٌ على الأحباب موقعُهُ
اجعل يديك على قلبي فقد ضعفتْ قواه عن حمل ما فيه وأضلعه
واعطف عليَّ المطايا ساعةً فعسى من شتَّ شمل الهوى بالبين يجمعه
كأنّني يوم ولَّتْ حسرةً وأسىً غريق بحرٍ يرى الشاطي ويمنعه

وقوله [من الطويل]:

وغضبى من الإدلال والتّيه والهوى بلا غضبٍ سكرى الجفون بلا سكرِ
كأنّ على لبّاتها رونق الضحى وفي حيث يهوى القرط منها سنا الفجر[1]
ترى البدر مثل البدر في صحن خدّها وتفترّ عن مثل الجمان من الثغر

وقوله [من السريع]:

أما ترى الرعد بكى فاشتكى والبرق قد أومض فاستضحكا

---

(١) اللبة : موضع القلاد من الصدر ، والسنا : الضياء .

فاشرب على غيمٍ كصبغ الدجا أضحكَ وجه الأرض لمّا بكى
وانظر لماء النّيل في مدّهِ كأنّه صُندِلَ أو مُسِّكا

وقوله [من المنسرح]:

وليلةٍ بتها على طربٍ آخرها مشبه لأولاها
أقبِّل البرق من ترائبها وألثم الشمس من محيّاها[1]
سقتني الراح وهي خدّاها بأكؤس السكر وهي عيناها
إذا أرادت مزاحها جعلت بآخر اللحظ في فمي فاها
فيالها قهوةٌ معتّقةٌ وليس إلّا الخدود مأواها
حبابها الثغر حين يمزج لي ونقلها اللثم حين أسقاها[2]
لله أيامنا التي سلفتْ بدار حزوى ما كان أحلاها
فالقصر من حيرة الملوك إلى أعلى رباها الى مصلّاها
إذ نجتني اللهو من أصائلها والعزّ من فجرها ومغداها[3]
إن عرضتْ لذّةٌ ملكناها أو صعبتْ خطّةٌ حويناها

وقوله [من الطويل]:

وصفراء لم تطبخْ بنارٍ شربتها على وجه معشوق السّجا يا مقرطق[4]
كأنّ حباب الكأس من نظم ثغره وإشراقها من خدِّهِ المتألق

وقوله [من المنسرح]:

لو صوّرت خلقها إرادتها ما قدّرته كمثل ما قدّرا

---

(١) الترائب : جمع تريبة وهي موضع القلادة من الصدر .
(٢) الحباب : فقاع الخمر ، والنقل : ما يؤكل معها .
(٣) مغداها : أي وقت الغدو صباحاً .
(٤) المقرطق : الذي يلبس القرطق وهو نوعٌ من الثياب .

كـامسـك نشــراً ، والبـرق مبتسمــاً　　　والغصن قـداً ، والحقف مؤتـزرا[1]

وقوله [من السريع]:

شبّهتهـا بـالبـدر فـاستضحكتْ　　　وقـابـلتْ قـولـيَ بـالـنُّـكْـرِ
وسـفّهـت قـولي وقـالـت : متى　　　سمجتُ حتّى صـرت كـالبـدر ؟[2]
والـبـدر لا يـرنـو بـعـيـنٍ كـمـا　　　أرنـو ، ولا يـبـسـم عـن ثـغـر
ولا يـمـيط الـمـرط عـن نـاهـدٍ　　　ولا يـشـدّ الـعـقـد في نـحـر[3]
من قـاس بـالبـدر صفـاتي فـلا　　　زال أسـيـراً في يـديْ هـجـري

وقوله [من البسيط]:

نـاولتها شبـه خـدّيهـا مشعشعـةً　　　صـرفاً كـأنّ سناهـا ضـوء مقبـاسِ[4]
فقبلتْهـا وقـالـت وهي ضـاحـكـةً　　　وكيف تسقى خـدود النـاس للنـاسِ
ألـيس خــدّاي ذابـا إذ لمستـهمـا　　　فـاستنبـطا قهـوةً حمـراءَ في الكـاس
قلت: اشـربي إنّها دمعي وحمـرتها　　　دمي وطـابخهـا في الكـأس أنفـاسي
قـالت: إذا كنت من حبي بكيت دماً　　　فسقّنيهـا على الـعـيـنيـن والــراسِ
يـا ليـلةً بـات فيهـا البـدر معتنقي　　　وبـاتت الشمس فيها بعض جلاّسي
وبتُّ مستغنيـاً بـالثّغـر عن قـدحي　　　وبـالـخـدود عن الـتـفـاح والآسِ

وقوله [من الطويل]:

ومـا أمّ خشفٍ ظـلّ يـومـاً ولـيلةً　　　ببلقعـةٍ بيـداء ظمـآن صـاديـا[5]

---

(١) الحقف : المعوجّ من الرمل .
(٢) سمجت : أصبحت ثقيلة .
(٣) يميط : يزيح ، والمرط : الثوب .
(٤) المقباس : الضوء والسّراج .
(٥) البلقع : الأرض الخالية التي لا شيء فيها .

تهيم فلا تدري إلى أين تنتهي ... مولهةً حيرى تجوب الفيافيا
أضرَّ بها حرُّ الهجير فلم تجدْ ... لغلّتها من بارد الماء شافيا
إذا بعدت عن خشفها انعطفتْ له ... فألفته ملهوفاً إلى الجوع ظاميا
بأوجعَ مني يوم شدّوا رحالهم ... ونادى منادي الحي أن لا تلاقيا

وقوله مفتخراً [من الكامل]:

ألقى الكميَّ فلا أخاف لقاءه ... ويفلُّ إقدامي شبا الحدثانِ[1]
وأكرّ في صدر الخميس معانقاً ... للموت حين يفرّ كلّ جبانِ[2]
ويزيدني كلّ الخطوب تعظّماً ... وتسلُّط الأيام عزّ مكان
وعلمت أخلاق الزمان فلم أضقْ ... ذرعاً بأيامي وغر زماني
وكما يملّ الدهر من إعطائه ... فكذا ملالتهُ من الحرمان
وكما يكرُّ لمعشرٍ بسعادةٍ ... فكذا يكرّ لمعشرٍ بهوان
فإذا رماك بشدَّةٍ فاصبرْ لها ... فلسوف يأتي بعدها بليَانِ
وسلِ الليالي عن نفاذ عزيمتي ... وسلِ الحوادث عن ثبات جناني
يخبرك عنّي أنّني لم ألقها ... بين العزائم واهن الأركان
اصبحت لا أشتاق إلّا للنّدى ... إلفاً ولا أهوى سوى الإحسان
وإذا السيوف قطعن كلَّ ضريبة ... قطع السيوف القاطعات لساني

وقوله [من الخفيف]:

اسقياني فلست أصغي لعذلِ ... ليس إلا تعلّةُ النفس شغلي
أطيع العذول في ضدّ ما أهـ ... ـوى كأنّي اتهمت رأيي وعقلي
علّلاني بها فقد أقبل الليـ ... ـل كلون الصدود من بعد وصلِ

---

(١) الشبا : حدّ السيف والسهم والنصل والحدثان : الليل والنهار .

(٢) أكرّ : أقدم وأهجم ، والخميس : الجيش .

وانجلى الغيم بعدما أضحك الرو ض بكاء السّحاب فيه بوبل
عن هلالٍ كصولجان نضارٍ في سماءٍ كأنّها جامُ ذبل[1]

أحسن في هذا التشبيه ما شاء ! وقوله [من الطويل]:

إذا هبّ سلطان المريسيّ نافحاً سُحَيْراً وحلّ القرُّ كلّ نقابِ[2]
ومدّ على الأفق الغمام ثيابه فقمْ فالقه في عدّةٍ وحرابِ
بكنٍّ وكانونٍ وكأس مدامةٍ وكيسٍ وكسٍ وافرٍ وكبابِ[3]

وقوله [من الكامل]:

ورد الخدود أرقُّ منْ ورد الرياض وأنعمُ
هذا تنشَّقُهُ الأنو ف وذا يقبّله الفمُ
فإذا علت فأفضل الـ ـوردين وردٌ يُلْثَمُ
هذا يُشَمُّ ولا يضمُّ وذا يضمُّ ويشمم

وأنشدني المصيصي له [من المنسرح]:

وجنّةِ من شفّني هواه ومنْ أفنيت فيه دموع آماقي
كأنّما الصيرفيُّ دنَّر ما يحمر منها ودرهم الباقي

وأنشدني له أبو الحسن علي بن مأمون المصيصي من قصيدة مخمسة اولها [من الهزج]:

دمُ العشاق مطلول ودَيْنُ الحبِّ ممطولُ[4]

---

(١) الجام : الإناء ، وذبل : مصنوع من عظام بحرية .
(٢) سحيراً : وقت السحر ، والقرّ : البرد .
(٣) الكنّ : البيت والستر .
(٤) مطلول : مسفوك ، والمطل : التسويف وعدم الوفاء بالوعد .

وسيف اللحظ مسلول ومبدا العتب معزولُ

وإن لم يصغِ للآثمْ

إذا لم يظهر الحبّ ولم ينهتك الصبُّ

ويفشي سرّه القلبُ فجملة ما ادّعى كذبُ

فبُحْ يا أيّها الكاتم[1]

وأحور ساهر الطرفِ يفوق جوامع الوصفِ

مليح الدلّ والظُّرفِ جنت ألحاظه حتفي

فمن يعدي على الظالم

أطاع جفونه السّحرُ وذلّ لوجهه البدرُ

وماد بردفه الخصرُ وأشبه ثغره الدرُّ

فقلب محبّه هائمْ ؟

يعنّفني على حبيّ ويهجرني بلا ذنبِ

كأنّي لست بالصَّبِّ لقهوة ريقه العذبِ[2]

أما في الحب من راحم ؟

غزالٌ لحظه شَرَكُهْ وبدرٌ ثوبه فَلَكُهْ

لو أني كنت أمتلِكُهْ فأنهب ما حوت تِكَكُه[3]

نهاب الظافر الغانم

خذوا بدمي قنا القدّ وحسن تورُّد الخدِّ

---

(١) باح : أعلن .

(٢) الصبّ : العاشق .

(٣) التكّة : حبل يربط به السروال .

وليل الشعرّ الجعد وثقل الكفل النّهد

وسقم الأعين الدائم

متى يظفر بالوصل وينفي الجور بالعدلِ

محبٌّ دائم الخبل سليب الصبر والعقل

كئيبٌ مدنفٌ هائم

بحسن الأعين النجل وعضٍّ الوقف والحجل[1]

وذاك القصب الجدل وريقٍ كجنا النحل

وثغرٍ يطمع الشائم[2]

سلوا الشمس التي طلعتْ علينا ثمّ ما أفلتْ

عسى ترثي لمن قتلتْ بعينيها وما علمتْ

فقد يستعطف العالمْ

أما والخرّدِ الصّفرِ شبيهات سنا البدرِ

وألوان صفا الخمر لقد أضرمْنَ في صدري[3]

غراماً ليس بالنائمْ

وراحٍ تبعث الطربا وتحيي الظُّرف والأدبا

يثير مزاجها حببا تخال به عيون دبى[4]

(١) النجل : الواسعة ، والوقف : السوّار في يد المرأة .

(٢) الشائم : الناظر والمتطلع .

(٣) أضرمن : أوقدن النار .

(٤) الدّبى : الجراد .

ودرّاً صفّــهُ الناظمْ

أمـا والــجـمـرة الـكـبـرى وزمـزم والــصـفـا ومـنـى
ومـن لـبـى بـهـا ودعـا وطـاف الـبـيـت ثـم سـعـى
خميصاً مخبتاً صـائمْ[1]

لـقـد أضـحـى لـنـا خلفـا نـزارٌ وابـتـنـى شـرفـا
وأصـبـح خـامس الـخـلفـا وأحـيـا سـعـيـه الـسـلفـا

وأضحى بالهدى قائمْ

نـمـى فـي الـمـجـد عنصـره وطـال الــنّـجـم مـفـخـره
وفــاق الــبـدر مــنـظـره فـصـرف الـدهـر يـحـذره

أبيٌّ ليِّنٌ صــارمْ

وقوله في الراي [من الوافر]:

كـأنَّ الـراي حين أتـى طـريـاً بـأذنـابٍ كمجمـرة العـقيـقِ[2]
بـإسـقـيَّـاتِ بـلّورٍ لـطافٍ بـأسفلهـا بـقـايـا مـن رحيـق

٨٠ ـ محمد بن أبي مروان بن أخي المستنصر بالله

المدعو الخليفة بالأندلس ، وهو الحكم بن عبد الرحمن المرواني من شعره [من الطويل]:

ومـا كـان من عـطفٍ عليّ حـديثهـا ولكنْ لتعـذيـب الفـؤاد المـعـذَّبِ
حديثٌ لو استسقت به الصخر جادها بـأعـذبَ من صـوبِ الغمـام وأطيبِ

---

(١) الخميص : الجائع ، والمخبت .

(٢) الراي : نوعٌ من السمك .

وقوله [من مخلع البسيط]:

راجعه شوقه فحنًّا وشفّه شجْوهُ فأنًّا[1]
وسال من دمعه مصون أظهر ما كان مستكنًّا
فعاد فيه الهوى يقيناً وكان عند الرقيب ظنّا
لو كان يلقى الذي تلاقي أوسعه رحمةً ومنّا

وقوله [من الخفيف]:

بين أجفانها وبين ضلوعي نازعتني الحياة أيدي المنونِ
لست أدري أعن مدى طرفها الفا تن موتي أم طرفي المفتونِ

وقوله [من الخفيف]:

قد رضيت الهوى لنفسيَ خلّاً ورأيت الممات في الحبِّ سهلا
وتذلّلت للحبيب وعزّ الـ صبّ في سنة الهوى ان يذلّا
بأبي من أحلَّ قتليَ عمداً وهنيئاً لسيدى ما استحلّا
سوف أجزي الحبيب بالصدِّود ودّاً مستجدّاً وبالقطيعة وصلا
وإذا ما استزاد تيهاً وعُجْباً زدت نفسي له خضوعاً وذلّا

وقوله [من الخفيف]:

غير مستنكرٍ همول دموعي في التّصابي وغير بدعٍ خشوعي
ليس عزّي إلّا فناءُ عزائي وسنائي إلّا بقاء خضوعي
وبحسبي أنّي ألاقي عذولي باصطبارٍ عاصٍ ودمع مطيع

وقوله [من الطويل]:

أعِدْ نظراً واستوقف الطرف منعماً تجدْ كَلِفاً صبّا بحبِّكَ مغرما

---

(1) أنّا : من الأنين ويكون وقت المرض .

سرى الحبُّ في أخلاقه فأرقّها وعلَّمهُ احكامه فتعلَّما
ولست تراه سائلاً منك عطفةً حذاراً من التقبيل إلّا توهّما
فإن جدت جدت لاقته الحياة كريمةً وإن لم تجد لاقى الحمام مقدّها

وقوله [من الطويل]:

لئن وعدتني وصلها وعدَ عاتبٍ يجاحدني وعدي وينكرني حقّي
فأفضل ثوب الغيث في الأرض دافقٌ وأبلغه ما جاء بالرّعد والبرقِ
فإن ما نعتني فضل إنجاز موعدٍ فإنّ الحيا الممنوع أشهى الى الخلق
فلا كان لي في الأرض رزقٌ أناله إذا لم يكن في نيل موعدها رزقي

وقوله [من الخفيف]:

ياربيعي ما كان ضرّك لوجد ت علينا كما يجود الربيعُ
ورده ذاهبٌ ووردك باقٍ وهو سهلٌ به وأنت منوعُ
كن شفيعي إليك ياجنّة الخلـ ـد فمالي غير الخضوع شفيعُ

وقوله [من الخفيف]:

كم تصابٍ أردفته بتصاب واصطباحٍ وصلته باغتباق
وكؤوسٍ عاطيتها بدر تمٍّ جلّ أن يعتريه نقصُ المحاق
وغصونٍ جنيت منها ثماراً لم يشنها تساقط الأوراق
زمنٌ بكيته حسب وجدي كنت أبكيه من دم الأحداق

وقوله [من الطويل]:

ومختطفٍ للعين بتُّ أشيمه مجالسةً والليل حيران مطرقُ[1]
سرى يخبط الظلماء حتّى كأنّه بوجديَ يسرى أو بقلبي يخفق

---

(١) أشيمه : أتبعه وأنظر إليه .

وقوله [من الطويل]:

تبدّت بأكناف الحجاز ديارها فأوقد نار الوجد في القلب نارُها
كأنّ بأنفاسي استمدّ ضرامها وعن كبدي الحرّى تلظّي استعارها[1]
يحنّ إليها القلب حتّى كأنّما إليه تناهيها ومنه انتشارها

وقوله [من الطويل]:

ولما حمى الشوق المبرّح ناظري كراه حذاراً أن يريني مثاله
شربت عقاراً أذكرتني بريقه وأهدت كرىً اهدى إليَّ خياله
فهلْ هي إلاّ نعمةٌ مسترقّةٌ أنالت يدي ما لم أؤملْ نواله

* * *

٨١ ـ حبيب بن أحمد الأندلسي

قال [من الخفيف]:

ودعتني بزفرةٍ واعتناقِ ثم نادت متى يكون التلاقي ؟
وتصدّت فأشرق الصُّبح منها بين تلك الجيوب والأطواقِ
يا سقيم الجفون من غير سقمٍ بين عينيك مصرعُ العشّاقِ
إنّ يوم الفراق أفظعُ يومٍ ليتني متُّ قبل يوم الفراق

وله [من الرمل]:

هيَّج البين دواعي سقمي وكسا جسميَ ثوبَ الألمِ
أيّها البين أقلني مرَّةً فإذا عدت فقد حلّ دمي
يا خليَّ الروع نمْ في غبطةٍ إنّ من فارقته لم ينمِ

---

(١) تلظّى استعارها : أي وهج اتقادها .

ولـقـد هـاج لـقـلبـي سـقـمـاً   حـبٌّ مـن لـو شـاء داوى سـقـمـي

وقوله [من الخفيف]:

وجنّـةٍ كـالـربيع جـاد عليهـا   مـن حيـاءٍ لا مـن حيـاً وسْمـيُّ
ووجـوهٍ قـلبتهـا كـالـدّنـانيـر   ومثـلي لمثـلهـا صـيـرفيُّ
تتهـادى الـريـاح منهـا نسيمـاً   شـابـه عنبـرٌ ومسـكٌ ذكيٌّ[1]

وقوله [من الطويل]:

ألا بـأبـي من قـلبـه غيـر مـشفـقٍ   عـليَّ ، ولـي قـلبٌ عـليـه شـفـيـقُ
وإنـي لأبـدي لـلوشـاة تبسُّـمـاً   وإنسـان عيني في الدمـوع غـريقُ[2]
وكم شـافهـتني للصبـا أرْيحيَّـةٌ   ومـازج ريـقـي لـلأحـبّـة ريـقُ

* * *

تم ـ بحمـد الله تعالى وحسن تـوفيقه ـ مـراجعة الجـزء الأول من كتـاب يتيمة الدهر ، في محاسن اهل العصر « لأبي منصور الثعالبي . ويليه ـ إن شاء الله تعالى ـ الجزء الثاني ، مفتتحا بتـرجمة « الـوزير أبي مـروان عبد الملك بن جهور » نسأل الله المعونة والتوفيق إلى إكماله .

---

(١) شابه : خالطه ومازجه .

(٢) إنسان عيني : بؤبؤ ناظرها .

الفهـــرس

الموضوع | الصفحة

الباب الرابع

الباب الخامس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب السادس

الباب السابع

الباب الثامن

الموضوع	الصفحة

الباب التاسع

الموضوع	الصفحة